رواية

أفضل رواية بوليسية سويدية لعام ٢٠١٦

أعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ

مالين بيرسون غيوليتو

ترجمها عن السويديّة
حميد كشكولي

مكتبة ١٢٢١

أعْظَمُ مِنْ كُلِّ شَيءٍ

مكتبة .. لِمَ لا

أعظم من كلّ شيءٍ

مالين بيرسون غيوليتو

ترجمها عن السويديّة: حميد كشكولي

عنوان الرواية باللغة السويدية:

Störst Av Allt

ترجمة عنوان الرواية باللغة الانكليزية:

Greater Than Every Thing

By Malin Persson Giolito

Translated by Hameed Kashkoli

الطبعة الأولى: آذار ـ مارس، 2022 (1000 نسخة)

تمت ترجمة ونشر هذا الكتاب *Störst Av Allt* بالاتفاق مع وكالة أهلاندر/ ستوكهولم ـ السويد.

This Translation has been published by agreement with
AHLANDER AGENCY/ Stockholm - Sweden.

Copyrights@Malin Persson Giolito 2017.
Arabic Translation Copyrights@Dar Al _ Rafidain 2021

All Rights Reserved /جميع حقوق الطبع محفوظة (C)

24 6 2023

مكتبة
t.me/soramnqraa

بغداد ـ العراق/ شارع المتنبي عمارة الكاهجي

تلفون: +9647811005860/+9647714440520

www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
Dar ALRafidain دار الرافدين
daralrafidain
dar.alrafidain
dar_alrafidain
daralrafidain دار الرافدين

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 671 - 34 - 5

مالين بيرسون غيوليتو

مكتبة | 1221

أعظم من كل شيء

ترجمها عن السويديّة

حميد كشكولي

www.daralrafidain.com

مكتبة
t.me/soramnqraa

الفصل الدّراسيّ

جسد «دينيس» مسجى على الأرض، بين مقاعد الصَّفّ الأيسر، يرتدي كعادته قميص (تي شيرت) وبنطلون جينز فاخرًا وحذاءً رياضيًّا لم يعقد قيطانه. إنّه من أوغندا، ويدّعي أنَّ له من العمر سبعة عشر عامًا، لكنّه يبدو شابًّا سمينًا في الخامسة والعشرين. يتابع دراسته هنا ضمن دورةٍ تعليميَّةٍ، ويقيم في مؤسسة تقبل أشخاصًا مثله، في مدينة «سولنتونا»، إلى جانبه، أرى زميلي «سمير»، الَّذي يدرس معي في المرحلة ذاتها بالثانوية، بعد قبوله في قسم الاقتصاد العالميّ والعلوم الاجتماعيّة.

كما أجد، عند طاولة المعلّم، «كريستر» ممثّل الصّفّ والمتطوّع في العمل الخيريّ لتحسين العالم، وقد انقلب فنجانه على الطّاولة، وقطرات القهوة تسيل على طرف بنطلونه. وأرى أيضًا «أماندا» مائلة في مكان لا يبعد أكثر من مترين عن موضع «كريستر» متكئة على جهاز التّدفئة تحت النّافذة، وقد كانت قبل بضع دقائق كتلة من الكشمير والذّهب الأبيض والصّنادل؛ فالأقراط الماسيّة الَّتي حصلتْ عليها عندما جرى تعميدنا لا تزال تلمع في شمس بداية الصّيف. والآن يمكن للمرء أن يظنّ أنّها موحلة. أمّا أنا فجالسة على الأرض في منتصف الصّفّ المدرسيّ وفي حضني «سيباستيان» ابن أغنى رجل في السّويد (كلايس فاغرمان).

لا يجمعنا شيء، لم نكن لنلتقي، إلّا ـ ربّما ـ في منصّة مترو الأنفاق أو في إضراب سائقي سيّارات الأجرة أو في عربة مطعم على متن قطار، ولكن ليس

في فصلٍ دراسيٍّ. أشمّ رائحة نتانة البيض الفاسد. والفضاء رماديّ ومعتم بسبب دخان البارود. وقد تم إطلاق النار على الجميع، باستثنائي أنا. لم أصب حتى بخدش واحد.

الجلسة الرّئيسة في القضيّة «ب» 66/147
المدّعية العامّة وآخرون ضدّ «ماريّا نوربيرغ»

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الأول، الاثنين

1

في المرَّة الأولى الّتي دخلت فيها قاعة محكمةٍ لمتابعة إحدى المحاكمات، شعرت بخيبة أملٍ؛ إذ كنت في رحلةٍ ميدانيَّةٍ مع زملاء الصَّفّ. ومن الواضح أنَّني اكتشفت كيف أنَّ القضاة ليسوا رجالًا محنيّي الظّهر، يرتدون باروكات مجعّدة وعباءات مترهّلة، وأنَّ المدّعى عليه ليس بمجنون يرتدي الزّيّ البرتقاليّ اللّون، بفم يملأه الزبد والسّلاسل تحيط بكاحليه. ولكن على كلّ حالٍ، كان المكان أشبه بشيءٍ ما، بين مركزٍ طبّيٍّ ومرفقٍ من مرافق المؤتمرات. ذهبنا إلى هناك في حافلة استأجرناها، تفوح منها رائحة العلكة وعرق الأقدام. ويرى المرء بوضوح قشرة رأس المدّعى عليه وقد ارتدى سروالا بطيات سفلية، متّهما بارتكاب مخالفات ضريبيّة. وإضافة إلى تلاميذ صفّنا (و«كريستر» بالطّبع)، كان هناك أربعة أشخاصٍ آخرين حضروا للاستماع. مع عدد قليل جدًّا من المقاعد، فاضطرّ «كريستر» إلى التقاط كرسيّ إضافيّ من الممرّ في الخارج ليجلس عليه.

واليوم، باتت الأمور مختلفة. فنحن في أكبر قاعة محكمة في السّويد. هنا يجلس القضاة على كراسي «الماهوجني» الدّاكنة الّتي تعلو مقاعدَ الآخرين. وهناك يجلس رئيس القضاة الّذي يُدْعى رئيس المحكمة، وأمامه على الطّاولة مطرقة بمقبضٍ مغلف بالجلد. وتبرز مكبّرات الصّوت الرّشيقة في كلّ موقعٍ. كما تبدو دعائم الجدران القديمة وقد صنعت من خشب البلوط، ولها من

العمر مئات السّنين، أعني أَنها قديمة بمعناها الإيجابيّ. أمّا الأرض ففُرِشت بسجّادةٍ حمراء داكنةٍ بين المقاعد.

أفراد الجمهور ليسوا بمشكلةٍ لديَّ؛ فأنا لم أرغب يومًا في أن ألعب دور القديسة «لوسيا»، أو أن أترشّح لمسابقات المواهب، ولكنَّ المكان هنا مكتظٌّ. والجميع قد حضر من أجلي، فأنا عامل الجذب للجميع.

يجلس إلى جانبي المحامون الّذين سيدافعون عنّي، وهم من مكتب محاماة «ساندر وليستاديوس» الّذي يشبه متجر الكتب القديمة والتّحف، حيث اثنان من المأبونين، تفوح منهما رائحة العرق، ويرتديان معطفين من الحرير وعلى عينيهما نظّارات طبّيّة، وفي ضوء مصابيح الكيروسين يدبّان داخل المتجر لنفض الغبار عن الكتب العفِنة والحيوانات المحنّطة. ولكنّه ـ على الرَّغم من ذلك ـ أفضل مكتب محاماة في السّويد يتخصّص بالقضايا الجنائيّة. وبينما يكتفي المجرمون العاديّون بمحامٍ عامّ وحيد ومتعَب، فإنَّ المحامي العامّ الخاصّ بي معه فريق من الموظّفين المهندمين بأزياء فاخرة. إنّهم يعملون حتّى ساعات متأخّرة من اللّيل في مكتب رائع يقع في شيبسبرون، ويمتلك كلّ واحدٍ منهم هاتفين خلويّين على الأقلّ. وما عدا «ساندر» نفسه، فهم يظنّون أنَّهم يشاركون في مسلسل أمريكي؛ إذ يتناولون طعاما صينيّا من علبٍ كرتونيَّةٍ بطريقة (أنا ـ مشغول ـ جدا ـ ومهم). ولا أحد من موظّفي مكتب محاماة «ساندر ولايستاديوس» الّذين يبلغ عددهم اثنين وعشرين موظّفًا يدعى «لايستاديوس». فمن يحمل هذا الإسم يُفترَض به أن يموت بسكتة قلبية خلال إحدى عمليّات (أنا ـ مشغول ـ للغاية ـ ومهمّ).

ثلاثة محامين حاضرون هنا اليوم للدّفاع عنّي: «بيدر ساندر» الشّهير، واثنان من شركائه. أصغرهما فتاة ذات شعر بقصّة كاملة وثقوب في الأنف

من دون خواتم. ربّما، لا تضع حلقات في أنفها بأمرٍ من «ساندر» (انزعي هذه القذارة فورًا). أنا أدعوها «فرديناند». تعتقد «فرديناند» أنَّ اللّيبراليّة شتيمة وأنَّ الطّاقة النوويّة تنطوي على خطرٍ قاتلٍ. أراها تضع نظّارات بشعة لأنّها تحسب أنّها تبدو بذلك قد فهمت كل ما يرتبط بالنظام الأبوي الذكوري السلطوي. وهي تكرهني لأنّها تظنّ أنّ الرّأسماليّة هي خطئي. في المرّات القليلة الأولى الّتي قابلتها فيها، عاملتني وكأنّني مدوّنة مجنونة تحمل بيدها قنبلة يدويّة غير آمنة في طائرة. بالتّأكيد، بالتّأكيد! قالت، من دون أن تجرؤ على النَّظر في وجهي، بالتّأكيد ـ بالتّأكيد! لا تقلقي، نحن هنا لمساعدتك كما لو أنّني هدّدت بتفجير الجميع إذا حصلت على عصير الطّماطم الحيويّ دون مكعّبات الثّلج.

مساعد المحامي الآخر رجل في الأربعينيّات من عمره، ذو كرشٍ أشبه بطشت عجين، ووجه مستدير كفطيرة «البانكيك» وابتسامة تخبرك «لديّ أفلام في المنزل، أدافع عن جميع موكليّ حسب التّرتيب الأبجديّ في خزانةٍ مقفلةٍ». البانكيك قَصّة شَعْرِه قصيرة. يقول أبي دائمًا إنّه من الممكن أن تثق بشخص من دون قَصّة شعرٍ، لكنّني أرى أنَّ أبي كان حريصًا على إيصال رسائل قصيرة بسطرٍ واحدٍ. في المرّة الأولى الّتي قابلت فيها «البانكيك»، ثبّت نظرات عينيه أسفل وجهي مباشرة، وأجبر لسانه السّميك على العودة إلى فمه، وأخذ يصدر فحيحًا مسرورا: يا صغيرتي، كيف سيسير الأمر، فإنّك تبدين أكبر بكثير من السّابعة عشرة؟ لو لم يكن «ساندر» هناك لكان على الأرجح يلهث، أو ربّما لَسال لعابه. تاركا إياه يسيل من الفم على سترة البدلة الضيّقة. ولم أستطع أن أشير إلى أنّني في الثّامنة عشرة من العمر.

اليوم، يجلس (البانكيك) على جانبي الأيسر. وقد جلب معه حقيبته الدّبلوماسيّة وحقيبة ذات عجلات مكتظّة بالمجلّدات والورق. وقد أفرغ الحقيبة واضعًا المجلّدات على الطاولة أمامه. وإن ما تركه وراءه هو كتاب

(فن المرافعة ـ الانتصار هو الخيار الوحيد) وفرشاة أسنان برزت من أحد الجيوب الصّغيرة. خلفي، في الصّفّ الأماميّ من الجمهور، جلس أبي وأمّي.

قبل عامين، عندما كنت في تلك الزّيارة الدّراسيّة الّتي لم تتكرّر قطّ، كان فصلنا قد حصل مسبقا على إحاطة إعلاميّة حتّى نتمكّن من «فهم الجدّيّة» و«أن نكون قادرين على المجيء». أشكّ في أنَّ هذه الزّيارة كانت مفيدة. لكنّنا «قمنا بتدبر أمورنا»، قال «كريستر» ونحن نبتعد. لقد كان قلِقًا، ظنَّ أنَّنا سنواجه صعوبة في كبت ضحكاتنا والتقاط هواتفنا الخلويّة. كنّا سنجلس هناك ونلعب وننام، وذقوننا على ياقاتنا مثل أعضاء البرلمان المتململين.

أتذكَّر كم كان صوت «كريستر» مفعما بالخطورة عندما أوضح (هل تسمعون؟ استمعوا الآن!) أنّ المحاكمة ليست مزحة، وأنَّ حياة النّاس على المحكّ. فأنت بريء حتّى تقول المحكمة إنّك مذنبٌ. هذا ما قاله عدّة مرّاتٍ. انحنى سمير إلى الوراء عندما تحدَّث «كريستر»، وازن نفسه قليلًا على الكرسيّ وأومأ برأسه بهذه الطّريقة الّتي جعلت جميع المعلّمين يحبّونه. الإيماءات الّتي أوحت بـ ـ أنا ـ أفهم ـ بالضّبط ـ نحن ـ على ـ الطّول الموجي ـ نفسه ـ وأنا ـ ليس ـ لديّ ـ شيء ـ أضيفه ـ لأنَّ ـ كلّ ـ شيء ـ تقوله ـ أنت ـ ذكي.

أنت بريء إلى أن تقول المحكمة إنّك مذنب. ما هذا الادّعاء الغريب؟ إمّا أنّك بريء طوال الوقت وإمّا أنّك قد ارتكبت جريمة ما منذ البداية. ستبتّ المحكمة في الأمرَ، وتُحقّق فيه وتكشف ملابسات القضيّة، لكنَّها لا تقرّر ما هو صحيحٌ! والحقيقة أنَّ الشّرطة والمدّعي العامّ والقضاة لم يكونوا جميعًا هناك، ولا يعرفون بالضَّبط مَنِ المجرم، وهو ما يكاد يعني أنَّ المحكمة يمكن أن تختلقه لاحقًا.

أتذكَّر قولي لـ«كريستر» إنَّ المحاكم تفهم الأمر بشكل خاطئ طوال الوقت،

فيُطلَق دائمًا سراح مجرمي الاغتصاب الجنسيّ. لذا، لم تعد هناك فائدة من الإبلاغ عن الاعتداء الجنسيّ؛ لأنَّه، حتّى لو اغتُصِبْتَ جنسيًّا من لدن نصف منشأة للاجئين، وحُشِر صندوقٌ كامل من الزّجاجات الفارغة بين فخذيك، فإنّ هذه المحاكم لا تُصدّق الفتاة أبدًا. وهذا لا يعني أنّه لم يحدث شيء ولم يقم المغتصب بفعلته. قال «كريستر»: «إنَّ الأمر ليس بهذه البساطة».

مسؤوليَّة المعلّم النَّموذجيَّة: «سؤال جيّد للغاية...»، «أسمع ما تقوله...»، «إنَّها ليست سوداء أو بيضاء...»، «إنّها ليست سهلة...»، الجميع يقول...»، فكلّ هذه الإجابات تعني الشّيء نفسه: ليس لديهم أيّ فكرة عمّا يتحدّثون به.

حسنا، لا بأس. إذا كان من الصّعب معرفة الحقيقة من الكذب، إذا لم تكن على يقين، فما العمل، إذًا؟

قرأت في مكانٍ ما أنَّ «الحقيقة هي ما نختار أن نؤمن به». إذا كان ذلك ممكنًا، فسيبدو أكثر اختلالًا أن تكون قادرًا على تقرير ما هو صحيح وما هو زائف! قد تكون الأمور في الوقت ذاته صحيحة ومختلقة، اعتمادا على مَنْ تسأله! وإذا قال شخص نثق به شيئًا، حسنًا، يمكننا أن نقرّر أنَّ هذه هي الطّريقة؛ فعندئذٍ يمكننا أن نختار أنَّ هذا «صحيح». كيف يمكنك حتّى التّفكير في شيء غبيّ جدًّا؟ إذا كان الشَّخص يرى ما هو لي أنَّه «ينحرف إلى الاعتقاد فيما هو لي»، أودّ أن أفهم على الفور أنّه مقتنع فعلًا أنَّ كلَّ شيءٍ هو كذبة، لكنَّه يوافق على التّظاهر خلاف ذلك.

يبدو وكيلي المحامي «ساندر» غيرَ مبالٍ بالأمر برمّته «أنا إلى جانبك»، يقول فحسب، ويبدو كأنَّ ظفر إبهام على وجهه. فليس «ساندر» من النَّوع المتحمّس. فهو مسترخ وكلّ شيءٍ بالنسبة له تحت السّيطرة. لا انفعالات. لا مشاعر. لا قهقهات. ربّما لم يصرخ حتّى عندما وُلِد.

«ساندر» عكس والدي. أبي هو أبعد ما يكون عن «الرّجل البارد»

(كلماته الخاصّة) كما يتمناه. يصرّ أسنانه عندما ينام، ويقف على رجليه في أثناء مشاهدة مباريات المنتخب الوطنيّ لكرة القدم. والدي يغضب من رجال البلديّة المتحذلقين، ومن الجار عندما يوقف سيّارته خطأً للمرّة الرّابعة في الأسبوع نفسه، ويستشيط غضبا كذلك من عقود الكهرباء غير المفهومة أو من المسوّقين عبر الهاتف، ومن الحاسوب، ومراقبي جوازات السّفر، والجدّ، والشّواء، والبعوض، والثّلوج غير المجروفة على الأرصفة، والألمان في طوابير المصعد، والنّوادل الفرنسيّين. يجعله كلّ شيء متحمّسًا، يصرخ ويصيح، يطرق الأبواب ويرجو النّاس أن يذهبوا إلى الجحيم. أمّا «ساندر»، فأَوْضَحُ علامةٍ على أنَّه غاضبٌ إلى حد الجنون، عندما يقطّب حاجبيه، ويخرج صوت النّقر بلسانه. حينذاك، يرتعب جميع زملائه، فيبدؤون بالتّأتأة والبحث عن الأوراق والكتب وغيرها من الأشياء الّتي يظنّون أنّها ستحسّن مزاجه. وقلّما يوافق أحدٌ أبي؛ فأمّي توافقه في المرّات الَّتي لا يكون فيها منزعجًا وعندما يكون هادئًا ومتمالكًا نفسه تمامًا.

لم يغضب «ساندر» منّي قطّ، ولم ينزعج ممّا أخبرته إيّاه، ولم يسخط ممّا قلت له، أو عندما كذبت وعلم أنّني أكذب.

«أنا إلى جانبك، مايا». ويبدو في بعض الأحيان متعبًا أكثر من المعتاد، وهذا كلّ شيء. إنّ «الحقيقة» ليست شيئًا نتحدَّث به.

فأكثر الأوقات، أرى أنَّه من الجميل أنَّ «ساندر» يهتمّ فقط بما أثبتته الشّرطة والمدّعي العامّ. ليس عليَّ أن أقلق بشأن ما إذا كان يقوم بعمل جيّد أو يتظاهر بأنَّه سيفعل ذلك. كأنَّه قد التقط كلَّ الموتى وكلَّ الذّنوب وكلَّ القلق، وحوَّلها إلى أرقام؛ وإذا لم تتناسب المعادلات، فقد فاز.

ربَّما هذه هي الطَّريقة للقيام بذلك. واحد زائد واحد لا يمكن أن يكونا ثلاثة. السّؤال التّالي، من فضلك.

لكنْ هذا، طبعا، لا يُفيدني بشيءٍ، إمّا لأنَّ شيئًا ما حدث وإمّا لأنَّه لم يحدث. هذا ما هو عليه. أيّ لفّ ودوران يكون أشبه بالأمور الَّتي ينشغل بها الفلاسفة و(على ما يبدو) واحد أو اثنان من الحقوقيّين. الإنشاءات. «الأمر ليس بهذه البساطة...»، لكنَّ «كريستر»، أتذكّر كيف أصرَّ قبل زيارة المحكمة، فعل كلّ شيء حقًّا ليجعلنا نستمع. أنت بريء حتّى تعلن المحكمة أنّك مذنب. وكتب على اللّوحة: المبدأ الأساسيّ للقضاء. (سمير أومأ مرّة أخرى). وطلب «كريستر» منّا أن ندوّن الملحوظات، ونشطب. (دوَّن سمير ملحوظات على الرّغم من أنّه لا يكاد يحتاج إليها).

أحبَّ «كريستر» كلَّ ما هو قصير بما يكفي للتَّعلُّم عن ظهر قلبٍ، وما هو قابل لأن يتحول إلى سؤال. الإجابة الصّحيحة أعطت نقطتين في الاختبار الّذي اجتزناه بعد أسبوعين. لماذا ليست نقطة واحدة؟ لأنَّ «كريستر» ظنَّ أنَّ هناك قياسات رماديّة عن ظهر قلب، تمكّنك من النَّجاح كلَّ مرَّة تقريبًا. واحد زائد واحد لن يكونا ثلاثة، ولكن سأعطيك نصف ما تستحقه؛ لأنَّك أجبت برقم واحد.

لقد مرَّ أكثر من عامين منذ أن قمنا بتلك الزّيارة إلى المحكمة مع «كريستر» ولم يكن «سيباستيان» معنا، إذ لم يذهب إلى صفّنا إلّا في السّنة الأخيرة، فكان عليه إعادة الفصل الدّراسيّ. كنت في ذلك الوقت مرتاحة في المدرسة ومع زملائي في الصّفّ والمعلّمين بمختلف تخصّصاتهم منذ المدرسة الابتدائيّة: مدرّس الكيمياء «يوناس» الّذي كان يتحدّث بصوت منخفض، ولم يتذكّر اسم أيّ شخص، وكان ينتظر الحافلة مع حقيبة الظّهر على بطنه.

معلّمة الفرنسيّة «ماري لويز» بنظّاراتها وشعرها الَّذي يُحاكي الهندباء، كانت دائمًا تمصّ بقايا الحدّ الأدنى من قرص البلاعيم الأسود مصًّا شديدًا، فيتقلّص فمها ويصغر، ويبدو بحجم فراولة بريّة. «فريغان» أستاذ الرّياضة ذو قصّة الشَّعر القصيرة كان يبدو كدولاب خشبيّ مطليّ حديثًا، ولم تكن هُويّته الجنسيّة واضحة، صافرة معلّقة حول رقبته، وشعر بطة ساقيه العريضتين حليق حلاقة نظيفة لامعة، وتشتم منه باستمرار رائحة الجوارب البلاستيكيّة والعرق. أمّا «مالين» معلّمة الرّياضيّات الشّقراء، فشاردة الذّهن، متبرّمة ومتأخّرة على الدّوام، وفي إجازة مرضيّة بمتوسّط يومين في الأسبوع، ومع صورة تذكاريّة تستخدمها صورةً لملفّها الشَّخصيّ في الفيسبوك، تبدو فيها أقلّ بعشرين كيلوغرامًا، ترتدي بيكيني ثلاثيّ الأضلاع.

ويساهم «كريستر سفينسون» في لـ ـ نلتقي ـ في ساحة ـ ماري ـ ونتّخذ ـ طريقة ـ موقف ـ؛ بشكل مرتّب من لحم الخنزير ـ بطاطس ـ طريقة ـ معجّن ـ طحالب ـ في ـ صلصة كريم. كان يحسب أنَّ حفلات الرّوك يمكن أن تنقذ العالّم من الحروب والجوع والمرض. وتحدَّث بصوت المعلّم المفرط الحماسة الَّذي يجب حظره إن لم يستخدمه في جعل الكلب يهزّ ذيله.

كلّ يوم، يجلب «كريستر» ترمسًا يملأه من قهوة الشّرطيّ المخمّرة مع كمّيّة كبيرة من السّكّر والحليب كانت أشبه بالكريم الأساس السّائل من المنزل إلى المدرسة. سكب القهوة في القدح الخاصّ به (أفضل أب في العالم)، وقد أخذ القدح معه إلى الفصل الدّراسيّ وملأه في أثناء الدّرس. فقد أحبَّ «كريستر» الرّوتين، الشّيء ـ نفسه ـ كلّ ـ يوم، الأغنيّة المفضّلة... på-repeat.

ربَّما كان «كريستر» يتناول الإفطار نفسه مذ كان في الرّابعة عشرة من عمره، أشبه بالتّزلّج لمسافات طويلة، مثل دقيق الشّوفان مع مربّى لينجون

والحليب الدّهنيّ (الإفطار هو أهمّ وجبة في اليوم!). بالتّأكيد كان يشرب البيرة والسنابس في كلّ مرّة يلتقي أصدقاءه (الأصحاب)، كان يأكل التاكو مع عائلته أيّام الجمعة، ثمَّ يذهب إلى مطعم البيتزا في الحيّ (واحدة مع ورقة الرّسم والطّباشير الملوّنة للأطفال)، ويتقاسم زجاجة نبيذ أحمر من المنزل مع «الزّوجة» عندما يريد الاحتفال بمناسبة كبيرة ومهمّة. لم يكن لدى «كريستر» خيال، سافر في رحلات التّشارتر، لم يستخدم الكزبرة في طعامه، ولم يستخدم زيتا للقلي باستثناء الزّبدة..

أصبح «كريستر» معلّمنا بالفعل، وكان يشتكي مرّة واحدة على الأقلّ في الأسبوع من أنَّ الطَّقس أصبح غريبًا جدًّا، (لم تعد هناك مواسم) وكلّ خريف كتبت لافتات عيد الميلاد في وقت سابق (قريبًا سنضع شجرة عيد الميلاد على جسر شيبرون قبل انتهاء رحلات سفن الصّيف).

اشتكى من الصّحف المسائيّة (لماذا يقرأ النّاس هذا الهراء؟) و (يشاهدون برنامج «لنرقص»)، ومهرجان الأغنيّة وفندق الجنّة (لماذا يشاهد النّاس هذا القرف؟ الأسوأ من ذلك كلّه أنّه كان يحبّ هواتفنا الخلويّة). (هل أنتم أبقار؟ تلك الدّردشات الّتي تدقّ وترنّ طوال الوقت، ما الفرق لو علّقتم أجراسًا حول أعناقكم؟ لماذا تقوم بهذه الأمور المقرفة؟). في كلّ مرّة اشتكى، بدا مرتاحًا، وشعر بأنَّه في ريعان الشّباب و«طريّ» (ليس كلمات أبي وحده)، وكان هذا دليلًا على مدى قربه من طلّابه؛ إذ تمكّن من أن يقول لنا «ملاعين مقرفون».

كان «كريستر» يُثبّت جرعةً من قطعة سعوط تحت شفته العليا بعد كلّ فنجان من القهوة، ويضع علب السّعوط في منديل ورقيّ قبل رميها في سلّة المهملات. أحبَّ «كريستر» النّظام، حتّى عندما يتعلق الأمر بالبذاءة.

وبعد ذلك، عندما انتهت محاكمة الاحتيال الضّريبيّ وعُدْنا إلى المدرسة، كان سعيدًا. لقد ظنَّ أنَّنا أبلينا بلاء حسنًا. كان «كريستر» راضيًا أو مضطربًا دائمًا، ولم يكن سعيدًا جدًّا أو غاضبًا جدًّا. أراد «كريستر» أن يعطي نصف نقطة على الأقلّ على أسئلة الحفظ.

كان «كريستر» مستلقيًا عندما مات، وذراعاه حول رأسه وركبتاه مرتفعتان مثل أختي الصّغيرة «لينا» عندما تنام أعمق نوم. نزف حتّى الموت قبل وصول سيّارة الإسعاف، وأتساءل عمّا إذا كانت زوجه وأطفاله يحسبون أنَّ الأمور ليست بهذه البساطة في الواقع، وأنّني بريئة؛ لأنَّه لم تقل أيُّ محكمة بعد إنّني مذنبة.

جلسات المحاكمة - الأسبوع الأول، الاثنين

2

لقد اشترت أمّي الملابس الّتي أرتديها اليوم، وكان بإمكاني ارتداء منامة مخطّطة من منامات الأخوة دالتون. المهم أنني أرتدي ملابسي. تتأنّق الفتيات بحرص لكي تبدو كل واحدة منهن جميلة في ملابسها أو ذكية ورزينة، أو أن تبدو مسترخية على شكل فتاة (أنا ـ لا أهتمّ ـ كيف ـ أبدو)، بخصلات شعر مهملة إلى حدّ معقول وحمّالة صدر قطنيّة هادئة خالية من العقد والأزرار وقميص «تي شيرت» رقيق إلى حدّ ما.

حاولت أن تُلبِسَني كأيّ فتاةٍ عاديّةٍ في الثّامنة عشرة من عمرها، ولكن انتهى بها المطاف هنا من دون أن تفعل أيّ شيء خاطئ. إلّا أنَّ بلوزتي تشدّ على صدري؛ إذ ازداد وزني في الحجز، كما أنَّ هناك فجوات مستديرة صغيرة بين كلّ زر. إنّني أشبهُ بالبائع الَّذي سحب معطفًا فضفاضًا لطبيب ليركض خلف النّاس في مراكز التّسوّق مع عيّنات العناية بالبشرة. *لا تظنّ أنّك تستطيع خداع أيّ شخص.*

«كم أنتِ جميلة، يا عزيزتي»، تهمس لي أمّي من مقعدها في الصّفّ الأماميّ. إنّها تفعل ذلك دائمًا، تغدق علي بالمجاملات، قمامة وهي تتوقّع منّي أن أرتّبها. مجاملات مصطنعة. أنا لست «جميلة» أو «جيّدة في الرّسم». ينبغي ألّا أغنّي بعد الآن أو آخذ دروس المسرح بعد دوام المدرسة. إنّ ما تدّعيه أمّي مهين للغاية؛ لأنّه يدلّ على أنّها لا تعرف شيئًا حول ما أُجيده حقًّا،

أو متى أكون في الواقع جميلة. أمّي ليست مهتمّة بي بما يكفي لتجاملني مجاملة تليق بي.

كانت لأمّي نظرة سلبيّة غريبة إلى الأمور، مثل «اهربي لمدَّة إذا أردت»، وكان بإمكانها أن تحثَّني في تلك الأشهر العديدة الأخيرة عندما عجزت عن التّظاهر بأنّها تريد منّي أن «أتوقّف وأخبرها» عمّا أفعله خارج البيت. *اهربي لمدّة* تكفي للتّصويت وشراء الخمر من الحانة. وكان من الممكن أن أمارس الجنس قانونيًّا منذ ثلاث سنوات. فماذا كانت تحسب أنَّني سأفعل؟ لعب الغميضة مع الجيران؟ واحد ـ اثنان ـ ثلاث ـ أربع ـ الآن ـ ها أنا هنا، جئت لاهثة حول الحديقة للعب خلف الأدغال نفسها، داخل الخزانة ذاتها، وراء المظلّات المكسورة في المرأب نفسها. «هل استمتعتم؟» سألَتْ عندما عدت وملابسي تفوح منها رائحة الحشيش. «هل يمكنك تعليق سترتك في القبو يا عزيزتي؟».

تحدَّثت ليلة أمس مع أمّي بالهاتف. كان صوتها ناعمًا أكثر من المعتاد. إنّه الصّوت الَّذي تستخدمه عندما يستمع إلينا شخص آخر أو عندما تفعل هي شيئًا آخر في الوقت نفسه. وأمّي تكاد دائمًا أن تفعل شيئًا آخر في الوقت نفسه، تلتقط أشياء لتعيدها إلى أماكنها، وتنقل الأشياء، تجفّفها وتفرزها.

إنّها عصبيّة على الدّوام، وقلقة جسديًّا. لقد كانت هكذا دائمًا. وهذه ليست غلطتي.

«سوف تتحسّن الأمور» قالت ذلك عدّة مرّات. تعثَّرت الكلمات بعضها ببعضٍ. ولم أتكلم كثيرًا، بل كنت أستمع فحسب إلى صوتها النّاعم للغاية. «سوف تتحسَّن الأمور. لا تقلقي، سيصير كل شيء على ما يرام».

حاول «ساندر» أن يوضح ماذا سيجري خلال التّحقيق، وما قد ينتظرني،

تسنّى لي مشاهدة فيلم في السجن، حيث أدّى الممثّلون الحائزون على جائزةَ أسوأ العروض الكوميديّة دورَ رجلين تعاركا في الحانة. وقد أُدين المدّعى عليه، لا بكلّ ما قد ارتكبه، بل بنصفه.

وبعد أن شاهدنا الفيلم، تساءل «ساندر» إن كانت لديّ أسئلة. أجبته: لا.

وما أتذكّره جيّدًا من محاكمة المخالفة الضريبيّة الَّتي حضرتها مع الصّفّ هو مشهد أشبه ما يكون بالصّمت. كان الجميع يتكلّمون بصوت منخفض وقد ارتفعت الأصوات الأخرى ـ تنخّع، صرير باب، كشط كرسي على الأرض. فلو نسيت ضبط هاتفك الخلويّ على حالة الصّامت ووصلت إليك رسالة نصّيّة هناك، لكان صداها عاليًا مثلما هي الحال حين يطفئون الأضواء في صالة سينما متظاهرين بأنّهم ينصبون منظومة صوت محيطيّ. وبينما ساد الصّمت في المكان، جلس مخالف القانون الضريبيّ وهو يمسّد غرَّته الدّهنيَّة ليزيحها عن جبينه. وعندما قرأ المدّعي العامّ لائحة الاتّهام المرفوعة بحقه، نظر إلى محاميه مصدرا أصوات هائجة من الشّخير. أتذكَّر أنَّني تصوَّرت كونه أحمق. لماذا تظاهر بالاندهاش؟ تحدّث المدّعي العامّ ومحامي هذا الأحمق في كلّ مرّة، قرآ مباشرة، قالا الشّيء نفسه مرّتين أو ثلاث مرّات، وكانا يتنحنحان كثيرًا. بدا كلّ شيء مزعجًا. لا لأنّ لا شيء «كان مثل فيلم»، بل لأنّ جميع المنخرطين عانوا من الملل، بمن فيهم الجاني؛ إذ بدا أنّه يجد صعوبة في المحافظة على تركيزه. وحتّى في الواقع، كان الجميع ممثّلين سيّئين لم يحفظوا نصوصهم.

من جهة أخرى، اعتبر «سمير» أن ليس هناك ما يعدّ سخيفا. وانحنى إلى الأمام في كرسيّه غير المريح مُسْنِدًا مرفقيه على ركبتيه، وعبس. كان هذا أفضل ما فعله لإظهار مدى جدّيّته، إذ يأخذ الأمور الخطيرة على محمل الجدّ. ظنّ

«سمير» أنَّ هذه المخلوقات الخرافيَّة الصَّغيرة المرتدية ملابس مصنوعة من نسيج البوليستر هي أروع المخاطبين الّذين استمع إليهم طوال حياته.

واستمتع «كريستر» بكلّ ذلك، سواء بالمحاكمة أم بـ «سمير» الجادّ. ونادرًا ما اضطرّ هذا الأخير إلى أن يفتح فمه لمداهنة «كريستر». لقد قمنا باستفزازه، أنا و«آماندا»، بعد ذلك لهذا السّبب، نحبّ أن نستفزَّ «سمير»، ولكنّ (لابي) ربّت على كتفه كما لو كان ابنه الأصغر حينما سجّل الهدف الحاسم في مباراة كرة قدم. قال: «سمير فهم كلّ شيء». فابتسم: «بالضَّبط كلّ شيء».

كما كنت أشعر بالرّاحة في البيت، عندما انتقلت إلى الحلقة الثّانية. وما زلنا، أنا وأمّي، نتحدّث حول أشياء لا صلة لها بالوقت الّذي ظننت أنّه ينبغي أن أعود فيه إلى المنزل. كانت أمّي فخورة بي أو على الأقلّ بكيفيَّة تربيتي. تفاخرت بأساليبها الفعّالة لتجعلني أفعل بالضّبط ما هو مطلوب لجعل حياتها يسيرة. وحكت لي أشياء من قبيل أنّني نمت طوال اللّيل في المرة الأولى الّتي بلغت فيها الشّهر الرّابع من عمري، وأنّني أكلت «كلّ شيء»، وأمسكتُ بالملعقة في المرّة الأولى الّتي كنت آكل فيها طعامًا صلبًا.

وروت لي كذلك كيف أنّني أردت أن أبدأ المدرسة مبكرة قبل عام؛ لأنَّني ظننت أنَّ روض الأطفال مملّ. أو أنّني أردت الذّهاب إلى المدرسة حتّى قبل أن أبلغ الثّامنة من العمر، وأنّني أحببت أن أكون في المنزل وحدي من دون جليسة أطفال. قالت إنّها سمحت لي أن أبدأ بركوب درّاجة توازن قبل أن أستقلّ درّاجة حقيقية ذات عجلتين، وبفضل ذلك لم يكن عليها أن تنحني وتمسك بالحامل لكيلا أسقط.

لقد بدأت ركوب الدّرّاجة مباشرة وكان بإمكانها المشي بجواري بملابسها الخفيفة، والضحك باعتدال وبصوت عالٍ.

ولم أعرف قطّ ما فعلته أمّي من أجلي، لجعل حياتي أسهل، لكن في ذلك الوقت كانت هي مقتنعة تمامًا بأنّني كنت سهلة جدًّا، وبلا مشاكل؛ لأنّها فعلت الشّيء الصّحيح.

واليوم، هنا أيضًا، كما أحسب، يسود الهدوء، ولكن ليس مثلما كان الأمر في قضيّة المخالفة الضّريبيّة. ويشعر جميع النّاس المهمّين بأنَّ الهواء لزج، وهم في انتظار حدوث أشياء مهمّة، وبأنَّ المدّعي العامّ والمحامين خائفون من أن يجعلوا من أنفسهم حمقى. حتّى «ساندر» متوتّر، ولو أنك لن تلحظ ذلك أبدًا إذا لم تعرفه.

يريدون إبراز قدراتهم. وعندما تحدّث «بانكيك» عن اعتقاده بأن الأمور ستمضي، تحدّث عن «الاحتمالات» و«فرصنا»، تمامًا كما لو كان أحد مدربي كرة السّلّة، وأنا مركز الفريق. يريد تحقيق *الفوز*. وقبل أن ينقر «ساندر» بلسانه سكت «بانكيك».

بدأت جلسة اليوم بمناداة من رئيس المحكمة العليا عبر مكبّر الصّوت بعد أن تنحنح، فتوقَّف الحضور عن التّهامس. وتحقّق القاضي من حضور كلّ من يفترض حضوره هنا. ولم أكن بحاجة إلى رفع يدي لأقول: نعم، لكنَّ الرّئيس أومأ إليّ وقرأ اسمي، ثمّ أومأ إلى المحامين الّذين وكّلتهم للدّفاع عنّي، وقرأ أسماءهم أيضًا. وكان يتحدّث بتمهّل، من دون أن يكون ناعسًا؛ إذ كان جدّيًّا إلى درجة كادت تفتق درزات بدلته القبيحة.

رحَّب القاضي بجميع الحاضرين بصدق. ولم أجب شكرًا ـ هذا ـ لطف ـ منكم ـ أنَّكم ـ دعوتموني؛ لأنَّني لا أكاد أجد مدعاة لذلك، ولكنني أعتقد بأنني سائرة على الطريق الصحيح. أنا كما يفترض بي أن أكون إلى حد بعيد. لا أبتسم، لا أبكي، ولا أعبث بأيّ فتحة من فتحات جسمي. وأُبقي ظهري مستقيمًا استقامةً معقولةً، وأحرص على ألّا تختفي أزرار بلوزتي.

عندما أخبر رئيس المحكمة المدّعية العامّة أنّها تستطيع البدء، بدت مشحونةً لدرجة أنّني ظننت أنَّها ستنهض. لكنّها أزاحت الكرسيّ فحسب مائلةً إلى الأمام على مكبّر الصّوت الرّفيع، وراحت تضغط الزّرّ وتتنحنح، كأنّها تتأهب للانطلاق.

وقد أخبرنا «البانكيك» ـ خارج صالة انتظار المحامين حيث كنّا جالسين قبل أن ندخل إلى هنا ـ أنَّ النّاس واقفون في طابورٍ للحصول على أماكن في صالة المحكمة، واصفًا إيّاها، ويكاد يكون متباهيًا «مثل الحفلة الموسيقيّة بالضّبط». وبدا كما لو أن «ساندر» يرغب في لطمه.

لا شيء هنا يشبه الحفلة الموسيقيّة. لست نجمة الرّوك. وإن من ينجذبون إليّ ليسوا معجبين مجانين، بل حفنة من الزّبّالين.

وعندما يطعّم الصّحفيّون صفحاتهم الأولى بي، تشتمّ رائحة الموت ما يزيد من شهيّة الضّباع.

ولكنّ «ساندر» متمسك برغبته في أن تكون الجلسة مفتوحة، وقد دعا إلى السّماح لوسائل الإعلام والجمهور بالدّخول، على الرّغم من أنّني صغيرة جدًّا.

ليس لكي يشعر «البانكيك» بالقسوة، ولكن لأنَّه «من الحاسم ألّا يحتكر المدّعي العامّ إصدار التّقارير».

وهذا يعني أنَّه يودّ أن يُظهِر جهوده الخاصّة، ولكن ربّما كان يحسب أنَّ الَّذين يكرهونني سيغيّرون رأيهم، ما داموا يسمعون «نسختي». «ساندر» مخطئ، هذا ليس مهما.

إنّهم يرغبون في كراهيتي. إنّهم يكرهون كلّ شيء يتعلّق بي، تمامًا مثل حفلة موسيقيّة، ومن غير المرجَّح أن يقترب «بانكيك» من محيط الموسيقى الحيّة في فئة Allsång på Skansen.

إذا كنت قادرة على التخمين، فإنَّه يستمع إلى إذاعة ف.م السويدية107 ويشاركهم الغناء في أفلام الإعلانات التّجاريّة لسيّارة الأسرة الكاملة.

قبل تسعة أشهر، وبعد أسبوع مما حدث، كانت هناك أعمال شغب في «يورهولم». أخذ عدد من الرّجال مترو الأنفاق إلى (موربي)، وانتقلوا إلى الحافلة 606 وذهبوا إلى جميع المحطّات الثّماني، على طول الطّريق إلى مركز «يورسهولمز». «لاحظ هؤلاء الأوغاد» أو بصياغة أدقّ «المتعجرفين».

وعادة ما تحدث أعمال شغب في الضّواحي، في الأحياء الّتي يسيطر عليها البلطجيّة، وسط مشاريع ومراكز ترفيهيّة تبلغ كلفتها الملايين، ويسيطر فيها شباب الدّراجات النّاريّة بوصفهم «قادة الشّباب» و«مضيفي أحياء»؛ فلا وجود لصاحب عمل عاديّ يرغب في إجبارهم على العمل بالقوة.

وعندما يُنشَر في الصّحيفة أنَّ «الضّاحية تحترق»، فإنَّ الأمر عادة ما يتعلّق بحطام السّيّارات الفاخرة مع عبق شجرة التنوب وحظر القيادة، والتّأمين الكامل للسّيّارات المستأجرة والموضوعة في المعرض، التي تستَبدَل بأخرى بمجرّد تعطّل مرآة جانبيّة واحدة. ولكن ليس هذه المرّة.

لمدة ثلاثة أيام بلياليها اندلعت حرب مكتملة الأركان في السّاحة، وحول منزل «سيباستيان» أسفل شارع ستراند. وفي اللّيلة الثّانية، شارك حوالي خمسين شخصًا في المعارك. أخبرني بذلك «ساندر»، وأراني المقالات. نوافذ مكسورة في دكاكين العمّات في السّاحة. ماذا سرقوا؟ هل سرق كل واحد منهم بلوزة وربطة عنق، وصلة منقوشة وإبريق نبيذ بلّوريّ؟ وأين ذهبوا عندما تمَّ إخراجهم من فاغرمانسفيليان؟ شمالًا باتّجاه منزلنا؟

هل عثروا على المنزل؟ وبالنَّظر إلى مدى أهمّيّة ما ظنَّت أمّي أنَّه كان «التّحيّة لإظهار الاحترام» على المتسوّل الأوّل الّذي جلس بالقرب من متجر

«كووب» ومعه بطّانيّة متّسخة بالبول، وماذا فعلت مع مدرّبي البيسبول وقنابل المولوتوف؟ «مرحبًا، مرحبًا. نهارك سعيد. عطلة نهاية أسبوع سعيدة». خلال تلك الأيّام عندما ساعدتنا قوّات حفظ النّظام بالقرب من منزلنا لأجل «حفظ النّظام»، تساءلت ماذا قالت أمّي لهم. «هل أنتم بخير؟».

بيّن «ساندر» لي، حسب الصّحف، أنَّ هناك تكهّنات حول «لماذا». إذا كان لذلك علاقة مع ما كنّا «نرمز» إليه، أنا وسيباستيان، وإن «التَّعبيرات» الّتي لدينا وما فعلناه «قد أثيرت». هل حدث شجار لأنَّ ما حدث كان مقزّزًا جدًّا؟ هل غضبوا أكثر لأنَّنا كنّا أغنياء جدًّا ولأنَّهم لم يكونوا كذلك؟ أو حصل شجار لمجرّد أنَّ مجموعة من رجال العصابات الصّغيرة يبحثون عن ذريعة للعراك (ولأنَّ الدّوريّ السّويديّ الممتاز لديه عطلة صيفيّة في حزيران/ يونيو)؟ وفي كلتا الحالتين، لن يسمح للبلطجيّة بالدّخول إلى هنا على أيّ حال.

الحاضرون في قاعة المحكمة أغلبهم صحفيّون. معظمهم ينقرون على لوحات مفاتيح حواسيبهم المحمولة. التقاط الصّور غير مسموح؛ إذ تسري قاعدة «ممنوع التّصوير» هنا، ويحتمل أنَّهم تركوا هواتفهم قبل الدّخول، وكان لقسم من الصّحفيّين مذكّرات عاديّة وأقلام.

كما حضر هنا رسّام مسكين. كنت ستحسب أنَّني كنت إحدى شخصيّات روايات ديكنز، طفل يواجه حبل المشنقة، «الفيرا ماديجان» من التّراث الشّعبيّ. «*أشياء حزينة تحدث، حتّى في يومنا هذا*». لقد غنّيناها في المدرسة المتوسّطة حيث بكت «أماندا». بطبيعة الحال، كانت أجمل فتاة عندما بكت من دون أن تكون حزينة حقًّا (ما أروعها!)، ثمَّ حصلتْ على اهتمام أكبر ممّا كانت تحصل عليه عادة.

تُعَدُّ «آماندا» أفضل صديقة لي. هكذا توصف في الجرائد، والتّلفاز وجلسات المحكمة، وحتّى لدى وكيلي. *أفضل صديقة لي*.

هل كانت «أماندا» الشَّخص الَّذي كنت أقضي معظم الوقت معه، ما عدا «سيباستيان»؟

نعم. هل كانت «أمانادا» أكثر شخص تحدَّثت إليه، باستثناء «سيباستيان»؟

تقف بجانبي في حوالي مئتي صورة وستّين من صوري على فيسبوك؟ هل أجريت معها دردشة لمدّة ساعتين في المتوسّط يوميًّا خلال الأشهر الأربعة الأولى من الأشهر السّتّة الّتي فحصوا خلالها نشاطاتي عبر الهاتف المحمول؟ هل شاركتني في أكثر من مئة منشور في (إنستغرام)؟ نعم، نعم، نعم.

هل كنت أحبّ «آماندا»؟ هل كانت أفضل صديقة لي على الإطلاق؟ لا أدري.

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الأول، الاثنين

3

في كلّ الأحوال، أحببت أن أكون برفقة «آماندا». وقد كنّا معًا دائمًا تقريبًا. كنّا نجلس متجاورتين في الصّفّ وفي صالة الطّعام، أنجزنا واجباتنا وتهربنا من المدرسة معًا. وتحدّثنا بسوء عن الفتيات اللّائي انزعجنا منهنَّ (ليس في ذلك قلّة أدب، ولكن...)، دسنا الفراغَ في الدراجات الآلية بصالة الألعاب الرّياضيّة.

وضعنا المكياج معًا، تسوّقنا معًا، تحدّثنا لساعات. دردشنا من دون انقطاع، ضحكنا بالطّريقة الّتي تضحك من خلالها الفتيات في الأفلام عندما تستلقي إحداهنّ على بطنها فوق سرير فتاة أخرى، فيما تقف الأخرى على الفراش مرتدية ثوب نوم قصيرًا جدًّا، وتستخدم فرشاة الشّعر كمكبّر الصّوت وتحاكي أغنية جميلة، أو تقلّد إحدى الفتيات التّافهات في المدرسة.

أصبحنا قادرتين على الإغواء في الآن ذاته. «أماندا» سرعان ما كانت تثمل. يتبع السّكارى دائمًا النّمط نفسه: الضّحك، الرّقص، السّقوط، الضّحك أكثر، الاستلقاء على الأريكة، البكاء بحرارة وذرف الدّموع لتسيل على الأذنين. قيء، عودة إلى المنزل. كنت أعتني دائمًا بها من دون أن تعتني بي هي أيضًا.

ظننت أنَّه من اللَّطيف أن أكون مع «أماندا» وأن أسترخي عندها. شعرت بأنَّ مشاركتها العيش تعني أن نتمتَّع بالحياة قدر الإمكان. وقد كان غرضها الأشقر الغبيّ أيضًا ترفيها لنا. وعندما تسألها كيف سيكون الطّقس، كانت

تجيب: «شحاطة»، أو «40 دينير». وإذا كان الجوّ باردًا حقًّا، كانت تؤكّد أنَّ «هذا هو أسوأ ما يمكن»، وحينذاك تأتي إلى المدرسة مرتدية سروالًا طويلًا ضيّقًا، وجزمة شتويّة طويلة، وسترة ذات ياقة مصنوعة من صوف الأرنب.

من السّهل أن تقول إنّ «آماندا» كانت فتاة سطحيّة. وكان من الصّعب عليها أن تفكّر أكثر مما هو مألوف، كأن تكتب، مثلًا، افتتاحيّات في صحيفة رصينة. وحسبت أنَّ عبارات «ما أفظع الطّغيان!» و«ما أشنع العنصريّة!» و«ما أقبح الفقر!» التي ترددها متلعثمة كثيرا، كانت تضاعف من أحكامها على الأشياء. جيّد جدًّا جدًّا، ممتع بامتياز، صغير في منتهى الصغر. (وهذه الأخيرة تكررها ثلاث مرات؟). رأيها في السّياسة والعدالة أو أي مسألة سياسيّة اختياريّة أخرى كان مستندًا إلى الحلقات الثّلاث ونصف الحلقة من برنامج (المهمّة: التدقيق) الّتي شاهدتها (وحتّى بكت لها). وعندما شاهدت مقطع يوتيوب حول كيفيّة خروج أسمن رجل في العالم لأوّل مرّة من المنزل الّذي كان يعيش فيه لمدّة ثلاثين عامًا، قالت: اسكتي! ليس الآن، أشاهد الأخبار».

إنَّ أكثر ما أحبَّت «آماندا» التّحدّث عنه هو ما كان يقلقها. انحنت إلى الأمام وهمست كيف كان يتعبها اضطراب الأكل (متعب للغاية حقًّا). وفي حقبة ما، أعلنت أنَّه «يجب» تجنّب الأخضر والرّقم تسعة، وأنّها «يجب» أن تتجنّب الأرصفة (أي، هذا ليس بشيء أختاره أنا، عليّ فعل ذلك وإلّا أظنّ أنّني سأموت، أموت حقًّا، أي أموت في الواقع). وأحيانًا كانت ترفع الصّوت إذا لم تتلقَّ ردَّ الفعل الَّذي كانت تبحث عنه. تظاهرت أنَّ أثر الحرق الّذي أصابها عندما حاولنا قلي فطيرة البانكيك لوجبة بيتيَّة هو ندبة سببها مختلف، شيء «من الأفضل ألّا أتحدَّث عنه». كانت الفكرة أنَّ النّاس سيظنّون أنَّ تلك النّدبة نجمت عن محاولة انتحار. فحتّى لو قلت الحقيقة لما تغيّر شيء مما في ذهنها.

لكن لم يكن احتمال كذبها مستبعدا، ليس هذا فقط بأيّ حال. وبالطّبع، حسبت أنَّ الحياة صعبة أحيانًا، وأنَّ الخوف مرتبط بتضييع موعد الحافلة، وأنّها تعاني من الشراهة؛ فهي قد تشعر بالغثيان إذا تناولت مئتي غرام من شوكولاتة البندق في أقلّ من عشر دقائق.

كانت «آماندا» مدلّلة، ومن الطّبيعيّ أن تكون مدلّلة من لدن والدتها، ووالدها، ومعالجها، والشَّخص الَّذي يعتني بحصانها. ولا صلة لكل هذا بالملابس والأغراض. كان هذا أمرًا آخر. لها موقف واحد من والديها، ومعلّميها ـ وأصحاب النّفوذ بمن فيهم اللّٰه ـ مثلما هو موقفها من موظّفي الخدمات، وموظّفة الاستعلامات النّمطيّة في فندق فاخر. كانت تتطلّع إلى الحصول على مساعدة في كلّ شيء، من بثرة في الأنف وقرط مفقود إلى رعاية طارئة وحياة أبديّة. ما كان يهمّها وجود اللّٰه أو عدم وجوده، لكنَّه بالطّبع، سيساعد ابن عمّها المريض بالسّرطان؛ لأَنَّه «مسكين جدًّا»، وابن العمّ كان «رائعًا غاية الرّوعة ولو أنّه كان أصلع». كانت تشفق على النّاس الّذين يعانون مشاكل، لكنّها رأت أنَّ ما يزعجها هو أنّهم لا يشعرون تجاهها مثلما تشعر هي تجاههم.

كانت أنانيّة، وقد كرَّست جلَّ وقتها للعناية بشعرها متوسّط الطول، إذ يمكن للمرء أن يظنّ أنّه يعود إلى جدّتها الّتي تحتضر على فراش الموت. رأى النّاس أنّها لطيفة، لكنّها لم تكن كذلك في الحقيقة. كانت تسأل مرّتين إن كنت تحبّ الحليب في قهوتك (هل أنت حقًّا متأكّد)، وكانت تجبر المرء على أن يشعر بأنَّه شخص سمين. وقالت: «يسرّني أن أكون مثلك، مسترخية ولا تهتمين بالمظهر» و«تبدين رائعة في الصّور بشكل لا يصدّق»، وكانت تنتظر أن أشكرها على كلامها هذا؛ لأنّها لم تفهم أنّني أحسب وصفها هذا لي شتيمة.

قالت: «السّياسة مهمّة للغاية». لكنّها لم تكن منخرطة سياسيًّا بالطّريقة الّتي تُلزِمها الانضمام إلى رابطة شبابيّة، والذّهاب إلى المخيّمات ورمي السّهام مع الآخرين ممن يرتدون سراويل قصيرة. كما أنّها لم تصبغ شعرها باللّون الأسود، أو تشعل النّيران في مزرعة المنك، ولم تكن قادرة حتى على قراءة تقرير عن ثقب الأوزون وتقلّص الشّعاب المرجانيّة.

وهي بالتّأكيد لم تكن منخرطة سياسيًّا بالطّريقة الّتي ظنَّ بها جميع المعلّمين أنَّ «سميرًا» كان كذلك؛ لأنَّ له أبًا سُجِنَ وعُذِّب بسبب آرائه. بالنّسبة إلى «أماندا»، كانت السّياسة تتعلّق بدفع مجلس المقاطعة إلى جراحةٍ لفتح مجرى جانبيّ للشّريان التّاجيّ، جراحةٍ خطّطت للقيام بها إذا صار وزنها «حوالي ستّين كيلو غرامًا». لم يكن الأمر «أكثر من الصّواب ذاته»، «بالنّظر إلى الضّريبة الّتي ندفعها نحن». ولم تكن تقصد من ضمير «نحن» والدتَها؛ لأنَّ المال الوحيد الّذي حصلت عليه والدتها جاء من المتبقّي من النّقود بعد الدّفع في متجر «إيكا» في كلّ مرّة كانت تتسوّق فيها للغذاء.

ثمّ وضعت النّقود في البنك، وأطلقت عليها اسم «حساب الأحذية» الخاصّ بها، وانزعجت «أماندا» من ذلك الحساب، واحتقرته، وأخبرتني عنه، ولكن فقط لأنّها ظنَّت أنَّ والدتها كانت سخيفة؛ ليس لأنّها حسبت أنَّه من الغريب أن تطلب الأمّ تلقائيا رحلة من رحلات الدّرجة الأولى، والحجز في الفنادق الفاخرة في دبي خلال عطلة تشرين الأوّل/ نوفمبر لجميع أفراد العائلة، بل كان عليها توفير بنسات لشراء زوج سراويل جديد من الجينز لنفسها من دون طلب الإذن أوّلًا.

ولم يتوضّح قطّ، كيف أصبحت «أماندا» جزءًا من «نحن» جنبًا إلى جنب مع والدها وأمواله؟ وكيف اعتقدت أنّها كانت تساهم في الاقتصاد الوطنيّ.

خلال مناقشة سياسيّة مع «كريستر» قبل بضعة أشهر من حدوث كلّ هذا، وصلنا إلى «تشي غيفارا».

فقالت «آماندا»: «أعتقد أنَّه من المثير للاشمئزاز قتل الأطفال». «على الرّغم من أنّني لست على دراية كبيرة بالشّرق الأوسط».

جلس «سمير» مائلا خلفها في الفصل الدّراسيّ، واضطرّت إلى الانتظار إلى حين إدراكه بأنَّه هو من كانت تلتفت إليه. وقالت عندما لفتت انتباهه أخيرًا: «كنت أعرف أنّك تكره الأمريكيّين».

لا أتذكّر ماذا قال «كريستر». وكلّ ما أتذكّره هو أن «سميرًا» نظر إليّ. مباشرة إليّ وليس «آماندا». وأظنّ أنه كان خطئي، إن كانت «آماندا» تجهل من هو «تشي غيفارا». ولم تتمكَّن من التَّمييز بين أمريكا اللّاتينية وإسرائيل وفلسطين، وأنّ خلاف «سمير» مع أمريكا كان مسألة مبدئيّة.

طبعًا، كانت «آماندا» منخرطة سياسيًّا في إحدى قنوات ديزني، وكان من الصَّعب أحيانا تصوّر أنَّها كانت جذّابة للغاية. كنّا نادرًا ما نتحدَّث في السّياسة مع ما تسببه لي من صداع، وانزعجت «آماندا» بعدما لاحظت كيف انتبه الجميع إلى أنّها لم تكن تعرف عمّا تحدّثت.

إلّا إنّني فكّرت مرّات عديدة، عندما استلقيت على سجّادتها واستمعت إلى إعلانها العاطفيّ والآن ـ نحن ـ مع ـ فيلم ـ شباب ـ رائع ـ حيث ـ الجميع ـ يقفزون ـ إلى ـ سيّاراتهم ـ ذات ـ السّقوف المفتوحة ـ من دون ـ فتح ـ الأبواب ـ أوّلًا ـ الصّوت ـ مثير للانتباه كأنّه موسيقى المصاعد، وهي وأنا كنّا مختلفتين كثيرًا، فأصبحنا متشابهتين نوعًا ما.

تظاهرت «آماندا» بالحرص، وتظاهرتُ أنا باللامبالاة. وكنّا نجيد التّظاهر إلى حدّ استطعنا معه خداع الجميع، بمن فيهم أنفسنا.

وإذا ظننت أنَّها فتاة خرقاء؟ توجد رسالة نصّيّة في التّحقيق الأوّليّ من «آماندا» إلى «سيباستيان». كتبتها قبل أربعة أيّام من وفاتهما. «كتبت: «لا تحزن، قريبا سيُمسي هذا الرّبيع مجرد ذكرى».

لم تبدأ المدّعية العامّة بالحديث عن «أماندا» بعد؛ إنّها تحفظه إلى الوقت الّذي تصل فيه إلى التّحدّث بتلقائيّة. وهي تركّز الآن على «سيباستيان».

«سيباستيان»، «سيباستيان»، «سيباستيان». ستتحدّث عنه لأيام مثلما سيتحدَّث عنه الجميع دومًا. وإذا كان شخص وسط كلّ هذا أشبه بنجوم أغاني الرّوك، فهو «سيباستيان». لقد أراني «ساندر» الصّور الّتي عثرت عليها الصّحافة ونشرتها. وقد نشرت لـ«سيباستيان» صورة مدرسيّة فرديّة بالأسود والأبيض على أغلفة ما لا يقلّ عن عشرين مجلّة، بما فيها (رولينج ستون)، وفي جميع أنحاء العالم.

وهناك صور أخرى كذلك. صور له عندما يبتسم والسّيجارة في فمه، وعندما يكون في حالة سكر وتفوح منه رائحة العرق في جبهته، وعندما يقف في مؤخّرة قاربه الّذي نقوده نحن عبر قناة يورغوردسبرون في الطّريق إلى فيادرهولمارنا وأنا أجلس مائلة إلى الأسفل ويتّكئ رأسي عليه.

وهناك صورة من الرّحلة نفسها، حيث يجلس «سمير» بجانبي، وينظر إلى الاتّجاه الآخر، بعيدًا عنا. ويبدو «سمير» هنا كأنّنا أجبرناه على ذلك؛ إذ يصاب بدوار البحر لقربه منّا. و«أماندا» جالسة إلى جانبي الآخر، أسنان بيضاء، سيقان بنّية، عيون زرقاء، والشّعر الكثيف يتحرّك مع الرّيح بالاتّجاه الصّحيح.

«دينيس» غائبة عن تلك الصّور، بالطّبع. ولكنَّ هناك صورًا لها في التّحقيق الأوّليّ، إذ كان عند «سيباستيان» بعض الصّور في هاتفه المحمول، هو يحبّ أن تُلتقَط له صور ثملا، ولا أعرف لماذا لم يجدوا تلك الصّور أيضًا. فالحقيقة هي أنّه تتوفّر صور له ولـ«دينيس» معًا ثملين، منتشيين، مجنونين.

«سيباستيان» وسيم في كلّ هذه الصّور وسامة مذهلة. وتبدو «دينس» مثل «دينيس».

المدّعية العامّة ستتحدّث عمّا فعله «سيباستيان» أكثر من أيّ شيء آخر: لأنَّها تقول إنَّ كلَّ ما فعله فعلناه معًا. ولا أعرف كيف أستمع، ولكن من الخطر التّخلّي عن التّركيز؛ لأنَّ الأصوات قادمة في هذه الأثناء.

سمعت صوت دخولهم الفصل عندما سحبوني بعيدًا، وعندما سقطت جمجمة «سيباستيان» على الأرض وبدت جوفاء، صوت سقطتها لا يزال يدوّي في رأسي، وسرعان ما يعود صداه إليّ كلّما أردت نسيانه. أغرز أظافري في راحة يدي محاولةً الخروج من هذه الأجواء، ولكن بلا جدوى، مادام عقلي مصرا على نقلي دائمًا إلى الفصل الدّراسيّ اللّعين.

أحيانا، عندما أنام، أحلم به، وكيف كان الوضع بالضّبط قبل وصولهم. وكيف أضغط بيدي على موضع جرحه النّازف، هو مستلقٍ على ركبتي وأنا أضغط بأقصى ما أستطيع. لا يمكن إيقاف دفقة الدّم مهما ضغطت بشدّة. إنّه أشبه ما يكون بمحاولة إيقاف تيّار ماء يتدفّق من خرطوم المياه الّذي بدأ ينفصل عن قوسه، هل تعلم أنّ الدّم يمكنه أيضًا أن يتدفّق؟ مع استحالة إيقافه باليد؟ ثم أصبح «سيباستيان» جثّة باردة ولا أزال أشعر بذلك، في اللّيالي ـ مرارًا وتكرارًا ـ كيف تصبح يداه أكثر برودة. جرى كل ذلك بسرعة. تراودني الأحلام التي تجسده حينما لفظ أنفاسه الأخيرة. بدا كأنّه مجرى أريقت فيه صودا كاوية. لم أعلم أنَّ المرء يمكنه أن يحلم كيف تكون بشرة الآخرين، وكيف تبدو الأصوات، لكن ذلك ممكن؛ ما دمت أفعله طوال الوقت.

حاولت تجنّب النّظر إلى من جاؤوا إلى قاعة المحكمة لرؤيتي. ولم أبحث حتّى عن أبي عندما دخلتُ القاعة. لكنَّ أمّي أمسكت بي عندما مررت من أمامها. كان في عينيها شيء لم أتعرّفه. وابتسمت لي.

كان هناك شيء في عينيها لم أتعرّفه. ابتسمت لي، أمالت رأسها جانبا، ومدّت طرف شفتها بما ذكرني جيّدًا بما قالته أمس على الهاتف. هذه الابتسامة الجميلة تبعث على التّفاؤل. لكنَّها ارتعشت قبل أن أحوّل نظرتي عنها مرّة أخرى، في أقل من ثانية، ثمَّ حرّكت شيئًا ما.

قبل أن يحدث كلّ هذا، كان التّحدّي الأصعب لأمّي هو العيش من دون كربوهيدرات. لقد كانت تزداد وتقلّ وزنًا بسرعةٍ لدرجة أنّك كنت تحسب أنّ تلك مهنتها، وكانت تفتخر بتحكّمها بمقدار الطّعام الذي تتناوله. والآن هي جالسة هنا. معظم هذه الأمور مسجّلة في التّحقيق الأوّليّ، وليس ما يتعلّق بذلك اليوم فقط. كلّ ما يتعلّق بحفلاتنا، وبما فعله «سيباستيان»، وما فعلته أنا، وما يتعلَّق بـ«آماندا». وكانت أمّي، في البداية، تحبّ «آماندا»، كما تحبّ «سيباستيان» أيضًا بكلّ الأحوال، لكنَّها الآن لم تعد تعترف بهذه الحقيقة.

وأتساءل إن كانت أمّي تصدّق «روايتي». وإن كانت «تختار» أن أظنّ ذلك. لكنَّها لم تقل شيئًا حول ذلك كما لم أسألها أيضا عن ذلك. كيف لي أن أفعل؟! لم ألتقِ بأمّي أو بأبي منذ جلسة الحبس على ذمّة التّحقيق قبل تسعة أشهر، ولم تعد مكالماتنا خصوصيّة مباشرة.

كيف يكون هذا غريبًا؟ لقد انقضت تسعة أشهر مذ كنّا أنا وأمّي وأبي في القاعة ذاتها. ولكن بعد ذلك لم نتقابل، ولم أَرَهُمْ إلّا من خلال الحاجز الزّجاجيّ في السّجن، ما بين قاعة المحكمة الّتي هي بمساحة الفصل الدّراسي وصفّ مقاعد الجمهور، حيث يمكنهم الجلوس لمدّة خمس عشرة دقيقةً على الأرجح، قبل أن يعلن القاضي أنَّ جلسة الاحتجاز ستعقد خلف أبواب مغلقة، وأنَّ الجميع ـ بمن فيهم أمّي وأبي ـ قد أُبلغوا ذلك.

بكيت بحرقة ومن دون انقطاع في أثناء جلسة التّحقيق بشأن الحكم

بالسجن. وكنت أبكي بالفعل عندما دخلنا القاعة. وشعرت بأنَّه من الطَّبيعيّ أن أشبه الإوزّة الَّتي يجري تسمينها قهرًا، وأن أشعر بالغثيان، وأن يبدو أبي وأمّي مرعوبين رعبًا قاتلًا.

في جلسة الحكم، كانت أمّي ترتدي بلوزة جديدة لم أرها من قبل. وأتساءل ما الّذي كانت ترتديه في ذلك اليوم، عندما كان كلّ شيء غامضًا قبل أن تعرف؟ قد تحسبون أنّها كانت ترتدي زيّ أمّ تعرف بالتّأكيد أنّ كلّ ذلك كان بالخطأ، وأن لا شيء كان ذنب ابنتها. لكن أظنّ أنّها كانت ترتدي زيّ أمّ فعلت كلّ شيء دون ارتكاب أخطاء، أمّ لا يمكن لومها على شيء، على الرّغم ممّا حدث. عقدت جلسة الاحتجاز بعد ثلاثة أيّام من وصولي إلى مركز الاحتجاز، وتمنّيت لو لم أَبْكِ كثيرًا. كنت أودّ أن أكسر ذلك الحاجز الزّجاجيّ لأسأل أمّي عن أشياء غير مهمة.

أردت أن أسأل إذا كانت قد رتّبت سريري بعد أن ذهبت إلى «سيباستيان». «تانيا» لم تعمل أيّام الجمعة. فهل بقيت لم يمسَّها أحد حتّى وصلت الشّرطة. ولكن ماذا بعد ذلك؟ ثمّ ماذا حدث حينذاك؟ هل كنست «تانيا» ونظَّفت بعد ذلك، أم منعها أبي وأمي من دخول غرفتي، كما يفعل الوالدان عندما يموت طفلهما، فيُبقيان الغرفة من دون أن يمسّها أحد لمدّة ثلاثين عامًا؟ هذا ما كان بالضّبط عندما توفّي الطّفل!

تمنّيت لو فعلها أبي وأمّي، أحببت لو أنَّهما قالا لي ذلك، لو بدا كلّ شيء تمامًا كما كان عندما غادرت، وأنّ الشّرطة لم تغيّر أيَّ شيء، وأنّ تلك الحياة ـ حياتي، الحياة سابقًا، ـ كانت مجمّدة، محفوظة، ملفوفة في طبقات سميكة من ربطات المومياء. وإذا نجوت من هذا وعدت إلى المنزل مرّة أخرى، أردت أن أتعرّف على نفسي.

لكنَّهم لم يستطيعوا قول ذلك بالطّبع. ولا يهمّ إن كانت أمّي قد رتَّبت السّرير أم لا. كنت أعرف بالفعل أنَّ أفراد الشّرطة قد فتّشوا البيت؛ لأنّهم قالوا لي ذلك عندما استجوبوني. وقالوا لي إنّ لديهم جهاز الحاسوب الخاصّ بي، وإنّهم أخذوا هاتفي في المستشفى (اضطررت إلى إعطاء كلمات المرور الخاصة بكلّ منتدى، كلّ تطبيق وكلّ صفحة دخلتها)، وعندما سألتهم ماذا أخذوا أيضًا؟ قالوا: «معظمها... جهاز الإيباد والورق والكتب، الفراش، ملابسك في الحفلة. «أي ملابس؟»». كنت قد سألت، فأجابوا، بتلقائيّة من دون أيّ استغراب: «فستانك وحمّالة صدرك وسراويلك الدّاخليّة القصيرة». لقد أخذوا سراويلي القذرة. لماذا فعلوا ذلك؟ أردت أن أكسر ذلك الجزء الزّجاجيّ وأطالب أمّي بأن تفسّر هذا لي؛ لأنّني لم أرد أن أسأل «ساندر». «لماذا أخذوا سراويلي الدّاخليّة يا أمّي؟». أردت أن أسألها ذلك. ولم أرد التّحدّث مع «ساندر» عن شيء عليه إفرازاتي.

والأشياء الَّتي تركوها وراءهم، ماذا فعل أبي وأمّي بها؟ أردت أن أعرف هذا أيضًا. وكنت أتساءل عمّا إذا كانت «تانيا» قد غسلت ملابسي الأخرى للتخلص من رائحتي. لطالما ظننت أنَّها تحبّ نشر الغسيل، ومطّ الدّرزات، وتسوية الطّيّات، وتعليق القمصان رأسًا على عقب، مع الأكمام مقلوبة، كما لو ـ أنّني ـ استسلمت. وأزواج الجوارب، زوجان منها مع ملقطها. هكذا يصبح من السّهل فرزها لاحقًا.

كنت أتساءل عمّا إذا كانوا قد سمحوا لـ«تانيا» بتنظيف آثاري. أو إذا كانت أمّي قد عثرت على سكّين الزّبدة في ساعات الصّباح، تلك الّتي أنسى دائمًا ضرورة إعادتها إلى مكانها. لقد ظننت لتوّي أنّها هنا. والآن ذهبتْ.

أمّي، أردت أن أصرخ بأعلى صوتي. *ماذا يحدث؟*

لكن كانت هناك نافذة زجاجيّة تعترض طريقي. وما كدت أجلس حتى

قام القاضي بإخراج كلَّ الحضور، وسيُصدر حكمه عليّ بالحبس! لم أحصل على أيّ إجابات.

ذات مرّة، قبل كلّ هذا بمدَّة طويلة، سألتُ أمّي: لماذا لم تسألني قطّ عن شيء مهمّ. «ماذا تريدين منّي أن أسأل؟». سألَتْ من دون أن تحزر أيّ جواب.

واليوم، هي وأبي ما زالا هناك. لديهما مقاعد محجوزة، هي من «أفضل المقاعد»، على ما أظنّ، في الجهة الأماميّة الأقرب إليّ (حتّى لو كانت هناك بضعة أمتار بيننا). أمّي ازداد وزنها ولا تزال ترتدي زيّ أمّ لم تفعل أيّ شيء خاطئ، لكن من يدري؟ ربما كانت تشعر بالرّاحة عند تناول الطّعام!

تعبّئ في جوفها المعكرونة الدّهنيّة مع الزّبدة والجبن والكاتشب. تستمتع بالكربوهيدرات السّريعة. بالنّظر إلى ما قد فعلتُه أنا، فلديها عذر لكلّ شيء، حتّى لزيادة الوزن. والجميع يفهم ذلك. ويزدرونها سواء كانت نحيفة أم لا.

عندما تصبح أمّي عصبيّة، تتلوّث رقبتها، وتشعر دائمًا بالتّوتّر عندما تحاول شرح أيّ شيء. ومن المستحيل أن تركّز على ما تقوله، أمّا أنت فيمكنك أن تركّز على البقع الظّاهرة في رقبتها. لهذا لا تخبرني أمّي بما تفكّر به إلّا فيما ندر. فتلك مخاطرة كبيرة. إنّها تتساءل ما رأي أبي؟ فإذا كان في مزاج جيّد، لأَخبَرَنا بذلك. وبعدها يمكن أن تمضي ليلة كاملة من دون أن تقول «لم نعد نكلم بعضنا بعد الآن». قد تقلق لأنك لا تتحدّث إليها بما فيه الكفاية، ولا تزال غير قادر على السّؤال عن حالها، وهذا يتجاوز مدى فهمي للأمورَ. ولكنَّني لم أكرهها أبدًا لأنَّها لا تعاين بدقّة، بل أكرهها لأنّها تريد ذلك. وأكرهها أكثر عندما تسألني عن شعوري.

«أعرف أنّكِ قلقة». أعرف مدى خوفكِ. «أعرف كيف هو شعوركِ».

أمّي امرأة حمقاء. «أتمنّى لو استطعت أخذ مكان مايا».

هل قالت ذلك؟ ليس لي، على أيّ حال.

جلسات المحاكمة - الأسبوع الأول، الاثنين

4

تتحدَّث رئيسة الادّعاء «لينا بيرسون» دون توقّف، يا إلهي كم تتحدّث! ومعها اثنان من ضبّاط الشّرطة من لجنة التحقيق. وبجانبهما محامو المدّعين الّذين حضروا إلى هناك للمطالبة بالتّعويضات. كما وضعوا الكثير من الموثّقات على منضدة أمامهم هي أشبه بمكتبة صغيرة. وقد عُلِّقت شاشتان كبيرتان للتّصوير هنا، واحدة على الحائط خلفي، وواحدة مشابهة للأولى خلفهم. والآن، لا يوجد إلّا عدد من رموز الوثائق، حيث يبدو كلّ شيء في حالة فوضى، كأنّها محاضرة في العلوم الاجتماعيَّة لم يتم إعدادها جيّدًا.

لم يُتَح لوالدَي «أماندا» ولا لأقاربها الآخرين أن يجلسوا عند طاولة المدّعي العامّ، فجلسوا بين الحضور، على ما أظنّ. أو ربّما في القاعة المجاورة، حيث يمكنك متابعة المحاكمة على الشّاشة الكبيرة. لا أظنّ أنَّهم يريدون أن يكونوا في الغرفة نفسها مثلي. وقد قال «ساندر» إنَّ «مهمَّة» المدّعي العامّ هي «توضيح» مدعاة وجودنا هنا. وماذا تحسب أنّني فعلت؟ ولماذا تطالب بإنزال أقصى عقوبة بحقّي؟

«بالنَّظر إلى عمرك - قال لي «ساندر» - لا ينبغي أن يحكم عليك بأكثر من عشر سنوات». لا يمكن إدانة شخص من دون الحادية والعشرين من العمر بالسّجن مدى الحياة وفقًا للقانون. لكنّني إذا حصلت على أربعة عشر عامًا فسأكون في الثّانية والثّلاثين عندما يُطلق سراحي. وقد تحدّث «البانكيك»

حول الّذين يتّصلون به ويراسلونه هو و«ساندر». (يتباهى «بانكيك» بأن «ساندر» لا يتلقى رسائل كراهية وحده، بل هو أيضًا يتلقّى مثلها، وهذا ما نستشفه من نبرته). بل إنه أخبرنا عن أولئك الّذين يقتربون من بيتنا ليلًا ويرمون البراز على الباب الخارجيّ. فيضطرّ أمّي وأبي إلى إزالته برشّاش الضّغط العالي قبل ذهابهما إلى العمل. لقد أخبرني بهذا عندما لم يكن «ساندر» معه.

لذا، أعرف أنَّ من يدفع راتب المدّعي العامّ هو دافعو الضّرائب من العامّة، الجميع ما عدا «بيدر ساندر» وربّما أمّي وأبي. إنّهم لا يحسبون أنَّ عشر سنوات أو أربع عشرة تكفي، كما لا يحسبون حتّى أنّ الحكم المؤبّد سيكون كافيًا. إنَّهم لا يكتفون بإفساد حياتي، بل يريدون موتي.

لقد قال «ساندر» إنّه لن يحدث الشيء الكثير اليوم. ولكن عندما تلت المدّعية العامّة أسماء الضّحايا، سمعتُ أحدهم يبكي. لم أكن مستعدّة لكلّ هذا. وقد ملأ الصوت القاعة قبل وقت طويل من إنهاء المدّعية العامّة «لينا بيرسون» حديثها. ثمّة من يصرخ. هل هذه والدة «أماندا»؟ لا يمكن أن تكون هي، ولا يبدو هكذا أبدًا. ربّما وجدوا أمَّ «دينيس» أو جدَّتها، ربَّما نقلوها جوًّا إلى هنا حتّى تتمكَّن من الجلوس بين الفرنسيّات ذوات الأشكال البيضاء مثل الملكة اللطيفة في حفل نوبل.

يبدو كأنَّ مهنتها العويل. مجنونة بشال أسود ملفوف حول رأسها، تلوّح بيديها في الهواء، وتحدّق بالسّماء وتقف مباشرة أمام كاميرات التّلفاز. ولقد ضحكت مباشرة عندما صعد شخصٌ حافلةً مدرسيّةً وفجَّر نفسه بخمسين طفلًا. هل يمكن أن تكون هناك امرأة جالسة هنا؟ هل عبرت حاجز التّفتيش؟

ثمّة شيء واحد مؤكّد هو أنّ الصّحفيّين سيبيعون هذا العويل بالفعل في وقت الاستراحة التّالية. وسوف يعلنون عن ذلك، ويدردشون، ويغرّدون

بشأنه، ويسهبون في شرح كيف كان يبدو، فيما لا يزيد عن مئة وأربعين حرفا وإشارة. وجميع «زملائي في المدرسة» القدامى سوف يردّون بتغريدات على ذلك، وربّما بإلحاق إيماءة البكاء لإظهار مدى كون القضيّة شخصيّة بالنّسبة إليهم. وإنّني لأتساءل كم منهم جاء إلى هنا، واصطفّ لساعات، وحرص على الحصول على دعم نفسي جراء ما لم يحدث لهم؟

لا أريد أن أستمع إلى هذا، لكن يجب أن أبقى. لذا، أضغط براحة يدي على الطّاولة. أمّا المدّعية العامّة فتتحدّث من دون انقطاع. أتمنّى لو أنّها تنهي كلامها. لقد ذكرت شيئًا عن «أماندا»، وشيئًا آخر عن «سمير»، و«دينيس»، و«كريستر»... و«سيباستيان» ووالده. يبدو رئيس المحكمة متوتّرا، ويعبث على الطّاولة أمامه شاخصًا ببصره إلى أحد الحرّاس.

تستمرّ المدّعية العامّة في التّحدّث رغم أصوات البكاء، وتنقر الصّور المدرسيّة في الشّاشات، ويتحوّل عويل الجمهور إلى شيء آخر. طلب منها الحارس أن تسكت، أتألم من حرقة في حلقي. أضطرُّ إلى وضع إحدى كفّيّ على شفتي للتّأكّد من أنّني لن أصرخ بدوري.

ينبغي للمدّعية العامّة أن تتعلّم التّعبير عن نفسها بشكل أفضل. لم تقل جملة واحدة قصيرة بما يكفي لتغريدها. وعلى الرّغم مِن أنّ هذا هو «ملخّص» لما ترى أنّني يجب أن أعاقب عليه. فمن المتوقّع أن تستمرّ المحاكمة ثلاثة أسابيع. وعندما أخبرني «ساندر»، حسبت أنّها طويلة للغاية، ولكن بالنّظر إلى المدّة الّتي يستغرقها الملخّص القصير، قد يكون هناك ضيق في الوقت.

لم ألتفت، ناظرة عوض ذلك إلى الأسفل، إلى المقاعد. وسوف يبلغون عن ذلك أيضًا على ما أظنّ. وقد استمعت إلى قائمة القتلى والجرحى، وسمعت البكاء، هذا البكاء اللعين، من دون إظهار أيّ عاطفة. إنّهم يميلون إلى الزّعم بأنّني باردة كالجليد خالية من المشاعر الإنسانيّة.

أنا بمثابة معضلة لمحاميَّ، لا لأنَّ «البانكيك» يحسب أنّني أبدو أكبر سنًّا من عمري الحقيقيّ. فأنا طويلة القامة وقويّة للغاية، وشعر رأسي كثيف وطويل للغاية، وأسناني سليمة، وأرتدي بنطالون جينز غالي الثّمن. *وليس لديّ أطفال.*

ليست معي ساعة يدوية، ولا مجوهرات. وليس من الضّروريّ أصلًا أن تكون معي ساعة أو مجوهرات. فالعلامات الّتي تشير إلى من أكون خارج السّجن واضحة مثل آثار حرقة الشّمس حول عيني بعد أسبوع من السّياحة في جبال الألب. هل يمكن للمدّعية العامّة أن تكمل كلامها في أقرب وقت؟ إذ أريد أن آخذ استراحة، أريد أن أغيّر ملابسي، يجب أن أرتدي شيئًا آخر غير هذا القميص الرّديء. قال «ساندر» إنّه سيطلب استراحة كلّ ساعتين على الأقلّ. لقد حان وقت الاستراحة الآن. أريد أن أكون في غرفة ما حيث يمكن أن نكون نحن الأربعة، ويسألني «فرديناند» إن كنت أريد القهوة.

دائمًا هذه القهوة. لقد كبرت بما يكفي ليؤهّلني للجلوس هنا بين البالغين واحتساء القهوة، باستثناء «البانكيك» بالطّبع، إنّه الشَّخص الوحيد الّذي يتجاوز عمره خمسة عشر عامًا، ويشرب الشّوكولاتة السّاخنة، وحتّى الشوكولاتة من آلاتٍ في غرف المحادثة في السّجن. إنّه يرتشف ويشفط بشفاهه الحمراء، ويدخل سبابته في قعر القدح لمسحه بحثًا عن بقايا السّكر غير الذّائب.

يجب أن أغادر، يجب أن أخرج من هنا.

أدفع كتفي نحو الأسفل. أشعر بالوخز. أفكّر بفطوري الأخير في المنزل. أريد أن أتخلّص من الاستماع. ذهبت إلى المطبخ كالعادة. كان كلٌّ من أمّي وأبي هناك؛ أبي كان يقرأ الصّحيفة، وكانت أمّي واقفة ترتشف رشفة عميقة

بجرّة واحدة من عصير التّفاح الأخضر المخلوط مع الأفوكادو في خلّاطة خاصّة بعصر الفواكه، سعرها تسعة آلاف كرون سويديّ.

قبل أن تبدأ مع العصير، كان هناك نوع خاصّ من الشّاي من متجر الأغذية الصّحيّة الأمريكيّة على الإنترنت. تشربه كلّ صباح عند تناول «أومليت» صنعته من زلال أربع بيضات. كانت «تانيا» ترمي بقايا صفار البيض، مرّة واحدة في الأسبوع، ثمانية وعشرون بيضة كان بالإمكان حفظها في الثلاجة.

اعتادت أمّي أن تقول لـ«تانيا» ضاحكة: «لا أستطيع أن آكل صفار البيض، هل تريدينه، تانيا؟»، كما هذا لو كانت تروي مزحة تفهمها «تانيا».

لدى أمّي دائمًا الوضع الصّوتيّ نفسه عندما تتحدّث إلى «تانيا». الصّوت البطيء نفسه لطفل جامح. باستثناء أنّها لا تكاد تتحدّث هكذا مع أختي الصّغيرة «لينا»، أو مع أيّ طفل آخر في هذا الشّأن. صوت للأطفال، صوت للخادمة. ولن تغيّر من ذلك جريمة قتل جماعيّة صغيرة. الرّأس إلى الأعلى والقدمان إلى الأسفل. دمية الرّوك ذات قطعة رصاصيّة ملتصقة بمؤخّرتها تضيء بخفوت. إنّها أمّي.

إنّها عادة ما تتظاهر بأنّها و«تانيا» صديقتان حميمتان، أو زميلتان تقريبًا. ربّما هذا هو السّبب في أنّها تسأل إذا كانت تريد شيئًا لتأكله طوال الوقت. لم أرَ «تانيا» تأكل من قبل أو حتّى تشرب شيئًا آخر سوى نصف كوب من الماء، كانت تصبّه في جوفها بأسرع ما يمكن، وهي واقفة مائلة على حوض مغسلة المطبخ. ولم أرها تذهب إلى الحمّام قطّ.

ربّما تتغوّط في مزهريّاتنا، وتتبوّل في عصائر أمّي الخضراء! أو تتمالك نفسها حتّى تصل المنزل. لطالما تساءلت عمّا تظنّه أمّي من أنّ «تانيا» ستفعله ببقايا صفار البيض. تلقيها في جوفها مثل روكي قبيل مباراة ملاكمة خطيرة،

أو تأخذها إلى البيت وتصنع منها مشروب البيض لأطفالها الرّماديّين، ولكنّ أمّي عرفت أسماءهم للسّبب ذاته الّذي يجعلها تحيّي المتسوّلين. *كيف حال «إيلينا»؟ هل تسير أمور «ساشا» في المدرسة بخير؟ كان على طاولة المطبخ في صباح اليوم الأخير عصير طازج (عادي/ برتقال) مع الجبن والزّبدة، وقطع الطّماطم والخيار، وتفوح رائحة القهوة والبيض المخفوق على ما أظنّ، لم أرها، ولكن أحسب أنّه كان البيض المخفوق. الإفطار بدا معدًّا حسب الطّقوس تقريبًا، أشبه بهدية القربان. سُحب القابس من الرّاديو الّذي كان في وضع فضفاض كجزء من الجسم قُطِّع على جانب لوحة الفرم.*

وهذا يعني أنّه يجب أن نتحدّث. أرادوا التّحدّث بجدّيّة. هل اتّصل بهم أحدهم وأخبرهم؟ هل اتّصل أحدهم بالشّرطة؟ لم أرد التّحدّث، لقد رفضت. نظرت أمّي إليَّ من دون أن تقول شيئًا، نظرتُ بعيدًا من دون أن أقول أيّ شيء. ثمَّ رنَّ هاتفي، كان «سيباستيان». لقد وعدته أن نذهب إلى المدرسة معًا. لقد أصرّ على ذلك. يجب *أن تفعل ذلك*. لم أكن لأرغب في ذلك، ما زلت ممتنعة عن ذلك. ولكنّني لم أرد البقاء هنا. من سيأكل كلّ هذا؟ كان لديَّ الوقت للتّفكير قبل أن أنتعل حذائي وآتي بمفاتيحي. لقد كانت على طاولة القاعة. هل ستتمكّن «تانيا» من العثور عليها ومن وضعها في الثّلاجة، على الرّغم من أنّها لم تعمل أيّام الجمعة؟ لم تكن تعمل وكان من المفترض أن يكون لديها الوقت لتفتيش منزلنا قبل أن تعود. «ليس لديّ وقت»، قلت بصوت عالٍ لأمّي وأبي. «سنتحدّث اللّيلة»، و«لكنّني لم أكن سأتحدّث معهما، مرّة أخرى أبدًا». كيف فهما هذا؟ لقد فات الأوان. رئيسة الادّعاء «لينا بيرسون» تتحدّث وتتحدّث، ولا ألتفت لأنظر إلى الجمهور. فلا أريد المخاطرة برؤية والدة «أماندا» أو رؤية أيّ شخص آخر يريد أن أُعاقب إلى الأبد، ويفضّل أن أموت، لكنّه كان أهون لو اكتفوا بحبسي حتّى يتمكّنوا من رمي المفتاح. لهذا

أراهم أقلّ اهتمامًا بمنطق «ساندر» حول الأدلّة وتسلسل الأحداث والأسباب والمقاصد وكلّ ما شابه ذلك؟ حتّى أنا لم أعد مهتمّة.

لا أريد النظر إلى الصحفيين أيضا، أفهم ما يريدون. إنهم يرغبون في شرح كوني هكذا وهكذا، تربيتي كانت من هذا القبيل، وأنّ والديّ من هذا القبيل، أنا «لم أكن على ما يرام»، وشربت كثيرًا، ودخّنت النّوع الخاطئ من السّجائر، واستمعت إلى نوع خاطئ من الموسيقى، وعاشرت النّاس الخطأ، وكنت «فتاة غير عاديّة». تخيّلت بعض الأشياء، ولم أفهم الآخرين.

هؤلاء لا تهمّهم معرفة ما حدث، بل يريدون محاصرتي في صندوق صغير قدر الإمكان. حينها سيكون من الأسهل أن أطرد. إنّهم يريدون أن يقتنعوا بأنّه ليس لدينا شيء مشترك. وعندئذٍ فقط يمكنهم النّوم نومًا جيّدًا في اللّيل. عندها فقط يمكنهم أن يعتقدوا أنَّ ما حدث لي لا يمكن أن يحدث معهم أبدًا.

المدّعية العامّة، رئيسة الادّعاء العامّ «لينا بيرسون» (ادعوني لينا، قالت، وهي المرّة الأولى الّتي جلست فيها معي في أحد استجواباتي) مع أقراطها الّتي يمكن شكرها (بِيعَت أشكالٌ حقيقيّة من تلك الحجارة مع أفراد الأمن المسلّحين مجّانًا)، وبنيتها غير المستوية والحاجبان اللّذين يبدوان مرسومين بقلم الحبر. كما تقول هي.

تتحدّث من دون توقّف. كما أخذ صوتها يطن في رأسي. وأتساءل إن كانوا قد لاحظوا أنَّ لديَّ حلقات أسفل رأسي. لقد نقرت «بيرسون» إحدى الوثائق بعصبيّة. يبدو كما لو أنها ممارسة خارقة بالنسبة لها فقط لكي تجعل الصّور السّخيفة تظهر. لكنّها الآن تحرّك نقطة صغيرة ذهابًا وإيابًا على صورة للإشارة إلى ما تريد منّا أن ننظر إليه.

لم يخبرني «ساندر» أنَّه ستُعرض صورٌ الآن. وبالفعل عرضت المدّعية

العامّة الصّور، على الرّغم من أنّها ليست إلّا المقدّمة، كم من الوقت يمكن أن تكون مقدّمة؟ ألن تنتهي أبدًا؟ لا بدَّ من أن أغادر هذا المكان. أنظر إلى «ساندر»، ولكنَّه لا ينظر إليَّ. والآن هي تريني خريطة للمدرسة. تعرض متاهة الممرّات. الفصل، أقرب مخرج طوارئ، القاعة. ليس من المرئيّ على الخريطة مدى انخفاض السّقوف في ممرّات المدرسة. لا أستطيع أن أرى كم هو مظلم هناك، حتّى في صباح مشمس في نهاية مايو/ أيّار.

أشارت إلى الرّسم لإظهار خزانتي، حيث عُثِرَ على إحدى حقائب «سيباستيان». كما أشارت إلى الأبواب في الجزء الخلفيّ من الفصل الدّراسيّ، تلك المؤدّية إلى الفناء، وكانت مغلقة ذلك اليوم. وأظنّ أنَّ هذا يفسّر لماذا لم تسلك الشّرطة هذا الطّريق (لقد انتُقِدوا بسبب ذلك في وسائل الإعلام)، على الرّغم من أنَّ ذلك لم يكن لينفع في التَّحقيق. لقد انتهى الأمر عندما نبّهوا الشّرطة. أشارت كذلك إلى الباب الخارجيّ المؤدّي إلى الرّواق.

كان مغلقًا، لكنه غير مقفل، ولم يفتحه أحد على أيّ حال حتّى فات الأوان. هل يمكن لأيّ شخص آخر غير الشّرطة أن يفعل شيئًا؟ كيف؟ من سيكون؟ إنّها تغيّر الصّورة إلى رسم للفصل الدّراسيّ. أغمضت عينيَّ. كم استغرقت من الوقت في العمل؟ يبدو الأمر وكأنّه ساعات.

(ادعيني ـ لينا) الطّريقة الّتي طبّقتها أساسًا. لقد قرأت التَّحقيق الأوَّليّ، معظمه على أيّ حال، ورأيت كلّه تشريحًا لي. (ادعيني ـ لينا) قطعتني تقطيعًا ومزَّقتني، ألقت بأحشائي خارج جسدي وشممت محتويات أمعائي. ادعيني ـ لينا عقدت مؤتمرات صحفيّة عنّي، كلّ أسبوع، وأحيانًا عدّة مرّات في اليوم، لعدّة أشهر. لقد كانت تحلّل سروالي الدّاخليّ اللّعين. ادعيني ـ لينا ـ رئيسة الادّعاء ـ القبيحة «لينا بيرسون» متأكّدة أنّها تعرفني. يمكنك سماع ذلك

في صوتها. كلّ كلمة هي قبضة ثمينة نفض عنها الغبار. ترفعها واحدة تلو الأخرى في الضّوء. إنّها مقتنعة بأنَّها تعرف كلّ شيء عنّي، من أنا ولماذا؟ وماذا فعلت؟ إنّها لا تشير إليَّ؛ لأنَّها ليست مضطرّة إلى ذلك. انظروا إلى «ماجا نوربيرغ»: إنَّها تجلس هناك!

الجميع ينظرون بالفعل.

الدّعوى نفسها الّتي ورد فيها ادّعاء المدّعية العامّة بأنّني فعلت وما تريد أن أُدان به، تبلغ إحدى عشرة صفحة وتحتوي توصيفاتٍ وشروحًا مسهبة. كما أن هناك مرفقات أيضًا، مع تفاصيل عن الضّحايا، من هم؟ ماذا حدث لهم؟ وماذا فعلت أنا؟ من هم الّذين أطلقت عليهم النّار؟ ومن أولئك الّذين رماهم «سيباستيان»؟ وكيف كان كلّ خطأي؟ هناك صور، ونتائج التّحقيقات القانونيّة والطّبّ الشّرعيّ.

استجواب أشخاص يدّعون أنّهم يعرفونني، وأنَّهم على علم، ويمكنهم تقديم توضيحات. رئيسة الادّعاء «لينا بيرسون» لديها قصّة كاملة متواصلة من البداية إلى النّهاية، والجميع يرونها صحيحة، حتّى لو لم يسمعوا ذلك حتّى الآن.

أتساءل ماذا تعني أمّي بقولها إنّ الأمور ستسير نحو الأحسن.

مكتبة
t.me/soramnqraa

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الأول، الاثنين

5

وأخيرًا، أنهت رئيسة الادّعاء العامّ «لينا بيرسون» كلامها. ثمَّ أخذ محامو الضّحايا بادرة الكلام. طولبتُ أنا بدفع تعويضاتٍ، لكنّها لم تكن مبالغ كبيرة للغاية. واحد فقط من المحامين تحدّث لأكثر من دقيقتين. وعندما انتهى من الكلام، تساءل «ساندر» أخيرًا إن كنّا نستطيع أن نأخذ استراحة. وبدت المدّعية العامّة مرتاحة أكثر منّي. وخرجنا، أنا في الوسط، و«فرديناند» و«البانكيك» على كلا الجانبين. غادر «ساندر» أوّلًا.

عندما وصلنا إلى الغرفة الّتي أعطونا إيّاها، دخلنا وأغلقنا الباب. هناك ملاحظة مسجّلة على وجه الباب الخارجيّ، مكتوب فيها *المدّعى عليه*. هل أنا شخص يجب أن يوجَّه إليه كلام، ويوضح له شيء؟ ومن اللّافت أنَّ المحكمة، المكان الّذي يجب أن تظهر فيه الحقيقة، لديها صعوبة في قول الحقيقة بصراحة، والجرأة على تسمية الأشياء بأسمائها الصّحيحة.

«هل تريدين شيئا؟» سألت «فرديناند». أنا لم أجب، في انتظار ما يأتي بعد ذلك. «القهوة؟ هززت رأسي وأنا أتخيّل زنابق بيضاء في مقصورتي. وإذا قلت ذلك بصوت عالٍ، لَأُغْمِيَ على «فرديناند»، لسبب بسيط هو أنّها لا تملك روح الدّعابة، وتظنّني من النّوع الّذي يحبّ الزّنابق البيضاء. لكنّني ظللت صامتة. بقي «ساندر» واقفًا طوال وقت الاستراحة، من دون أن يقول شيئًا. هناك مرحاض مجاور مباشرة لغرفتنا، وأحسب أنَّ هذا هو السَّبب في

أنّنا يُسمَح لنا في أن نكون هنا، على الرّغم من أنّه عادة ما يكون هذا المكان مخصّصًا لشيء آخر: لا ينبغي لنا أن نذهب إلى الحمّام مع الآخرين، أو أن يذهب الآخرون إلى الحمّام نفسه الّذي يذهب إليه أمثالي. يجب أن نتناوب على استخدامه. وعندما يكون حمّامي، فالمقعد يكون دافئًا..

يسود الآن هدوء مجنون. لا أحد يشرب القهوة. «فرديناند» يلتقط زجاجة مياه ويحتسيها. وقائع المحكمة في القاعة مستمرّة منذ أكثر من ساعتين. واستغرق ملخّص المدّعي العامّ ساعة وسبعًا وأربعين دقيقة.

بعد اثنتي عشرة دقيقة بالضّبط، عدنا. أغلق «البانكيك» الباب بشدّة إلى درجة أنَّ قطعة الورق الملصقة عليه سقطت. فأعاد «فرديناند» لصقها. كما نسيت أن أطلب السّماح لي بتغيير ملابسي.

عندما جلسنا مرّة أخرى في مقاعدنا، سمعت أبي يتنحنح، وكان «ساندر» على وشك البدء بالحديث. يجب أن أبذل جهدًا حتّى لا أستدير وأنظر إليه. وبدلًا من ذلك، ركّزت على «ساندر». جلسنا متجاورين، كما أعطاني ساندر دفترًا وقلمًا وطلب مني أن أكتب كل ما أظنّ أنّه يبدو غريبًا، أو أنّني أريد أن أسأله عنه.

قال لي: «من المهمّ أن أدوّن كلّ ما أراه صحيحًا».

أشعر بالود تجاه «ساندر»، لكنّني لا أفهم دائمًا ما يعنيه، أو بالأحرى أنا أفهم المغزى، المعنى نفسه، لكنّني نادرًا ما أفهم الفكرة الكامنة وراءه.

أن يكون الأمر صحيحًا، أن أكون راضية، ربّما؟ اضطررت إلى أن أسأله عن قصده، وكان بإمكاني أن أهمله؛ بعدما وصلني للتوّ كلام مبهم يفيد بأنّه «سيّر دعواي»، وأنه قال عنّي أشياء غير صحيحة لا تُطابق وجهة نظري في مسار الأحداث؛ لذلك لا بدَّ لي من الإشارة إلى ذلك.

أظن أنه عرف بعد مدَّة كم بدا غبيًّا؛ لأنَّه توقَّف عن الكلام. فنظر إليَّ للحظة قبل أن يقول: «إذا قلتُ شيئًا يغضبكِ، أو يخيفكِ أو يزعجكِ أو ما شابه، فعليك أن تخبريني. لكن لا تتفوهي به إلا عندما أقوله أنا، حتّى تسمعه المدّعية العامة والقضاة. اكتبيه لنأخذ به لاحقًا».

هناك أشياء أخرى لا أفهم معناها. أشياء يريد ساندر التّحدّث عنها (طرحها) في أثناء المحاكمة. وما يزعجني أنَّ من الواضح أنَّه ناقشني عندما لم أكن هناك، وأنّه «يضع تكتيكات» مع «فرديناند» و«البانكيك» وجميع زملائهم الآخرين الّذين لا أكاد أتمكن من تمييزهم؛ فهم يبدون متشابهين معًا. يجلسون على طاولات طويلة في مكتب المحامي ويناقشون «الاستراتيجيّات». هذا عندما يتناولون طعامهم في صناديق من الورق المقوّى للطّعام الصيني، على ما أظنّ. «ولكنّ نوربيرغ تقرّ بأجزاء من الجريمة الّتي جرى وصفها وإن كانت تنفي ارتكابها جريمة»، أضاف «ساندر»، وأتساءل عمّا إذا كان أيّ شخص يحسب أنَّ هذا يعني أنّني بريئة، أو كان ثمّة من يجرؤ على الاقتناع بأنّني لم أفعل شيئًا خاطئًا؛ وأتساءل ماذا عليّ أن أدوّن على ورقتي من ملاحظاتٍ تدعو «ساندر» إلى توضيح الأمور بما يكفي.

يقول «ساندر» إنّه يجب أن أثق به، وإنه «منفتح تمامًا» عليّ. لديه نظرة مركّزة، لكنها مملّة. عندما ينظر مباشرة إلى الشّخص الّذي يتحدّث يبدو أن لا شيء يمكن أن يفاجئه، لا أحد يستطيع أن يخبره بشيء لم يحسب له حسابًا من قبل. وعندما ألقى نظرةً على الشّرطة عندما استجوبوني، عادة ما أتخيّل أنّه ينظر إلى الصّحفيّين وهم يطرحون عليه أسئلة لا يحقّ له الإجابة عنها (ممنوع الكشف). وهو ينظر حاليا إلى القاضي والمدّعِية العامّة بالطّريقة نفسها: متعب بأدب.

أسوا نظرة لديه هي الّتي يلقيها على «بانكيك». وعندما يقول هذا الأخير أشياء مثل «إذا كنت ترغب في تحضير عجّة، عليك أن تكسر البيض» و«حتّى السّاعة المكسورة تظهر الوقت المناسب مرّتين في اليوم»، ويصبح «ساندر» (هل ـ تعتقد ـ أنك ـ مضحك ـ أنت ـ الآن ـ مزعج). وبعد ذلك لا يرغب المرء في شيء أكثر من أن يتوقّف عن الكآبة؛ فأفضل جزء هو عندما ينقر بلسانه ويقول شيئًا.

النّظرة الَّتي تعني أنَّ «ساندر» يشعر بخيبة شديدة، وأنَّه يتوقّع أكثر، لكنّه يتحمّل ذلك لأنَّه لا يملك خيارا، فإنّه يحصل على جلّها، على الأقلّ مرّة واحدة في كلّ حين. في بعض الأحيان يجري العكس مع «فرديناند»، نظرة رضى تقريبًا. لكنَّها مهينة بالطّريقة نفسها؛ لأنَّها تظهر كم هو متفاجئ. إنَّ فرديناند ليست غبيّة. وما يلاحظه «ساندر» هو كيف تنظر إليه «فرديناند» أم إنّه غير مهتم؟

لكنَّني أحبّ الطّريقة الّتي ينظر بها « ساندر» إليّ. لا يريدني أن أضحك على نكاته أو أن أسأله ما هو رأيه في الأشياء. «ساندر» لن يفكّر أبدًا في النَّظر خلسة إلى صدري. إنّه مهتم بما أقوله وسيؤدّي ما عليه. ونقطة على السّطر.

لا أرى ما يستدعي أن أخشى تصوّر أنَّ ما أقوله مما يصعب عليه تصوّره، ولا داعي لأن أحذر من جرح مشاعره، أو كيف اضطرّ بسببي إلى أن يرى نفسه. إنّه ينظر إليّ وكأنَّني امرأة بالغة أو أستحقّ أن أعامل كامرأة بالغة. أظنّ أنَّ نظرة الوكيل قد تأصّلت فيه. وهذا أحد أسباب شهرته.

أنا «سعيدة» مع «ساندر».

وإذا سألتُ، لأجابني أبي بأنّه اختاره لكونه «يُعَدُّ الأفضل». فماذا لو كان «ساندر» مُكلِفًا؟ ربّما أغلى ممّا أتصوّر، ولكنَّ أبي لن يتحدّث في ذلك أبدًا؛

لأنَّ هذا «مما لا يفعله المرء»، وأبي يتبع كلّ القواعد المتعلّقة بما يفعل المرء وما لا يفعله.

ليس الأمر بسيطًا إذ إن أمّي تتباهى بالمال القديم وأبي حديث النّعمة. لا أحد منهما يجيد الطّريقة الّتي يحسبان أنّها جميلة. أمّي ترعرعت في المال، الكثير من المال الّذي اكتسبه الجدّ بنفسه جراء اختراع نوعٍ من الأدوات الَّتي تُستخدَم في عمليّات الرّكبة. وحصل على براءة اختراع لهذه الأداة، في حين كان أبي لا يزال يدرس الطّبّ، وقد تمكّن قبل صناعة الأدوية من أن يفهم أنَّ أداة الجدّ لم تكن شيئًا جديدًا، بل أمكن أيضًا أن تستخدم. في غضون سنوات قليلة أصبحت هذه الآلة «لا غنى عنها» (كلمات أمي). و«الجميع» يستخدمها. «في جميع أنحاء العالم» (لا تزال كلمات أمّي). وقد أصبح الجدّ «ثريًّا ثراء فاحشًا» بفضل هذه الأداة. (بالتّأكيد ليست كلمات أمّي في جميع الظّروف). أمّا جدّي، فيقول ذلك قدر المستطاع.

علاقة الجدّ بأمواله تشبه علاقته بالطقس. أموال توجد حيث يستخدمها. ويبدو أنّها لن تنفّد كيفما أنفقها، تصوّروا كم هو محظوظ بأيّ حال! ليس عليه إلّا أن يكون مستعدًّا لذلك. ربَّما جعل موقف جدّي أمّي راضية رضى مفرطًا، وأعني بالرّضى المفرط أنّها تظنّ أنَّ أهمَّ شيء لديها هو أنَّ الجميع يحسبون أنَّها أغنى ممّا هي عليه، وأنّها تحاول تحقيق ذلك من خلال التّظاهر بأنّه ليس للمال أدنى أهمّيّة لديها.

تُردّد أمّي دائمًا بشأن التّحف في منزلنا إنّ مصدرها هو «العائلة». على سبيل المثال، السّاعة في المطبخ، لا تعرف حقًّا ما إذا كانت أنيقة أو قبيحة للغاية؛ لذلك تضحك من أنفها عندما يتحدّث شخص ما عن ذلك، أو يلقي نظرةً بطريق الخطأ، فتقول «العائلة» وتلفّ عينيها، كما لو كانت السّاعة إرثًا وجب عليها التعايش معه لكيلا يتقلّب أسلافها الموتى معذبين في قبورهم.

إنَّ كلَّ أثاثنا مصدره من مختلف حوزات الإفلاس الَّتي روَّج لها الجدّ في بوكوفسكيس، وآل إلينا في آخر المطاف، وهذا ما لا تذكره أبدًا. ليس لأنَّ لا أحد يرغب في أن يُخدَع، ولا لأن لا أحد يرغب في رؤية أمّي هي على حقيقتها. بل لأنها تستمرّ في التّظاهر، والنّاس على الأغلب مؤدّبون، ويتحمّلون زيفها.

ليس ثمّة خزينة لتخزين أموال أبي، وليس لديه ما يكفي لتدبير خزانة لها. كان قد التحق بمدرسة داخليّة بالقرب من أوبسالا، في حين عمل والداه المنتظمان المملّان المنتميان إلى الطّبقة المتوسّطة في مجال الرّيّ في مشروع بلدٍ نامٍ في شمال أفريقيا.

وهناك، في المدرسة الدّاخليّة، يحسب أنّه تعلّم ما يلزم ليتكيَّف، وما عليه القيام به لجعل النّاس الطيبين يحسبون أنَّه واحد منهم. هو مخطئ بالطّبع.

لا بدَّ لأبي من أن يشعر بالخوف الآن، إذ يدعى السّمسار الماليّ في الصّحف ممّا قد يثير إعجاب النّاس، ومن يدري ماذا أيضا؟ ولكنَّ كلّ من يحسب له حساب يعرف أنَّ «السَّمسرة» عمل يقوم به المرء إلى حين بلوغه الخامسة والثّلاثين كحد أقصى، على أن يبدأ العمل بماله الخاص بعد ذلك، وإلّا بدا محرجًا مثل نادلة بحمّالة صدر مترهّل وساقين تعانيان من الدّوالي.

لقد سمعته مرّة يقول: «أنا أعمل في مجال الاستشارات». وبابتسامة ساخرة، أضاف أنَّها كانت طريقة معقّدة للغاية لتقديم تفاصيل.. وقد كتب في بطاقة عمله «مستشار» وهذا لا يعني بالضرورة السّمسار الماليّ.

لقد قيل لي دائمًا إنّني أعبث مع والدي عندما تسنح لي الفرصة. هذا ما تقوله لي أمّي. وعندما أحصل على علاماتي أيضا. ولكن كلّ شيء في قاعة المحكمة هذه يشير إلى أنّه من الآن فصاعدًا، سيكون على أبي أن يكتفي بكونه «والد القاتلة مايا، السّمسار الماليّ». هنيئًا.

أتساءل: ما الّذي يخيف أمّي أكثر؟ ما سيحدث لي أو ما حدث لها بالفعل؟ ولا يهمّني الأمر حقًّا في كلتا الحالتين، لكنّني لا أريد ل«لينا» أن تشعر بالخوف. أن تفكر في مدى خوف «لينا» يكاد أن يكون صعبًا مثل التّفكير في الفصول الدّراسيّة.

كنت أحمل «لينا» إلى سريري عندما أعاني الأرق. كنت أشعر بالتّحسّن وهي بجانبي، ولا سيّما في الأسابيع الأخيرة. التصق شعرها برقبتها بفعل العرق إثر حرارة الشّمس، وكانت رائحتها طيّبة دائمًا، حتّى عندما كان شعرها قذرًا. تظاهرت بأنها استيقظت بسبب كابوس وأتت إليّ. كنت أسألها أحيانًا، «لقد حلمتِ بشيء مخيف، هل تتذكّرين ما هو؟». تنظر إليّ مرتبكة في البداية، ثمّ تخبرني عن الكابوس. حكاياتها على الأغلب مسهبة، مملةّ وغير متناسقة عن أمّي ومنزلنا والدّمى والعقد الورديّة، وربّما عن كلبٍ أو كلبين.

أكثر ما ترجوه «لينا» في الدّنيا هو أن تملك كلبًا. وآمل أن يشتري أبي وأمّي لها كلبًا يسمحان له بالنوم في سريرها. ولكنَّ الأهمَّ من ذلك كلّه هو أنَّني أحبّ أن تنام هي في سريري، وأن تدخل غرفتي وتنام معي، حيث تشعر بحال أفضل ممّا كانت عليه من قبل.

حاولت أن أحسب أنَّ «لينا» لا تفهم ما يجري، وأنَّها غير مطالبة بالتّواجد هنا. قالت إنَّها ستتجاوز الأمر. لكنَّ الأمور لا تسير فعليا على ما يرام؛ لا أستطيع التَّظاهر بأنَّ أيّ شخص لا يفهم ما يجري حوله سيكون أقلّ خوفًا. أعرف كيف يبدو الأمر، إنّه العكس تمامًا.

«مايا تنفي التّهم الموجَّهة إليها. ولم تشارك بطريقة تولّد المسؤوليّة القانونيّة. لم تكن مايا على علم بخطط سيباستيان فاغرمان أو على اطلاع عليها، كما لا يمكن القول إنّها مدانة بالتَّحريض، أو تقصير تترتّب عليه

المسؤوليَّة القانونيّة. وهي تفتقر إلى جميع أشكال النّيّات المبيَّتة بما في ذلك النّية الحياديّة. وتعترف مايا بأنَّها أطلقت النار من السّلاح المذكور في وصف الجريمة وفي الموقع المشار إليه، ولكنَّ ذلك جرى دفاعًا عن النّفس. ولا يمكن أن تثبت إدانتها بذلك».

تخريب، تحريض، عدم اكتراث... كلمات مفقودة في رأسي، ويرعبني عندما يتحدّث «ساندر» بهذه الطّريقة؛ إذ تبدو وكأنّها أعذار لأننا نستخدم المصطلحات القانونيّة والكلمات الغريبة لتجنّب قول الحقيقة ولا شيء آخر.

أُريد أن أقدّم إفادتي ولا يهمّني ما سيحدث بعد ذلك. فالأسوأ قد حدث بالفعل. وأتساءل إن كان «ساندر» سيتحدّث مطوَّلا مثل المدّعية العامّة، لا أظنّ ذلك. يبدو أنَّه انتهى تقريبًا ولم تمضِ على ذلك إلّا إحدى عشرة دقيقةً. ولا أعلم إن كان كلامه مفيدًا أم مضرًّا، ولكنَّني أخشى كل هذا. ألا يرى النّاس أنَّه مقتضب في كلامه لأنَّه ليس لديه ما يقول؟ أفرد يدي على دفتري، أضغط الورقة بقلم الحبر. ولكنَّني لا أكتب أيّ شيء بعد دقائق؛ لأنَّ «ساندر» قد أنهى الكلام.

في الواقع، لم يستغرق الأمر حتّى ثلاث دقائق من الوقت الّذي أغلقت فيه باب فصلنا الدّراسيّ وحتّى لحظة إطلاق الطّلقة الأخيرة، واقتحام الشّرطة الفصلَ بعد تسع عشرة دقيقة من بدء الدّرس.

كم عدد الأشخاص الّذين دخلوا من ذلك الباب عندما فتحوه؟ المسعفون، رجال الشّرطة، عدد كبير من قوّات الشّرطة بأحذيتهم، مع الأقنعة والأسلحة الثّقيلة. داس أحدهم ذراعي، وركلني آخر على يدي، وقام أحدهم بجري على الأرض، ولوّح بالمسدس يهدّدني.

كانت هناك ضوضاء. وكان هناك الكثير من الأشخاص القادمين، هل

كانوا يصرخون؟ أعتقد ذلك. لكنّني لا أتذكّر إذا كنت قد قلت أيّ شيء. قبل أن يلمسوني، سحبوا «سيباستيان» بعيدًا. تركوا أسلحتهم لثانية أطول ممّا تركوه معي. وما زلت أتساءل لماذا؟

وضعوني على نقّالة. شخص ما لفَّني ببطانيّة، ولا أعلم إن كنت أوّل من حملوه خارجًا. لا أظن ذلك.

لم يستغرق إطلاق النّار إلّا دقيقة واحدة، وربّما دقيقة ونصف. كما تابعوا في التّحقيق الأوّليّ، ولا أحتاج إلى أن أتذكّر ذلك. أنا مرتبكة بفعل كل هذه التّقديرات. وأحيانًا عندما أفكّر بما جرى، أشعر أنَّ كلَّ ذلك قد حدث في عشر ثوانٍ، وأحيانًا أحسب أنّني كنت هناك لسنوات. مثل «نارنيا»، حيث انتهى بك الأمر هناك لفتحك باب الخزانة الخطأ، وعندما عدت بعد سنوات من الحرب ضدّ السّاحرة الشّرّيرة البيضاء، لم تمضِ حتّى دقيقة واحدة.

بعد تسع عشرة دقيقة من إغلاقي باب الفصل أُعيد فتحه. بالطّبع، يمكن أن يكون صحيحًا. هناك وقت كافٍ لإنهاء كلّ شيء. وبالطّبع، يعتمد ذلك على ظنك حول الوقت الذي بدأت فيه الأحداث، وليس إطلاق النّار نفسه، بل الأحداث كلها. الشّرطة والمدّعية العامّة يقولون إنّنا خطَّطنا لذلك، أنا و«سيباستيان»، وهو ما زاد من عزلتنا، وغضبنا، ولكن أيضًا كانت الإطلاقات حفلًا في اللّيلة السّابقة، المعركة الأخيرة. أولئك الّذين يقفون خارج قاعة المحكمة هذه، ويتبادلون القذف بالحجارة؛ لأنهم يكرهونني وكلّ شيء ينتزعونه يرمزون إليه، وربّما يقولون إنّها بدأت بالرّأسماليّة، أو الملكيّة، أو حكومة التّحالف، أو عندما تخلّينا عن الأسترون، أو شيء آخر عبثيّ لا يستطيعون تفسير المنطق الكامن وراءه.

فقط أنا على علم بكل شيء. أعلم أنَّ كلَّ شيء بدأ وانتهى بـ«سيباستيان».

واحدة من ذكرياتي الأولى، لم تكن مع «سيباستيان» فقط، بل تتعلّق بحياتي، وهي أنّني رأيته جالسًا بالقرب من شقّ شجرة. تمشينا أنا وأمّي من أمام عرصة فاغرمان في طريق العودة من روضة الأطفال. كان عمره خمس سنوات والجميع كانوا يحبّونه. شعره بقصّة متوسّطة، متموج ممتدّ إلى جبهته. طرح أسئلة وجيهة لا تقاوم، ولكنّه لم يكن يركّز على كلّ الوقت بألف في المئة. كان الشّخص الّذي أراد جميع الأولاد اللّعب معه والجميع كانوا يريدون شدّ أزرار سترته، وتصحيح وضعيّة وشاحه، وإحضار سرواله الغالون من خزانات التّجفيف قبل أن يحين الوقت للخروج. و«سيباستيان» اعتاد أن يشير إلى معلّمته المفضّلة في كلّ يوم، «آنلي» ستساعدني، «ليلى» ستخلع جواربي.

صاح «سيباستيان» عليّ من مقعده هناك في الشجرة. كان يهمّني هذا؛ فله أهمّيّة قصوى وحاسمة، إذ لم أستطع أن أجيبه. أنا متأكّدة أنَّ أمّي قالت شيئًا حول بابا نويل، والمنزل، وابن من يكون. (همست بحماسة لي: *أليس هذا «سيباستيان فاغرمان»؟ هل أنت معه في مجموعة واحدة في الحضانة؟* كما لو أنّها لم تكن تعرف ذلك بالفعل، وكانت على دراية تامّة بذلك). لكنّني أتذكّر أنَّ جسدي كلّه استثار عندما سمعت صوته وهو يناديني باسمي.

كانت تلك أكثر من مجرد تحيّة. لم أردّ. أظنّ أنَّ أمّي فعلت ذلك «مرحبا، سيباستيان»، قالت: «حذار من السقوط»، قالت ذلك أيضا، أو شيئًا من هذا القبيل، حين كنت أسحب يدي. لم أردها أن تتدخّل، ولم يكن ذلك شأنها، وكان عليها ألّا تفسد الأمر.

بعد أسبوع، تبادلنا القبلات في أثناء اللّعب في الغرفة الرّئيسة. وأحيانًا أظنّ أنّنا لم نلعب قطّ، ولا حتّى في رياض الأطفال، إذا استثنينا المداعبات. كان

يفعل مع الذّكور ما يفعله الذّكور، ضربوا الكرات. وربّما بنوا أشياء، أبراجًا من الطّوب أمكنهم تدميرها مرّة أخرى. لكنّه كان دائمًا جسديًّا معي، يلمسني متلهّفًا، يشمّ شعري، يتحسّس ذراعي، يغطّينا ببطّانيّة، يضطجع بقربي ويتنفّس بأنفاسي. لقد دخت تمامًا من الحرارة ونقص الأوكسجين. حتّى في رياض الأطفال، كان يواجه صعوبة في اللّعب بشكل صحيح مع الفتيات.

كان «سيباستيان» البالغ من العمر خمس سنوات يلمسني. لقد استمرّ الأمر أسبوعًا أو أسبوعين، لأنتظر ثلاثة عشر عامًا قبل أن يكتشفني مجدّدًا.

هل فاتتني كلّ هذه السّنوات، في وقت كان فيه يلعب مع الآخرين، يجري مع الآخرين، وتجاوزني بسنة دراسيّة وكنت أعرف من هو، وليس العكس! نعم، لقد فعلت ذلك.

«لا يمكنك أن تقرّري رأيهم في سيباستيان؟» قال «ساندر» لي، مرّات أكثر ممّا أطيق. لا تقلقي بشأن الكيفية التي سيتذكّره من خلالها النّاس. يجب أن نركّز عليك، ونتأكّد أنَّ هذه المحاكمة تتعلَّق بما يمكن محاسبتك عليه، ولا شيء آخر».

ما يمكن محاسبتي عليه: كما لو أنَّ الأمر لا يتعلَّق بما فعله «سيباستيان». كما لو أنَّه يمكن تمييز الأمرين أو خرقهما، واقتطاع أحدهما عن الآخر. وبالتّأكيد لا تحسب المدّعية العامّة ذلك. (ادعوني ـ لينا) تظنّ أنَّ كلّ الأمور مرتبطة بعضها ببعض. وربّما سوف أسجّل ملاحظة في دفتري: أنّني أحسب أنَّها على حقّ؟

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الأول، الاثنين

6

ستنتظرني سوزي موظفة السجن بعد انتهاء هذا اليوم. هي ترتدي الزّيّ الرّسميّ وتبتسم، والابتسامات أوسع ممّا تستطيع، أسنانها بيضاء بما يجعلها تبدو مائيّة ساطعة. ويبدو أنّها مثبّتة في أماكن خاطئة في وجهها المحمرّ بشدة، إنّها تنتظر الوقت المناسب للإفلات من أماكنها. تسأل سوزي كيف سارت الأمور، لم أستطيع الإجابة، بل كان لي أن أدخل السّيّارة ويداي أمام عيني.

كان عليَّ أن آخذ دفتري معي، وما زلت أحمله في يدي، ولم أكتب فيه كلمة واحدة، بل كنت أرسم دوائر متداخلة ومتجاورة ومتراكمة بدورها ضمن دوائر كبيرة وصغيرة.

جلست سوزي في المقعد الخلفيّ بجانبي. شعرت بأنّها تنظر إليّ بطرف عينها، من دون أن تقول شيئًا باستثناء: كيف سارت الأمور؟

لكنها تركتني وشأني.

عندما تكلَّم «ساندر» عن الفصل الدّراسيّ، لم أستمع إليه بتركيز فائق. انتبهت عندما بدأ يتكلّم عني. «مايا»، كان حريصًا على ذكر أسماء وألقاب جميع المتورّطين في كلّ مرّة كان يتحدّث فيها عنهم، لكنّه دعاني «مايا»، «مايا» فحسب، من دون لقب، طوال الوقت «مايا»، على الرّغم من أنّني في الواقع قد جرى تعميدي باسم «ماريا». يمكن أن تكون من تحمل اسم «ماريا» سياسيّة أو كاتبة أو طبيبة. أما *قاتلة*...

لكنَّ «مايا» على العكس لطيفة ومسالمة: صديقة «بيتر سفانلوس» البيضاء. وقالت المدّعية العامّة: مرّة واحدة «هذه المدّعى عليها»، «ماريا نوربيرغ». لا «مايا»، على الرّغم من أنّها دعتني دائمًا بهذا الاسم عندما كانت حاضرة في جلسات الاستجواب معي.

أوضح «ساندر» «أنَّ هذا مهمّ»، مهمّ للغاية» ففي عالم «ساندر» «يجب أن تتعرّف المحكمةُ على مايا».

لا أعلم كيف تؤدّي أفكار «ساندر» إلى ما لا نتوقّعه جميعًا، ما عدا «ساندر» نفسه، لكن في خلاصته القصيرة المتكونة بشكل رئيس من عبارات قانونيّة مبهمة، تسنّى له أن يذكر أمّي والمدرسة؛ وأنَّ عالم البالغين قد غدر بي بخلق صعوبات لي مذ دخل «سيباستيان» حياتي، لأصل بالتالي إلى وضع عجزت عن التّخلّص منه، وأنّني لم أكن قد تجاوزت الثّامنة عشرة من عمري عندما حدث ما حدث؛ إذ «بلغت الثامنة عشرة مؤخرا».

قال «ساندر» إنّني «ناضجة أبكر من المعتاد» و«ذكيّة»، ولكنّي «حائرة» و«سهلة التّأثّر». فقد أجرى «ساندر» اختبار ذكاء لي، ودعاني إلى مقابلة خبيرين في علم النّفس. ولديه العديد من التّقارير الطّبّيّة عن شخصيّتي وحالتي، ولماذا فعلت ما فعلت؟ ولماذا لم أفعل أشياء كثيرة كان ينبغي لي فعلها برأي المدّعية العامّة.

عندما غادرنا نحو الطّريق السّريع، أمسكت سوزي بيدي واتّكأت أنا على كتفها. كنت ذكيّة في المدرسة، وبتلك الطّريقة الجليّة الّتي تجعل المعلّمين يبتسمون ابتسامات هادئة عندما ترفع يدك من دون أن توجّه أي سؤال؛ لأنَّه لم يعد لديك ما يمكنك من إثبات شيء.

الطّلّاب مثلي محاطون بهالة خاصّة. منذ الصّفّ الأوّل، كانت لديّ

تلك الكاريزما. ومنذ اليوم الأوّل عندما أدلى الجميع بإجابات صحيحة في الاختبار الإملائيّ من دون أن تخبرنا المعلّمة أنَّه سيكون هناك اختبار.

ولكنني تعلمت منذ البداية أسلوب الكتابة، على الرّغم من أنّنا لم نكن في حاجة إليه. ومنذ المرّة الأولى طلبت المزيد من أوراق الإجابة لأسئلة الامتحان من تلك الّتي وزّعتها علينا المعلّمة. لم يستخدم أحد سواي أوراقًا أكثر من تلك الّتي تلقّيناها. أنا ذكيّة وجميع المعلّمين يريدون أن يظنّوا أنّ ذلك هو نتيجة لجهودهم وبفضلهم. فأنا من النّوع الّذي يحسب المعلّمون أنّهم «يعيشون لأجلهم»؛ لأنّ الرّاتب لا يكاد يكون سببًا لذلك.

أوه، عفوًا. لقد «كنت» طالبة من هذا النّوع. ولم أعد هكذا منذ مدَّة طويلة. أنا الآن أكبر دليل على الانهيار النّهائيّ للمدرسة. ويمكن لـ «ساندر» أن يحدثهم في الأسبوع القادم كيف أنّني «ذكيّة»، ولكن لا يمكنه إحداث أيّ تغيير في هذا الأمر. لن أحصل على الدّرجة الأولى في هذا.

وأن تكون «ذكيًّا» أمر مضاعف، على الأقلّ عندما يدّعي المرء أنّه صادف أن يجد نفسه في صفّ دراسي مليء بجثث البشر وأن لا شيء ممّا فعلت كان خطأ منك. وعندما أخبرني «ساندر» عن نتائج امتحان الذّكاء كان في صوته شكوى. وكأنّني لم أعرف من قبل أنَّ تلك كانت أخبارًا مشؤومة. وكأنّني لم أفعل أشياء منذ سنوات لكي تبدو وكأنّها لا شيء.

لقد فعلت ما تفعله جميع الفتيات. واشتكيت من كلّ ما له صله بي، وكنت أتظاهر بالعصبيّة قبيل الامتحان وبالخيبة عندما ينتهي وقته. «آه» إلهي، لم يتسنَّ لي أن أكمل الإجابة عن السّؤال الأخير. كتبت شيئًا، وبالطَّبع كان له نتيجة سيّئة للغاية». لقد مثّلت دور فتاة ساذجة لدى المعلّمين ولدى زملائي، صغارهم وكبارهم، كما تظاهرت بأنّني أكثر حمقًا ممّا أنا عليه، وكلّ ذلك

لأجل تجنّب أن أبدو راضية إلى حدّ اللّعنة. *إنّها تظنّ نفسها شخصًا مهمًّا.* فأنا ذكيّة بما يكفي لكي أفهم كم هو سخيف ومن دون أيّ معنى، وكم من المشاكل يتسبب بها كونك ذكيًّا.

لم يقل «ساندر» أيّ كلمة حول اختبار الذّكاء اليوم. فتحدّث بدلًا من ذلك عن كيفيَّة التّأثير فيّ والتّلاعب بي، وما «تعرّضت له»، وكيفيَّة تأثير ذلك فيَّ، وأنّه «كان من غير الممكن لمايا أن تتوقّع العواقب»، وأنَّ «الحاسم هو أن يجري تحميل المسؤوليّة لأولئك الّذين حقًّا هم مسؤولون»، وإن كان أكثر أهمّيّة تذكّر «أنّنا الآن نناقش المسؤوليّة القانونيّة». في النّهاية خفض صوته لكي يستمع النّاس.

تهدج صوته قليلًا؛ فقد أراد أن يثبت لجميع الحاضرين في قاعة المحكمة مدى اهتمامه العاطفيّ بهذه القضيّة، وإنَّ ما صرّح به للصّحفيّين «أن هذا سيكون قضيّته الأخيرة والأهمّ» كان حقيقة وليس ادعاء. وسمعنا الصّوت المتهدّج يقول: لست موكِّلة عادية لساندر. فأنا «مايا». متّهمة بريئة. ثمّ رفع «ساندر» صوته وبدا عصبيًّا إلى حدّ ما، ثمّ هتف: «سيباستيان فاغرمان يتحمّل هذه المسؤوليّة وحده».

ثمَّ توقَّف ووضع يده على كتفي، وتركها طويلا، في حين كان ينتظر من جميع القضاة أن ينظروا إلينا. لا يزال بإمكاني، هنا في السّيّارة المجاورة لسوزي، أن أشعر كم كانت يده ثقيلة. ثم قال: «نريد أن يحاسب أحد ما على هذه المأساة. وإنّ من الصّفات الإنسانيّة البحث عن تفسيرات. ولكن لا يوجد أساس لمحاكمة مايا».

الشَّخص المسؤول هو «سيباستيان فاغرمان». إنّه ميّت.

وتنحنح أبي مرّة أخرى. وكانت أمّي تبكي، ثمَّ أخذت نفسًا. لقد تعاملنا

أمّي وأبي وأنا مع توقيتنا المسرحيّ تعاملًا مثاليًّا، وكان «ساندر» يتحدّث فيما يناسب فقرة واحدة.

عندما استدرنا أمام مركز الاحتجاز وتباطأت السّيّارة بما يمكن سوزي من إظهار بطاقة الدّخول الخاصّة بها، تسلّل صداع إلى جبهتي. فابتلعت ريقي وجلست، عدلت وضعيّة ظهري، وفتحت عيني.

«سار الأمر على ما يرام»، قلت لسوزي ونحن نقود السّيّارة من خلال بوّابات السّجن. «سار الأمر على ما يرام».

سيارة الإسعاف، المستشفى

7

بينما كانوا يحملونني في نقّالة، لنقلي من الصّفّ إلى سيّارة الإسعاف، كانت المنطقة مطوّقة بأكملها، فرأيت من بعيد حشدًا كبيرًا. رأيت كيف ترفرف شرائط بلاستيكيّة زرقاء وبيضاء على طول الطّريق حتّى المدرسة، وشعرت بأنَّ منطقة الشّغب قد امتدَّت من مراعي البقر وبساتين الذّرة.

وبينما كانوا يرفعونني إلى السّيّارة، سمعت دوي سيّارة إسعاف أخرى تشقّ طريقها إلى المدرسة. أو بعيدًا؟

لا أعرف في أيّ اتّجاه سارت سيّارة الإسعاف عندما قادوني من المدرسة إلى المستشفى؛ لأنّني لم أتمكّن من النّظر إلى خارج السّيّارة. فاستلقيت على السّرير مغطّاة ببطّانيّتي على أمل العودة إلى المنزل. اعتقدت بأنَّ سيّارة الإسعاف استدارت، وبأنَّنا سنصل قريبًا إلى (آلتورب)، تلك المسارات الرّخوة المكشوطة المستخدمة لممارسة الرّياضة، والمضاءة بأضواء كهربائيّة صفراء مضاءة طوال اللّيل «فكّري عمليًّا على أيّ حال» (كلمات أمّي)، وأننا سوف نمرّ من أمام ملعب الجولف بالعقدة ذاتها، وتصوّري أنَّ القوارب قد صُبِغَت حديثًا ودفعت للتّوّ في البحيرة، وهي على استعداد للانطلاق إلى الأرخبيل، «نحن نعيش بجوار الجنّة» (نعم، والكلام دائمًا لأمّي).

كان «سيباستيان» قد هيَّأ قاربه قبل ثلاثة أسابيع، وقد قضينا ليلتنا هناك في

أوّل مرة. نام «سيباستيان»، وكنت مستلقية بجانبه أنظر إلى الأنوار الضبابية. هذا ما جرى للتّو وعلمتُ أنَّ سيّارة الإسعاف لن تعود بي إلى المنزل، وددت لو أرى ما رأيته من قبل من معالم معروفة لديّ: ساحة نورانغ بملاعب التّنس المسقوفة بسقوف على شكل قبب، والممشى المؤدّي إلى «ساميس» الّتي كانت شديدة الانحدار بما يصعب على الدّرّاجات الهوائيّة الصّعود، والمسارات الصّخريّة في «ايكودن»، والشّاطئ الضّيّق في «باراكودا»، الأشجار على طول «سلوت باكن»، والسّجّادة المعلّقة الّتي اشتراها أبي قبل أسبوع. لو رأيت كلّ هذا لما حدث شيء، ولم تكن ثمّة نوافذ في سيّارة الإسعاف، وكانوا يقودونها بسرعة، بعيدًا، بعيدًا، بعيدًا.

هل يجب إغلاق المدارس الآن؟ ماذا عن احتفال الطّلّاب؟ هل يجب إلغاؤه؟ وماذا عن أسطوانة «أماندا» الطّلّابيّة؟ كانت ستحتفل في آخر حفلة لنا جميعًا، وأخبرتني أنها ستلقي خطابًا، يجب *عليك* يجب *عليك* يجب *عليك!* ماذا سيحدث لحفلتها الآن؟ ماتت بالتّأكيد؟ سمعتها وهي تموت، سمعت الجميع يموتون، كلّ واحد، كانوا جميعًا موتى، أليس كذلك؟ رأيتهم يموتون؟ الجميع سواي كانوا موتى وأصبحنا للتّو على قيد الحياة.

كم كانت السّاعة؟ كان ذلك قبل ساعات فقط، وذهبنا عبر مركز «يورهولمز». «سيباستيان» وأنا؟ كنّا قد أنهينا الحديث، ولم يعد هناك المزيد لنقوله، فسار أمامي رافضًا السّير بجانبي، ورأيت أنَّ اللّافتة على واجهة المخبز قد سقطت.

هل تركوها طوال اللّيل كلّه؟ كان الجوّ حارًّا، كان ربيعًا حارًّا، صيفًيا تقريبًا لما يفوق الأسبوع بقليل. وِشعرت بأنَّ الطقس يبذر الحرارة كما لو أنّها لن يبقى منها شيء لوقت العطلة. طوال مشيي مع «سيباستيان»، مشيت حافية

القدمين على الأسفلت لأنَّ قدمي كانت تؤلمني، حملت حذائي بإحدى يديَّ مربوطًا بحزام إلى كاحلي. وحاولت الإمساك به باليد الأخرى، فدفعني بعيدًا. وعلى الرّغم من ذلك، ظننت أنَّه لم يعد غاضبًا بعد الآن وأنه كان هادئًا. لقد بدا أكثر هدوءًا ممّا كان عليه منذ وقت طويل. كان ذلك قبل ساعات قليلة! فهل مات «سيباستيان» الآن؟

ذهبنا إلى ممشى «هنريك بالمه» المشجَّر، كان الدّرب مهجورًا تمامًا، ولكنَّه كان مضاءً كما هو الحال في منتصف النّهار، وسرعان ما ذهبنا إلى المدرسة ورأينا الجميع مرّة أخرى: «دينيس» و«سمير» والآخرين. ولكن في ذلك الوقت وحينما كنّا وحدنا، لم يمشِ أحد خلفنا، أمامنا أو تجاوزنا. كانت الفيلات بعيدة بعلوّها، وكانت السّيّارات متوقّفة في مرائب مغلقة، وكانت الأبواب مغلقة، ومجهّزة بأجهزة إنذار.

شعرنا بأنَّ كلّ «يورهولم» قد هُجرت، فلم أسمع شجو الطّيور، ولا أصوات الصّباح على الإطلاق، كان الصَّمت المطلق سائدًا، صمت القبور، أو بعد دقائق من انفجار قنبلة ذرّيّة، على ما أظنّ. لماذا كنت أفكّر بالأسلحة النّوويّة؟ هل فعلتها أو كان شيئًا في السّابق وأفكر به الآن بعد ذلك؟ الآن بعد أن انتهى الأمر. لقد انتهى كلّ شيء.

طوال الطّريق من المدرسة إلى المستشفى، كنت مستلقية على سرير سيّارة الإسعاف، وأستمع من دون أن أرى. كان لدينا بعض الوقت لنسمع دوي صفارة أخرى من بعيد. هل تعني صفّارة الإنذار بالضّرورة أنَّ الأمر عاجل، صحيح؟ وأنَّ الأمر لم ينتهِ؟ وأنَّ شخصًا ما كان لا يزال على قيد الحياة؟

«ألسنا جميعًا موتى؟» سألت الشّرطيّ المجاور لي، أظنّ أنَّه هو من حملني إلى الخارج. ولم يجب الشّرطيّ. حتّى إنّه لم ينظر إليّ. لقد كرهني فعلا.

ارتدى موظّفو المستشفى قفّازات بلاستيكيّة عندما خلعوا ملابسي وأودعوها في أكياس مختلفة. لم أتمكّن من الاغتسال إلّا بعد ساعات. قابلت ثلاثة أطبّاء وأربع ممرّضات قبل أن يسمحوا لي بالاستحمام الّذي لم يكن مسموحا لي خلاله سوى الشّطف بالماء السّاخن لا أكثر، وأصبحت تحت الشّعاع الّذي كان المؤشّر يشير إلى أنّ درجة حرارته تتصاعد إلى درجة حارقة، ولكنّني ما كدت أشعر بتغيير درجة الحرارة.

وعلى الرّغم من ذلك، لم أستطع إزالة رائحة الدّم عني. وظل باب الحمّام مفتوحًا، ولم يكن له ستارة. إحدى الشّرطيّات كانت واقفة متّكئة على إطار الباب تحدّق بي طوال الوقت. كانوا (من هم؟) قد أخذوا عيّنات كثيرة، وخزوني تحت أظافري، خدشوني بأدوات معدنيّة ذات رؤوس كبيرة غير مألوفة، واضطررت إلى البقاء في المستشفى ليلة واحدة على الرّغم من أنني على ما يرام.

لم أدرك إلّا في وقت لاحق بكثير أنَّه عندما جاءت الشّرطة للحديث، تمّ استجوابي. لم أدرك إلّا بعد وقت طويل لماذا لم يسمح لي بالتّحدّث إلى أيّ شخص إلّا رجال الشّرطة، ولماذا قالت الممرّضات والأطبّاء: «لا يمكننا التّحدّث إليك حول هذا الموضوع»، مع أصوات لم يبذل أصحابها جهدًا لتبدو رحيمة. ولم أدرك إلّا في وقت لاحق بكثير أيضا لماذا أستغرق الأمر ساعات للحصول على إذن لمقابلة أمّي وأبي.

كانت هناك امرأة أخرى تجلس بجانب سريري تمسك بمقبض عصاها. وعندما جرّدوني من ملابسي ووضعوني في السّرير، سألتها إن كان أبي وأمّي قد ماتا. لا أعرف لماذا قلت ذلك. *هل ماتت أمّي وأبي؟* لكن يبدو أنَّ هذا جعلها متوتّرة، فاتّصلت عبر هاتفها، ثمَّ عادت الشّرطيّة الأولى الّتي تملك

وركي صبيّ وتجعيدة شعر من طراز الثّمانينيّات وجهاز تسجيل الأصوات. وبعينيها الضّيّقتين، سألتني لماذا استفسرت إن كان أبي وأمّي قد ماتا؟ لماذا أردت أن أعرف؟ لماذا، لماذا، لماذا؟ لم أفهم لماذا كانت تتساءل. ليس بعد مرور وقت طويل.

تناوب شرطيّان على مراقبتي في المستشفى. سمحا لأمّي وأبي بزيارتي لخمس دقائق، لا بدَّ من أنَّهما متأخّران في منتصف اللّيل، ربّما مع ضابط شرطة آخر.

كنّا ستّة أشخاص في غرفتي الصّغيرة، وجلست أمّي على حافّة سريري. لم تقل شيئًا، ولم تسأل شيئًا، ولا «ماذا حدث»، ولا «ماذا فعلت»، ولا حتّى «كيف الحال». لم تقل إنَّ الأمر سينتهي أخيرًا بسلام، أو ماذا يجب أن أفعل الآن، إلى أين سأذهب، حتى لو قلت ذلك. إنّني كنت سأموت، ربما فعلا أردت الموت؟

أمّي كانت تبكي فقط، لقد رأيتها تبكي عدّة مرّات من قبل، ولكن لم يسبق لي أن رأيتها تبكي بهذه الطريقة. لقد كانت شخصًا مختلفًا. بدت مضطربة، مرعوبة. أظنّ أنّني كنت الشّخص الّذي تخافه، وأرى أنّها لم تجرؤ على سؤالي عن أيّ شيء، ولم تقل شيئا؛ لأنّها كانت تخشى إجابتها.

من الممكن أن تكون الشّرطة (أو ساندر) قد نصحتهما بعدم طرح أسئلة، أو التّحدّث عمّا سيجري فيما بعد، ولكنّ أمّي لم تخبرني أبدًا بما يجب القيام به على أيّ حال. إنّها تحاول أن تجعّد جبهتها الصّارمة و«تجادل». من بين جميع أنواع الأمّهات الّتي تختارها، هي عادة ما تكون واحدة مجاملة. إنّها الأمّ الّتي تريد أن تفهم ابنتها أنّها باتت ناضجة وصاحبة قرارها، ليس لأنَّ أمي تحسب ذلك، ولكن لأنَّه من المهمّ لها أن يرى النّاس ذلك أيضا. لكن لم يكن

الوقت المناسب لإظهار كم كانت أمًّا ممتازة. فرص نجاحها في ذلك، وفي ذلك الوقت، هناك، كانت ضعيفة للغاية. أبي كان يساندها وقد بكى أيضًا. لم أره يبكي من قبل، ولا حتّى في جنازة جدّتي.

قال: «لقد اتّصلت بـ«بيتر ساندر». دون جدال. كنت أعرف من هو المحامي «بيتر ساندر» حقًّا. الجميع يعرفون من يكون، إنّه يظهر في الصّحف اليوميّة ونشرات الأخبار عندما يدافع عن أحد قتلة الأطفال أو المغتصبين. وفي مجلّات الفظائع والإشاعات الفارغة عندما حقّق أوّل نجاحاته أو في حفل تكريم لدى الملك، ليس فقط احتفالات نوبل، بل احتفالات أخرى يختار فيها الملك الأشخاص الّذين يريد صداقتهم. وقد شارك في الكثير من البرامج التّلفزيونيّة أيضًا، وعادة ما يتحوّل إلى خبير ويتكلَّم عن المحاكمات حي لم يحظَ أحد بفرصة التغلب عليه.

قد يكون ذلك مثيرًا للضّحك. إنَّ المحامي الوحيد الَّذي كانت لي فرصة الحديث معه، هو الموجود حقًّا في الواقع ولا يصرخ اعتراض - في المسلسلات والأفلام، كما يملك علاقات مع الجميع، بمن فيهم الملك، أشهر شخصيّة سويديّة.

أومأت برأسي فحسب.

أومأت أمّي برأسها. مخطت أنفها وأومأت برأسها. مليون إيماءة هستيريّة لعلّها تُساعدها لكي تتمالك نفسها أو على الأقلّ لتخرس. كنت أخشى لو أفتح فمي قبل أن أفكّر أوّلًا لكنت أطلقت صرخة لا نهاية لها. أغلقت فمي. أومئي برأسك. هزّي رأسك، أومئي كثيرًا.

افعلي ذلك، تذكرتُ، أبقي فمك مغلقًا. لا تتكلّمي.

خطا أبي نصف خطوة للخلف، ظننت لوهلة أنّه سيطلب منّي أن أشكره،

وأنَّه سيخفض صوته بالطّريقة الّتي فعلها عندما كنت طفلًة ويتساءل: «ماذا تقول ماما، يا مايا؟». وقد غادرني من دون أن يفعل ما ظننت أنّه سيفعله. أظنّ أنّهم ربّما ظلوا لمدَّة أطول، وأنَّ رجال الشّرطة كانوا يرغبون في الاستماع إلى محادثة حميمة حقًّا بين أمّ وأب وابنة. ولم يحدث هذا؛ فأمّي وأبي غادرا المكان ولا أظنّ أنّهما أرادا البقاء.

قبل أن تنهض أمّي، عانقتني بشدّة حتّى حفرت أظافرها في القسم العلويّ من ذراعي، فانحنيت لأعانقها، ولكنّني تأخّرت قليلًا، فضربت عظامُ صدرها عظمَ التّرقوة عندي. لو لم أكن أضخم منها لكانت قادرة على تقبيلي في جبهتي أو أداء عمل أموميّ آخر، لكن لم يحصل ذلك الآن. وعندما ابتعدت عنها، رأيت أنَّ حوافّ عينيها قد صارت ورديّة اللّون، كما هو الحال لدى فئران التّجارب. دموع أمّي جرفت كلَّ مكياجها دون ردة فعل منها. هذه هي الهاوية التي كانت تثرثر بشأنها.

بعد أن غادرا، جاءت ممرّضة ومعها قرصا دواء قدّمتهما إليَّ في كوب بلاستيكيّ، فأخذتهما وابتلعتهما مع الماء من كوب آخر من البلاستيك، أكبر من الكوب الأوّل. ثمّ غادرت تاركة الباب مفتوحًا. وكان لا يزال هناك ضابط شرطة يرتدي الزّيّ الرّسميّ يجلس بجوار سريري وآخر خارج الغرفة.

ظنّوا أنّني سأنتحر، وأنّني لا أستطيع العيش مع عار ما فعلته، ولكنَّ الأمر استغرق بضعة أيّام قبل أن أدركه. فتحت فمي وناديت عليها: «شكرا لك»، غادرت العبارة أعماقي، وكان بالإمكان أن تبقى في هذه الأعماق لمدَّة أطول. كان ينبغي أن أموت، لكنّني لم أفعل. بدًلا من ذلك، أنا على قيد الحياة. معذرة. أنا آسفة للغاية. أنا لم أقصد ذلك. أريد أن أموت، أعدك.

لا أعلم إن كنت قد غفوت في اللّيلة الأولى. لا أرى ذلك. لكنّني نجحت في إبقاء فمي مغلقًا. لم أبدأ بالصّراخ.

وفي صباح اليوم التّالي، وصل اثنان من ضبّاط الشّرطة إلى المستشفى. لقد جرى فحصي وتنشيف عيني. وكانت المرأة النّاحلة بيرمانتن قد عادت ومعها رجل أصغر سنًّا منها، يُنعم النّظر ويُركّزه. ظل خلفها على مسافة نصف خطوة، وربّما كان يجلس خارج بابي. وبدا، في كلّ حال، مستيقظًا للتّوّ. حدّق بنا، واحدًا بعد آخر، وصولا إلي. فكّرت في أن أرد على تحديقه بتحديق إلى أن يضطرّ إلى تحويل نظره عنّي بعيدًا، ولكن لم أتحمّل. لقد كنت متعبة، وكأنّني على وشك النّوم.

لم يكن أفراد الشّرطة متوتّري الأعصاب، لكنّهم لم يرغبوا في الجلوس. دخل طبيب ومعه ورقة كانت الشّرطيّة قد وقّعت عليها. ولم يكن عليّ أن أغيّر ملابسي؛ إذ أخبروني أنّه يمكنني الذّهاب في بيجامة المستشفى. وأخبروني أيضًا أنّه يمكنني تبديل ملابسي عندما نصل إلى هناك. لقد أخذوا كلّ أشيائي، ملابسي الخاصّة، هاتفي الخلويّ، جهاز الحاسوب الخاصّ بي، جهاز الآيباد الخاصّ بي، مفاتيح المنزل والخزانة في المدرسة.

طلبت الذّهاب إلى الحمّام لتنظيف أسناني. سمحوا لي بذلك، لكنَّ (الشّرطيّة بيرمانتن) تبعتني إلى الحمّام. استدارت بوجهها وأنا أخلع سروالي الدّاخليّ وهو من سراويل المستشفى، لكنّني رأيتها تنظر إليَّ من خلال المرآة وأنا أجفّف نفسي.

لم أسال عن طول المدَّة الّتي يسمح لي فيها بالبقاء في الخارج. وقبل أن يسمح لنا بالخروج من الغرفة التقطت الشّرطيّة زوجًا من القيود، ثبّتتهما في رسغي بإحكام.

أعزل معصمي عن المعدن بوضع أصبعي بينهما للتّأكّد من أنَّ المعدن لم يكن يشدّ معصمي ويؤذيني. ثم حصلت على حزام شُدّ حول خصري، في

حين أنَّ الأصفاد مربوطة بالسّلاسل إلى الحزام. لم أدرك بأنني لن أعود إلى المنزل إلّا عندما أدركت إلى أين نحن ذاهبون بالضّبط، على الرّغم من أنَّ أكثر ما صدمني هو أنّني كنت مكبّلة بالأغلال.

سألت: «هل يمكنكم حقًّا أن تفعلوا هذا، فأنا مجرّد..». كنت سأقول إنّني طفلة أو مراهقة، ولكنّني غيّرت رأيي.

تجمَّع الصّحفيّون خارج المستشفى، وبالتّحديد خارج بوّابة المستشفى حيث وقف أربعة رجال مع كاميرات وأربع نساء، بيد كلّ واحدة منهنّ هاتف محمول. كما كان هناك اثنان، وثلاثةٌ آخرون واقفون على مسافة منّا.

لم يصرخوا عندما خرجت من الباب، لكنّهم نوعًا ما انحرفوا عن موضعهم. فرائحة جزمة الجدّ المطّاطيّة تزكم الأنوف عندما كان يرتديها ويئنّ. لقد كنت الحذاء المطّاطيّ للصّحفيّين. وتسمع أصوات الكاميرات من بعيد، فكّرت في البداية أنّها على «مسافة محترمة». لقد كانوا قد وقفوا حيث لم أكن أريد رؤيتهم.

وبينما كنت أنتظر الشّرطيّة الّتي ترتدي ثيابًا مدنيّة تفتح الباب الخلفيّ للسّيّارة الرّماديّة الّتي كنّا على وشك ركوبها، سأل أحد الصّحفيّين وبصوت منخفض عن حالي، ولم ألاحظ أنَّه كان قريبًا جدًّا منّي. فقد اندفعت إلى الأمام.

وأجبته: «شكرا لك، أنا على ما يرام». كان ردًّا عفويًّا؛ إذ نسيت أن أبقي فمي مغلقًا. والشيء الوحيد الأسوأ ممّا لو بدأت أصرخ بشكل لا يمكن السّيطرة عليه هو أنني شعرت بأنَّ ثمة شيئا ما غير طبيعي يسري في جميع أنحاء جسدي «أو...» حاولت أن أضيف. ثمّ رأيت عيون الصّحفيّ الضّيّقة، ولم ألمح فيها أيّ شفقة تجاهي.

أمسكت بي الشّرطيّة؛ إذ لم تردني بالتّأكيد أن أبدأ بالكلام. فيما بدأ الصّحفيّ كلامه بقوله: «لقد مات أصدقاؤك». ولكن لم يسمح له بالاستمرار. فقالت الشّرطيّة بيرمانتن: «عليك أن تخرس الآن»، وبدت وكأنّها تريد مقاطعة الصّحفيّ، فأضافت «إذا لم تتوقّف فورًا عن طرح أسئلتك، فإنك تخاطر بتخريب تحقيقنا. هل تريد ذلك؟»».

بعد ذلك، فهمت أنَّ «بيرمانتن» قد خشيت أن يكشف الصّحفيّ ما لم يخبروني به بعد. أرادت الشّرطيّة أن ترى ردَّ فعلي عندما قالوا ذلك. ولكنّني في ذلك الوقت، حسبت أنّها كانت غاضبة منّي، بل أكثر غضبًا ممّا كانت عليه من قبل، وقد احمرّ وجهي. أنا لست حسناء ناعمة البشرة، مصبوغة الشّعر بالكريم، لا أستطيع ان أكون محمرة الوجه بلطف. وأجد صعوبة في التّنفّس وأتعرّق عرقًا حادًّا، يترك بقعًا سوداء مع خطوط الملح. لكنّني حاولت التّظاهر وكأنّي لا شيء وعدلت ظهري.

وهذا في حين كانت «بيرمانتن» ذات الوركين النّحيلين والأظافر المدبّبة تنبش جيوبها بحثًا عن مفتاح سيّارتها، ويحاول الصّحفيّ تفسير معنى ما قالته الشّرطة للتّوّ، شعرت بالرّياح وهي تقبض على شعري وتدفعه إلى الوراء. أمّا السّترة الّتي وضعت «بيرمانتن» عليها يدي والقيود فسقطت على الأرض. وهناك وقفت مرتدية ملابس المستشفى الواسعة من دون حمّالة صدر، وحلمتاي متّجهتان نحو أقرب مصوّر. لو لم تكن الأصفاد مربوطة بخصري، لكنت على الأرجح بدأت بالتّلويح. أنا المجنونة ـ لقد ركضت ـ مائة متر ـ أسرع في اتّجاه الحشد الأبكم الّذي لم يكن حشدًا، بل كان اثني عشر شخصًا، على أقلّ تقدير، أذهل الصّحفيّين الّذين لم ينظّفوا أسنانهم والّذين ارتدوا ملابس اللّيل الفائت.

عندما ركبت السّيّارة، أصيب جسدي كلّه. ارتفعت حرارة ملابسي، ولفحت الحرارة جلدي. أتذكر عندما لسعني قنديل البحر، القرّاص اللّاذع، فأصبت بحروق مع بثور مختلفة، يا إلهي، كم كان ذلك مؤلمًا. أظنني كنت أرتجف، فتشبثت بحزام الأمان الّذي كان على ذراعي ويدي، مبتعدة عن «بيرمتنانتن»، ولم أتنفّس بانتظام إلا بعدما انحرفنا عن موقف السّيّارات وعلى الطّريق السّريع.

لحقت بنا ثلاث سيّارات، حافظت على مسافة معيّنة. ولم أسمع رنين مقرّهم المحموم القريب إلى غرفة الأخبار، وعبثهم بالهاتف لنقل الصّور، لكنّني فهمت بما كانوا منهمكين.

صوّري. «مايا نوربيري»، إنّها باغية «يورشولمسولينا» المدلَّلة، مهووسة محرومة من الواقع. قاتلة. «مايا نوربيري» كانت قاتلة مجنونة، وإلّا لِمَ كان ردّ فعل الشّرطة هكذا؟ وإلّا لِمَ ستقيّد مراهقة؟ كانت مسألة دقائق فقط قبل أن تظهر في عناوين الصّحف، في أربع عشرة زاوية مختلفة، وكلّها للدّافع ذاته.

وسرعان ما هدأت «بيرمانتن». بدا أنّها لم تهتمّ بأنّنا ملاحقون، وضعت قطعة سعوط تحت شفتها، ودحرجتها إلى الوراء بلسانها ورفعت ذقنها، وعلبة السّعوط في لفتة مثيرة. هززت رأسي.

فكّرت، يا إلهي، هل يجب أن أعقد معها رابطة دم؟ أتمنّى لو تذكّرت أن أطلب قرصًا مسكّنًا للصّداع قبل مغادرتنا. أو ربما لو أكلت بعضًا ممّا أعطوني إيّاه على الفطور. شعرت فجأة بالجوع، متى كانت آخر مرّة أكلت فيها؟ لا بدَّ من أنَّها كانت بالأمس، لكنّني لا أستطيع تذكّر أيّ شيء سوى أنّني أخذت سيجارة في إحدى الشّرفات مع ضابط شرطة. لم يعترض أحد على ذلك عندما طلبت الاستئذان. استغرق الأمر بعض الوقت ليقرّروا أيّ شرفة

سأخرج إليها، وآخر قبل أن يقدّموا إليَّ سيجارة؛ إذ كانوا يحسبون أن لا بأس من تدخين سيجارة تحت مراقبتهم؛ الشّرط الوحيد للتّدخين سرًّا هو جريمة قتل جماعيّة.

هل تناولتُ الفطور اليوم؟ لا. الغداء أمس، بالتّأكيد لا. عشاء؟ لا، لا أظنّ ذلك.

وضعت جبهتي على زجاج النّافذة وأغلقت عينيّ. أتمنّى لو كنت لوّحت للصّحفيّين، على الرّغم من وجود الأصفاد كان ذلك ممكنا، ما يعني إصابة صديق الملك بالجنون التام.

جلسة المحكمة الرّئيسة في القضيّة 66 147 B

الادعاء العام في مواجهة «ماريا نوربيرغ»

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الأول، الثّلاثاء

8

تتبع جميعُ المحاكمات الجدول الزّمنيّ نفسه. وهناك قواعد لمن يجب أن يتكلّم وبأيّ ترتيب ينبغي له القيام بذلك. هذا ما شرحه لي «ساندر». وقد استمعت بعناية. لم أرغب في التعرض لمفاجأة سيئة، بل أردت أن أكون مستعدّة لأيّ شيء.

في اليوم الثّاني وعند السّاعة العاشرة والنِّصف صباحًا تقريبًا، التقينا في القاعة حيث ينبغي أن تحضر القاتلة. وقد جاء أحد الأشخاص، من مكتب محاماة «ساندر» و«تياستاديوس»، بالغداء من قاعة «أوسترمالم». ولكن الطّعام كان باردًا، لكنه بدا أطيب بمليون مرّة ممّا أكلته خلال الأشهر العشرة الأخيرة. وهناك شوكولاتة النّعناع على المنضدة بجانب ترمس القهوة وعلب حليب ثلاثيّة الجوانب، إضافة إلى مكعّبات السّكّر.

تناولت فطوري قبل أقلّ من ساعتين، والآن آكل الشّوكولاتة. لقد مرّت ساعتان فقط منذ أن أكلت الإفطار، لكنّني آكل الشّوكولاتة، وألفّ ورقة القصدير إلى كرات مستديرة صغيرة، يتراكم بعضها فوق بعضٍ على شكل هرم. ولم أدعُ أحدًا ليشاركني الأكل، بل سألت إن كان يمكنني التّدخين. ودعاني «ساندر» إلى أن «أمتنع» (مفردة نمطيّة من مفردات «ساندر»)؛ لأنَّنا لن نتمكّن أبدًا من الخروج من هذه الغرفة، بل يمكن أن يزورنا الصّحفيّون، وإنّ هذا «إشكاليّ من وجهة نظر أمنيّة».

سألتني «فرديناند» إن أردتُ السّعوط بدل السّيجار. ومن الطّبيعيّ أنَّها تتعاطى السّعوط. وأظنّ أنّها لا تحلق ما تحت إبطها. ولديّ حارسان في السّجن يبدو أنّهما أيضًا مقتنعان بأنَّ السّعوط وشعر العانة خطوة حقيقيّة في الحركة النّسويّة ما يؤدّي إلى رائحة العرق كعلامة على جمال طبيعيّ. «فرديناند» تذكّرني بكلّ هذا، ولو على طريقة المتعلّمين تعليمًا رصينًا. ولا أندهش من أنَّ الجرعة الّتي ناولتني إيّاها ليست قطعة سعوط.

قلت لها: «لا، شكرًا»، وقد شجَّعتني نساء على تناول السّعوط خلال الأشهر العشرة الأخيرة، أكثر ممّن أردن التّوقّف عن تعاطيه طوال حياتهم.

وهمس «بانكيك» مباشرة في أذني: «ألا تعلمين أنَّ التَّدخين مضرّ بالصّحّة، وأنّك قد تموتين به مبكرًا؟».

لم أستطع الحكم إن كان ذلك مزحة أم حقيقةً.

ستتحدّث المدّعية العامّة اليوم بكلّ الأحوال عن الموت، وعن أنّني كان يفترض بي أن أموت.

وإنّ ذريعتها هنا هي: أنّ «سيباستيان» وأنا قرّرنا الانتقام من أولئك الّذين خذلونا. ذهبنا إلى المدرسة ومعنا قنبلة في حقيبة، وأسلحة في حقيبة أخرى، بنيّة قتل أكبر عدد ممكن من النّاس. وانتهت العمليّة بمقتل «سيباستيان» فيما كان من المفترض أن أموت أنا، لكنّني نجوت من الموت على الرّغم من أنّ الرّمي في المدرسة بدا، أو كما اعتدناه، أنّه لا يستثني أحدًا. يقرّر أحد المجانين أو أكثر الانتقام من زملائهم، فيطلقون النّار بوحشيّة على من حولهم حتّى الإنهاك أو وصول الشّرطة، فينهون العمليّة بإطلاقهم النار على بعضهم البعض، أو بالانتحار أو التّأكّد من أن الشّرطة ستضع حدًّا لحياتهم، في حال لم يكونوا جبناء. بالطّبع، فالجبناء وحدهم يبقون على قيد الحياة، وأنا أجلس

هنا، أحيا حياة لا شكَّ فيها، في محكمة مقاطعة ستوكهولم، خارج الصّالة. جبانة، هكذا يجب أن تفسّر المدّعية العامّة ما جرى.

لم أردّ على تعليق «البانكيك». ففتح أحد الحرّاس الأمنيّين الباب وأخبرنا أنّه يمكننا دخول القاعة. وبينما كان «ساندر» يلتقط أغراضه، أعدت بناء الهرم بكرات القصدير للمرّة الأخيرة. وسألتني «فرديناند» مرّة أخرى إن كنت أريد سعوطًا. أومأت برأسي. لا بدَّ من أنَّني بدوت مشتهية السّعوط بشدّة.

فهتفت فجأة: «علكة النّيكوتين»، لحسن الحظّ لديها، جاءتها فكرة عبقريّة. كما أنهت «فرديناند» البحث من خلال حقيبتها اليدويّة قبل أن ينقر «ساندر» بلسانه، وهو الّذي لم يكن ليقبل أبدًا بأن أمضغ العلك في أثناء الجلسة الرّئيسة الجارية. دخلنا وجلس كلّ واحد في مكانه.

إنَّ من تريد منّا أن ندعوها «لينا»، لها خدّان ورديّان، ربّما بدأت بالصّعود على الدّرج خارج المحكمة وعقد مؤتمر صحفيّ. والطّقس لطيف اليوم، مشمس وبارد. وأنا مستعدّة للمراهنة بالمال على أنّها كانت ستحبّ عقد المؤتمر الصّحفيّ في الهواء الطّلق على درج المحكمة. شخص مهمّ *جدًّا* في *فيلم* مثير *جدًّا*. أو ربّما جاءت مشيًا على الأقدام إلى هنا؛ لأنَّه من المهمّ إدخاله الحياةَ اليوميَّةَ؟ إذا جاز لي أن أخمّن أنَّ «لينا بيرسون» تسلك الدّرج بدلًا من المصعد، وأظنّ أنّ ما تفعله هو أنّها تستطيع تناول قطعتين من الخبز الدّنماركيّ أو ملفوفة لذيذة في استراحة القهوة في العمل، كلّ يوم.

تبدو «لينا» (مثلما تحبّ أن نسمّيها من دون لقب) كأنّها تشتري السّندات الحكوميّة وتأمين المعاشات التّقاعديّة الإضافيّة. وقد تخرَّجت من كلّيّة الحقوق دون الحصول على قرض دراسيّ (لأنَّ الشَّخص المديون ليس حرًّا!). ولا أحتاج إلى بذل جهد كبير لأقدر على تخيّل ما يجري في منزلها

(في بيت من البيوت المتسلسلة): لوح من خشب الصّنوبر في غرفة المعيشة، صائد الأحلام فوق أسرة الأطفال، أكبر مجموعة من الضّفادع الخزفيّة في السّويد في خزانة. والآن حان دورها للحديث مرّة أخرى. كم أكره المدّعية العامّة «لينا بيرسون»!

بعد تسعة أشهر من المقالات الصّحفيّة والبرامج التّلفزيونيّة عندما سمح للجميع، حقًّا الجميع، بالتّحدّث ما عداي، أمكن الجميع أن يبكوا طوال مدَّة البثّ ما عداي. كان الجميع قادرين على عقد مؤتمر صحفيّ على أيّ مدرج سخيف ما عداي أنا، في حين أنَّ محاميَّ وعائلتي كان عليهم حظر إبداء الرّأي. حينذاك ـ لحسن الحظّ، مثل كريمة على سمك السّلمون المسموم بالدّيوكسين ـ حان دور المدّعية العامّة للحديث. والآن ستروي قصّة القاتلة الجماعيّة الَّتي كان يجب أن تطلق النّار على نفسها لكنّها لم تجرؤ؛ جبانة، ترفض قبول العواقب، واحدة تحسب أنَّها يمكن أن تتخلّص، ومن حسن حظّها أنّها تتحدّث.

إنّها أنا.

قد يعلن «ساندر» نفسه أجشّ، وما زلت لا أفهم لماذا يسمح لها أن تبدأ. ستتكلَّم المدّعية العامّة عني طوال يوم كامل على الأقلّ، وربّما يومين. ثمّ، بمجرّد أن نتحدّث، سيصل دورها مرّة أخرى. وحينذاك ستستدعي الشّهود واحدًا تلو الآخر، ويشترك جميعهم في أمر واحد: إنّهم متّفقون على أنّني وحش.

واليوم، ولا أعرف كم يومًا آخر، هو يوم المدّعية العامّة «لينا بيرسون». لها كلّ هذه الأيّام تمامًا. أمّي شاحبة لدرجة أنّها تبدو متبرّجة باللّون الأبيض، أمّا أبي فيلمع جبينه. أما «ساندر» ففي حالة استرخاء تامّ، وكان يمكنه أن يكون

في غرفة المعيشة الخاصّة به، وأن يتحدّث إلى ضيوفه المدعوّين. ولكنّني لست مدعوّة إلى حفل الكوكتيل هذا. أنا مستلقية على طاولة المائدة. وإن ما سيأكلونه هو أنا، سيأكلون وينشبون مغرفة الكعكة فيها.

سنستمع، وبعد ذلك سننظر في الصّور الفوتوغرافيّة، والرّسوم، والأسلحة، والبروتوكولات. سنقرأ رسائلي الإلكترونيّة. رسائلي النّصّيّة القصيرة. تحديثات الفيسبوك الخاصّ بي. وسوف نراجع كل من اتّصلت به وكم من الوقت تحدَّثنا. سنتحدَّث عن محتويات جهاز الحاسوب الخاصّ بي وعن خزانتي في المدرسة. سنقرأ ملاحظة كتبتها داخل الموثّق على أحد كتبي المدرسيّة. اقتباس من قصيدة، «عندما لا يكون هناك ما ينتظر أكثر من ذلك وليس هناك ما تحمله»، فإنّه يشير إلى اشتياقك إلى الموت وفقًا للمدّعية العامّة.

وفي الأسبوع القادم، ستدعو «لينا بيرسون» النّاس إلى الحضور هنا. سوف يخبرون الجميع بكل شيء. وإذا كان لـ«لينا» الحق في اتّخاذ قرار، فستُرسَل ملابسي الدّاخليّة المستخدمة إلى جميع أنحاء القاعة حتّى يتمكن الجميع من شمّها.

صرت آخر من سمح له بالدّخول، فأجلس في مقعدي، وأحدّق بالطّاولة أمامي. ومستحيل، ولله الحمد، التّحدّث مع أمّي وأبي بعض الوقت؛ إذ لم يسمح لهما بتقبيلي أو معانقتي أو مداعبة شعري. ود «بانكيك» لو استطاع فعل ذلك؛ لأنَّ الصّحفيّين ينظرون إلى كلّ ما أقوم به، وهو لا يمانع أن يحدّق الصّحفيّون بي؛ إذ إنّ كلَّ ما يرونه يقع تحت سيطرته. وكان يودّ لو استطاعت أمّي إزاحة خصلة الشّعر عن وجهي إلى الخلف من أذني. أتذكَّر أنَّها كانت تفعل ذلك. فإن كنت قد التقطت صورًا في كلّ مرّة ـ فعل ذلك: السّبابة والإبهام، وخصلة الشّعر خلف الإذن ـ فقد صار واحدًا من مسلسل

الصّور الّذي يمكنك العثور عليه في اليوتيوب. فالصّور التقطتها للموضوع نفسه لمدّة ثلاثين عامًا، وصوّرت أفلامًا حول كيفيّة ذوبان الجليد أو كيف أنَّ فتاة صغيرة تتغيّر من حسناء فاتنة لتصبح امرأة مسنّة بلا أسنان بعد عامين؛ لأنَّها تعاطت منشطات ميثامفيتامين. إنَّها صور ثابتة كثيرة لا عدَّ لها التقطت بسرعة كبيرة واحدة تلو الأخرى: «مايا» يعود إليها شعرها خلف أذنها. شعر قصير طفولي، شعر طويل مجعّد لفتاة، خصلة الشّعر الّتي قصصتها في اليوم الّذي التقطوا فيه صورة جماعيّة في روضة الأطفال، عندما صبغت الحلقات قبل أن أسال أمّي، وطلبت منها لفَّ شعري ليثبت، مع إكليل منتصف الصّيف. بريق لوسيا. الضّفائر الّتي يسقط منها الشّريط المطّاطيّ. شعر طويل جدًّا غُسِل بشامبو السّجن ولم يقصَّ مدَّة أحد عشر شهرًا.

هذا ما سوف يراه الصحفيون.

يتابع الصحفيون عن كثب إذا داعبتني أمّي. ولكأنَّ «البانكيك» يتغوَّط حقًّا على نفسه من شدّة السّعادة. أجلس في مقعدي ولا أنظر إلى شيء.

عندما تطرطق «لينا بيرسون» على مكبّر الصّوت، تنطلق طقطقة شديدة من مكبّرات الصّوت. «مرحبًا بكم»، تؤكّد الرّئيسة، وتجعل الحالة تبدو مؤسفة. ثمّ تترك الكلمة إلى المدّعية العامّة الّتي لا تزال وجنتاها ورديّتي اللّون.

«المتَّهمة من خلال تصرّفاتها في الأيّام والسّاعات الّتي سبقت جرائم القتل، مدينة بالتَّحريض على القتل... إنّها تقرأ مباشرة». وتصرّفاتها دفعت سيباستيان فاغرمان إلى...».

لماذا تقرأ مباشرة؟ هل حقًّا لدى هذه العجوز الشمطاء صعوبة في تذكّر ما كانت تتهمني به؟ هل من الممكن أن تكون مدّعيًا عامًّا وغبية؟

«كانت جريمة القتل الأوّليّة الخطوة الأولى في خطط نوربيرغ وفاغرمان

المشتركة لتنفيذ الهجوم على مدرسة دجورشولم الثّانويّة العامّة 412، في صباح اليوم نفسه». تضع الآن أوراقها على المنضدة، وتخلع كذلك نظّارتها الخاصّة بالقراءة. وتضيف: «سأقدّم وصفًا لكيفيّة مشاركة المتّهمين بنشاط في إعداد ذلك وتنفيذه».

قالت «فرديناند»: «سنتحدّث أخيرًا. إنّها ميزة». وأرى أنّها مخطئة بالطّبع، فلن يطيق أحد الإصغاء بعد أن تنهي المدّعية العامّة كلمتها. ولا أحد يريد أن ينظر إليَّ أقلّ من أن يسمح لي بتقديم إفادة، ولكن ماذا يمكنني أن أفعل حيال ذلك؟ لا شيء.

لا يهمّ ما سنخبرك إيّاه، لن يفهم أحد ما أعنيه، لن يوافق أحد على أنّنا لعبنا جميعا اللّعبة نفسها، ولكنَّ الأدوار كانت مختلفة. «ساندر» سيروي *الجانب المتعلّق بي من المسألة*، ولكن بعد فوات الأوان، حيث تكون المحكمة قد اتّخذت قرارها بالفعل.

تنقّ المدّعية العامّة أنّنا كنّا معًا «سيباستيان» وأنا. وإنّه كان فتاي. وهي تعني أنّني أحببت «سيباستيان» حبًّا طغى على كلّ شيء في حياتي، وأنَّني أردت أن أفعل كلّ شيء من أجله، من أجل حبّنا.

تواصل «لينا بيرسون» الحديث عن كيفيّة إثبات أنَّها على حقّ. «سأنادي الشّهود التّالين...». موضوع الاستجواب...، كلمات ولغو...»موضوع الإثبات»...كلام يتبعه كلام.

تُؤدّي «فرديناند» دور المشفقة، وقد رمقتني من الجانب. توقّفي عن *التّحديق*. يغيّر «البانكيك» مكان موضع اضبارتين. *اجلسي هادئة*.

أتساءل لماذا هم هنا حقًا؟ إنّهم ليسوا إلّا أرقامًا لا معنى لها. «فرديناند»، حجّة غيابي المسكينة، ذات مرّة تجرّأت على أن أسألها عن رأيها في الدّفاع

عنّي، فتوتَّرت إلى درجة أنَّني ظننت أنّها ستتبوّل. كانت «فرصة فريدة من نوعها»، تلعثمتْ وقد كانت «تتشرّف بالثّقة» و«تأمل المساهمة بتجاربها».

ما أسخف هذا الكلام! تكره «فرديناند» كلَّ شيء يتعلّق بي وبمحاكمتي. ومن الواضح أنَّها لا تملك الخبرة الكافية لتكون محاميتي؛ لكنّها، مع ذلك، يمكنها الجلوس هنا في قاعة المحكمة. إنّها تكره كونها «تناسب» قضيّتي؛ لأنَّ ذلك يعني أنَّ عليها أن تفعل ما بوسعها لتبدو مثل الضاحية التي يسكنها مسلمون وتفيد في أن يستخدمها «ساندر» كإثبات غياب، على الرّغم من أنّها ولدت في «سوندسفال»، وعُمّدت في الكنيسة السّويديّة. ومن الواضح أنّها تفكّر، من دون أن تقول إنَّ الشَّيء الوحيد الَّذي تحبّه في هذه المحاكمة هو أنّنا سنخسر القضيّة.

وتواصل «لينا بيرسون»:

وفقًا لرأي الطّبّ الشّرعيّ، انظر التّذييل 19 و20، إنّ سبب وفاة «ستين» هو الطّلقتان اللَّتين أطلقتهما المتّهمة «ماريا نوربيرغ» من السّلاح 2. وبعد بضع ثوانٍ، أطلقت المتّهمة النّار مرّة أخرى من السّلاح 2. هذه الطّلقات الثّلاث، وفقًا لبيان الطّبيب الشّرعيّ، تسبّبت بوفاة «سيباستيان فاغرمان».

ونحن نقرّ بهذا الجزء من وصف الجريمة». وهذا يعني أنّه صحيح، لقد قتلتهم. لقد قتلت «أماندا». لقد قتلت «سيباستيان». ولم يكن هذا بدافع الحبّ، بل يمكننا القول ما أردنا حول هذا الأمر. إنّنا نريد ذلك، لقد فعلت ذلك على أيّ حال.

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الأول، الثّلاثاء

9

لم أراهن على ذلك قطّ، لكنَّ المدّعية العامّة «لينا بيرسون»، وعلى الرّغم من كلّ شيء، تمكّنت من طرح قضيّتها قبل الغداء. وبعد الغداء (هرعت «فرديناند» إلى تسخين الطّعام قبل تناوله)، حان الوقت لها للبدء في تقديم الأدلّة المكتوبة. كما أنَّ هناك مليارًا من محاضر التّشريح، ووثائق الشرّطة وملاحظاتها، وخرائط غريبة، والمزيد من البروتوكولات، ونتائج المختبر، والمقتطفات، والبيانات ممّا أستطيع تتبّعها كلّها، حيث إنَّه من الأسهل عدم الاستماع. تقرأ «لينا بيرسون» بصوت عالٍ، وترتجل، وصوتها نقيق، وقبل النّهاية أجشّ قليلًا. فينبغي لها أن تتنحنح، ولكنَّها لم تفعل ذلك.

الدّعوى نفسها لا يتجاوز عدد صفحاتها إحدى عشرة صفحة، ولكنَّ المدّعية العامّة تجادل كما لو كان ينبغي لها أن تكون أحد عشر ألف صفحة. والموادّ كلّها أيضًا بالحجم نفسه، على الأقلّ إذا كنت تعوّل على كلّ شيء في التّحقيق.

لم أتفوّه طوال النّهار كلّه بكلمة، ولكن لا يجوز لي مغادرة المكان، بل يجب أن أبقى جالسة وأتحمّل. وأحاول ألّا أستمع إلى القبيحة «لينا».

قرأت من رسائلنا النّصّيّة بصوتٍ عالٍ، وهي الّتي بعثتها إلى «آماندا»، و«سيباستيان» و«سمير»، والَّتي تلقَّيتها من هؤلاء الثّلاثة بالطّبع. وعرضت في

الوقت ذاته محادثاتنا عبر الرّسائل النّصّيّة على شاشة عرض كبيرة لكي يقرأها الجميع مباشرة. وهي تبدو راضية عن نجاحها إلى حدّ الجنون في نسق كلّ هذه الأمور. *التّربية*.

أتذكّر أنَّ «آماندا» أرتني رسالة كتبتها أمّها قبيل وفاتها، تضمّنت توجيهات حول كيفيّة التّعامل مع كفن جدّتها في التّابوت، وأيّ موسيقى يجب أن تُعزَف في الكنيسة. وقد كان هناك كورس متكوّن من أربعة أشخاص سيغنّون مقطعًا كلاسيكيًّا. وقد أخبرتنا «آماندا» أنَّ المشكلة هي أنَّ أوفى صديقة للجدّة قد ماتت، وقد غنّوا في مراسيم جنازتها الأغنية نفسها، فاضطرّت الجدّة إلى أن تأتي بأغنية أخرى؛ لأنَّها أرادت أغنية تتناغم مع أفكارها. وقد كان ينبغي للجدّة أن تموت حقًّا عندما غنّوا هذا المقطع. فصديقتها أيضًا ماتت فعلًا. ومع ذلك كان يهمّ جدّة «آماندا» ألّا تظهر كقردة تقلّد الآخرين.

هذا أمر غير مفهوم، أي أن نكون جميعنا أصليّين ومتميّزين حتّى في الموت. لا يجوز لك حقًّا أن تعزف يومًا فقط كأنّك تتسوّق في مخزن «أولاريد»، بل يجب أن يكون حفلًا خاصًّا عصيًّا على النّسيان. ولتجنّب خطر دخول الأبديّة يجب أن يرافقها شيء من التّفاهة؛ لذا ينبغي أن يغنّي أحد المساكين (دموع في الجنّة) بعزف قيثارة كلاسيكيّ. بالضّبط مثلما هو شائع في مراسيم الدّفن «الشّخصيّة» الأخرى. فالنّاس، مع كلّ هذا، عمليّون في الموت، لا متميّزون.

ماتت «أماندا» و«سيباستيان» وكلّ الآخرين. ولم أحضر مراسيم جنازة أيّ منهم. والحقيقة هي أنّني لم أحصل على إجازة، وهو ما شكّل أكبر عقبة بالطّبع لذلك. ولكنّني على الرّغم من ذلك أردت أن أعرف متى حدث كلّ ذلك وحكى عنه «ساندر». والشّيء الوحيد الّذي لم يستطع قول أيّ شيء عنه كان «سيباستيان»؛ لأنَّ ذلك رُتّب في السّرّ.

أتساءل إن كان «سيباستيان» أخبر أحدًا كيف يريد إقامة جنازته. لا أظنّ أنَّه فعل ذلك. فلم يتحدَّث سوى عن الموت. ولم يتحدّث قطّ عمّا سيأتي بعد ذلك. أمّا «أماندا»، فكان يمكن بالتّأكيد أن يكون لديها الكثير من الأفكار حول ما ينبغي أن يكون عليه وداعها. ولكن لماذا تخطّط لمثل هذا الشّيء؟

لا بدَّ من أنَّه كان تحدّيًا أن يرتّب مراسم تشييع «سيباستيان». ولم يتمكّنوا من إرسال بطاقات دعوة أو نشر إعلان في الجريدة.. *تُزال الزّهور لطفًا، فكّر بأطبّاء بلا حدود.*

ولكن لا بدَّ من أنَّهم فعلوا شيئًا، صحيح؟ بهدوء، في ذلك الحفل مع المقرّبين منه فقط، مهما كان ذلك؛ لأنّه لا أنا ولا والده تمكّنّا من المجيء. وأتساءل أيّ نوع من الموسيقى كانوا يعزفون. هل عزفوا إحدى الأغاني الَّتي يُفضّلها والد «سيباستيان»، والّتي استمع إليها أكثر من غيرها؟ *الواعظ يأخذ المدرسة. حطّم صبيّ واحد القاعدة. صبيّ سخيف أزرق، صبيّ سخيف أزرق. أتساءل كيف ألبسوه.* وكان الآخرون لهم «قميص (التّيشيرت) المفضّل لديهم»، على ما أظنّ؛ لأنَّه من المتوقّع أن يكون لدى «جميع» الشّباب الموتى قميص (تيشيرت) مفضّل.

أحسب أنَّهم ألبسوا «سيباستيان» بدلة كان على أحدهم أن يشتريها. لقد كانت مكلفة، بلون معتدل ومناسبة لحرق جثّة قاتل جماعي. وإذا جاز لي أن أخمّن، فقد كان لديهم دفن كنائسيّ، مع دفن مباشرة بعد ذلك، أو ربّما شقيق «سيباستيان» نثره في الرّيح، وبعضه في البحر السّرّيّ، كلّ ذلك لتجنّب وجود شاهدة قبر يمكن تخريبها، وينشر خبرها في الجريدة.

أتساءل عمّا إذا كانت والدة «سيباستيان» هناك، مطوّقة من العيادة اللّوحيّة في سويسرا أو العمل الخيريّ في أفريقيا، أو أينما كانت تقيم، في حين كان ابنها يرثى لحاله.

وأستطيع أن أراها أمامي: بنظّارات شمسيّة عريضة، وقد حلقت شعر جسمها بمسح الشّمع تحت تأثير أشعّة اللّيزر، فأصبحت بشرتها لامعة وشفّافة مثل قنديل البحر. ومع عود الصّليب البرتقاليّ الأحمر لغطاء التّابوت، ربّما! إنَّها لن تجلب الورد أبدًا، أبدًا لن تجلب الورد؛ فالورد في الجنازات بات مبتذلًا جدًّا، والنّظّارات الّتي تجعل الشّمطاوات يبدين أكثر بشاعة، تُعدّ أنيقة بشكل غريب.

عندما تعرض رئيسة الادّعاء «لينا بيرسون» صورًا من الفصل الدّراسيّ، أسمع والدي يتقلّب في مكانه، ولست بحاجة إلى رؤيته لأعرف أنَّه هو الّذي يواجه صعوبة في الجلوس ساكنًا. ولكن عندما تُشغّل لقطات المراقبة من ممرّ «سيباستيان»، اللّقطات الّتي يتمّ فيها إسكات القاعة، يبدو أنَّني أحبّ أن تكون الحقيبة ثقيلة (وكانت حقًّا ثقيلة). لقد وجدوها في خزانتي بعد ذلك.

وفقًا للخبراء فإن «لينا بيرسون» لا تقتبس؛ لأنَّ ذلك لا يناسب صورتها لدينا بوصفنا اثنين من الوحوش مع موارد غير محدودة.

لم أودّع «لينا» ذلك الصّباح عندما غادرت المنزل للمرّة الأخيرة؛ إذ كانت لا تزال نائمة، وربّما كانت نائمة نوم الصّباح. أتمنّى لو كنت قد ذهبت إليها ونظرت إليها على أيّ حال، أحبّ مشاهدة «لينا» عندما تنام (دائمًا على بطنها، مع القبضات المشدودة فوق الوسادة). لقد كنت أحاول أن أتذكّر آخر مرّة رأيتها فيها، ما تحدّثنا به، ما كانت ترتديه، كيف كانت تبدو، ولكن لا أستطيع أن أتذكّر ذلك.

لا بدَّ من أنَّ أبي أخذ ثلاثة أسابيع إجازة من العمل ليتمكّن من المشاركة في المحاكمة، وأتساءل عمّا إذا كان بإمكانه التّخلّي عن هاتفه المحمول عند نقطة التّفتيش الأمنيّة، وأتساءل عمّا تفعله «لينا» عندما يكونون هنا. هل

هي عند جدّي؟ أتساءل ماذا يقول جدّي عن هذا؟ هل يتحدّث إلى «لينا» حول المكان الّذي أحضر فيه؟ عندما كانت الجدّة على قيد الحياة، كانت هي والجدّ على علاقة، حيث أخبرنا الجدّ أشياء، وسألت الجدّة الكثير من أسئلة المتابعة للسّماح لجدّي بشرح ما كان عليه الأمر. ليس لأنّها أرادت أو احتاجت إلى معرفة المزيد لفهمه، ولكن لأنَّ جدّي كان يحبّ شرح الأشياء. وعندما ماتت الجدّة، بدا جدّي وكأنّه ضلَّ طريقه، ارتبك. ظللنا نطرح أسئلة غير ضروريّة، ولكنَّ الأمور لم ترجع إلى نصابها. وعندما ماتت جدَّتي، كبر جدّي في السّنّ، وبالفعل تغيّر موقفه في أثناء الجنازة. وإنّه في الوقت الحاضر بات رجلًا عجوزًا (بعيون وركبتين تنزّ الماء). وإنّه لا يمشي مسافات طويلة مع كلاب مربوطة بشكل فضفاض مشيرًا بيده إلى النّباتات الّتي من المتوقّع أن تكون محدّدة الأنواع. لا أعلم إن كان جدّي يستطيع الإجابة عن أسئلة عنّي. لا أعلم إن كانت «لينا» تجرؤ على السّؤال.

لقد اشتقت إلى «لينا» أكثر من أيّ شيء آخر. وأحلم بأنّها تضع يدها الصّغيرة، الخفيفة كورقة البتولا، على ذراعي، تنظر إليَّ وتتساءل لماذا؟ *لا أعلم*، أريد أن أقول. ولكن لا يوجد سؤال يمكن «لينا» أن تسأله لأجيب عنه. ولا أريد رؤيتها مجدّدًا.

عندما تتحدّث «لينا بيرسون» ـ ادعوني لينا فحسب ـ ، أشعر بتشنّجات نتيجة إبقاء رأسي قائمًا. وعندما تذكر ما كتبناه بعضنا إلى بعضٍ أنا و«سيباستيان»، في تلك اللّيلة الّتي بدت كما لو أن الحرب الذّرّيّة توقّفت فيها للتّوّ، أريد أن أصرخ بأعلى صوتي.

نعم! أسمع ما تقوله، أيّتها العاهرة. اخرسي!

مكتبة
t.me/soramnqraa

وها هي الآن تقرأ مباشرة مرّة أخرى.

«تعلن المدّعية العامّة مسؤوليّة المتّهمة عن الجريمة على النّحو الآتي...» ثمّ تبدأ بحشرجة: «التّحريض على القتل...» كلام وكلمات زائدة...» مع جريمة القتل غير العمد البديلة، أو التّسبّب بوفاة شخص آخر...؛ (بلابلا) (بلابلا)، إنّها تقذف كلّ شيء سأعاقب عليه في خمس عشرة دقيقة على الأقلّ، هذا ما أشعر به. أظنّ أنَّ جنازة «سيباستيان» لم تكن عادية. وعزفت في جنازة «أماندا» أغنية دموع تغرقنا في السّماء.

السّجن، الأيّام الأولى

10

المرّة الأولى الّتي قابلت فيها «ساندر» كانت بعد ساعة تقريبًا من التّسجيل في السّجن. فاضطررت إلى انتظاره في غرفة الزّيارة لبضع دقائق قبل أن يدخل. جلست على كرسيّ من كراسي البالغين وحدّقت بزاوية اللّعب. كان هناك طاولة مصغّرة وعربة دمية مكسورة، وأكواب القهوة البلاستيكيّة وبعض الكتب المتهالكة، من نوع *لوتا في شارع المشاغبين* ولهّاية ماكس. ولم تأتِ «لينا» لزيارتي قطّ. لقد تخلّصت من ألعاب السّجن.

في كل مرّة أقابل فيها «ساندر»، نتصافح مثلما كان الأمر في المرّة الأولى. في ذلك اليوم الأوّل شعرت أنّه ضيفي، لكنّني لم أكن أعرف ما أقدّمه له. فسكبت كوب ماء وأعطيته، ارتعشت يداي، ولكنّني لم أدلق شيئًا من الماء.

في المرّة الأولى الّتي رأيته فيها تحدّث أكثر من غيره وسأل: «كيف تعاملت مع التّهم؟». لكنّني لم أكن أعرف ما هذه التّهم. ذكرتها الشّرطة، لكنّني حينها لم أستطع أن أتذكّر، إذا كانوا قد قالوا بشكل صحيح.

«لقد أُبلِغت باشتراكك في...»، وبدا متفاجئًا عندما أدرك كم كنت مشوّشة. فحاولت أن أشرح، غير أنّ الأمور التبست عليّ.

أومأ «ساندر» إليّ طالبًا منّي أن أحاول أخذ الأمور على مراحل؛ لأنّ كلّ شيء سيصبح واضحًا «خلال النّهار» أو ربّما ينبغي لنا، «في حين»، أن نبدأ بالاستماع إلى ما تقوله الشّرطة.

وأوضح قائلًا وبصوت طبيعيّ تمامًا: «أنت مشتبه بك لأسباب معقولة في أنّكِ ارتكبتِ جرائم من ضمنها القتل». ثم أضاف وبصوت طبيعيّ، «ولكن من المرجّح أن تثار هذه الشّكوك خلال هذا اليوم». كما لو أنّ هذا سيجعلني أفهم كلّ شيء فهمًا أفضل.

وبالضَّبط قبل أن يغادر، سلّمني حقيبة من الملابس، ملابسي الخاصّة. لا بدَّ من أنّه أخذها أو تسلَّمها من أمّي. وجرى ذلك عمليًّا بطريقة لم أكن أتوقّعها. ولم أبدأ بالبكاء حتّى غادر المكان.

كانت هناك صينيّة من الطّعام البارد في انتظاري عندما عدت إلى غرفتي. وضعت الحقيبة على أرضيّة زنزانتي، ولم آكل شيئًا. وعندما بادر أحدهم إلى تسخين الأكل الموجود في الطّبق، رفضت، فاستلقيت على ظهري في سريري، وأخذت أحدّق مباشرة بالسّقف لعدد غير واضح من أنصاف السّاعة (فحصوني مرّة كلّ نصف ساعة؛ لأنّهم ما زالوا يضعون في الحسبان أنّني سأقتل نفسي)، ثمّ جاؤوا وقالوا لي سيجري استجوابي. وقد عادت (بيرمانينتن) من مهمّات عمل النّقل والمستشفى، وأحضرت معها زميلة شرطيّة جديدة. وكان «ساندر» هناك بالطّبع، وكان قد عاد هو أيضًا. والآن كان معه «فرديناند». قدّمت نفسها بيديها المتعرّقتين وشفاهها اليابسة وكان اسمها «إيفين»، من دون لقب. وكانت (البيرمانينتن) قد ارتدت ملابس جديدة. وتبدو حتّى هذه الملابس قد غُسِلَت في درجة حرارة خاطئة. كانوا ينتظرونني في غرفة استجواب خاصّة.

قرأت محاضر كل الاستجوابات، على الرّغم من أنّني لا أحتاج إليها كثيرًا؛ لأنَّني أتذكّرها بالتّفصيل. كلّ تلك الأيّام والأشهر عندما شعرت بأنّني كنت مجرّد إيماءات وهزّ الرّأس، لم أكن أفهم أيّ شيء حينها، ولكنّني أتذكّر كلّ شيء الآن.

كانت غرفة الاستجواب في مركز احتجاز الشّباب واقعة في المنزل نفسه الّذي كانت فيه «غرفتي»، وفي الطّابق نفسه. وهي غرفة بنوافذ تجمّد زجاجها. فلا يمكن تمييز هذه الأشياء من الخارج؛ فثمّة ضباب من الألوان أو الظّلال من دون اسم. ظلال مختلفة من مساء تشرين الثّاني/ نوفمبر السّويديّ! أو ليله! لكنّنا كنّا نقترب من حزيران/ يونيو. *لماذا لا يمكن رؤية الشّمس؟* أتذكّر أنّني فكّرت بذلك. *هل يمكنك حقًّا استجواب شخص ما في منتصف اللّيل؟ سألت* كم كان الوقت؟

«هل تشعرين بالجوع؟». سألتني ضابطة الشّرطة زميلة (البيرمانينتن). *إنّهم يتكلّمون حول الطّعام باستمرار، كلي، كلي، كلي، يجب أن يتكوّن عملاء السّويد الجنائيّون الجماعيّون من النّهمين.* هززت رأسي.

كانت السّاعة الخامسة صباحًا، حسب تقديرات ضابطة الشّرطة. *الخامسة صباحًا؟* كنت أتساءل، لكنّني لم أسأل. وفي كلتا الحالتين، ينبغي أن يكون الخارج مضيئًا. ماذا لو كنّا لا نزال في موسم الصّيف؟

ستحضر لي وجبة العشاء عندما ننتهي. مساء، بالطّبع. لم أشعر بالجوع ولم أتصوّر أنّني سأتمكّن من تناول الطّعام مجدّدًا.

كان عليَّ أن أجلس على أريكة. وقد جلس «ساندر» وزميل لـ«فرديناند» على الكراسي العاديّة الموضوعة حول طاولة عاديّة. لم يكن ضابط الشّرطة هذا يرتدي زيًّا رسميًّا، بل شيئًا يشبه البيجاما، ربّما كان سروالًا غير مكويّ. قدَّم نفسه فنسيت اسمه على الفور. هل كان في المستشفى في اليوم السّابق؟ لم أذكر. لكن ألا يجب أن أتذكّره؟ من الواضح أنّه لم يمشّط شعره منذ أن استيقظ قبل أسبوع وكان عليه، على الأقلّ نظريًّا، ألّا ينسى ذلك. وقد انطبع تنحنحه محفورًا في قشرة الدّماغ لكلٍّ من أجبر على ذكر اسمه مرّة أخرى. ما زلت لم أفهم ذلك. لا يهمّ، كما ظننت، وأومأت.

أخبرتنا (البيرمانينتن) أنَّ الاستجواب يُصوَّر. وأشارت إلى كاميرا واحدة فوق الباب وأخرى مقابلة. بدت أكثر لياقة من زميلها، ويبدو أنّها، على الرّغم من سروالها الجينز الّذي يلبسه عادة عمّال محطّات البنزين، أحد مسؤولي التّحقيق. بينما أومأت إليها أيضًا، عثرت على قذارة المناخير ملتصقة بين حافّة مقعدي والوسادة، ولم يعد من المفيد الجلوس عليه بشكل طبيعيّ، ولم أستطع أن أفهم لماذا أرادوا منّي أن أضطجع نصف اضطجاع، لم أكن أريد أن أجلس، كانت لديَّ صعوبة في التّنفّس، ولكن لم تكن لي معرفة بكيفيّة شرح ذلك على أيّ حال. وشعرت بأنَّني حصلت على الذّقن المزدوجة، وجلست مرّة أخرى، وكان عليَّ أن أجلس بالعرض في الكرسيّ حتّى لا أنهار.

قالت (البيرمانينتن): ـ الإسم على الأغلب «مايا». إنَّه على نمط بائعات الهواتف.

«مرحبا، مايا. هل غيّرت الموقف من قضيّة الإدانة، مايا؟ لا؟ مايا؟».

حاولت أحيانًا أن تبدو متعاطفة؛ إذ استخدمت قومي ـ باستعراض ـ الدّمية ـ أين ـ أخذك ـ الصّوت.

«مايا، هل يمكن أن تقولي لي.. توضّحي كيف انتهيتِ إلى هنا، مايا؟ لماذا برأيك، أنت هنا، مايا؟ أرجو أن تفهمي، مايا، أنّنا يجب...».

وبعد ذلك سمعنا صدى بائعة الهواتف».

«كيف حالك، مايا؟ هل تحبّين أن تشربي شيئًا، مايا؟ هل تحسبين أنَّه يمكننا أن نبدأ الآن، مايا؟ هل تحسبين أنَّك تستطيعين.... مايا... مايا؟».

أومأت برأسي عدّة مرّات. وعندما رأيتها مرتبكة أومأت أنا بدلًا منها إلى أن أخذت بالتّحدّث مرّة أخرى. أبرزت ورقة بيضاء وقلم رصاص خشنًا. لم أفهم هذا إطلاقًا. ماذا كان يعني أن أستخدمها؟ أن أدوّن أجوبتي. هل كانت تظنّني خرساء بليدة؟

وعندما لم أفعل شيئًا! أخذت ترسم على ورقة. رسم تخطيطيّ. مستطيل كبير أوّلًا، الصّفّ، وبعد ذلك مستطيلات صغيرة فيه، وطاولة المدرّس، والمقاعد. وحدّدت النّوافذ والأبواب في الممرّ. وكانت توجّه أسئلة خلال هذا الوقت. لكنَّها بعد قليل تركت الأسئلة المتعلّقة بالصّفّ. وحاولت في جولة أو جولتين أن تدفعني إلى التّحدّث عمّا فعلته من قبل؟ *ماذا تريدين للفطور، مايا؟ كيف وصلتِ إلى المدرسة، مايا؟*

هل وصّلتني أمي؟ المسألة الرّئيسة: «هل وصلت إلى المدرسة بالحافلة؟». شيء رئيس. هل ذهبت برفقة «سيباستيان» في السّيّارة؟ لا. هذه الأسئلة كانت نوعًا من الإحماء، كما أظنّ. تكلّمي على أمور أخرى. مارسي رياضة اليوغا. مرّني عضلاتكِ.

تركت (البيرمانينتن) هذه الأسئلة بعد قليل.

وفجأة سألتني: «هل كان «سياستيان فتّاكًا؟»، ولم يبدُ هذا السّؤال سؤالًا ولم أكن مستعدّة له. لا أدري لماذا؟ ولكنّني لم أظنّ أنّها ستسألني هذا السّؤال. لقد شعرت بتفاهته. هل كانت ستعرض صور القتلى مثلما يفعلون في المسلسلات التّلفزيونيّة؟ لقد علمت أنّها ستأخذ بنشر صور الجثث وأوراق اللّعب على المنضدة. ورسم رسمها التّخطيطيّ وتحديد معالم أجسامهم وحوافّها. «آماندا» و«سمير» و«سيباستيان» و«كرسيتر» و«دينيس».

أغمضتُ عيني، وإذا به هناك، بالعيون الّتي اخترقتني مباشرة. ولن أنسى يديه مثلما لن أنسى جلدي. جسده، كلّ ما يتعلَّق به، كلّ تلك الخشونة وتلك اللّيونة، الثّابت والحادّ، رائحته، كيف كنت أشعر به عندما دخل فيّ، وهو عليّ بكلّ وزنه؟! والأهمّ من ذلك كلّه، هذا كلّ شيء. بقيت جثّته على جثّتي إلى أن أخذوني من الفصل. أبعدوه عني. حملوا جثّته بعيدًا.

وقد أجبرني «سباستيان» على أن أفكّر. وإنّها تريدني أن أتحدّث عن «سباستيان»، وليس سواه.

ابقي عينك الكهربائيّة عليّ يا عزيزتي، وجّهي مسدسك الشّعاعيّ تجاه رأسي، اضغطي وجهكِ الفضائيّ على وجهي، حبيبتي!

لم يكن ثمّة كلام، بل عويل في رأسي، فوضعت يدي عليه حتّى لا ينكسر.

استمع «سيباستيان» دائمًا إلى موسيقى والده المفضّلة طوال الوقت وباستمرار، وعندما تبادلنا القبلات للمرّة الأولى (ليس في رياض الأطفال، ولكن عندما قبّلني قبلة حقيقيّة للمرّة الأولى)، إذ دعاني «ماري جين» الحلوة. لم أكن أعرفها حينها، ولكنّها كانت أيضًا من إحدى أغاني والده المفضّلة. كنت قد ركبت دراجة فيسبا النّاريّة وارتديت الخوذة مباشرة. قالها وسلّمني المفصل الّذي كان في فمه. حرّك شفته السّفلى وألقى نظرة خاطفة خلال النّافذة، لم أكن أفهم كيف تجرّأ.

لا، شكرًا. فقبّلني حينذاك، انحنى إلى الأمام، باعد ما بين بين شفتيّ بلسانه. وعندما انسحب وضع هذا في فمي المفتوح إلى النّصف. همس «مايا»، سحب نفسًا من السّيجارة، من دون أن يسعل. تركني أسحب ثلاث أنفاس من السّيجارة قبل أن يقبّلني مرّة أخرى. قبّلني «سباستيان»، وكنت أدخّن القنّب على بعد مترين من أمّي وأبي.

كان يمكنني أن أومئ. «إمممم.» كان فتاي. أو أن أهزّ رأسي. «انتهى.» ولكن لم تكن هذه مفهومة.

وبينما اعتاد أن يضع سماعاته في أذني لأستمع إلى أغاني والده المفضّلة، كان يقبلنّي ويمسّد بيده بشرتي. احتضنني. لم يبتغِ أن يتركني. لم يفكّ قبضته منّي، لم يسمح لي بالذّهاب، رفض.

إن كان فتاي؟ سؤال لا يستحقّ أيّ جواب.

همست، «قلت له إنّني لم أعد أتحمّل». ولا أدري إن سمعتني. «يجب وضع حدّ لهذا».

بالطّبع، هل كنت قد قلت هذا، عندما كنّا في نزهتنا الأخيرة أو فكرت في ذلك فحسب؟ هل تحمل شفرة الحلاقة في حالة الاكتئاب فقط؟

لا أتذكّر أنَّ (البيرمانينتن) كانت تنظر إليّ، لكنّني أتذكّر أنّ صوتها قد هزّني.

«أقول»، بدأتْ. «يجب أن تفهمي أنَّه قبل أن يتّخذ المرء هذه الإجراءات الّتي اتّخذناها بحقك... إنّك بلغت الثّامنة عشرة للتّوّ، أليس كذلك؟».

أومأت برأسي، على الرّغم من عدم الحاجة إلى ذلك. ومن الواضح أنّها كانت تعرف كم عمري.

«نعم، إنّه لأمر غير مألوف أن يسجن الشّباب، وتفرض عليهم قيود كاملة، ويعزلوا بهذا الشّكل الّذي عملناه معك.. وأنت تعلمين أنَّ هذا يعني أنَّه عندما يحدث هذا تكون هناك أمور أخرى يجب تناولها، ليست خاصّة بك فقط أو بعلاقتك بشابّ فعل شيئًا ما... بـ«سباستيان»... فهناك المزيد من الأشياء».

أومأت برأسي. وعدّل «ساندر» وضعيّة ظهره.

تساءل: بِمَ يتعلّق هذا؟

«عندما نُنهي معالجة الموضوع الّذي بين أيدينا الآن سوف نواصل دراسته بعمق، وبالتّفصيل». ولكن لدينا المزيد، وأرجو منك الآن حقًّا أن تروي لنا كلّ شيء مرّة واحدة، وهذا لأجلك؛ لأنَّني أظنّ أنَّ بإمكانك إخبارنا بالمزيد عن هذا، أكثر ممّا ترويته لنا الآن».

أومأت برأسي تلقائيا، ندمت فهززت رأسي مرّة أخرى. وكان «ساندر» جالسًا ومتوتّرًا على أشدّه.

«وعلينا أن نوجه إليك اتّهامًا آخر».

وشعرت فجأة بأنَّ كلّ كلمة أهمّ من سابقتها، قبل أن تتفوّه بها بالفعل.

«المسألة تتعلّق بما حدث قبل أن تذهبا إلى المدرسة أنت وسباستيان. وما يتعلّق بوالد سباستيان». وعندما لم أقل شيئًا واصلت: «هل تظنّين أنّك تحتاجين إلى التّحدّث إلى المحامي لدقائق؟ يمكننا أن نأخذ وقتًا للاستراحة هنا».

أومأت برأسي.

«هل تريدين التّحدّث إلى محاميك لحظات، مايا؟».

«لا»، أجبتها. لا. لماذا أحتاج إلى هذا؟

وتكلّمت عمّا كان «سباستيان» قد فعله قبل ساعة، قبل أن أجيء إليه من أجل الذّهاب إلى المدرسة. تحدّثت، سألت. وكان فمها يتحرّك. سألت المزيد والمزيد من الأسئلة.

لكنّني لم أقل شيئًا. وكنت أفتح فمي فحسب. وحينذاك انطلق الصّراخ. لا شيء آخر غير الصّراخ. لم أستطع التّوقّف.

11

صرخت حتّى جرحت حنجرتي وتوقّف جسدي عن العمل. ثمَّ غفوت أخيرًا بعد 32 ساعة من خروجي من الفصل الدّراسيّ. فكلّ ما كنت أحتاج إليه هو انهيار هستيريّ، وطبيب يرتدي بدلة، وحقنة في ذراعي. لكنَّ النّوم لم يكن طويلًا؛ فعندما استيقظت، كانت مقاطع من الموسيقى ترنّ في رأسي، وكلمات لم أتذكّر مصدرها.

هذا ليس هو المكان نفسه! أين أخذوني؟! ولم أكن في «غرفتي»، بل كنت في عزلة. وأنا لم يسبق لي أن رأيت زنزانة انفراديّة من قبل، ولكن من دون شكّ كنت في زنزانة انفراديّة. ويطلق على هذا حراسة دقيقة. ولم تكن هناك حتّى نوافذ، أمّا الفراش فمجرّد فراش مطاطيّ ملتصق بالأرض مباشرة بجوار فتحة بالوعة بحجم غطاء المرحاض. لقد ظنّوا أنّني سأتقيّأ. وقد غطّت مرآة مضبّبة الجانب الطويل الآخر بأكمله.

وتجنّبت أن أنظر إلى هذا الجانب من المرآة؛ لأنّني فهمت أنهم جالسون إلى الخلف هناك، ويُراقبونني، كأنّني سمكة في الحوض. وبدلًا من ذلك، حدّقْتُ بالسَّقف مباشرة. كنت في انتظار أن ينهار أو يرتخي مثل اللّبن الرّائب، ينشقّ، يتصدّع مثل جرح، وأن تمتدّ يد من هناك عبر الفتحة، وتسحبني من هناك إلى خارج الزّنزانة. ولكن من المستحيل لأمّي وأبي أن يصلا إلى مثل هذه الفكرة؛ إذ كانا يخافان منّي الآن، وقد لاحظت ذلك بأم عيني في المستشفى، فقد كانا خائفين خوفًا شديدًا. فابنتهما كانت قاتلة، وتستحقّ هذا،

وكان ينبغي لها أن تكون قد ماتت، فلماذا لم تمت؟! *هل يعيش أبي وأمّي؟* فهمت الآن لماذا تصرّفت الشّرطة بهذا الشّكل الغريب عندما سألت.

أنا في الواقع شخص يبكي في السّينما للإعلان مع الأطفال الرّضّع، أو عندما يغنّي شخص ما غناءً رائعًا إلى درجة أنَّ الجميع في لجنة تحكيم المواهب مندهشون تمامًا، ويقفون يصفّقون ويقولون، الآن! الآن تبدأ حياتك الجديدة! أبكي عندما يكون شخص ما طيّبًا على الرّغم من عدم الحاجة إليه، وأبكي عندما أغضب ولا أستطيع تفسير السّبب. نهاية غير سعيدة في أفلام السّينما؟ أبكي. نهايات سعيدة؟ أبكي. أنا من هذه النوعية، لكن لم أبكِ الآن. لم يكن هناك شيء للبكاء من أجله، لا شيء للقيام بذلك. النّهاية التّعيسة لا تكون حزينة إلّا إذا كان هناك بديل، وإذا شعرت بأنّها غير عادلة. وليس إذا لم يكن ثمَّة مفرّ منها. إذًا، لا جدوى من ذلك.

لم أحسب أنّني سأغفو مرّة أخرى. ظننت أنّني سأبقى مستلقية في فراشي منتظرة الأبديّة. سمكة الحوض جرفت على اليابسة. فجأة شعرت بالعرق الّذي بلّل الشّعر بين السّاقين. كنت أشعر بالبرد الشّديد وراحتَا يدَيَّ تؤلماني من البرد. لم تكن هناك بطّانيّة والقشعريرة سرت في بدني أكثر وأكثر. شعرت بالحكة في جلدي وكذلك فروة شعري، وراحتي يدَيَّ.

نظرت إلى مرآة الجدار، فعلمت أنَّ هناك أناسًا منتشرين في كلّ مكان. شعرت بهم يتحرّكون خلفي، من حولي، ينظرون إليَّ من دون أن أرى. وحول طاسة زجاجيّة حيث سبحْتُ طافيةً وبطني إلى الأعلى. وقد تحدَّثنا في درس العلوم عن فنّان دنماركيّ مجنون عرض سمكة ذهبيَّة في متحف. عشر سمكات ذهبيّة، كلّ واحدة منها في خلّاط، وإذا رغب الزّوّار أمكنهم ضغط الزّرّ لتشغيل الخلّاط. (دزز)! فعصير السَّمك الذَّهبيّ يجهز في ثانية

واحدة. هل كنت مراقبة من الكاميرا؟ نعم، بالطَّبع. هل كان عليهم إخباري إن كانوا ينظرون إليَّ؟ لا. لم يكن عليهم أن يسألوني قبل أن يخلعوا ملابسي، ويلصقوا الإبر في داخلي، ويُعطوني دواء لم أطلبه. لم أغمض عينيَّ، فقد كان النّاس حولي من دون رؤيتي إيّاهم، كانوا يفتحون الباب في بعض الأحيان. وفي كثير من الأحيان، بين الحين والآخر، كنت أنساهم ثمَّ أتذكّرهم، وأحيانًا كان يأتي شخص ما فيلمسني ويده عالقة على جلدي.

أرادت الشّرطة أن أروي ما حدث من البداية. وبعده، أخبروني أنَّ «كلايس» قد رُمِيَ، وأنَّ «سيباستيان» هو من قتله أوَّلًا. وعندما جئت إلى «سيباستيان» في الصَّباح كان «كلايس فاجرمان» ميتًا في المطبخ.

«ماذا كان رأيك في كلايس، مايا؟»

«ماذا فعل لك، مايا؟»

«ما كان رأيك في ذلك، مايا؟ وماذا كان موقفك عندما فعل كلايس ذلك، مايا؟»

«هل يمكن أن تخبرينا ماذا قلت لسيباستيان حول أبيه، مايا؟»

«هل يمكننا أن نتكلّم عما كتبته لسيباستيان عندما ذهبتِ إلى البيت؟»

قالوا إنّ «سيباستيان» وأنا قد قررنا أنَّ أباه يجب أن يموت، وأنَّ الآخرين وجب أن يموتوا أيضًا.

«لماذا كان يجب أن يموتوا، مايا؟»

قالوا إنَّ «سيباستيان» وأنا كنّا قد قرّرنا أن نموت معًا، وأن تكون تلك نهايتنا، لكنَّني لم أجرؤ على ذلك. قالوا إنَّه من الطَّبيعي أن تخشي الموت.

«هل خفتِ عندما فهمتِ ماذا يعني هذا؟ متى رأيتِ أنَّ كلَّ شيء يجب أن ينتهي، مايا؟»

لم أكن أعلم حتّى ما البداية. والآن أنا هنا، في زنزانة حيث تستطيع أن تنظر إليّ، من غير أن أستطيع أن أرى ما في الخارج. ولا يزال هذا الأمر قائمًا.

في بداية كلّ هذا، إن كان بالإمكان تسميته بالبدايةَ، اعتاد «سيباستيان» وأنا أن نكون في المسبح حيث لم يكن مشغولًا قطّ، وكانت مكبرات الصَّوت منتشرة في كلّ حدب وصوب، في السّقف، على الأرض، وفي كلّ زاوية، فكان الصّوت أفضل ما يمكن أن يكون في مبنى المسبح، وكانت الموسيقى تطغى على الطّنين المنخفض لماكينات المسبح. وكلّ الكلمات، والألحان المعروفة، أغانيه، أغانيَّ، أغانينا جميعها طغت علينا، وأحاطتنا من كل حدب، طوّقتنا وربطتنا.

وتساءلت: بمَ حقنوني؛ لأنَّني شعرت بأنَّني التهبت وبأنَّ رأسي يئزّ، كما لو أنّني شغَّلت محطّة إذاعيّة، واستمعت خمس ثوانٍ لكلّ قناة، ومن ثمّ انتقلت دوريًّا إلى كلّ قناة مرّة أخرى. كانت الطّقطقة بين التّردّدات صوتًا حقيقيًا عندما تتحوّل إلى قناة ما. ضوضاء. صوت. ضوضاء. صوت.

كان «كلايس» يحتقر المدمنين، كما قال هو. وكان هذا أحد الأسباب الَّتي جعلته يكره «سيباستيان».

وبينما كنت أمسّد جدار الزّنزانة الحُبَيبي بإحدى يديّ (لم يكن كَلَبَنٍ رائبٍ)، ظننت أنَّ هذا كان منذ مدَّة أطول. لا بدَّ من أنَّه كان أبديًّا أو للحظته فقط؟ حسنًا، كنت قد تناولت شيئًا ما في اللّيلة السّابقة؛ فعندما حدث كلّ شيء، كنت دائخة وخائفة ومتوتّرة بدرجةٍ عاليةٍ.

كان «كلايس» مقزّزًا، أكرهه، كان مقرفًا بالنّسبة إليَّ، كان حقيرًا مع «سيباستيان». واضطرّ أحدهم إلى أن يخبر «سيباستيان» أنَّ هناك خطأً ما بوالده، *أنَّه كان مريضا عقليا*، لهذا قلت ما قلته لـ«سيباستيان»، *ولهذا فعل ما فعل*.

عندما جلست على الفراش، لاحظت أنّني حافية القدمين. كانت الأرض إلى حدّ ما باردة عند باطن قدمي. وقد استبدلوا في التّسجيل نعال المستشفى، وأعطوني زوجًا من الأشياء الأخرى الشّبيهة بالصّنادل من دون أربطة. لكنَّها الآن اختفت. وكانت تتدلّى أحذية رياضيّة معقودة فوق خطّ الكهرباء عند دوّار «فينديفاغ» في ڤيلّا منظّمة التَّحرير الفلسطينيَّة. وفي مكان ما كنت قد سمعت أنّها تقع في نيويورك، إذا رأيت الأحذية معلَّقة على عمود إنارة، فهذا يعني أنَّه يمكن أن تشتري الهيروين هناك. في «يورسهولم» يكاد عليك أن تكون في الشّارع وتتجمَّد للحصول على المخدّرات. وكان لدى أمّي وأبي مفاصل جاهزة في صندوق سيجار في المكتبة حيث كانت محفوظة في خزانة، قديمة وجافّة جدًّا إلى درجة أنَّني شككت في أن تكون صالحة للتّدخين، ولكن بالنّسبة إليهما كان يدغدغ بما فيه الكفاية لمعرفة أنَّ لديهما هذا الشّيء في المنزل. *فقط إذا كانت الحالة*. كما لو كانا من النّوع الَّذي يطيب لهم نوع المناسبة الَّتي جعلتها واقعيَّة. *في حالة* «والآن نحن نقود السّيارة *ولماذا لا؟*» أتساءل إن كان عناصر الشّرطة قد وجدوا مخزنهما عندما فتّشوا منزلنا أو إذا كان لدى أمّي الوقت لرميه بعيدًا. ربّما قالا إنّها لي؟ كان من الأفضل أن أدخّن فضلات الأرانب على استخدام مخبأ أمّي وأبي المثير للشّفقة.

استلقيت على الأرض، ورأسي فوق فوّهة البالوعة الأرضيّة مباشرة. لقد مرّ وقت طويل على ما عليه أنا من تيهٍ. وحقًّا كنت بهذه الهيئة على أيّ حالٍ تقريبًا. وكان أحد الأسباب الَّتي جعلت «سيباستيان» غاضبًا منّي طوال الوقت. بلى، قلت لا؟ وقلت توقّف؟ أليس كذلك؟

شعرت بالدوار والغثيان.

وكان هناك رجل يتّصل به «سيباستيان» «لطلب سيّارة أجرة»، أو «البيتزا»،

أو «تنظيف حمّام السّباحة» حسب الحالة. ولم يكن من الصّعب فهم الرّموز. «قطعتين من القشرة الإيطاليّة مع جبنة إضافيّة. حلقات البصل. وزجاجة فانتا. نحن أربعة أشخاص». أكثر.

وعندما تعلق الأمر بالمخدرات، كان دينيس غنيا بالاكتشافات.

هل يجب أن أخبرهم بذلك؟ هل تريد الشّرطة أن تعرف كيف حصل «سيباستيان» على مخدّراته؟

هل يجب أن أقول إنَّه كان بسبب المخدّر؟ سيظنّون أنّه بسبب المخدّر. هل من المفيد لو كان بسببه؟ هل يريدني «ساندر» أن أقول ذلك؟ أن أتحدّث عن الحفلات؟ لقد كانت حفلات «سيباستيان» رائعة. وهو كان أسطوريًّا. وقد ترك الآخرون طموحاتهم تنتهي في نبيذ آبائهم السّنويّ وكوكتيل بليني في دوم بيرغنون، وظنّوا أنّ ذلك كان كافيًا لدفع حفنة من الفتيات في الصّفّ التّاسع إلى خدمة مرتديات البيكيني في عشاء الرّجال هذا العام. من دون «سيباستيان» الذي استأجر مكبّرات صوتٍ، «دي جي» المهنيّة الخاصّة بالزّوارق، وشركات السّيرك، وطهاة التّلفاز، والألعاب النّاريّة، وخباز البيتزا من نابولي، واستقدم مرّة يوتيوبر من نيويورك ليحتفل معنا. وكان اليوتيوبر ثملًا جدًّا إلى درجة أنَّنا لم نفهم ما كان يقول، لكنَّه ضاجع إحدى زميلات «أماندا» في الإسطبل، وبعد أسبوعين من نشره مقطع The _ Party _ with -Swedes، حقَّق أكثر من مليوني مشاهدة.

لم تكن هناك حدود لدى «سيباستيان». كان الجميع يحبّ حفلاته. الجميع أحبّه واحتفى بكلّ ما يتعلّق به، في البداية على الأقلّ. الجميع أراد أن يكون معه، ولكنّني كنت الشَّخص الأقرب إليه. وأراد «سيباستيان» أن يكون معي أكثر من أيّ شخص آخر. *لا يمكنه الاستغناء عنك يا (مايا).*

غادرنا أنا و«سيباستيان» العشاء قبل أن يُنهي الجميعُ تناولَ الطعام، وبينما غادرنا حلبة الرّقص كان الآخرون لا يزالون يرقصون، فنزلنا إلى مبنى المسبح، وأقفلنا الباب من الدّاخل وتركنا الآخرين يحتفلون في الخارج. وعندما أردناهم أن يغادروا، أطفأنا الكهرباء. وعندما توقَّف تشغيل الموسيقى، اختفوا معظمهم، على الأقلّ. لقد بقينا كلانا مستلقيين عاريين على أرضيّة المسبح نستمع إلى هسهسة السّخّان الَّذي لم يتوقَّف عن الشّغل أبدًا؛ إذ كان متّصلًا بمصدر طاقة خاصّ.

كان اختيار «سيباستيان» إيّايَ غير مفهوم، لم أفهم أبدًا لماذا؟ كان يجب أن يكون لديه شخص أجمل، أكثر اختلافًا. ولكن عندما اختارني، أصبحْتُ كلَّ شيء بالنّسبة إليه، وأصبحت فريدة من نوعها لديه. أمّي وأبي ما كادا يعرفان كيف يتصرّفان، لقد كانا سعيدين جدًّا. «سيباستيان»! لم يصدّقا ذلك أبدًا.

في البداية، كانا سعيدين حقًّا لـ«سيباستيان». هل تريدني أن أخبرك؟ هل تريد الشّرطة أن تعرف كم أحبّ الجميع «سيباستيان»؟ وكم أحبَّني «سيباستيان»؟ لقد أحبَّني حتّى عندما خذلته، واختارني مجدَّدًا لأنَّه أحبَّني أكثر من أيّ شخص آخر. وكنت أنا أحبّ «سيباستيان».

ولكنّني كرهت والده. كرهت «كلايس فاجرمان». وكنت أودّ لو أنَّه مات.

12

بقيت تحت الحراسة المشدَّدة طوال اللّيل. وبعد مرور مدّة (ساعة؟ أو ساعتين؟)، وفمي يكاد يلتصق بفوّهة البالوعة، جلست ثانية على الفراش. هل نمت؟ هل صرخت؟ كم من الوقت استغرقت قبل أن أستيقظ مجدّدًا؟ لا أعرف، لكن شعرت بأنَّ حالة رأسي غريبة، فباتت الجدران أقسى. انكمشتُ. همستُ باسمه.

كان طعمه في البداية حلوًا، ولكنَّه بعد ذلك أخذ يذوب كما يذوب سكّر الفانيليا على اللّسان، التصق بسقف الفم وملأ الحلق مرارةً، وتحوّل إلى قيء بعيدًا عن فوّهة البالوعة. وقد جاء أحدهم وغسل القيء وأعطاني كوب ماء، ثمَّ مسح فمي، وخرج.

وعندما سمح لي بالخروج، وأصبحت مستقرّة ما يكفي للعودة إلى «غرفتي» حيث كان هناك نافذة وسرير (وحيث جلست أيضًا معزولة عن الآخرين)، تم استئناف الاستجوابات مع «بيرمانينتن» في البداية، فكانت تجري استجواباتي دائمًا، ونادرًا ما كان على زملائها طرح أكثر من أسئلة متفرقة؛ ولذلك جلسوا في زاوية وعبثوا بأظافرهم، وكانوا يتناوبون من وقت إلى آخر.

كانت «بيرمانينتن» مثاليّة للتّحدّث معي. «امرأة شابّة» حسبت أنَّها مثيرة للشَّفقة.

في بداية كلّ جلسة استماعٍ، كانت في حالة تأهّب. عندما كانت تلفظ

اسمي طوال الوقت كانت محطّمة كمضيفة تلفزيونيّة للأطفال قرب نهاية المقابلات، وقد ازدادت غضبًا أكثر وأكثر. ثمَّ انخفض صوتها أكثر، وبدأت تتحدَّث مثل مسلسل بوليسيّ مترجم ترجمةً رديئةً.

«حقًّا؟ كيف تفسّر هذه الرّسائل النّصّيّة القصيرة؟».

«أسمعك يا (مايا)، أسمعك لكنَّني أجد صعوبة في فهم لماذا تكتبين بهذه الصّورة إذا لم تقصدي ذلك؟ هل تقولين أشياء لا تقصدينها في كثير من الأحيان؟».

في بعض النّواحي، ذكّرتني بالطّبيب النّفسيّ الّذي أجبرتني أمي على الذّهاب إليه عندما كانت «لينا» مولودة حديثًا (ظننت أنَّها مشكلة بالنّسبة إليَّ، أعني الحصول على أشقّاء في وقت متأخّر جدًّا). وكان الطَّبيب النَّفسيّ قد قرأ في (تحليل السّلوك) ABC لعلماء النّفس أنّه يجب أن ينتظر المريض، واسمحوا لي أن أتكلّم بحرّيّة لحملي على قول أشياء أردت حقًّا أن تبقي لنفسي فقط، لتجنّب سيطرة الصمت القاتل.

حاولت «بيرمانينتن» استخدام التّكتيكات نفسها في كثيرٍ من الأحيان. لقد كان يستغرق حضورنا لدى الطّبيب النّفسيّ عشر ثوانٍ من دون أن يتفوّه أحد بكلمة. ولم يستغرق الأمر وقتًا طويلًا حتّى احتجَّ «ساندر» (لا يمكن لموكّلتي الإجابة عن أسئلتكم إلّا إذا وجَّهتموها إليها»، «لا يمكن أن يتوقّع من موكّلتي تخمين ما تريدون معرفته»، على الرّغم من أنّه بدا وكأنّه يحسب أنَّه كان مسلّيًا بشكل عكسي، وأنَّني لم أقل أيَّ شيء، وأنَّ رجال الشّرطة كانوا يجلسون مع أكوابهم البلاستيكيّة من القهوة الباردة الّتي تعلوها طبقة رقيقة من الرّغوة.

وفي بعض الأحيان، كان «ساندر» هادئًا أيضًا، متّكئًا على كرسيّه غير المريح، مشبكًا يديه، ومغمضًا عينيه، وبدا نائمًا أو متأمّلًا في حين كان عداد أجوره بالساعة يحسب.

وعندما أجبت عن سؤالٍ، على سبيل المثال عن الحفلة في اللّيلة الفائتة، عن المشاجرة مع «كلايس»، عن رسائلي النّصّيّة القصيرة، أو عمّا قلناه عندما تحدّثنا بالهاتف، متى قرّرنا أن نذهب معًا إلى المدرسة، أو عمّا تحدّثنا عنه عندما كنّا نمشي قبل ساعات من عودتي إلى المنزل، إذ لم يستغرق هذا أكثر من دقائق معدودة قبل أن تطرح «بيرمانينتن» السّؤال نفسه بالضّبط مرّة أخرى.

أجبته: «لقد أجبت على ذلك للتّوّ».

«أودّ منك أن تخبرني مرّة أخرى».

وتنهَّد «ساندر».

انزعجت «بيرمانينتن»، حتّى إنّها أصبحت غاضبة في بعض الأحيان، ولكنَّها تمالكت نفسها ولم تبدأ بالصّراخ والصّياح، بل كانت تنظر إليَّ دائمًا بنفس تلك النّظرة اللامعة: ليست غاضبة، وليست لطيفة، وليست فارغة، بل لامعة. وقد لاقى زملاؤها صعوبةً في التّعامل معها. ولكن إذا رفعوا صوتهم، أخرجتهم على الفور، من دون مناقشة، ومن دون إظهار أنّه كان توبيخًا. طلبت منهم الحصول على شيء، ماء، أو ورق، أو بعض الرّقائق أو «ربّما شيء ساخن للشّرب». لذا، أبقى زملاؤها أصواتهم تحت السّيطرة وصرخوا عليَّ بدلا منها لكي يبقوا.

والأسوأ من ذلك كلّه أنَّ رجلًا في الخامسة والعشرين من العمر جاء في نهاية الأسبوع الأوّل وكرهني أكثر ممّا كان يكره جميع الفتيات اللّواتي رفضنه؛ لأنَّه أظهر لهنَّ مدى سوء وضعه في السّرير. غير أنّه لم يدع «بيرمانينتن» ترى كيف ينظر إليَّ؛ لأنَّه بعد ذلك ربّما كان قد أُعطِي إجازة قسريّة، أو على الأقلّ نُقِل إلى وحدة أخرى، من النّوع الّذي يتحقّق ممّا إذا كان النّاس يقودون بسرعة كبيرة أم لا.

كيف أعرف أنّه كان يكرهني؟ لأَنَّه جعلني أفكّر عندما أخذت معي «سيباستيان» في إحدى جولات الصّيد برفقة الجدّ. وقد كان رفاق الجدّ في الصّيد سبعة مدراء قنوعين ومرتاحين ناموا نصف نومة في الغابة، وشربوا بالفعل في أثناء تناول طعام الغداء، وكذبوا عندما ادّعوا أنّهم لم يطلقوا النّار على الإطلاق، ولكن كانوا يخطئون الهدف؛ فكلّ ذلك لتجنّب تتبّع الحيوانات الجريحة مع كلب يسير بسرعة كبيرة، حتّى إنَّهم أحسّوا بطعم الدّم في أفواههم بالفعل بعد عشرة أمتار. اضطررت إلى الجلوس على دكَّة «سيباستيان» بدلًا من الذّهاب إلى الصّيد.مكتبة .. سُر مَن قرأ

كنت قد دعوته معنا، طارد «سيباستيان» مع والده في بعض الأحيان وحصل على تمريرة جيّدة جدًّا، على الرّغم من أنّه قد كان صغيرًا ليجلس بمفرده. كان جدّي سعيدًا عندما وصلنا، وحيّا «سيباستيان» الكبار الَّذين نظروا إليه بعينين ضيّقتين وهو يضع سلاحه على كتفه. وكان «سيباستيان» أكثر هدوء ممّا كان عليه طوال وقوفنا في حلقة حول قائد الصّيد وحصولنا على التّعليمات. كان أيضًا أكثر هدوء ممّا كان عليه، عندما كنّا نسير نحو المكان الَّذي كان من المفترض أن نقف فيه، كان الأمر كما لو كان يمشي بمفرده، في نشوة تقريبًا. وعندما وقفنا لانتظار الفريسة تقترب من مكاننا، أصبح شخصًا آخر لم أره من قبل، دمه كان نوعًا ما يفور في جسده. كنت أجلس بجانبه مباشرة، ولكن كان بإمكاني ضربه على ذراعه، إذ لم يلاحظ بعد أنّني كنت معه.

كان كيان «سيباستيان» كلّه موجّهًا نحو الغابة والحيوانات الّتي كان على وشك رميها، وعندما ظهرت غزالة أمامنا ببطء، في حركة بطيئة، وتحوّل رأسها نحونا، وفي الوقت نفسه عندما وقف «سيباستيان»، وانحنى إلى الأمام ورفع السّلاح، ظننت أنَّه سوف يندفع إلى الأمام ويضغط على زناد البندقيّة باتّجاه عنق الغزالة. ولكنَّه بدلًا من ذلك، أطلق النّار فقط. أطلق طلقتين

سريعتين فسقطت الغزالة على جانبها، قبل أن تتمكّن من رؤيتنا. وعندما صعد «سيباستيان» وجلس القرفصاء بجانب الغزالة، ظننت أنّه سيأخذ سكّينًا من جيبه يمرّرها في فرائها، ليلطّخ يديه بالدّماء فحسب، ليشعر أنّ الغزالة قد ماتت، إلّا أنَّه لم يفعل هذا، بل كان يتنفّس فحسب، يلهث قليلًا. والتصق شعره بجبينه المتعرِق.

وأشيد به بعد ذلك، فابتسم الجدّ في وجهي، كما لو كنت أنا من يستحق الإشادة به، ولكن ذهبت إلى الفراش قبل العشاء، وقلت إنّ بطني يُؤلمني.

عندما نظرت الشّرطة إليَّ من دون أن يرى «بيرماننتن»، فكّرت كيف كان «سيباستيان» في تلك المطاردة؟ لأنَّه لا يهمّ أنَّني كنت في الحجز وحُبست. فهذا الشّرطيّ يودّ لو قتلني ورأى الدّم النّازف ليهدأ. أردت أن أخبره أنّه ذكّرني بـ«سيباستيان» لأرى كيف سيكون ردّ فعله، ولكنّني لم أفعل.

الجلسة الرّئيسة في القضيّة ب 147 66
الادعاء العام في مواجهة «ماريا نوربـيري»

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الأول، الجمعة

13

نهضت من فراش زنزانتي الّذي يبلغ عرضه ثمانين سنتيمترًا وقرعت الجرس. يبعد الفراش مترين ونصف المتر من الباب. كنت في صغري أشتاق إلى أن أمرض مطوّلًا، وأن أستلقي على السّرير طوال اليوم، وأتناول ما أريد من الطّعام (المربّى على الخبز الأبيض المحمّص)، وأن أقرأ (هاري بوتر)، وأن أتصفّح الهاتف، وأشاهد الأفلام، وأستمع إلى الموسيقى.

لا أريد الذّهاب الى المحكمة. ربّما يمكنني البقاء إذا ظنّوا أنّني مريضة! فأبقى في «غرفتي».

أعيش في سجن النّساء منذ شهرين. وكنت قبل ذلك في مركز احتجاز الأحداث لمدّة سبعة أشهر. «أسباب خاصّة» (قانونيّة لأنّه: عندما لا يتعيّن علينا اتّباع قواعدنا الخاصّة) جعلتني أجلس هناك، على الرّغم من أنَّه لا يُسمح إلّا للرّجال بالعيش هناك بشكل طبيعيّ. يجب إبعاد الرّجال المحبوسين بأيّ ثمنٍ عن جناح النّساء، ربما لهذا السّبب جرى حبسهم. ولكنَّهم اختلقوا استثناءً بالنّسبة إليّ. فكثير من النّاس هتفوا بالكثير من الأسباب الخاصّة: كان مركز احتجاز النّساء مكتظًّا، ومع ذلك سأظلّ معزولة. ولم يكن من المفترض أن أقضي الوقت مع الآخرين، وكانت هناك «موارد» أفضل في مركز احتجاز الشّباب «لهذه الحالات»، وما إلى ذلك وهلمّ جرًّا. لكن قبل كلّ شيء، أرادوا حقًّا أن يظهروا *للجمهور* أنّهم لم يعاملوني بقفّازات من الحرير. كانت هناك

أسباب خاصّة لمعاملتي معاملة متميّزة ليطمئنّ النّاس إلى أنّهم لم يعطوني أيّ مزايا خاصّة.

اضطررت إلى تغيير السّجن بعد أن صرخ أحد زملاء السّجن في ساحة التّنزّه المجاورة لي: «أيتها العاهرة» أربع وعشرين مرّة على التّوالي (حسبت). لم أره أبدًا كيف كان يبدو، ولكن بحّ صوته في النّهاية. ربّما نقلوني من هنا بسببه.

ولكن بالنّسبة إليَّ، لا يوجد فرق كبير؛ إذ تبدو الغرف متطابقة تقريبًا هنا. غير أنَّه هنا توجد رسومات أخرى محفورة على جدار المرحاض، ولكن الصّفيحة الفولاذيّة هي نفسها بالضّبط فوق الحوض الفولاذيّ نفسه. لا توجد حلقة على المرحاض (أيضًا من الصّلب)، وأثاث خشب الصّنوبر نفسه. كما يوجد هنا ذكور أيضًا في قسم آخر، ولكنني لا أراهم.

أجلس على السّرير وأنتظر إطلاق سراحي. وإذا كان أحد ما قد أخبرني متى نُقِلْتُ من المستشفى إلى السّجن واضطررت إلى نزع الأصفاد عن يدي، وإلى خلع ملابس المستشفى، وارتداء بنطلون أخضر قاسٍ وقميص أخضر قاسٍ بالقدر نفسه، وسراويل داخليّة بيضاء وحمّالة صدر بيضاء، وأن أبقى على هذه الهيئة لمدّة تسعة أشهر على الأقلّ، حينذاك ربّما لم أكن لأستمع، وبالتّأكيد لم أكن لأفهم. كنت لا أزال أفعل بالضّبط ما فعلته في البداية: بدأت في انتظار الخروج من هنا.

حينها، عندما كنت لا أزال أظنّ أنَّه سيسمح لي بالعودة إلى المنزل بعد بضع ساعات، لم أرتدِ إلّا ملابس السّجن. هذا النَّسيج الخشن على بشرتي لم يطاوع جسدي. ارتديتها على الرّغم من أنَّ «ساندر» كانت معه ملابسي. «ملابسي هي هويّتي» مقولة اعتادت «أماندا» أن تردّدها بصوت يكشف

عن أنَّها تحسب أنَّها مقولة قذرة (شخص آخر اخترعها). عندما جئت إلى هنا، أدركت أنَّها كانت على حقّ. لم أكن أرغب حتّى في النّظر إلى ملابسي الخاصّة، فقد كان من المنطقيّ أكثر أن أرتدي حمّالة صدر وسراويل داخليّة صغيرة جدًّا، تتمزّق عندما أشدّها. فبسبب ملابس السّجن فقدت كينونتي. كان لطيفًا بشكل لا يصدَّق. *الفائدة الأولى.*

«غرفتي»، إذًا؟ كيف هذا؟ البطّانيّة في زنزانتي تفوح منها رائحة الغبار والمنظّفات غير المعطّرة، ولا توجد مادّة شطف. إنَّه لأمر مزعج، ولكنَّه لن يؤدّي إلى تقرير عن أموال الضّرائب المهدرة.

كنت أحصل، مرَّة كلّ أسبوعين، على فرشاة أسنان، وعلى قليلٍ من الصّابون ومعجون أسنان صغير في كيس ورقيّ. يسألونني مرّة كلّ أسبوعين إذا كنت بحاجة إلى فوط صحّيّة. ضمّادات بسماكة سنتيمترين وصغيرة الحجم. أومأت برأسي وقلت: نعم، شكرًا في كلّ مرّة. أحتفظ بها في خزانة ملابسي الخالية من الأبواب. الغرفة في الواقع أكبر بشكل هامشيّ من خزانة ملابسي القديمة. أستطيع أن أنظر إلى الحرّاس كيف يفكّرون في كلّ مرة يغلقون فيها الباب في وجهي. *الفتاة الثّريّة المسكينة*. شماتة عندما أتعرّض للانهيار، ويجب أن أبقى تحت الحراسة الشّديدة. *بالطّبع، الاحتجاز أسوأ من التّعذيب بالماء لعروس لم تخيّم من دون وسادة من ريش وتملك أحدث هاتف محمول، والغريب أنّها لا تنهار في كثير من الأحيان.* ففوقي في إحدى الزّوايا أسفل السّقف بجوار سريري يوجد مقبس تلفاز، ولكن لا يوجد تلفاز! ويوجد مأخذ كهربائيّ آخر متّصل بالتّيّار الكهربائيّ على منضدة السّرير، ولكن لا يوجد راديو مزوّد بساعة من أجل عدم تعكير صفو التّحقيق؛ فلديّ قيود كاملة. عندما تمّ إنهاء التّحقيق الأوّليّ، خفّفوا بعضًا منها، ولكنَّ معظمها ظلَّ وفقًا لـ«ساندر»، سوف يغيظونني حتّى يسقط الحكم، فلا يوجد شيء

نفعله. أسباب خاصّة. كلّ شيء معي يأتي بأسباب خاصّة. ولم أفتهم قطّ كيف يمكن لساعة معصمي الّتي أخذوها منّي في المستشفى أن تعطّل التّحقيق، وأن تؤدّي إلى مشكلة. ولكن لا جدوى من الشّجار. يقول «ساندر»: «اختاري معاركك»، ويبدو وكأنَّه مستشار زواج في تلفاز الصّباح. يجب أن أتحمّل حتّى أنتقل إلى حيث سأقضي عقوبتي. لومي نفسك، يا عاهرة. عاهرة غنيّة جدًّا. لذلك: إذا أردت أن أعرف الوقت الآن، يجب أن أتّصل وأطلب من أحد الحرّاس. أستيقظ وأضغط زرّ الاتّصال مرّة أخرى، وأستمرّ في ضغطه لمدّة أطول قليلًا هذه المرّة. إذا كانوا يحسبون أنّني مزعجة، فهل يمكنهم إعطائي ساعتي، أو تشغيل راديو السّاعة اللّعين؟ فما مدى خطورة السّماح لي بالتّحقّق من بطء الوقت؟ في الوقت الحاضر يمكنني قراءة الصّحف على الأقلّ، ومن الواضح أنَّ «ساندر» رأى أنَّ الأمر يستحق المحاربة من أجله. كما أعطاني الأشياء الّتي نسيتها في أثناء التَّحقيق الأوَّليّ؛ لأنَّه يظنّ أنَّني بحاجة إلى معرفة ما هو مكتوب (لقد اتُّهِمت بأكثر ممّا اتّهمت به، وحتّى المحكمة لم تجرؤ على إنكاره). لكنّني لم أحصل إلّا على الصّحف الورقيّة. لا يسمح لي باستخدام الإنترنت، لذا لا يمكنني متابعة ما يقال حولي في التّويتر. لا يمكنني أن أقرأ عن همايا هالقاتلة هسفّاحة يورهولم. لا يمكنني استخدام محرّك البحث غوغل، ولا دخول الفيسبوك، ولا تلقّي رسائل «سناب شات» (Snapchat) مجهولة المصدر، ولقطات شاشة سوداء في حسابي: يجب أن تموت. *الفائدة الثّانية*.

أضغط زرَّ الحلقة اللّعينة للمرّة الثّالثة قبل أن أذهب إلى الفراش، وأنتظر أن يأتوا عندما أفتح الباب. عندما أستلقي، أصل إلى حافة الطّاولة على الجانب الآخر من الغرفة. يمكنني مدّ ذراعي والتّمسّك بالجدران. إنّه ليس المنزل. أنا أتخلّص من منزلنا المقرف. *الفائدة الثّالثة*.

نحن نعيش في مبنًى جديدٍ على قطعة أرض منفصلة، مبنًى تُحيطه ڤيلّات منذ بداية القرن، في منزل يتظاهر بأنّه شيء ليس كذلك. في المرّة الأولى الّتي رأيتها فيها، ظننت أنَّ هناك حاجة إلى نظّارات ثلاثيّة الأبعاد لتتمكّن من رؤية شكلها الحقيقيّ. عندما انتقلنا، كان هناك الحدّ الأدنى من نافورة في القاعة. وقفت هناك تتغرغر لمدّة أسبوعين قبل أن يأتي أربعة عمّال بولنديّين ويزيلوها، ليضعوا أرضيّة جديدة، ليس فقط فوق الحفرة، ولكن في القاعة بأكملها. يقول أبي الّذي اشترى قطعة الأرض وبنى المنزل «في صناعة الدّي جي»، وكان من «نوع الموسيقيّين الّذين لا يعزفون على الآلات الموسيقيّة أو لا يكتبون الأغاني الخاصّة بهم». جعل «الموسيقيّ» الممرَّ عريضًا بما يكفي لسيّارة هامر لتصل إلى المنزل، لكنَّه نسي جعل الدّوران ممكنا بما يكفي لقلب السّيّارة. يقول أبي عادة: «ربّما كان هذا هو السّبب في أنَّهم باعوا المنزل مرَّة أخرى، من دون أن يعيشوا هناك يومًا واحدًا. للحصول على رخصة قيادة أمريكيّة، ليس عليك تعلّم الرّجوع إلى الخلف». إنّها واحدة من القصص المفضّلة لدى أبي، لقد رواها مرّات أكثر ممّا يمكنني متابعتها وهو يضحك منها بنفسه في كلّ مرّة. إنّه دليل على أنَّ هناك تقلّبات أسوأ من أيّ وقت مضى على ما أظنّ. أو أنّه يشعر بالغيرة فحسب؛ لأنَّه لن يجرؤ على قيادة هامر. أبي يودّ أن يكون شابًّا وقحًا، يرتدي بدلة وقميصًا من دون جوارب في حذائه، أو «نوعًا من الموسيقيّين» أو مليونيرًا في مجال تكنولوجيا المعلومات. إنّه لا يريد أن يخجل من الإعجاب بمسلسل الثّمانينيّات من ميامي. لكن في الوقت نفسه، يشعر أبي بالقلق الشّديد بشأن الإصابة بنزلة برد، فقد يؤدّي ذلك إلى تعطيل تدريبه في الماراثون. لديه جوارب تصل إلى الرّكبة من صوف ميرينو مع خيوط فضّيّة لصدّ العرق حتّى تحت مشدّات بدلته. مرّة في الأسبوع، في أيّام الجمعة، يخلع ربطة عنقه بعد الغداء ويعلّقها على مسند ظهر كرسيّ

مكتبه قبل مواصلة العمل. هذا كل شيء. لن يكون أبي أكثر جرأة. ما زلت تحت الحظر؛ فلا يسمح لأبي وأمّي بالزّيارة. الفائدة الرّابعة.

في المرّة الرّابعة الّتي أقوم فيها وأقرع الجرس، أضغط الزّرّ لمدّة خمس ثوانٍ، وأعد نفسي ألّا أكون جبانة، وأتوقّف بسرعة كبيرة: زجاجة بيلسنر واحدة ـ زجاجتي بيلسنر ـ ثلاث زجاجات بيلسنر، هكذا كانت جدتي تحسب زجاجات البيرة عندما يبرق الجو ويرعد. لا تسمع نغمة رنين بداخليّ، ولكنّني أعلم أنّها ترنّ خارج الحارس. بصوت عالٍ جدًّا. مزعج بالتّأكيد. لكنّني لست مريضًا ولا يمكنني التّفكير بكيفيّة جعل شخص ما يظنّ أنّني كذلك؛ لذلك من الجيّد أن أبدأ.

وعدت «سوزي» اللّيلة الماضية أنّني سأستحمّ أوّلاً، قبل الفطور. قالت: «بمجرّد أن تستيقظي. لقد أصبحت جيدة جدا في تحديد الوقت الّذي يكون الليل فيه قد انقضى. يجب أن تكون السّاعة حوالي الخامسة. يجب أن يكون من الممكن إقناع الحارس بأنَّ الوقت ليس مبكرًا. دوري. ليس اليوم، ولكن يوم الاثنين ربّما. لقد وعد «ساندر» أنَّه لن يحدث أي شيء حاسم اليوم. يجب أن يكمل المدّعي العامّ مراجعته للأدلّةَ المكتوبةَ، فقد استغرق الأمر وقتًا أطول ممّا كان مخطَّطًا له ونحن متأخّرون.

فقط عندما يكون جاهزًا، يجب أن يبدأ «ساندر» عرضه التّقديميّ. ولكن، حتّى لو حان دوره، فما زلت غير مضطرةّ إلى فعل أيّ شيء بخلاف الجلوس والاستماع، وسأعود إلى السّجن مبكرًا؛ لأنَّه حتى القضاة (والمحامون، على ما أظنّ) يريدون احتضان أطفالهم يوم الجمعة. سيسمح لي أيضًا بأن أكون في سلام طوال عطلة نهاية الأسبوع، وقد وعد «ساندر» بالرّاحة والنّوم، ولن أضطرّ إلى القدوم إلى المحكمة والاستماع للجلسات، إلى أن تتّصل

بي «لينا» أو «بانكيك» أو أيّ شخص آخر. لا ينبغي لي أن أتظاهر اليوم بأنّني مريضة حقًّا، بل بعد ذلك فقط.

كان على «ساندر» أن يعرض قضيّته. ثمَّ حان الوقت بالنّسبة إليَّ لتقديم «تقريري». الاثنين أو الثّلاثاء، الثّلاثاء أو الاثنين اعتمادًا على المدى الّذي سنصل إليه اليوم. قال «ساندر»: سأبقى في مكاني المعتاد، لست مضطرًّا للتّحرّك، لا يوجد مخدع شهود حيث تجلس وتشاهد الجمهور. أنا لست مضطرَّة إلى أن أقسم على الكتاب المقدّس أيضًا، فقد وعد بذلك أيضًا. لكنّه سيطرح الأسئلة الّتي مررنا بها مليون مرّة، وسأجيب مباشرة عبر مكبّر الصّوت المشغَّل. كلّ ما أقوله يجب أن يُسجَّل وأن يحدّق بي كلّ الحاضرين، كما يجب أن أكون قادرة على سماع ما أقوله.

دائمًا ما يستغرق الأمر وقتًا حتّى يأتي الحارس ويفتح، ولكن نادرًا ما يستغرق هذا الوقت الطّويل. أضغط الزّرَّ ثلاث مرّات أخرى، ضغطات قصيرة، على الرّغم من أنَّني أعلم أنّ الحراس يشعرون بالغضب عندما أتصل بهم أكثر من مرة متتالية. ربّما نام الحارس؟ ربّما ليست حتّى السّاعة الخامسة، ربّما الرّابعة فحسب؟ إذا لم يكن الأمر أكثر من ثلاثة فحسب، فلن يُسمح لي بالاستحمام. ربّما يكونون منزعجين إلى درجة أنّهم يجبرونني على الانتظار حتّى اللّحظة الأخيرة. إذا كنت مريضًة اليوم، فستُؤجَّل المحاكمة بأكملها يومًا آخر. أُجّلَت يومين. ربَّما لا يزال من الجيّد أن تمرض بالفعل الآن، على الرّغم من عدم وجود أحد.

سوف تدعوني إلى السّندويشات المربى؟ لا أريد أن أكون هنا طوال عطلة نهاية الأسبوع، وأعلم أنَّه بمجرَّد أن تنتهي، سيتعيّن عليَّ التَّحدّث في المحكمة. لكنَّني لا أعرف كيف أتظاهر. لا توجد طريقة ليتركوني وحدي

مع مقياس حرارة الحمّى، فسيكون ذلك مهدّدًا للحياة. يمكنني كسرها وابتلاع محتوياتها للهرب. الفتاة في الزّنزانة المجاورة ابتلعت قلم رصاص قبل أسبوعين. كان عليهم أن يأخذوها في سيّارة إسعاف. سادت الفوضى الممرَّ، ومن المستحيل أن تفوتنا، حتّى بالنّسبة إلينا نحن الجالسين داخل زنزاناتنا. أجبرت «سوزي» على إخباري ما حدث. لقد صُدمت إلى درجة أنّها فعلت ذلك. خلال الأسابيع القليلة الأولى في السّجن، كنت تحت المراقبة المستمرّة خشية الإقدام على محاولة للانتحار.

عندما كنت في زنزانتي، بين الحين والآخر، يأتي أحد الحراس ويتساءل: «كيف كانت الأمور؟». بعد أن أعطاني أحدهم طعام الغداء والتقط آخر صينيّة فارغة منّي، ثمّ فتحوا الباب وحدّقوا بوجهي لمدّة نصف ثانية قبل إغلاقه مرّة أخرى. رفضوا أن يتركوني وشأني. عملوا على مدار السّاعة. لم يطرق. هزّ القفل. افتتح. يشعّ. مغلق. في البداية كنت متوتّرة إلى درجة أنّني شعرت أحيانًا بأنّهم كانوا هناك كلّ خمس دقائق، وأحيانًا أدركت أنَّ الأمر يستغرق عدّة ساعات بين الفحوصات. لذلك بدأت أسألهم، في كلّ مرّة يأتون فيها إليَّ: كم السّاعة الآن؟ للعلم فحسب. أنا كنت كمن يخشى أن يكون اللّيل من دوني.

فهمت ذلك. حاولت أن أقول لنفسي إنّني سأرى من خلال النّافذة إذا كان الظّلام قد حلّ، ولكن لأنّه في البداية واجهت صعوبة في تذكّر آخر مرّة نمت فيها (ربّما كنت قد نمت ليالٍ عديدة ونسيت ذلك، ربّما كان بالأمس ما زلت أعيش في المنزل؟)، طلبت معرفة الوقت وكتبته على لوح تلقّيته من أحد الحرّاس مع قلم رصاص (بطاقة عملاقة). (لسبب ما، لم يحسبوا أنّني سأبتلعها. أو أنّها صغيرة جدًّا، فلا يترتَّب خطر كبير إذا فعلت ذلك). في اليوم الثّالث أو الرّابع، تلقَّيت كومة من المجلّات عمرها عام واحد للرّجال، تتعلّق بالاقتصاد والحرب وإطارات السّيّارات والأطفال العراة.

بعد أيّام قليلة، جاؤوني ومعهم ثلاثة كتب ورقيّة بالية. انقلبت من خلالهما، إلى الأمام والخلف، لكنَّني لم أستطع قراءة أيّ شيء. استغرق الأمر بضعة أسابيع قبل أن أتوقَّف عن التَّصرّف كأسير في سجن من سجون العصور الوسطى (الّذي لا يمشّط شعره ويستخدم أظافره الدّمويّة لنحت عدد الأيّام في إسمنت جدار الزّنزانة). لكن بعد بضعة أشهر، تمكّنت من إلقاء نظرة على إعلانات الصّحف حول تأمين التّقاعد، والبيرة، ومنتجات الشّعر، والتفاعل معها.

احتفظت بالمفكّرة. أخذتها معي عندما نقلوني إلى مركز احتجاز النّساء، جزئيًّا لتذكير نفسي بأنّني شعرت بأنّني أكثر طبيعيّة، جزئيًّا لعدم نسيان أنَّ هناك إجراءات روتينيّة لكلّ شيء. لكن خاصّة لأنَّ الملاحظات أثبتت أنّهم يأتون مرّة كلّ نصف ساعة، كلّ نصف ساعة. كان هناك متّسع من الوقت للانتحار، وبالتّحديد تسع وعشرون دقيقة. هدّأني ذلك على الرّغم من أنّني لم أكن أعرف ماذا أفعل حتّى أموت. لا يمكن كسر صفيحة الفولاذ المقاوم للصّدأ (المرآة) الّتي تمّ شدّها فوق الحوض واقطّع بها وريدي.

لم أستطع أن أستخدم معصمي. كانت البطّانيّة في السّرير (إضافيّة على الرّفّ) مصنوعة من مادّة غامضة بشكل غريب، مثل الوبر في المكنسة الكهربائيّة المضغوطة أكثر من القماش، وكانت ملاءتي مصنوعة ثوب أشبه بالورق. ليست هناك فرصة لاستخدامها للتّعليق. حزام الكتف على الحقيبة الّذي أعطاني إيّاه «ساندر»، كان الحارس قد فكَّه وأخذ معه. ربّما يكون لديَّ الوقت الكافي لربط قميصي وسروالي، بيد أنّني لم أكن أعرف أين سأربط نفسي. لم يكن هناك مقبض باب على جانبي الباب، ولا خطّافات، سواء في الحائط أم في السّقف. لم أرغب قطّ في قتل نفسي أنا؛ لذلك لم أفكّر مطلقًا في كيفيّة القيام بذلك. بدا أنَّ الحرّاس يظنّون أنّني يجب أن أموت. ربّما

كانوا على حقّ. فقط عندما أضغط الزّرّ مرّة أخرى، فيأتي الحارس منزعجًا تمامًا كما حسبت. إنّها الخامسة والنّصف. لقد نمت لمدّة أطول ممّا كنت أحسب. يمكنني الاستحمام. بالصّابون والشّامبو الّذي اشتريته في عربة كشك السّجن. كانت أمّي تحاول أن ترسل إليَّ حقيبة كاملة من منتجات التّجميل، ولكن لم يُسمح لـ«ساندر» بإعطائي إيّاها. ربّما كانوا خائفين من أنَّ أمي قد تهرّب المخدّرات أو كلمات التّشجيع في علبة المسكارا، من يدري؟ ومع ذلك، لم يعلّق أحد على أنَّ والدتي تظنّ أنَّه من المهمّ أن تعتني ابنتها المتّهمة بالقتل برموشها. تمكَّنت من رؤية قائمة الأشياء الّتي لم يسمحوا لي بالحصول عليها. لقد كان قرارًا يمكنني استئنافه، وخرجت من تلك المعركة أيضًا. *فتاة صغيرة حكيمة غنيّة.*

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الأول، الجمعة

14

عندما أعود من الحمّام، أرتدي ملابسي وأُحضِر صينيّة الإفطار الخاصّة بي مع شطيرة السّمن والجبن الّتي يشبه مذاقها البلاستيك وشاي الخلّ الَّذي لا أشربه أبدًا. دخلت «سوزي» غرفتي فوقفت، وجعلتني أقوم بأفضل ما يمكنني فعله أمام الصّفيحة الفولاذيّة. إنّها تجلس على حافّة سريري، وأنا ألطّخ عينيّ بمستحضر تجميل الرّموش الّذي تلقّيته بالفعل من والدتي. سوف تأخذني «سوزي» إلى المحكمة. وهي نادرًا ما تفعل ذلك في الصّباح الباكر أو في المساء المتأخّر أو في عطلات نهاية الأسبوع. وعادة ما تذهب مبكرًا بعد ظهر يوم الجمعة. ولكن ليس اليوم، ستعيدني بعد المحاكمة أيضًا وهي ترتدي ملابس الحراسة. تأتي أحيانًا لتوديعي بعد تغيير ملابسها. عادة ما ترتدي ثوبا من الكتان وسروال جينز، وتكون ظلال العيون الأرجوانيّة لامعة والحواجب منتفخة بشدّة مطليّة باللّون الأسود الكربونيّ. «سوزي» من النّوع الّذي يأخذ قروضاً صغيرة للحصول على رحلات سفر إلى تايلاند. وبعد ستّة أشهر، تراها أقرب للسمرة بفعل أشعة الشمس، وتظهر في برنامج Lyxfällan على القناة الثالثة TV3 وتتعرض إلى توبيخ لإنفاقها كامل راتبها على الأحذية من ماركة زالاندو. لدى «سوزي» طفل و«رجل يرفع الخردة المعدنيّة» (كلمات سوزي). وَشمتْ ابنتها (Vilda، أو Engla، شيء من هذا القبيل) وشمًا متعدّد الألوان على إحدى كتفيها، ولكنَّه وشم لا يُرى عندما ترتدي ثيابًا ذات أكمام

طويلة. وهي تلبس أثوابًا طويلة الأكمام دائمًا عندما تعمل. وغالبًا ما تجلب إليّ سوزي كل الأشياء؛ لذا يمكنني فعل شيء ما. وجلبت اليوم معها كيس حلويات وقرص دي ڤي دي مكتوبًا عليه شيء من دون معنى (هذا دائمًا من دون معنى)، وعلى الغلاف تقف فتاة تلوّح بمؤخّرتها، وفمها، وهي تحمل أربعة عشر رباط كلب. وما زلت لا أملك جهاز تلفاز في الغرفة، ولكنَّ «سوزي» أقنعت خفير اللّيل بأنَّه يجب أن يكون لديّ جهاز تلفاز غير متّصل (عربة تلفزيون) في غرفتي، وترى أنَّه يجب أن أشاهد فيلما عندما أعود من المحاكمة. «فكّري في شيء آخر».

وقالت: «إذا لم تكوني نائمة بحلول السّاعة 10:00، مايا، تناولي حبّة منوّمة». وعندما لا أجيب، تتابع... بقولها: ـ عديني أن تخرجي للاستراحة يوم السّبت والأحد على حدّ سواء.

«سوزي» مثل معلّمتي في روضة الأطفال. الرّوتين الصباحيّ ورياضة الهواء النقّيّ (ليس هناك سوء في الأحوال الجوّيّة، بل في الملابس السّيّئة فحسب!) هما أهمّ شيء في حياتها، وربّما باستثناء الأوزان الحرّة ومشروب البروتين في تيترلبارك.

«سوزي» تزعجني. فلو حجزت موعدًا للدّراسة لي (تسمّيها «الواجبات المنزليّة»، على الرّغم من أنَّني ليس لديَّ الواجبات المنزليّة المدرسيّة). ينبغي لي أن أذهب وأتمرّن في «صالة الألعاب الرّياضيّة» (غرفة من غير نافذة مع حزام ناقل، واثنين من آلات الوزن وحصيرة اليوغا ذات الرّائحة الكريهة العالقة في وضع ملفوف).، كما ينبغي لي تحديد موعد مع الكاهن، ومع طبيب نفسانيّ، وطبيب، ومع جميع أنواع النّاس، من الممكن والمستحيل (حيث إنّها «تساعدني» في «المعالجة»).

أحيانًا أقول: نعم، لإبقائها هادئة. أقول «نعم، أمّي». فتضحك «سوزي»، إنّها تحبّ ذلك. كان عليها أن تحبل في عمر الثّماني سنوات لتكون أمّي، ولكنَّها تحبّ أن تشعر بأنّها أكثر نضجًا وأفضل منّي. لم تكن «سوزي» لتسمّي نفسها حارس السّجن الخاصّ بي. ولم أسمع ذلك حتّى من أيّ من ممرّضي السّجن. إنَّها لا تريد الاعتراف بأنّها تراقبني أو أنّها تحبّ أن تتحمّل الكثير من المسؤوليّة عن مدى شعوري بالسّوء. نادرًا ما أمتلك القوّة للاحتجاج. الآن أومأت برأسي. أنا حقًّا لا أعرف ماذا. شاهدت الفيلم، أو أكلت الحلوى، أو الحبّة المنوّمة، أو الاستراحة. كلها ربّما. أنا متعبة حقًّا اليوم. متعبة، ولكن لست مريضة للأسف.

أخبرتني «سوزي»: «سأحجز لك في ساحة الاستراحة في الصّباح الباكر». ممتاز. سوف «أستطيع» المجيء في وقت مبكر وتكون لي «فرصة» للاستمتاع بساحة الرّاحة في السّجن المظلم في صباحات فبراير جميعها. فابتسمت لها بأجمل ما استطعت. إنّها تنهض لتغادر. إنّها لا تعانقني، لكنّني أرى أنّها تريد أن تفعل ذلك. وقالت إنّها قد لا تكون من نوعية القرض السّريع، على الرّغم من ملابسها، إلّا أنَّها بالتّأكيد واحدة تعانق القتلة وتقع في حبّ الرّجل الخطأ (وأنا على استعداد للمراهنة على حقيقة أنّ والد ولدها قابع في السّجن وأنّها عملت حاضنةً/ حارسةً/ الأمَّ له، ولكنَّ الأمر قد انتهى الآن؛ لأنَّ أطفالها دائمًا يجب أن يأتوا أوَّلًا)، ولأنَّها تحبّ الحالات الميؤوس منها؛ ولهذا السّبب هي هنا، في زنزانتي، وفي سريري.

إنّها ترتّب عربة التّلفاز وحلوى السّبت لي؛ لأنّها تظنّ أنَّني بحاجة إلى الرّعاية والاعتناء، ولأنَّها تريد أن تكون أمّي.

وفجأة أفكّر بأمّي، أمّي الحقيقيّة. ليس لديَّ وقت للتّوقّف وتذكّر تحذيراتها

الغبيّة، احملي دائمًا الشّفرات عندما تتجوّلين وبيدك مقصّ، ضعي دائمًا السّكّاكين في غسّالة الصّحون وأطرافها الحادّة إلى الأسفل، انظري في كلا الاتّجاهين قبل عبور الشّارع، ابعثي إليَّ رسالة نصّيّة قصيرة عندما تصلين، لا تستمعي إلى الموسيقى عندما تركضين في الغابة، لا تمشي في الحدائق عندما يبدأ الظّلام، لا تذهبي إلى المنزل وحدك في اللّيل، أبدًا، أبدًا... أيّ قرف!

سأفكّر بأمّي لأنّني لا أنتبه إلى تصرّفاتي بصورة كافية، وقبل أن تغادرني «سوزي» أجهش بالبكاء، وتسيل دموعي بغزارة؛ لأنّه الآن لا بدّ لي من وضع مساحيق التّجميل، وتبدأ «سوزي» بالعناق، يا إلهي، حقًّا! إنّها تعانقني إذا حصلت على أدنى عذر، لا شيء يمكن أن يردعها عن احتضاني ومعانقتي، وعن إظهار اهتمامها بي. والآن لم تعد تعانق فحسب، بل تمسك خدي بيديها وتمسح دموعي بإبهامها، وبهذا يضيق الوقت لدينا على أيّ حال، على الرّغم من أنّني أستحمّ في وقت مبكر جدًّا، وعلى الرّغم من أنّني أردت فقط أن أرتدي ملابسي وأذهب، لا أن أتحدّث، وحقًّا، حقًّا، حقًّا لا لكي أعانق.

ذات مرّة، عندما كنّا على متن طائرة أمّي وأنا، ربّما كان عمري ستّ سنوات أو سبعًا، حدث اضطراب، بل الكثير من الاضطراب، فأمسكت بيد أمّي بأقصى ما أستطيع، وبكيت، فهمست أمّي في أذني «لا بأس»، فأراحتني؛ وبينما كانت هادئة تمامًا كنت أظنّ أنّني سأموت.

لا أريد التّفكير بأمّي.

عندما تغادر «سوزي» أخيرًا، سأنظر إلى ما أحضرته معها لأنّه يوم الجمعة. إنّها حقيبة جامبو جيّدة ومختلطة.

لقد أوضح «ساندر» بأفضل طريقة ممكنة ما سيحدث، ولكن من دون جدوى. فخارج هذه الجدران، لا هو ولا أنا لدينا أيّ سيطرة. وإذا تركت

السّيطرة وتحكّمت بي فكرة من الأفكار الممنوعة، ما استطعت التّحرّك بعد ذلك. أنا مشلولة بسبب الخوف، وخسرت حياتي إلى الأبد.

وإذا أصبت بالسّرطان، فسيجري إعلان شفائك منه بعد ستّ سنوات، وأنَّك نفضتَ عنك أيّ عوارض، ولكن لن يُعلَن أنّني بصحّة جيّدة أبدًا. لا يهمّ ما إذا كنت محكومة بالسّجن المؤبّد أو بإصلاحيّة الأحداث، فلن ينفعني ظهر «ساندر» المستقيم ونظرته غير المهتّمة. فهذا ذاهب الى الجحيم. لقد كتبت إلى «سيباستيان» أنَّ والده لا يستحقّ الحياة. لقد فعلت ذلك حتّى يفهم أنَّني اهتممت لأخبره أنّني فهمت مدى مرض والده في الرّأس. كتبت أنّني أريده أن يموت؛ لأنَّني حسبت أنَّه إذا ترك «سيباستيان» والده، فسيشعر الأخير بتحسّن، أراد أن يعيش.

أحاول أن أتخيَّل أنَّه إذا انتهت المحاكمة، فلن يكون عليَّ الإجابة عن المزيد من الأسئلة. غير أنَّني أعلم أنّها مجرّد تمنّيات. لذا، فلن أتخلّص أبدًا من الأسئلة، ولن يهتّم أحدٌ أبدًا بالإجابات؛ لأنَّهم قرّروا بالفعل أنّهم يعرفون من أنا.

ألقيت بالحقيبة في سلّة المهملات المثبتة على الحائط والمغطّاة بغطاء، وأجهشت بالبكاء مرَّة أخرى.

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الأول، الجمعة

15

بحلول الوقت الّذي نصل فيه إلى المحكمة، هدأتُ. وأرادت «فرديناند» أن تعطيني قطرات العين في عيوني الحمراء، وجنّ «البانكيك»؛ إذ تصوّر أنّه «ممتاز» أن أبدو باكية (لا يريدني أن أتزيَّن بمساحيق التَّجميل على الإطلاق؛ لأنَّني أبدو أصغر سنًّا من دونها). وتحاول «فرديناند» أن تعطيني الزّجاجة على أيّ حال، وأحسب أنَّهما سوف يتشاجران عندما يأخذ «ساندر» بكلّ بساطة القطرات ويعطيني إيّاها. لقد تمكّنت بواسطة مكحلة «فرديناند» السّوداء المضادة للماء من سحب بعضها قبل أن يحين الوقت. سأنتظر في غرفة المحامي في حين أنَّ «ساندر» والآخرين يدخلون عندما يحين دوري. يقف امرأة ورجل، وظهره أحدهما إلى ظهر الآخر، يتحدّث كلٌّ منهما عبر الهاتف خارج قاعة الاستماع الأخرى.

وعندما مررت أمامه تطلّعت نحو امرأة إلى أعلى، تبادلنا النّظرات نصف ثانية قبل أن تختفي، التّعرّف إليها، والاعتراف (إنّها هي)، فأحوّل نظري بعيدًا. وخلفي، يُرفَع صوت الهاتف بحماسةٍ، إنّها تتحدَّث الإسبانيّة.

يجلس أمّي وأبي في مقاعدهما، القضاة والمحامون والجميع هناك. أمّي تبدو مترهّلة، كما لو كانت قد شربت الكحول حتّى منتصف اللّيل، ونامت قبل وضع مستحضر التَّجميل. لكنَّها لا تشرب الكحول لتثمل أبدًا، بل إنّها تشرب النّبيذ، وتذهب هي وأبي إلى حفلة مع أشخاص آخرين في الخامسة

والأربعين من العمر، وحفلات تحت عنوان (مثل جيمس بوند أو هوليوود)، حيث يمكن للنّساء ارتداء ملابس الثّمانينيّات، بفساتين قصيرة اشترينها في رحلة نيويورك الأخيرة، ويمكنهنّ رقص الدّيسكو ورقصات أخرى. ثمّ يشرب الجميع. وخلال العشاء يلقون الخطب، ويضحكون على الأشياء الّتي فعلوها عندما كانوا مراهقين وكانوا في الصّفّ نفسه. يطوّق الرّجال زوجات أخريات غير زوجاتهم حول الخصر، ويدعو كلّ واحد منهم الآخر بالأخ.

أظنّ أنَّ أمّي وأبي كانا يتشاجران في الماضي حول أشياء من قبيل أنَّ أبي لم يكن يسحب حلقة المرحاض بعد قضاء حاجته. وليس عندما سمع الآخرون، عندما كانوا يتناولون العشاء واجتمعت النّساء في مناقشة (أزواجنا الحمقى)، ثمّ تمزح أمّي بأنّها «ليست من نوع يعتاد أن يحمل في رأسه مثل هذا الصّداع، هيهيه...». وكان على أبي أن يقول: «هايهاي، ليس لديّ صداع الآن، كيف تشعرون، أيّها الأصدقاء الأعزّاء، ألم يحن الوقت للذّهاب إلى المنزل؟».

كانوا يحبّون التطرق إلى مشاكل مثيرة جنسيًّا، تلك الأمّ أرادت أن تضاجع، وأرادت أن تضاجع بشدّة إلى درجة أنَّ الأب كان عليه أن يدافع عن نفسه. ولكن عندما انتهت وجبات عشاء أمّي وأبي، وتمّ أكل خبز العجين المخمّر والجبن الفرنسيّ، والتقطت حبّات زيت الزّيتون المدخن (لقد حصلنا عليه من الأصدقاء الجيّدين، لديهم منازل خارج فلورنسا، وهم يصنعونه من الزّيتون الخاصّ بهم)، و«خزف سوق البرغوث» (اشتُرِيَ فعلًا في هارودز) كان في غسّالة الصّحون، حيث انتهت الإثارة الجنسيّة والتّفاهات.

أنت تشرب كثيرًا، تعمل كثيرًا، لماذا دعوتِ «جوسان» طوال اللّيل؟ اسحب سيفون المرحاض اللّعين بعد أن تنتهي، ما مدى صعوبة الأمر؟

أتساءل عمّا كانا يتجادلان حوله هذا الصّباح؟ أتساءل إن كانت «لينا»

هناك؟ إن كانا قد تركاها في روضة الأطفال وهما في طريقهما إلى هنا؟ وأحاول أن أبتسم في وجههما. إنّهما يحاولان الابتسام.

ربما أُلغِيَت الأولوية لسيفون المرحاض، ولا يبدو أنَّهما قد دعيا إلى أيّ حفلة في الآونة الأخيرة. وهذا ما تحصل عليه عندما تكون لك ابنة متّهمة بالقتل الجماعيّ. يمكنك التّخلّص من العبارات المبتذلة، فتصبح فريدًا في نوعك حقًّا.

سيخبرهم «ساندر» قريبًا عن الضّحايا، واحدًا بعد آخر. ثمّ يقوم بمراجعة ما كنت فيه أنا، بالضّبط حيث كنت، في أيّ نقطة بالضّبط. وسوف يتحدّث بصوته المنخفض، المنخفض جدًّا والمعقول. وعندما يريد من القضاة أن يستمعوا، سيستمعون، وعندما يريدهم أن يكونوا مشوشين، سيكونون كذلك. وسأجلس طوال الوقت بجانبه، وسيكون الجميع قادرًا على النَّظر إليَّ.

يريد الجميع أن ينظروا، لكن لا أحد يريد أن يستمع. إنّهم ينتظرون ما يحسبون أنَّهم يعرفونه بالفعل. كثيرًا ما يقال إنَّ الأطفال يؤمنون بما يريدون أن يؤمنوا به، ولكنَّ الحقيقة هي أنَّه لا يمكن خداع الأطفال. في حين يرغب البالغون في اختيار القصّة الّتي تناسبهم بشكل أفضل. النّاس ليسوا مهتمّين بما يقوله الآخرون، أو ما يظنّه الآخرون، ومرّوا به، وتوصّلوا إلى استنتاجات. النّاس مهتمّون فقط بما يحسبون أنَّهم يعرفونه بالفعل.

لم أفكّر بالأمر حتّى بدأ استجوابي من لدن الشّرطة. ولكن بعد ذلك أصبح ذلك واضحًا. وكانت «البيرمانتنن» أسوأهم جميعًا. حدث أن أقول ما كانت تنتظر مني قوله؛ إذ أغلقت عينيها، وكبرتا بكلّ معنى الكلمة، ولم تكن حتّى متحفّظة إلى حدّ كبير. وارتدّت إلى الكرسيّ بحزم. ولم تدرك أنّ مدى اهتياجها يبدو أكثر وضوحًا.

«ساندر» هو النقيض تمامًا لـ«بيرمانتتن». لا أعرف أبدًا ما يريدني أن أقوله. وقد قال في البداية: «ليس لديك أيّ مسؤوليّة عن التّحقيق». مسؤوليّة التّحقيق؟ ماذا كان يقصد بذلك؟ أن أصمت؟ أكذب؟ لا أساعد الشّرطة؟

قال «ساندر» إنّني سأخبره بكلّ شيء قبل أن أخبر الشّرطة. وإذا كان هذا يعني أَنّني سأقول بالضّبط كيف كان الأمر، صعودًا وهبوطًا لكي يمكنه بعد ذلك أن يشرح لي ما لم يسمح لي به على الإطلاق أن أقوله للشّرطة، لم يوضح ذلك أبدًا. لم يطلب منّي أبدًا أن أكذب أو أصمت أو لا أتحدّث بهذا أو ذاك. ولكن في الوقت نفسه، قال: أجيبي فقط على الأسئلة الّتي يطرحونها... لم أفهم عمّا سأجيب.

هل كان هناك شيء آخر كان يبحث عنه «ساندر»؟ لا أدري. لم أكن أعرف حتّى إن كان «يبحث» عن شيء ما.

كان من الأسهل التّحدّث إلى الشّرطة بهذه الطّريقة. كنت أعرف أنَّ لديهم خطّة: أرادوا تلفيق التّهمة لي. وكلّما أسرعت في معرفة ما تطلبه منّي الخطّة لأقوله، أسرعت في التّخلّص منهم. وأردت في البداية التّخلّص منهم فحسب. لم أرد أن أتحدّث إليهم. أردت فقط أن أكون في سريري، في غرفتي، حيث يسود الهدوء.

ولكن بعد أسبوعين من تحقيق «البيرمانتتن» معي، أرسلوا رجلًا أشقر في الثّلاثينيّات من عمره ليحطّمني، كان يرتدي قميصًا بكمّين ملفوفين، جلس وساقاه متباعدتان، وسأل بصوت ناعم كالمخمل عن صحّتي. كيف أنت، حقًّا، يا «مايا»؟

فهمت أنَّه كان يحظى بشعبيَّة كبيرة بين الفتيات في مدرسته الثّانويّة في يونشوبينغ أو إنشوبينغ أو لينوبينغ أو أيّ (شوبينغ) سخيف آخر. فهمت

أنَّ الخطّة هي أن أقع في حبّه، وأن أخبره كلَّ شيء. لكنّني لم أقع في حبه. وحسبت أنَّه كان سخيفًا. الغريب هو أنَّه على الرَّغم من ذلك، وعلى الرّغم من أنّني فهمت بالضّبط كيف ظنّوا أنّني سأتصرّف، رغبت في أن أحكي له ما جرى. وعندما قال (رجل شوبينغ) إنَّه يفهم أنَّني أكره «كلايس فاجرمان»، قال إنّه يفهم أنّني كنت أحاول فقط مساعدة سيباستيان»، وأنّني أريد أن *أكون صديقة لطيفة*.

عندما قال إنّه غضب غضبًا شديدًا، ولو كان في موقفي، لكان الأمر أشبه بضغطة زرّ: بدأت أبكي بسهولة أكبر ممّا يكون عليه الأمر في نهاية فيلم سيّئ.

لقد كان الأمر مبرمجًا نوعًا ما لي، للسّماح له بالاهتمام بي. أردت أن أقول نعم! قلت لفتاي أن يقتل والده، وقرّرنا أن ننتقم، ووضع حدّ لكلّ شيء؛ لأنَّني أردت له أن يشعر بالأسف بالنّسبة إليَّ (نعم! إنّني في أسوأ حال، حقًّا!). وبعد ذلك أردت منه أن يقول كيف يشعر بالأسف عليَّ، وبعد ذلك يمكنه أن يذهب بعيدًا، ويحصل رجال الشّرطة على ما يريدون ويدعوني في سلام.

ساعدني «ساندر»، وقد فهمت ذلك الآن. وحسبت في البداية أنَّه كان مستغربًا، عندما طالب فجأة باستراحة في منتصف الاستجواب. لم يكن الأمر أنّه قاطعني، أو قاطع الشّرطة، ولكنّه أراد أن يذكّرني من أنا من وقت إلى آخر، للتّأكّد من أنّني لم أنسَ ذلك.

«نعم...»، يبصق القاضي الكلمات في مكبّر الصّوت. «لقد حان الوقت لاستئناف المفاوضات في...»، ويواصل الاهتزاز..

عندما يبدو أن تدفّق الكلمات قد انحسر قليلًا، يستأذن «ساندر» ليقول بضع كلمات حول الجدول الزّمنيّ. القاضي يومئ منزعجًا ويوضح «ساندر» أنَّه بالنَّظر إلى «حالتي الصّحّيّة»، فإنّه من «المهمّ للغاية» أن ننهي إجراءات

اليوم في موعد أقصاه السّاعة الثّالثة. إنّه شيء «يجب على ساندر القيام به». وبالفعل، تمكّن من استعادة عمري، و«مدّة الاحتجاز الطّويلة والصّعبة بشكل استثنائيّ» الّتي «تحمّلتها» والقاضي يومئ مرّة أخرى، ولا يزال منزعجًا تمامًا، ومن الواضح أنَّه لا يحبّ أن يُذكَّر بهذا، وعندما يكمل «ساندر»، يستأنف القاضي همهمته حول ما يجب أن «يشمله» اليوم.

في الماضي، ظننت أنَّه من الغريب أن يناقش «ساندر» باستمرار الجدول الزّمنيّ. هو لم يرغب في أن يتخلَّص من المحاكمة في أسرع وقت ممكن، لكنَّه أصرَّ على تقديم طلبات حول عدم قدرته في هذا اليوم أو ذلك اليوم من الأسبوع الثّاني، لا في الثّالث. وقد أُجّلت المحاكمة مرّة واحدة؛ لأنَّ القاضي طالب بأن يكون من الممكن إجراؤها دفعة واحدة.

أفهم أنَّه كان من الجيّد بالنّسبة إليَّ لو قُسِّمت المحاكمة على أسابيع مختلفة، أربعة أيّام في الأسبوع، ثلاثة أيّام في الأسبوع التّالي، يومين ونصف في الأسبوع الثّالث، وهلّم جرًّا؛ فكلما كانت المحاكمة متقطّعة، زاد احتمال أن ينسى القضاة ما تحدّثنا به في آخر مرّة رأى فيها بعضنا بعضا. ومن الجيّد لي إذا كان من الصّعب عليهم إبقاء كلّ شيء في رؤوسهم. أيّ شيء يحسبون أنَّه فوضويّ أو غير منطقيّ يتحدّث نيابة عنّي. إذا كانت القضيّة غير واضحة للمحكمة، فهذا يعني أنَّ «لينا» القبيحة لم تقم بعملها بشكل صحيح. حتى لو كان «ساندر» لا يأمل «الفوز»، فيمكنه أن يبقي أصابعه متشابكة حتّى تخسر المدّعية العامّة.

وقد تمّت خطط «ساندر» وسنلتقي كلّ يوم، طوال اليوم، حتّى ينتهي الأمر. لكنَّ «ساندر» لا يزال ينتهز أيّ فرصة ليتحدّث عن الجدول الزّمنيّ.

ثمَّ حانَ دور المدّعيّة العامّة إذ لديها اثنان من البروتوكولات لمراجعتهما

فحسب، بيد أنَّ رئيس المحكمة العليا يطرح الكثير من الأسئلة. فلهذا استغرق وقتًا أطول ممّا كان مخطّطًا له. ولا أحد تظاهر بأنّه منزعج.

وعندما تُنهي المدّعية العامّة كلامها في نهاية المطاف، ستكون الكلمة لمحامي الضّحايا. وقد بدأوا الخوض في الأوراق الّتي من المفترض أن تُظهِر لماذا يجب أن أدفع تعويضات عن الخسائر. لقد سبّبت ضررًا لا يمكن إصلاحه. وفي العاشرة إلى الثّانية عشرة، طالب «ساندر» فجأة، بين دفاعين، بأخذ استراحة لتناول الغداء. إنّه بالتّأكيد أبكر ممّا نفعل عادة، ولكن يبدو أنَّ «ساندر» يحسب أنّه أمر حيويّ جدًّا.

وقد ماطل «ساندر» حسب ما رأيت فجأة؛ إذ إنّه لا يريد أن يبدأ بالحديث اليوم، بل يريد تأجيله.

واقترح القاضي أن نثبت حتّى السّاعة الواحدة قبل أن نتعب، من أجل إنهاء جزء الأضرار ربّما. بدا «ساندر» حينذاك أكثر انزعاجًا. فكلّ ما قدَّمه يدلّ على غضبه من أنّهم لم يفهموا أنّني أصغر من أن أتحمّل مثل هذا الضّغط على نسبة السّكّر في دمي.

وبعد مناقشة شديدة لمدة خمسة عشر دقيقة على الأرجح، وافق القاضي أخيرًا على أخذ الاستراحة لتناول الغداء. وسنعود في السّاعة الواحدة بعد الظّهر.

لا أظنّ أنَّ الأمر سيكون صعبًا عندما يتحدّث «ساندر». إذ لا يبدو متوتّرًا عند الحديث أبدًا، وليس عليه أن يفكّر بما يقوله.

وبالفعل خلال الخطاب الافتتاحيّ، تحدّث بما أعرفه وما لا أعرفه، وما كنت أفعله، ولكن قبل كلّ شيء ما لم أكن أفعله وقد فضّل «ساندر» التّحدّث بما لم أفعله.

قبل أن أذهب أنا و«سيباستيان» إلى المدرسة على سبيل المثال. وعندما عدت إلى منزله بعد النّوم في البيت، ذهبت إلى المنزل وأوقفت كاميرا المراقبة في الممرّ، ولم يكن أحد في المنزل. ولم يعلم أحد على وجه اليقين ما حدث عندما وقفت في القاعة في انتظار «سيباستيان».

انتظرت؟ هل هذا ما فعلته؟ كيف أمكن ذلك؟ قالت المدّعية العامّة إنّني فعلت الكثير من الأشياء الأخرى أكثر من الانتظار إحدى عشرة مرّة خلال ستّين ثانية. وقال «ساندر» إنّني لم أفعل أيّ شيء. وهذا وقت طويل. أبديّ، يمكن أن تقول. ألم أحسب أنَّ الأمر يستغرق وقتًا طويلًا؟ وهل كنت أجلس في القاعة ويداي على ركبتيَّ؟ ألم أنظر حتّى إلى هاتفي؟ هل تحقّقت من (الفيسبوك) أو (إنستغرام)؟ (سناب شات)؟

ألم أترك رمزًا تعبيريًّا واحدًا أو إعجابًا مثل أحجار السّيليكون، أو قطع الخبز الّتي تركها «هانسل وجريتل» عندما استدرجهما والدهما إلى الغابة حتّى يضيعا ويتضوّرا جوعًا حتّى الموت؟ أليس هناك نوع من الأدلّة الّتي تدلّ على أنّني لم أفعل ما تدّعيه المدّعية العامّة؟

لا، لا توجد، للأسف. لم يكن هذا حساب إنستغرام.

مكتبة
t.me/soramnqraa

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الأول، الجمعة

16

بمجرّد تناولنا الغداء، شرع محامو الضّحايا في تدارس القضيّة: عبر هكذا، وكيفما، وعلى الأرجح، ومن المناسب، وعن عمد... كان هناك بالضّبط خمسون دقيقة متبقّية قبل أن يحين الوقت لفسحة الجمعة. وسواء كان ذلك بشكل معقول ومقصود أم غير مقصود، بدا «ساندر» أكثر اهتياجًا ممّا رأيته في حياتي.

وقال بصوته المميز: «هذا غير مقبول على الإطلاق. لا يمكننا بدء قضيّتنا الآن».

ظننت للحظة أنَّ القاضي في المنتصف سيحتجّ، ولكنّه لم يفعل ذلك، بل قال حسنًا وانتهى. ولم تحتجّ المدّعية العامّة أيضًا. لذلك جمعنا ملفّاتنا وأقلامنا وأوراقنا وحقائبنا وغادرنا، في وقت أبكر ممّا كان مخطَّطًا له لأنَّنا تأخَّرنا.

وبدأ انتظار يوم الاثنين. لكن لم أُنقَل من السّجن بعد. سنجلس في غرفتنا، «ساندر» وأنا و«فرديناند» و«البانكيك». يريد الجميع العودة إلى منازلهم، ولكن لا «فرديناند» ولا «البانكيك» يجرؤان على طلب المغادرة. يمشي «ساندر» ذهابًا وإيابًا في الغرفة بضعة أمتار قبل أن يتّجه إلى «فرديناند».

وأومأت «فرديناند» قائلة: ـ أريدك أن تتحقَّق من كيفيّة سير المداولات بين موضوع دينيس أوريما ومحامي فاجرمان».

لقد أطلق «سيباستيان»، في الفصل، النّار على «دينيس» أوّلًا. ولفّقوا، في الصحف، أنَّ الرّجل الأسود مات أوّلًا. ولكنَّ «سيباستيان» لم يكن عنصريًّا، ولم يكن لون البشرة شيئًا يهمّ في حالة «دينيس». وحتّى لو حاول بضعة صحفيين وصف الحدث بمأساة ذات دلالات عنصريّة، وأنَّ سكان (يورهولم) لا يستطيعون التّعامل مع أولئك الّذين لا يشبهون أنفسهم تمامًا، فلا نرى آباء لديهم مشكلةٌ مع حقيقة أنَّ هناك أطفالًا من ضواحٍ أخرى في المدرسة. وبطريقة ما، فالعكس هو الصّحيح. وقد ناسب حقًّا الرّجال السّود سوادا معتدلا و«سمير» الموهوب فقط حسابَ إنستغرام ثانويّة (يورهولم) العامّة كصورة زاهية من سوق في مراكش تناسب التيار السياسي السخيف لوالدتي. هؤلاء الطّلّاب هم شهادة (مع مرشّحات أو من دونهنّ) على برنامج المدرسة المثير في التّعليم المتسامح والمفتوح ومتعدّد الأوجه.

لقد كان الأمر مختلفًا مع «دينيس». لم يكن جميلًا بلون قهوة اللّاتيه من الجنوب، ولا نتاج علاقة حبّ بين شقراء ضاحكة وطالب تبادل من غرب أفريقيا. لم يكن اسمه على اسم أيّ مغنٍّ لأغاني السّول، كما لم يكن ناصع البياض بما فيه الكفاية ليناسب قالب الإثارة. كان «دينيس» يمضغ بصوت مسموع عندما يأكل، ويطرح أسئلة غريبة بصوت عالٍ جدًّا، ويضحك على الأشياء الخاطئة. وإذا مشى صعودًا على الدّرج، يلهث حتّى إنّه لم يمكنه أن يفعل شيئًا إلّا وضع كفّيه المسطحتين على فخذيه مائلًا إلى الأمام، وهو يرفع كتفيه إلى الأعلى ويتنفَّس مخرِجًا أصوات الصَّفير. ربّما كان مصابًا بالرّبو، ولكن أوَّلًا وقبل كلّ شيء كانت لياقته البدنيّة رديئة، ويتغذّى على الدّهون غير المشبعة بالكاتشب. «دينيس» مع ما لا يقّل عن ثلاثة أصدقاء من المنحة التدريبية كانوا يأتون دائمًا أوّلًا إلى غرفة الطّعام ويُغادرونها دائمًا متأخّرين. ولم تكن المنحة التدريبية شيئًا تفتخر به المدرسة، فذلك التَّدريب كان موجودًا

في ملحقٍ صغيرٍ في المبنى الّذي كنّا ندرس فيه. والسَّبب الوحيد الَّذي يجعلنا نعرف اسم أحد رجال الورشة هو أنّه كان لديه دائمًا مخدّرات ليبيعها.

لدى «ساندر» تجعّدَ قلقٍ على جبهته. إنّه عميق جدًّا حتّى إنَّه يمكن رؤيته من الجانب. والآن هو يلتفت إلى «البانكيك».

وأضاف: «سنحتاج أيضًا الى الاجتماع لمدَّة من الوقت بعد ظهر الأحد، ومناقشة كيفيّة لفت انتباه المحكمة إلى الجوانب الأخرى من حياة أوريما».

أجرت المدّعية العامّة مداخلة طويلة حول مدى الشّعور بالأسف لـ«دينيس». كيف هرب بمفرده من أفريقيا، وعاش في منازل عائليّة وهدّد بالتّرحيل وكلّ ذلك، أظنّ أنَّ «ساندرز» قد عبس لأنَّه لا يعرف كيف يجعل القضاة يفهمون أنَّنا نشعر بالأسف لـ«دينيس» (لأنَّنا أشخاص طيّبون)، وأنَّنا نشعر بالتَّعاطف مع تاجر المخدّرات الميّت والسّمين، ولكن لا نزال نذكّرهم بمن كان هو في الواقع (أي تاجر المخدّرات السّمين لـ«سيباستيان») من دون أن يبدو الأمر وكأنَّنا متحيّزون.

لدى كلّ شخص تحيّزات تجاه «دينيس». كلّ صحفيّ مستقيم سياسيًّا، كلّ عضو مجلس إدارة، كلّ محام، وبغضّ النّظر عمّن يمثّل هؤلاء، وعمّا يفكّرون به حول «دينيس» فواضح جدًّا إلى درجة أنّه كان من الممكن أن يكون لديهم صليب معقوف موشوم على جباههم. ولم يكن «دينيس» «صديقًا»، بل إنَّه لم يكن «أنيقًا» (ولا حتّى «كريستر» لم يسمِّه بذلك). كان لدى «دينيس» «صعوبة في التّركيز» (لغة المعلّمين لشرح لماذا اضطرّ معلّمه إلى اصطحابه في الحافلة في الصّباح لكي يحضر دروسه بشكل رئيس). لغة «دينيس» السّويديّة كانت مزحة، وأحيانًا نكتة ممتعة. ولم يتحدّث الى الفتيات من دون رفرفة عينيه، ولم يستطع الرّقص، ما خلا الرّكل بساقيه في فريسكيس وسفيتيس.

ولم يكن «دينيس» موسيقيًّا ساحرًا، وربّما لم يكن لديه أكثر من لحن الأصمّ لو كان أصمّ حقيقيًّا.

كان «دينيس» يرى أنَّه من الأمور العصريّة أنَّ يضع مرطب الشَّعر، وأن يصفق شعره الدّبق بمحبّة صفقًا كما لو كان يحكّ ما بين فخذيه. الفتيات اللّائي تعلّق بهنّ (في مركز تابي أو في مركز المدينة) كان شعرهنّ، وأظافرهنّ اصطناعيّة، والرّموش كاذبة، والشّحوم فضفاضة حول الخصر وقد اختمرت على حزام بنطلون الجينز. الجينز الّذي مزّقنه طوال الوقت وعبثًا لإخفاء الشّقّ الموجود في الخلف. وكان لديهنّ أوشام غير مفهومة في شفرات الظّهر والكتف، وكانت رائحتهنّ غريبة، وكنَّ يمضغن العلكة وأفواههنّ مفتوحة، وقد حسبن أنَّ البطاطس المقليّة هي خضروات. ربّما خبزن النّقانق والسّنايكرز في زيت القلي، ودعون عليها عندما كان هناك حفلة. ولم يطلبن شرائح بيتزا كباب كبيرة بما فيه الكفاية مع صلصة بيرنايسه. (نعم، أطلق بعضهنّ على بعضهنّ الآخر صفة «الأخوات») و«الإخوة» وكانوا يتخاطبون بعبارات: «مرحبًا رجل»، و«نعم يا رجل» عندما يلتقون. كما يشكلون سباباتهم وإبهاماتهم على شكل مسدّس، يوجهه بعضهم إلى بعضهم الآخر لأسباب لم يفهمها أحد، ويضحكون بعنف بصوتٍ عالٍ من النّكات من دون تسجيل. لا أحد يتصوّر أنَّ «دينيس» كان سيصبح سياسيًّا ليبراليًّا معتدلًا عندما يكبر.

لا دليلَ تقنيًّا ولا دليل آخر يربطني بموت «دينيس». لم أقتل «دينيس». «ساندر» سيشير إلى ذلك بالطَّبع. سيبذل قصارى جهده أيضًا ليجعل الجميع يفهمون أنَّه لم يكن لديَّ سبب لأرغب في قتل «دينيس».

فما عدا اللّيلة الأخيرة، لم يعطني «دينيس» الكوكايين، أو الحشيش أو أيّ شيء آخر. أعطاني «سيباستيان» ما أردت، ولم أكن أعرف «دينيس»، ولم أكن

أريد أن أتعرّف إليه، ولم يُرِد «دينيس» أن يعرفني في المقابل. وحين تحدَّث إلى «سيباستيان» عندما كنت هناك، كانت المخدّرات معه، وكان يتجنّب النّظر إلى نهديَّ. لكنَّه لم يتحدّث إليَّ أبدًا، لم يتحدَّث إلى «عروس شخص آخر»؛ إذ رأى أنَّ «العرائس» يطالبن بالاحترام فقط في الحالات الّتي يواعدن فيها «رجلًا» يجب أن يحترمنه. في اللّيلة الأخيرة، عندما تم طرد دينيس من قبل «كلايس»، بكى يذرف بلّورات الدّمع الشّمعيّة المستديرة، وتمخّط مخاطًا شفّافًا لم يمسحه، بل تركه يسيل. لقد بكى لأنَّه كان سيتخلَّص من المخدّرات الَّتي أحضرها معه لبيعها، ولم تكن مخدّراته هو بالطَّبع. ولو لم يكن لدى «سيباستيان» الوقت لقتله بعد بضع ساعات، لقتله مورّد «دينيس» بدلًا منه.

والادّعاء بأنَّني أردت أن يقتل «سيباستيان» «دينيس» أمر سخيف. والقول إنّني كنت بحاجة إلى إقناع «سيباستيان» بقتل «دينيس» هو أمر أكثر سخافة.

عندما فتحت الشّرطة خزانة «دينيس» بعد إطلاق النّار، وجدت مسدسا فارغا. وأنا أعلم أنَّ «ساندر» يريد أن يصنع هالة كبيرة من الأهمية حول هذا المسدَّس أيضًا. لا يمكنه أن يعرف لماذا كان لدى «دينيس» ذلك السلاح، لكنَّه سيحاول استخدامه لجعل الجميع يفهمون أنَّ «دينيس» عاش حياة خطيرة. تقريبًا خطيرة مثل حياة «سيباستيان» أو أكثر خطورة بكثير اعتمادا على الطّريقة الّتي ننظر إليها.

يدّعي الصّحفيّون أنَّنا عاملنا «دينيس» كحيوان أليف لدينا. ولكنَّهم لا يتظاهرون بأنَّنا نكاد نكون الأسوأ على سبيل المثال. إذا كان شخص ما قد ألبس «دينيس» قميص رالف لورين، فإنَّه قد استغرق أقلَّ من عشرين دقيقة لإدارة المدرسة للمطالبة بفتح خزانته ومراجعتها، حتّى يمكن العثور على بقيّة البضائع المسروقة. إضافة إلى ذلك، اكتسب «دينيس» الكثير من المال

بفضل «سيباستيان». كلّ أسبوع أصبح جينز «دينيس» أكثر تكلفة، وكانت سلاسل الذّهب السَّميكة تختبئ أكثر وأكثر في جلد عنقه.

ولكن لا أحد استطاع أن ينظر إلى «دينيس» من كثب بما فيه الكفاية ليلاحظ ذلك. المعلّمون والبالغون في المكان الّذي كان يعيش فيه ربّما ظنّوا أنّ مجوهراته مزيّفة، وربّما لم يدركوا كم كانت أحذيته الرّياضيّة القبيحة باهظة الثّمن. ولكن أظنّ أنَّهم لم يكترثوا بشكل رئيس لكيفيّة حصوله على ماله، ما دامت الأشياء الّتي سرقها لا تعود للطّلّاب الآخرين؛ لأنَّها كانت مجرَّد مسألة قبل بضعة أشهر، قبل أن يضطرّ «دينيس» إلى «الهرب» من المنزل الَّذي كان يعيش فيه لتجنّب التّرحيل، عندما جعله تاريخ ميلاده الوهميّ يبلغ من العمر ثمانية عشر عامًا. وبعد ذلك يتخلّصون منه ومن كلّ المشاكل الّتي جلبها معه. فهل كان المعلّمون منزعجين من ترحيل «دينيس»؟ مجرّد التّظاهر. في الواقع، ظنّوا أنّ ذلك أمر لطيف.

لم يظنّ أحد أنَّه سيكبر ويرتّب حياته. ولم يكن «دينيس» يعرف معنى ذلك، ولم يستطع حتّى تهجئة الحياة. وهاتفه الخليويّ مع بطاقة مسبقة الدّفع مجهول، ولم يكن يتضمَّن أيّ برنامج إملائيّ لمساعدته في ذلك.

والمدّعية العامّة وجميع رفاقها الصّحفيّين يمكنهم الصّراخ حتّى يبحّ صوتهم بأنّه لا ينبغي لأحد أن يمرّ بما مر به «دينيس»، ولكن لم يشعر أحد بالأسف الكافي عليه لفعل أيّ شيء حيال ذلك. فالجميع عاملوه كمن حُكِم عليه بالإعدام، في حين كان على قيد الحياة. على الأقلّ «سيباستيان» دفع له المال. لم أقتل «دينيس»، لم أحكم عليه أكثر من أيّ شخص آخر. أظنّ أنَّ «ساندر» يريد أن يخبر المحكمة كلَّ ذلك، لكنَّه لا يعرف كيف يفعل ذلك.

قبل بضعة أيّام، قرأت المدّعية العامّة «لينا» الرّسائل النّصيّة الّتي كتبتها

إلى «أماندا» عن «دينيس». وجاء في إحداها: «إنّه مجنون، ولكنّه سيموت قريبًا». كتبت هذا في إحدى الرّسائل، وفي أخرى أطول، كان الّذي كتبته إلى «سيباستيان» يحتوي سطرًا يتضمَّن عبارة «يجب أن يخرج من حياتك».

يقول «ساندر» الآن: «نحن بحاجة إلى التّعامل مع تلك الرّسائل النّصّيّة القصيرة بطريقة واضحة». «أريد أيضًا أن أفعل ذلك من دون التطرق إلى الرّسائل الأخرى الّتي لا علاقة لها بالأولى. فهذا هو نهجنا الرّئيس. أبقوها منفصلة».

لا يزال «ساندر» غير معتمد علي، بل على «فرديناند» و«البانكيك». وأحسب أنَّهم عادة ما يراجعون ما قد حدث وما يجب القيام به كلّ يوم بعد نهاية جلسة الاستماع، غير أنَّهم ينتظرون عادة إلى أن أذهب إلى السّجن. يبدو أنّ «فردیناند» و«البانكيك» يتصوّران أنَّ «ساندر» يثرثر.

«لا ينبغي أن يكون لدينا الكثير من المشاكل في التّعامل مع الرّسائل النّصّيّة حول «دينيس». ومن المفهوم تمامًا أنَّ «مايا» لا تريد أن يعاشرها «سيباستيان»، يقول «ساندر» وتومىء «فردیناند» إيماءةً منفصلةً. «لا أحد يستطيع لوم (مايا) لرغبتها في اختفاء (دينيس) من حياة (سيباستيان)»، و«البانكيك» يهزّ رأسه شبه راضٍ تمامًا. لقد سمعوا هذا ألف مرّة من قبل، وكان عليهم أن يستمعوا إلى «ساندر» يتحدَّث إلى نفسه مرّات أكثر ممّا يمكنهم تعقّبه.

أظنّ أنَّ «ساندر» على حقّ، ولكن لا أحد كان سيعترف أنّه لو مات «دينيس» لما جرى اعتقالي أبدًا كما أنَّ أحدًا لن يعترف أنّهم كانوا يفضّلون قتل «دينيس» نفسه على السّماح له بأن يكون صديقًا لأطفالهم؛ لأنَّهم يخشون الظّهور بمظهر عنصريّ. ولكن لا أحسب أنّ «دينيس» شعر بأنَّه مثل حيوان أليف. لقد أفسد الطّريقة الّتي عاملناه بها، وأراد فقط أن يجني أكبر قدر ممكن من المال قبل أن يضطرّ إلى المغادرة.

لا يزال «ساندر» يتحدّث إلى نفسه، وتتظاهر فرديناند والبانكيك بالاستماع. وقال «ساندر»: «يجب أن أبدأ بمحور الزَّمن، ولا سيّما موقفنا من أحداث اللّيلة الفائتة. لكني عندما أتناول الضّحايا أبدأ بـ(دينيس) و (كريستر) وهذا أقلّ إشكاليّة.»

قَتْلُ «كريستر» يذهب مع الادّعاء الشّائع بأنّني ساعدت «سيباستيان» في القيام بما فعله، وإذا كنت تحسب أنَّني أنا متواطئة حتّى في وفاة «كريستر»، فلا تظنّ أنّه لا ينبغي الحكم عليّ.

موت «كريستر» كان «صدفة»، ربّما؟ أم إنّ كلّ البالغين الّذين حاولوا إخبار «سيباستيان» كيف يعيش حياته يستحقّون الموت؟ أخبرني «ساندر» أنَّه لا يريد التّكهّن بما أراده «سيباستيان»، وما لم يُرِده.

لا تعلم المدّعية العامّة لماذا قتل «سيباستيان» «كريستر»؟ ربّما كان في المكان الخطأ في الوقت الخطأ. وربّما لم يهتمّ «سيباستيان» بمن مات؛ فكلّما كان عددهم أكبر كان ذلك أفضل؟ وإنّ ما وجدوه في خزانتي يوحي بأنّه كان يودّ أن يقتل أكثر من ذلك، أو... أنا آسفة. وفقًا للمدّعية العامّة، هذا يثبت أنّني و«سيباستيان» أردنا قتل نصف المدرسة.

في وقت سابق من هذا الأسبوع، عندما كانت المدّعية العامّة تتكلَّم عن «سمير»، بكيت. لم أرد البكاء لأنَّني أعرف أنَّ هذا هو ما يريدني «البانكيك» أن أفعله، غير أنَّني لم أستطع منع ذلك. وأردت أن أقول شيئًا لكي يتوقَّفوا عن الاستماع إلى المدّعية العامّة، ولكن بّما أنّه يسمح لي بالتّحدّث فقط عندما يحين دوري للحديث، بكيت.

لم أبكِ عندما قالت المدّعية العامّة إنّه، حتى لو لم يخبرني «سيباستيان»، وإنّه، حتّى لو لم أرَ جثّة «كلايس ڤاجرمان» عندما كنت في منزله، فلا بدَّ من

أنَّه كان لديَّ الوقت لأفهم أنّ «كلايس» كان ميتًا في تلك الدّقائق الإحدى عشرة عندما كنت في منزل «سيباستيان»، وخاصَّة بالنظر إلى ما كتبته من رسائل نصّيّة إلى «سيباستيان» خلال اللّيل والصّباح. وعندما قالت إنّني أنا و«سيباستيان» خطَّطنا لذلك ولغيره معًا وإنّنا أيضًا أردنا القتل وأردنا أن نموت معًا، نظرتُ مباشرة إلى الأمام من دون إبداء أيّ ردّ فعل. استمعت عندما قالت إنّه على الرّغم من أنّني لم أفهم أنّ «سيباستيان» كان جادًّا، وعلى الرّغم من أنّني كنت غبيّة بما فيه الكفاية حتّى لا أصدّق أنّ هناك أسلحة ومتفجّرات في حقائبي، كان يجب أن أفهم واحتجّ؛ وبما أنّني لم أحتجّ، فأنا مدانة بالتّواطؤ. وقالت المدّعية العامّة إنّ الأدلَّة التّقنية تُظهر أنّني ارتكبت جرائم القتل الّتي ارتكبتها، لقد قالت الأدلّة التّقنيّة ذلك مرارًا وتكرارًا. إنّها تحبّ هذه الكلمات، وصوتها كان مهتاجًا بها إلى درجة أنّه كاد أن ينقطع. ولكنّني بقيت هادئة.

وعندما تكلّمت على «أماندا»، وضعت «فردیناند» يدها على كتفي. كانت رقيقة وخفيفة وكأنّها لا تكاد تلمسني، أمّا أنا فعضضت يدي حتّى لا أصرخ مباشرة.

لا أحد يحسب أنَّ قتلي «سيباستيان» كارثة. كان يجب أن أفعلها مبكرًا على ما أظنّ، ولكن أن أقتل «أماندا» فهذا مما لا يمكن تفسيره.

«لقد كان دفاعًا عن النّفس»، سيقول «ساندر» حول الطّلقات الّتي أطلقتها.

«الإهمال» «مسبّب القتل». «دفاع عن النّفس». سيستخدم الكثير من الكلمات ليشرح أنّها كانت غلطة لا ينبغي أن ألام عليها، لقد تصرّفت لتجنّب خطر أكبر.

في أعماقي، أعرف أنّني لم أحاول الدّفاع عن نفسي بطريقة مدروسة بوعي. ولم أفكّر بـ«مساعدة»، ولم أكن أظنّ، «يجب أن أقتل سيباستيان، وإلّا

فإنّه سوف يقتلني.» الرّعب الّذي شعرت به لا يمكن تفسيره، لقد كان شيئًا حدث لجسدي في حين كانت الرّوح تستعدّ للموت.

بكيت عدّة مرّات خلال الأسبوع. لكن ليس لأنَّ «البانكيك» يريدني أن أفعلها. ولا أظنّ أنّ هذا يفيد.

عندما نكتشف أخيرًا أنّ سيّارتي من السّجن باتت هنا، يدعو «البانكيك» إلى الذّهاب معي وحارس الأمن إلى هناك. وبينما نسير من المصعد إلى السّيّارة في المرأب، ينتظرنا الصّحفيّون. أنا متعبة، يأخذون الصّور بكاميراتهم العملاقة، الطّقطقة، المدافع الرّشاشة مع كواتم الصّوت. أواجه «سوزي» الَّتي تقف إزائي، وتطوّقني بذراعيها، أحوّل وجهي نحو رقبتها. وهي في الواقع أطول ممّا أنا عليه، إنّها تكاد كون طويلة القامة بصورة غريبة، لذلك قد تبدو لطيفة. أشبه بأمّ.

يحبّ «البانكيك» بالتّأكيد أن يلتقطوا صورا لي عندما أشعر بحنان الأمّ، وهو ما يجعلني أبدو أصغر سنًّا وأكثر أنوثة وحزنًا. ربّما كان قد أبلغ حتّى الصّحافة عن الطّريق الَّذي يجب أن نسلكه، حيث يمكن أن يقفوا لالتقاط صورهم.

«مايا»، يصرخ أحد الصّحفيّين. «كيف سارت الأمور اليوم؟».

أنا لا أجيب وأدع «سوزي» تثرثر في المقعد الخلفيّ.

أجلس بعيدة عن الكاميرات قدر الإمكان. النّوافذ مظلمة. ولكنَّني أرى «البانكيك» يتقدّم إلى الصّحفيّ. ومن الغريب أنّه تبعه حتّى موقف السّيّارة. وعادة ما يكون حارس الأمن كافيًا لذلك. ولم يكن لدينا، أنا وهو، أيّ محادثات جارية لإنهائها. وربّما يجب عليه مواصلة استجواب «ساندر» والتّكلّم عن الوضع، وكيف سار الأمر؟ ماذا يفعل «البانكيك» هنا؟ ربّما يريد

التّأكّد من حسن سلوكي. ولماذا يقلق بشأن تصرّفاتي إذا لم يكن يعرف مسبقًا أنَّ هناك صحفيّين في المرأب الرّطب؟

يقول «البانكيك»: «هم» مهتمّون بي، بكياني، من المهمّ أن «أحصل» على «شخصيّة»، وأن «أصبح إنسانًا».

يتوقّف دفاعي كلّه، وفقًا لـ«لبانكيك» على ذلك. من «هو» أنا؟ بالتّأكيد.

بمجرّد أن تمكّنا من الوصول إلى التّحقيق الأوّليّ، بدأ «ساندر» نفسه بمليون تحقيق مختلف للتّحقّق من نتائج التّحليل الفنّيّ ونتائج التّحقيق. ولكن يبدو أنَّ «البانكيك» يركّز في الغالب على جعلهم يفهمونني. «من هؤلاء» يبدو أمرًا أكثر غموضًا؛ لأنّني لا أظنّ أنّه يعني القضاة. على الأقلّ ليس هم.

تربّت «سوزي» على ذراعي. وأدعها تمسك بيدي. لم يعد أحد يراني الآن. يبقى باب مقعد السّائق مواربًا، ولكن يبدو أنَّ المصوّرين لم يلاحظوا ذلك. وأسمع «البانكيك» يتحدَّث إلى الصّحفيّين.

إنَّه صوت منخفض، ولكنه واضح.

«لا يمكننا التّحدّث الآن، كما تعلمون. لقد كان يومًا طويلًا». يبدو متعبًا، متعبًا أكثر بكثير ممّا كان عليه في المصعد وصولًا الى المرأب. «أتأسف لمايا. هذا صعب عليها. إنّها صغيرة جدًّا...». الآن قالها مرّة أخرى. وأتساءل عمّا إذا كان الصّحفيّون قد بدأوا يظنّون أنَّ الأمر مملّ...». وليس من الشّائع أن تسجن فتاة في هذه السّنّ لمدَّة طويلة. وقد حكم عليها بالاحتجاز لمدَّة طويلة ومرهقة بشكل استثنائيّ».

أنا أحاول النّوم في السّيّارة. إنّني مُجهَدة. إنّها حقًّا مفهومة من لدن «البانكيك» المتعاطف معها. لكنَّه مخطئ بشأن الأمر الآخر، والاحتجاز

ليس صعبًا للغاية. ليس لأنَّه مكان لطيف، لأنّه ليس كذلك. وليس لأنَّ الطّعام لذيذ، بل لأنّه ليس لذيذًا، وبسبب كلّ ما أتجنّبه.

كلّ يوم في السّجن نسخة مطابقة من اليوم السّابق، ولا سيّما بعد أن أنهوا استجوابي طوال الوقت. إنّه ممتع للغاية. لا مفاجآت. لا أشخاص جدد. كلّ الأطعمة لها المذاق نفسه سواء كان كرات اللّحم، أم السمك، أم عجّة البيض. أنا أتناول الفطور والغداء والعشاء. لديَّ ساعة للاستراحة، وساعة للتّمارين الرّياضيّة (أتظاهر بأنَّني أتمرّن). التّعليم. عشر دقائق للدّش. أستلقي على سريري، أستلقي على الأرض في زنزانتي، أذهب إلى مرحاضي، أستمع إلى من يمرّ أمامي، أحاول أن أقرأ، أستمع إلى الموسيقى، أنام أكثر ممّا فعلت طوال حياتي. الزّيارة الوحيدة الّتي تجري لي هي عندما يأتيني «ساندر». لكنّهم يدعونني أبقى بسلام في عطلة نهاية الأسبوع. لا أحد يكلّمني، أو يفاجئني، أو يجبرني على التّفكير.

لم يكن لدينا الوقت لنبدأ في رفع القضيّة اليوم، لكن بعد نهاية عطلة نهاية الأسبوع يحين موعد صفحتي من القضيّة حول «سيباستيان» وأنا، والحبّ والكراهية وكيف خنته.

سيباستيان وأنا

17

كنّا معًا في الصّيف قبل عمليّة القتل، أنا و«سيباستيان». كان الجوّ حارًّا للغاية في ستوكهولم، حتّى لم يعد النّاس يتحدَّثون عن الطَّقس ثلاثة أسابيع. كانوا يشكون مكيّفات الهواء المعطلة، والجليد الّذي كان له مذاق جوارب قديمة وآيس كريم محبّب، من دون أن يشكوا الحرَّ الّذي صار حالة اجتماعيّة.

مارست العمل الصّيفيّ في ليلتي الأخيرة في أحد الفنادق القريبة من ستورا بلان عندما ظهر «سيباستيان». من العاشرة مساء حتّى السّابعة صباحًا لثلاثة أسابيع كنت أردّ على اتصالات الهاتف. أحجز للضّيوف، ألغي حجوزات الضّيوف، أتّصل بموظّفين إضافيّين لأداء خدمة الفطور والتّنظيف، وأستمع إلى فنلنديّين سكارى where ara the Nice Girls? وفي حال لم يريدوا أن أصعد بالمشروبات الكحوليّة إليهم في غرفهم. (be a nice girl, will you, Hehe). وكان هناك تحت الطّاولة زرّ إنذار، لم يصادف قطّ أن استخدمته. وكان أحدهم أحيانًا يتقيّأ على الأغلب في الغرفة، إلّا أنَّني لم أعتنِ به. ومرّة خدش رجل مفاصل يده، فبعث برسالة نصّيّة إلى الشّرطة، تغريدة في الوقت المناسب قبل أن يستهلَّ عمله.

التقيت في طريقي إلى العمل سيّاحًا متعبين في طريقهم إلى مطاعم رخيصة، كما التقيت آباء وأمّهات بعيون جاحظة يصطحبون أطفالهم في عربات برزت مقاعدها إلى الخارج، أو ألمان خاملين مرتدين صنادل ومعهم

خرائط قديمة منكمشة. لم يكن عملًا مجهدًا، ولم يكن صعبًا، وبرواتب مجزية واكتسبت بسببه «خبرات» (تعبير خاص بأبي). كان أبي «مع» أن أعمل عملًا إضافيًّا، متصورا ذلك كينبوع ثروة وخيرات كأنك تستثمر في بنك المقاولين (كامبارد) ومصرف المقاولين الشباب. في حين أرادت أمّي أن أعود إلى البيت كلّ صباح بسيّارة أجرة، ولكنَّ أبي لم يتعاطَ معها في هذا الأمر، فتوقَّفت عن الهراء.

كان (سيباستيان) في أحد النّوادي القريبة، وقد دخل عندنا لاستعارة المرحاض. كنت أعمل وحدي؛ لأنَّ زميلي عاد إلى المنزل مبكرًا، لأمور ذات علاقة بيوم ميلاد ابنه.

لم يكن لنا أن نعير الآخرين المرحاض إلّا الضّيوف، ولكنَّني لم أكن لأرفض أيّ طلب لـ«سيباستيان». فكيف علم أنَّني أعمل بالضّبط هناك في هذا الوقت، لم أعلم قطّ، ولم أعلم حتّى أنّه لا يزال على بينة من هويتي. لقد مرّ وقت طويل على ذهابنا معًا في روضة الأطفال نفسها. وكان «سيباستيان» يكبرني بسنة واحدة، وإذا لم يكن مضطرًا إلى إعادة السّنة الأخيرة، لكان قد تخرَّج فعلًا. ولكنَّنا سنبدأ قريبًا بالمرحلة نفسها. عرفت ذلك، والجميع عرفوا أنَّ «سيباستيان» سوف يكرر السنة، والآن صعد إلى مكان الاستقبال في الفندق الّذي كنت أعمل فيه.

صاح بصوته الواضح: ـ مايا. ولم تبدُ عليه الدّهشة قطّ عندما رآني، وأخذ قلبي ينبض بوتيرة أعلى، أشبه بحالنا عندما ذهبنا إلى روضة الأطفال. ثمَّ بقي إلى أن حان وقت مغادرتي البيتَ. تمشَّينا والمدينة خالية، والجوّ أبرد ممّا كان عليه في الصّباح؛ كنّا نمشي متجاورين عبر هوملغوردن، صعودًا إلى شارع إنجلبريك حتّى محطّة أوسترا، حيث أقلنا القطار إلى أوسبي. جلس بجانبي

في عربة القطار، وعندما وصلنا استلقى على ركبتيَّ ونام من دون أن يعلّق على ما يقوم به. وعندما تباطأ القطار بالقرب من محطّتنا مسّدت جبينه لأوقظه، ونظر إليَّ عندما استيقظ، ورفع يديه وسحب إبهامه من شفتي السّفلى. ولا شيء غير ذلك.

سافرت بعد ظهر اليوم نفسه في إجازة سنويّة برفقة أمّي وأبي و«لينا». كانت أمّي قد قرَّرت أن نتجوّل داخل أوروبا بالسّيّارة، ولكنّنا سافرنا أوّلًا بالطّائرة إلى جنيف، حيث استأجرنا السّيّارة الّتي استخدمناها لنقلنا إلى فندق بوتيك هوتيل الّذي اختارته أمّي في أحد المواقع الإلكترونيّة مع عروض «فريدة». كان أبي يقود السّيّارة؛ إذ إنّه يقود دائمًا عندما يكون مع أمّي في السّيّارة (ما عدا الأوقات الَّتي يكونان ذاهبين فيها إلى حفلة). كنّا نغيّر محطّة الرّاديو بعد كلّ ميل، عندما تبدأ بالطّقطقة. استمعنا إلى الموسيقى نفسها من بلد إلى بلد، وقد جعل المذيعون كلَّ هذا يتشابه، الضّحكات الخليعة نفسها، وصوت الشّين الإيجابيّ (شلابشبلاشا ريهانا، شوشوشو آريانا غراندي!). كان مقدّمو البرامج يتحدّثون بالطّبع لغات عديدة مختلفة، وقدَّموا في إيطاليا المزيد من الأغاني الإيطاليّة، وفي فرنسا المزيد من الأغاني الفرنسيّة، ولكن على العموم كانت أكثر الأشياء متشابهة، وكنت أنا أعاني نوعًا من الصّدمة. لقد كان «سيباستيان» قد انفجر في رأسي. كنت في الموقع الخطأ، مع أشخاص خطأ، جالسة إلى جانب «لينا»، وكيس القيء الخاصّ بها موجود في الخلف وكانت تبحث عنه. ولا أكترث لشكاوى أمّي وأبي من الرّسوم الَّتي سأدفعها للاتّصالات الجوّالة (رومينغ)، فقد دقَّقت في كلّ مكان، تصفَّحت الإنترنت بجنون، ولم أجد شيئًا يدلّني على مكان وجوده، ولم أجرؤ على أن أسأل أحدًا يعرفه أو أن أضيفه إلى مكان حيث لم يضفني هو. فجلست في السّيّارة تنتابني خيبة قاتلة وارتباك شديد للحظّ الَّذي تسلل من بين يدي. كان «سيباستيان»

مستلقيًا على ركبتيَّ، نظر إليّ ثمَّ غادر. إلى أيّ حدّ يمكن للمرء أن يكون أحمق؟

قضينا تسعة أيّام من إجازتنا السّنويّة، وكنّا في فيلافراجاسور ـ مير خارج مدينة نيس عندما اتّصل سيباستيان، اهتز هاتفي المحمول في يدي المتعرّقة، كان لديه رقم مخفيّ، وأوصلني بالسّكوتر. بدا أبي مندهشًا، وشلت الصدمة أمي. التقانا «سيباستيان» جميعًا في قاعة الفندق الّذي نقيم فيه، ودعا أمّي وأبي «ولينا بالطّبع» (كيف عرف اسمها؟) إلى العشاء «في القارب» في المساء. كان «قارب» أبيه راسيًا خارج الميناء في نيس، واستطعت أن أرى كيف أخذت أمّي ترقص رقصة السّتيب في مكانها؛ لأنّها لم تستوعب كيف يكون لديها الوقت لشراء ثوب جديد؟! وانتفخ أبي ليتضاعف حجمه؛ لأنَّ والد «سيباستيان» أكثر من «زبون احتماليّ» بكلّ معنى الكلمة، لقد كان «كلايس فاجرمان» فرصة لا تعوض.

لم يبدُ على «سيباستيان» أنّه لاحظ شيئًا؛ كان ينظر إليَّ فحسب. وقد ذكرت «آماندا» لـ«سيباستيان» أين كنّا، فقرّر أن يسافر في صباح اليوم نفسه. كانت الأشياء جميعها غير واقعيّة على الحدود إلى درجة سرياليّة. ذهبت معه من هناك، في المقعد الخلفي للسّكوتر، واضعة ذراعي حول خصره، الطّرق ضيّقة طوال السّاحل، حادّة وسط أجواء حارة، واضطجعت معه مرّتين على السرير الزّوجيّ البيضويّ الشّكل في القارب (تحت ملاءة بيضاء) قبل أن تصل أمّي وأبي و«لينا» لتناول العشاء معنا، وكان والد «سيباستيان» على ظهر المركب تحت مليار نجمة في السماء.

كان طول القارب ستّين مترًا تقريبًا. سطح السّفينة أملس كالحرير ليّنًا وشرابي اللّون، وكان كلّ شيء ذا أغطية من نحاس وذهب وفضّة ورخام

أبيض. وبحلول وقت تناول الوجبة الخفيفة من الطّعام، كانت الشّمس قد غربت بالفعل. جلسنا في الجزء العلويّ من القارب، وكان الجزء السّفليّ منه مضاءً على طول خطّ المياه، وحول سطح السّفينة العلويّ حيث طاولة الطّعام. كان لدينا خدّام ضيافة أكثر ممّا يمكنني تتبّعه، ونظر أمّي وأبي إليَّ في كثير من الأحيان أكثر من المعتاد. أرادت «لينا» الجلوس في حضني.

قال والد «سيباستيان» لوالدي بابتسامة عريضة: «لقد فقدت الأمل في رؤية سيباستيان هنا. أظنّ أن الفضل يعود إلى مايا. لقد قرّر تكريمنا بزيارة».

كدتُ لا أتوقّف عن النّظر إلى «كلايس فاجرمان» تلك اللّيلة الأولى. لقد كان راويًا مذهلًا، وفنّانًا ترفيهيًّا ساحرًا، وكان ألمعيًّا أكثر ممّا كان عليه في الصّحيفة. ضحكت أمّي مسرورة كببّغاء أستراليّة. وكانت قد اشترت ثوبًا جديدًا، وكان ثمّة شيء في شعرها، بدا وكأنّه إكليل الغار في ورقة مذهبة مقلدة، ولكن كانت حقيقية، وإلّا فإنّها لن تجرؤ على ارتداء شيء يبدو رخيصًا جدًّا.

طوّقني «سيباستيان» بذراعيه، وكان «كلايس فاجرمان» يروي حكايات عن ناس لم أسمع بهم قطّ، وأبي يضحك بابتهاج. كان والد «سيباستيان» يجيد كيفية جعل الطّرف المقابل يسترخي، ولم يكن يخشى أبدًا التصدعات الّتي قد تحدث عندما يدفع ناسًا لا يعرف بعضهم بعضًا إلى التقارب، ولم يملّ السّكوتَ أو التّنحنحَ أو مواضيع المحادثات المضجرة. كان يبتسم فحسب ويقصّ نكات أضحكت الآخرين بسهولة. لم أدقّق بهذا في اللّيلة الأولى، فلم تكن لديَّ فكرة عمّن يكون حقًّا. ثملت أمّي إلى حدّ أنّها تناولت حلوياتها، و«لينا» نامت على الكنبة فجاء أحد الموظّفين وغطّاها ببطّانيّة على الرّغم من أنّ الجوّ كان دافئًا.

وقال «كلايس» مرّة لي: ـ أنا ثريّ، هل تعلمين؟». ولم يقل ذلك من باب التّباهي، بل لكي يوضح أصله. فقد ربط غناه بقوميّته.

كان يعيش في وطنه. ولا علاقة لذلك بالجغرافيا. فإنَّ الأثرياء السّويديّين حقًّا أشبه بالأثرياء اليابانيين أو الإيطاليّين أو العرب أكثر من أيّ سويدي آخر. وقد أعجب أبي بذلك لأنّ «كلايس فاجرمان» قد اكتسب هذه القوميّة بنفسه، ولم يرث أموالًا أو امتيازات، أو على الأقلّ ليس من أرباح بضاعة من غابات سورملاند في إقليم الشّمال، أو من العمل في يوتبوري أو من عضويّة في فريق الصّيد التّابع للملك.

وقد كره أبي «حمقى الائتمان الوراثيّ» و«استثماراتهم السّخيفة». كان يعود من العمل ويتكلّم عن مشروعهم. «فإذا أردت رأس المال الاستثماريّ لتطوير تطبيق يخبرك ما هي تكلفة ليتر من الحليب، فستجد العشرات ممّن يبلغون العشرين من العمر ببضائع فاسدة، وعناوين قديمة جدًّا وشركات استثماريّة جديدة تظنّ أنّ النّاس العاديّين يحتاجون إلى تطبيق لمعرفة ذلك؛ لأنَّ هؤلاء ليسوا بحاجة أبدًا إلى أن يتعلَّموا أنَّ السّعر مكتوب على الرّفّ. وإضافةً إلى ذلك فإنّ حمقى الائتمان الوراثيّ لم يكونوا «أغبياء حقيقيّين»، وإنَّ هذا الأمر بالضّبط قد توصّلوا إليه بجهودهم: ألا تكون ثريًّا حقيقيًّا.

اعتادت أمّي أن تجيب بقولها: «هذا محزن» (كلمات أبي، تستخدمها عندما تتكلّم معه) «محزن».

وقد استطاعت أن تنقل إلينا خبر أنّ إحدى زميلاتها أو رفيقاتها قد استقالت من العمل.

وقالت: «إنَّ زوجها سيشتري لها محلّ أثاث»، ومثلما كان أبي لا يحبّ النّاس الَّذين يرثون الأموال، كانت أمّي تكره النّساء اللّائي بعمرها وفعلن ما كانت هي تحلم به: الاستسلام.

تعمل أمّي مستشارة قانونيّة في إحدى الشّركات المدرجة في البورصة، ويبلغ راتبها نصف راتب أبي. وعندما أنجبت «لينا» خفَّضت ساعات عملها لكيلا «تتحطّم»، لكنّها لم ترد أن تتوقّف عن العمل. وهي تتظاهر بأنَّ الأمور تسير على ما يرام، وأنَّه ما زال لديها الكثير لتفعله. ولا أحد ينخدع بذلك، وأوَّلهم أبي.

فقد كان أبي يقول دائما: «كان ينبغي لعب اليانصيب بهذه الأموال؛ ففي ذلك حظّ ربح كبير». (ويستمر من دون انقطاع في التحدث عما يخصّه في حال تكلّمت أمّي عن أمر آخر؛ إذ إنَّ أفضل نقاشاتهما تكون دائما بهذه الصّورة).

لكن «كلايس فاجرمان» جعل أبي وأمّي عاشقين لفرقة موسيقيّة لامعة. وقد كان أبي يتحدّث لشهور عن «كلايس فاجرمان» كلّما انفرد بي بعدما ارتبطت بـ«سيباستيان» بعلاقة. تحدّث عن الكيفيَّة التَّي جعل فيها «كلايس فاجرمان» مجموعة شركاته المتأزّمة الّتي ورثها «إحدى أضخم الثّروات الثّلاث في السّويد». وقد نجح في ذلك لأنَّه «لم يكتفِ بنهب الغابات والحفر للتَّفتيش عن الذّهب في أحد نهيرات شمال السّويد»، بل شرع في الاستثمار في المجالات التّقنيّة العالية (مثل الكابلات المثاليّة والميكروتشيبس، ولم أقوَ على دخول هذا المجال حقًّا). وكان أبي يقدّر «كلايس» عاليًا جدًّا حتّى إنّه أخفق في أن يحسده.

وقال لي أبي مرّة: «الشّيء الّذي لا يمكن احتسابه فريدًا في كلايس فاجرمان هو أنَّه تزوَّج الفائزةَ بالرتبة الثّالثة في مسابقات ملكات الجمال في السّويد. فإنّ كلايس فاجرمان أحد عظماء السّويد. سيدخل التّاريخ من أوسع أبوابه».

وفي اللّيلة الأولى في القارب أيضًا، أحببت أنا «كلايس». لقد جعلني أشعر بأنّه رأى أنّني متميّزة. وعندما كان يمزح سرَّني أنني أضحك في الوقت المناسب.

وعندما كان يتحدّث عن شقيق «سيباستيان» (لوكاس)، وعمّا فعل في هارفارد، وكيف كان ذكيًّا، رأيت أنَّه من الرّائع أن يتباهى به. وعندما قال: «من الرّائع دائمًا» أنَّ لوكاس «يذهب بعيدًا»، شعرت بنفسي مقحمة في أسرار عائليّة خاصّة، أشياء لم يتحدَّث بها «كلايس» إلّا إلى عدد قليل جدًّا من النّاس. وكنت أرى أنَّ أبًا يتباهى بابنه الأكبر يكون فخورًا كذلك بالطّبع بالابن الأصغر أيضًا. لم أعلم أنَّ حبَّه الأبويَّ كان مشروطًا بألّا تقع في حبّ «كلايس فاجرمان».

اعتذرنا أنا و«سيباستيان» عن المشاركة في وجبة العشاء.

«نريد أن نجرب غطسًا ليليًّا».

«نزهة في السّاحل».

أمسكت أمّي بوجنتيّ وكأنّها تحسب أنّني عذراء وهذا عرسي! ونظر أبي إليَّ بنظرة أشبه حقًّا بالافتخار.

قالت أمّي: «ابنتي الصّغيرة».

وربّما قال أبي: «تصرّفي بعقلانية».

وحينذاك ابتسم ابتسامة ساخرة لـ«سيباستيان» وقال: «لا تفعل شيئًا يجب أن أفعله»؛ إذ كان أبي يعاند دائمًا في قول هذه الأشياء.

وقال «كلايس»: «ليتني أعرف ماذا وجدت فيه، فهو يشبه أمّه، لعلمك». وضحكنا جميعًا، وأنا أيضًا؛ لأنَّه كان قبل أن أفهم أنَّ «كلايس» لم يمزح قطّ عند توجيهه كلاما لاذعا إلى «سيباستيان».

إضافة إلى ذلك التّعليق، فإنّنا لم نكد نتحدّث في هذه اللّيلة، من وقتٍ إلى آخر، حتّى في موضوع ملكة جمال السّويد ـ الرتبة الثّالثة، والدة «سيباستيان». ولم يُستَبدَل بها نسخةٌ أكثر شبابًا منها، بل اختفت عن الأنظار، أو على الأقل اختفت، ليس من المهم ذلك. هل تركت هي «كلايس» أم أنَّ «كلايس» قد ألقاها خارجًا؟ لا أظنّ أنّني سأعرف ذلك يومًا. وإلى جانب «كلايس فاجرمان» كانت غير مهمّة إلى حدّ أنَّني لا أفكّر بها، ولا أهتمّ في أنّها كانت هناك. قبل أن أرتبط بـ«سيباستيان» ارتبطت بأربعة فتيان. كان أوّلهم «نيلز». كنّا بعمر الثّانية عشرة، أو الثّالثة عشرة تقريبًا، وكنّا بعيدين معا عن الأضواء، في إحدى الحفلات الّتي دعتني إليها شقيقته التّوأم، وقام بتشغيل الإستريو على أغاني كريستينا أغويليرا، قبّلني بسرعة وبقوّة، فسقطنا على إحدى الكنبات، وأخذ يعانقنني ويداعبني إلى انتفخت شفتاي، وتبلَّل سروالي الدّاخليّ. ثمّ أمسك بنهديَّ، وكان هذا ألذّ ما حصلت عليه، لكنّنا لم نتضاجع، ولم يكن هناك كلام عن هذا. بعد مضيّ ثلاثة أسابيع انتهت هذه العلاقة الّتي تواصلت شهرين إضافيّين قبل أن أقرّر هذا؛ لأنّه حان وقت العطلة الصّيفيّة، وقد كنت أنظر إلى صوره مدّة تسعة أسابيع، وكتبت له معايدة (أنا الآن أقضي عطلتي في الرّيف لدى جدّي، الجوّ ماطر وقد شاهدت موت الشّرّير). لم تصلني منه أيّ بطاقة معايدة. وعندما بدأت المدرسة مرّة أخرى، لم يسلّم عليّ وانتهى كلّ شيء.

أمّا صديقي الحقيقيّ الثّاني، فارتبطت به بعد حوالي نصف عام، وكان يكبرني بعام واحد (أنا كنت في الرّابعة عشرة والنّصف!)، وكتبت على جدول الأوقات في موقف الحافلات بالقرب من المدرسة أنّه يحسب أنّني حلوة.

وقد استغرق الأمر ستّ دقائق إلى ثمانٍ قبل أن تصلني الفضيحة، ولم أكن أكثر حماقة من أن أفهم أنَّ هذه كانت أعظم ما جرى لي إلى حدّ الآن.

كان للشّاب «أنطون» البالغ من العمر تقريبًا خمسة عشر عامًا شفتان غليظتان وشعر ملفوف أشقر. كنّا معًا سبعة أسابيع، ما دام يُنظَر إلينا نحن الاثنين كأنّنا زوجين. ولكن في إحدى ليالي الجمعة ضمن احتفال مدرسيّ في مدرسة فريبيري، شرب «أنطون» إلى حدّ الثّمالة مشروبًا مخلوطًا سحريًاّ كان قد سكبه في زجاجة شامبو قديمة، وأعلن «أنت صغيرة للغاية، مايا» وأن «علينا أن نفترق، كلّ إلى طريقه». خجلت من كلامه، لكنّني لم أحزن لذلك. لا شيء يهمّني من هذه العلاقة، سواء كان «أنطون» أم قبلاته الّتي أدمت الجزء السّفلي من وجهي أم هذا الشّيء ـ أن ـ نكون ـ معًا.

وبعد هذا، مررت بمرحلةٍ، حيث أصبحت أعشق من هم أكبر عمرًا منّي، والّذين لم تكن لديهم فكرة عمّن أكون أنا، إمّا لأننا لم نكن قد التقينا من قبل أو لأنّني رأيت فقط رقابهم في المرّات الّتي التقيتهم فيها حينما كنت أجلس في الحافلة مبتعدة عنهم بستة صفوف، لا أتذكّر اسم أيّ أحد منهم. وعندما أصبحت في الخامسة عشر من العمر التقيت «ماركوس».

كان «ماركوس» يبلغ السّادسة عشرة من العمر، يدخّن الحشيش، ويعزف بالقيثارة، ويكتب الشّعر، وقد قام «ريتشارد أفيدون» بتصوير أمّه. وكان يذهب إلى أوسترا ريال، والجميع، أجل الجميع، عرفوا من هو. عندما دخلنا من خلال الباب إلى شقّة تقع في الطّابق الثّاني في شارعٍ بالقرب من شارع كارلابلان، كان «ماركوس» وفرقته يُغنّون أغاني مقلّدة في الطّابق العلويّ. والحفلة قد بدأت منذ ساعات عديدة، وقدَّم شابّ، في وجهه بثور الجدريّ ويصبغ أظافره باللّون البنفسجيّ، إلى كلّ واحد منّا قطعة حلوى بطعم الشّوكولاتة اللّزج ومشروب كريمي له طعم الفانيليا. وقد رقصت إلى أن فاحت مني رائحة العرق في إحدى صالات المعيشة الفارغة من الأثاث من دون التّفكير في مدى سخافة أن يلقي النّاس أيديهم في الهواء ويهزّوا رؤوسهم. ثمَّ انقطع

التّيّار الكهربائيّ، ووصلت فرقة الإطفاء وأوضحت أنّ إمدادات الكهرباء إلى أوسترمالم بأكملها قد انقطعت، و«هناك سبب لطلب الإذن لتنظيم الحفلات الموسيقيّة». وبعد فرقة الإطفاء، دخل شرطيّان يرتديان الزّيّ الرّسميّ من الباب، وفي ذلك الوقت كنت قد أدركت أنّني منتشية لأوّل مرّة في حياتي. أنا و«أماندا» حبسنا أنفسنا في أحد الحمّامات، وحاولنا أن ندع أنفسنا نضحك حتّى الموت. ولم تكن لدينا فكرة عمّا جعلنا منتشيتين، سواء كان الكعكة أم شراب الڤانيليا أو كليهما. جلسنا هناك حتّى ذهبت الشّرطة مرّة أخرى، فطرق «ماركوس» الباب. وكان متعرّيًا ويحمل شمعدانًا مع خمس شموع مضاءة. صبَّ الماء في حوض الحمام، وعندما طلب، خلعت ملابسي واستحممت معه، في حين أنَّ «أماندا» نامت على منشفة على أرضيّة البلاط.

كان لـ«ماركوس» غرّة طويلة ساعدته في تجنّب النّظر إلى المقابل لعينيه. وبعد ظهر أحد الأيّام، في وقت لاحق من ذلك الأسبوع، فضَّ بكارتي على المفرش المثير لسرير أبيه. لم يكن الأمر سيّئًا، ولم يسبّب لي أيَّ ألم، وقد شعرت بالارتياح بشكل لا يصدّق؛ لأنّه لم يلاحظ أنّني لم أفعل ذلك من قبل. وعندما اتّصلت به (اتّصلت به عبر هاتف منزله؛ لأنّه لم يردّ على هاتفه المحمول، ولأنّني صدَّقته عندما قال إنه «اختار هجر الهواتف المحمولة»)، تظاهر بأنّه لم يكن هناك. وتبيَّن لي من صوت والدته كم كانت منزعجة، لكنّني واصلت الاتصال، سواء على الهاتف المحمول أم الأرضيّ، ولم يكن ذلك كافيًا لأفهم أنَّه لا يحبّني، ولم أستطع منع ذلك. ضاجعت «ماركوس» أربع مرّات أخرى في حفلات مختلفة (كان هذا يبدأ بالاستحمام في أحواض الاستحمام معًا، وقد فعل ذلك في جميع الحفلات)، وحاولت أن أتظاهر بأنَّه عندما قال إنَّه يحبّ صدري، كان يعني أنَّه يحبّني. آخر مرة ضاجعني فيها كانت في سرير مفروش آخر (لم نضطجع تحت أيّ ملاءة قطّ). بينما كانت

عقارب السّاعة لم تتجاوز السّاعة العاشرة مساءً، التفت إليَّ حين كنت أجفّف بطني بأحد قمصان تي ـ شيرتاتي، وأخبرني أنَّه على علاقة بـ«تيريسا» الَّتي تدعى (تيسي). لذلك لم نستطع مواصلة «علاقاتنا هذه».

وبعد ساعتين ونصف السّاعة في المساء نفسه، التقيت الفتاة الَّتي تحمل اسم كلب وهي تخرج مع «ماركوس» من الحمام، كانت (كوكر سبانييلن تيسي) ترتدي روب حمّام. تعرّى «ماركوس» مرّة أخرى. فانتابني حينذاك الحزن لأوَّل مرّة، ولكن لم يكن حزني ملحوظًا، فاكتفيت بالمغادرة من هناك.

أمّا الفتى التّالي الذي قطعت العلاقة به، فكان اسمه «أوليفر»، وقد ادّعى أنَّه يحبّني (وليس صدري فقط) بعد أربعة أيّام. عندما أجبته بأنّني أشعر تجاهه بنوع من الود، وأنّه كان «أنيقًا»، ولكن لم يكن «يصلح أحدنا للآخر» (لقد أصبحت مخضرمَة في الحبّ، وخبيرة في العشق، فعرفت بالضَّبط ماذا أقول)، فأخذ يتَّصل بي كلّ يوم، وعندما كان صاحيًا يرسل إليَّ رسائل نصّيّة كلّ ليلة ليقول لي: «تصبحين على خير».

استمرَّت بيننا صلات جنسية لشهرين بعد انتهاء العلاقة، ليأتي بعده «سيباستيان» إلى دائرة استقبال الفندق الّذي أعمل فيه، ولكن لم أجد شيئًا مشتركًا بين «سيباستيان» ومن كان لي علاقة بهم من قبل. كلّ شيء كان جديدًا. لم يكن سهلًا الشّروع ببداية جديدة. كان «سيباستيان» بدايتي.

لا أتذكر إن كنت قد سألت والديّ عن إمكانية سفري مع «سيباستيان» بدلًا من مواصلة الرّحلة في أوروبا معهما، لكنني فعلت ذلك حقًّا على الأغلب؛ فقد كانت لديهما حقيبة جديدة اشترياها على العشاء، ربّما كانت من أغلى أنواع الحقائب الَّتي وجدتها أمّي، ووضّبت فيها كلَّ أغراضي.

استيقظت في صباح اليوم الأوّل قبل «سيباستيان». كنت دائمًا أعاني

صعوبةً في النَّوم في الأماكن الجديدة، في حين نام «سيباستيان» نومًا عميقًا، ولم أرغب في إيقاظه. وعندما صعدت إلى سطح القارب وجدت «كلايس» جالسًا هناك يتناول الفطور، وبإحدى يديه جريدة ورقيّة سويديّة مطويّة مرّتين.

قال لي متسائلًا: «تعالي اجلسي، ماذا تريدين أن تأكلي على الفطور؟»، ولكن من دون أن يرفع عينيه عن الجريدة.

وعندما احتسيت قهوتي وتناولت فطيرة الكرواسون (وجبة فطور منطقيّة على متن قارب في البحر المتوسّط) وضع «كلايس» الجريدة جانبًا ونظر إليَّ نظرة ودّيّة. لا أتذكّر بالضّبط ماذا سألني؟ أو إن كان قد وجَّه إليَّ أيّ سؤال، ولكنَّنا تحدَّثنا فتبددت عصبيتي. بقيت إلى أن جاء «سيباستيان» فجلس بجنبي، وقد بدا أنَّه لم يمشط شعره، وارتدى سروالًا داخليًّا وقميص «تي شيرت» مكتوبًا عليه شيء ما فحسب. حينذاك وقف «كلايس» وأخذ الجريدة وغادر. ولم يحيّ أحدهما الآخر تحيّة الصّباح.

لم يتبقَّ إلّا سبعة عشر يومًا لتبدأ المدرسة، وسنكون أنا و«سيباستيان» زميلين في الصّفّ. لقد بقينا في زورق «كلايس» خمسة عشر يومًا. وبالفعل في صباح اليوم التّالي ذهبنا باتّجاه السّاحل الإيطاليّ، فكان البحر أزرق لازورديّا والرّياح باردة في طريقنا إلى كابري، واللّيالي دافئة عادة، كلّ اللّيالي من دون استثناء. كنّا نبقى وسط البحر، فنُنزل قاربًا ذا محرّك صغير من سطح السّفينة، ومنه كنّا نغوص في البحر مستخدمين أنبوب قناع الغاز أو نركب زلّاجات الماء.

وذات مرّة، التقطتنا طائرة هليكوبتر (هبطت على سطح السّفينة)، وقادتنا إلى سباق الفورمولا 1، حيث كان علينا أن نقف إلى جوار خط النّهاية، ويبتسم بعضنا في وجه بعضنا الآخر وسط صخب المحرّك. لم أعرف قطّ اسم أيّ ممّن كان على متن القارب، على الرّغم من أنّني حاولت ذلك.

وقد سمح لي «ساندر» (الكابتن) أن أسأل ألف سؤال حول الأماكن الّتي ذهبنا إليها من قبل، وعلم الطّبّاخ «لويجي» أنّني أريد عصير اللّيمون والزّباديّ اليونانيّ، والبطّيخ والكرواسون للإفطار، والدّجاج أو سلطة الفيتا لتناول طعام الغداء، وأنّني أشرب قهوتي مرّةً من غير سكّر أو حليب. وفي منطقة سبا SPA-avdelning في القارب، ضمن الطّابق نفسه الَّذي يُشبه السّينما، ويُجاور مباشرة صالة الألعاب الرّياضيّة، عُزِفَت موسيقى البلينجابلونج، وكان هناك امرأة تدعى «زوي» زيَّنت أظافر قدميّ ويديّ، ودلَّكت جسمي بزيتٍ له رائحة معجون الأسنان والڤانيليا جراب. بعدها تجوّلت حافية القدمين، ولكن لم أرَها في أيّ مكان إلّا في قسم سبا.

أحببت ذلك القارب، أحببت كلّ من عمل هناك، فقد كانوا دائمًا يبدون سعداء عندما نلتقي، وقد سحرني أنّني سرعان ما اعتدت كلَّ شيء! وكم كان من الطّبيعيّ أن أعيش هناك وأدع الأيّام تمرّ. وذات مساء، كنّا نتناول الطّعام مع «كلايس». وبدا من المهمّ أنّنا كنّا معه على الرّغم من أنّه لم يكن يأكل أكثر من الطّبق الرّئيس معنا. وقد سألني أسئلةً، ثلاثة إلى خمسة منها، ثمّ انسحب، ولكن في تلك السّاعة تقريبًا، عندما جلس معنا تركتُ انتباهه يدفّئنا. استمع إلينا ونحن نتحدّث، أومأ إلينا. إنَّها ليلة واحدة إضافيَّة كان فيها في مزاج جيّد، ومن ثمّ تحدّث إلينا عن الأشياء الّتي يراها مهمّة.

وفي إحدى اللّيالي، لا بدّ من أنّها كانت الخامسة أو السّادسة، أخذنا والد «سيباستيان» إلى مطعم. كان سيتناول العشاء مع شريك عمل له، وأرادنا أن نرافقه، فلم نسأل عن السّبب، ولكنَّني افترضت أنَّنا سنساعد في جعل الجلسة مريحة وغير رسميّة.

قال لـ«سيباستيان» وهو يمدّ خنصره إليه: «ساعدني». فأسقط «سيباستيان»

يدي وأخذ الرّجل العجوز تحت ذراعه. وعندما دخلنا القرية الصّغيرة، وجدت صعوبة في السّير على الحصى بحذائي، ولم أمانع في أن نسير ببطء. ثمَّ أخذ الرّجل العجوز يشتم وقد تعرّق، وانحنى بلا خجل على «سيباستيان»، وصار يأخذ استراحة قصيرة كلّ عشرين مترًا لالتقاط أنفاسه. وعندما وقفنا أخيرًا أمام المطعم، طبع الرّجل العجوز قبلة مبلَّلة على خدّ «سيباستيان»، على مقربة واضحة من فمه، ولكنَّ «سيباستيان» تجاهل الأمر. ثمّ فتح والده باب المطعم، والتفت إلى الإيطاليّ وأشار بيده إليه أن يدخل أوّلًا.

«لم أكن لآتي إلى هنا لولاك، يا سيباستيان»، قال الإيطاليّ، وأخيرًا فكَّ عن ذراع «سيباستيان».

وقال «كلايس»: «إنَّه من الجميل أن نسمع أنَّه يمكن أن يكون مفيدًا». «شيء جديد لنا جميعًا».

لم أفهم سبب غضبه، لكنَّه كان بتلك الهيئة. يلعن. وإنَّ ما تعلّمت أن أربطه بـ«كلايس فاجرمان» كان دائمًا متبادلًا. فمنذ أن نزلنا من القارب، لم يكن قد بادر إلى مناقشة واحدة، وإذا قلت شيئًا، فلا يسمعه، وينظر بعيدًا، ثمَّ يبتعد، ويمضي قدمًا، ولا يكاد يستجيب لمخاطبة مَنْ يُقابله. كان لديَّ عقدة في أمعائي، ولم يلتفت «سيباستيان» إلى شيء، أو على الأقلّ إلى وجهي. والإيطاليّ، من ناحية أخرى، بدا غير مكترث تمامًا.

حصلنا على طاولة بجنب نافذة. كان المطعم قريبًا جدًّا من الحافّة، كما لو كان يطفو طوفانًا حرًّا على البحر. وتراءت لنا، أسفل الميناء، الأضواءُ من القوارب، وبعيدًا عن الخليج حيث كان القارب راسيًا، والمراسي مضاءة بفنار. طلب والد «سيباستيان» الطّعام لنا جميعًا من دون أن يسأل عمّا نريد. ضحك الإيطاليّ بصوتٍ عالٍ حتّى إنَّ الضّيوف في الطّرف الآخر من الغرفة

استداروا، ونحن كنّا نستمع بحذرٍ وخوفٍ وهو يغيّر طلب «كلايس»، ستتغيّر وجبة المقبّلات، وبالتّأكيد ليس هذا الطّبق الرّئيس، فكان هناك شيء يتعلّق بالكورسيكيين والأخطبوط كما عرف الجميع. بالضّبط الجميع يعرف هذا، ولم يقل والد «سيباستيان» شيئًا، بل أومأ بشكل غير محسوس تقريبًا إلى النّادل. وعندما جاءت قائمة النّبيذ دعا الإيطاليّ إلى أن يأخذها، ويطلب ما يريد. لكنَّ «كلايس» لم يشرب النَّبيذ ولم يتذوّق حتّى المقبّلات.

وبينما كنّا ننتظر الطّبق الرّئيس، اضطررت إلى الذّهاب إلى الحمّام. وعندما عدت، كان الإيطاليّ قد جلس في مقعدي. لقد لوّح لي بأن أجلس في مكانه القديم. لم يحتجّ «سيباستيان» على ذلك، بل حاول النّهوض مرَّة، لكي يبتعد منّي ربّما.

«اجلس، تبًّا لك!»، قال «كلايس» لـ«سيباستيان» باللّغة السّويديّة. «هل تظنّ أنَّه يمكنك النَّجاح هنا؟»

«اجلس واخرس».

جلس «سيباستيان» من دون أن ينظر إليَّ. ولكنَّه ابتسم ميكانيكيًّا من غير أن يقول شيئًا.

وعندما كان الإيطاليّ يحاول حمل «سيباستيان» على غناء «مقطوعات سويديّة»، تحدَّث عن الأعمال؛ إذ كان لديه شركة يريد بيعها، فهمت ذلك جيّدًا. ومع تزايد حماسته، بقينا نحن الآخرين هادئين هدوءًا متزايدًا. وكنت أتساءل عمّا إذا كان الإيطاليّ قد ثمل، وبدأ يشعر بالانتشاء، الذي قد يخرجه عن السّيطرة، عندما أجرى والد «سيباستيان» مكالمة، وتحدّث لمدَّة وجيزة، ثمّ سلّمه الهاتف. وعندما أغلق الخطّ، رفع «كلايس» كأسه وترك الإيطاليّ يلمسه بكأسه. كان الارتياح الَّذي شعرتُ به جليًّا إلى درجة أنَّه كاد يصيبني بالغثيان.

تناولنا أربع وجبات طعام، الجبن واثنين من الحلويات والقهوة وصينيّة فضّيّة من شوكولاتة برالين وميني مارينجر وحلوى المربّى قبل أن يحين الوقت للعودة إلى المنزل مرّة أخرى. وبطريقة أو بأخرى تمكَّن والد «سيباستيان» من الحصول على كرسيّ متحرّك للذّهاب إلى المطعم، حيث نام الإيطاليّ في حين قام أحد الرّجال من قارب «فاجرمان» بتسييره لإعادته إلى الميناء قبل أن يحصل على كرسيّه المتحرّك على سطح السّفينة، استيقظ، نهض وأعلن أنَّه ذاهب للنّزهة (أنا أقوم بالمشي!). أمّا أنا و«سيباستيان» فذهبنا للنّوم. وفي السّاعة الرّابعة استيقظت في إثر أصوات من سطح السّفينة. وعندما نهضت في السّرير، سحبني «سيباستيان» نحو الأسفل مجدّدًا.

قال: «ابقي في مكانك، ليس لنا علاقة بهذا الأمر».

كنّا وحدنا لتناول الإفطار.

قال أحد الأشخاص الَّذين يرتدون ملابس بيضاء، ولم أكن أعرف اسمه بعد: «لقد غادر والدك. أومأ (سيباستيان) برأسه. ولم يبدُ متفاجئا». قال: «إنّه يمكنكما أخذ غرفته. سنُنهي التّنظيف قريبًا».

وعندما جاء الإيطاليّ على سطح السّفينة، كنّا هناك نأخذ حمّامات الشّمس. وكان وجهه مصابًا بكدمات، وذراعه اليمنى في حمالة. ويبدو أنَّها مجبّرة. كان على بعد ثلاثة أقدام، ولم يقترب.

«يا إلهي». وقفت. «ماذا حدث؟».

اكتفى الإيطاليّ بهزّ رأسه.

«لا تذهب إلى الشّاطئ في وقت متأخّر من اللّيل». قال مبتسمًا ابتسامة غاضبة، ثمَّ سأل بعد ذلك:

«هل والدك هنا؟»، وتحوَّل إلى «سيباستيان».

سحبني «سيباستيان» إلى الكرسيّ الشَّمسيّ مرّة أخرى.

«لا»، قال مواصلًا إغلاق عينيه.

«هل يمكنك...؟» وتابع الإيطاليّ.

«لا»، قال «سيباستيان».

غادر الإيطاليّ، وانتقلنا إلى جناح والد «سيباستيان». والآن صار لدينا حمّامان بدلًا من حمّام واحد. ولدينا منظر أماميّ فوق البحر، والمنظر نفسه الَّذي شاهده القبطان، هكذا افترضت. وفتحنا السّقف فوق حوض الاستحمام ومددناه مع سقف الحمّام الآخر، ثمَّ تناولنا عشاءنا هناك وحدنا.

«هل ضرب والدك هذا الإيطاليّ؟» تساءلت في وقت لاحق من تلك اللّيلة ونحن مستلقيان في حمّام السّباحة في الهواء الطّلق على سطح السّفينة. «لأنّه كان يغازلك؟».

«لم يكن سيباستيان غاضبا»، «لا». «بالطَّبع لم يفعل». ضحكت مرتاحة، وحاولت التّظاهر بأنّها مزحة. وإنّ «سيباستيان» أيضًا لم يضحك، بل وضع كلا الذّراعين منحنيا على حافّة المسبح، وأغلق عينيه أمام السّماء. قال: «سألت والدي ذات مرّة، عندما اختفت أمّي عما فعله بها، لماذا؟... وكيف فعل ذلك؟... لتنتقل... صمت. «ماذا قال؟». أبي قال: عائلتنا ليس من الضّروريّ أن تلقي القمامة خارجًا. لدينا أناس يفعلون ذلك من أجلنا، «أردت أن أسأله ماذا كان يقصد بذلك؟ وماذا يعني ذلك؟ هل طُردت والدة «سيباستيان» وضُرب الإيطاليّ من لدن شخص كان يعمل لدى «كلايس»؟ لكنَّني تراجعت.

كان «سيباستيان» يبكي. ولم يكن ينثني عن ذلك. ثمَّ قال إنَّه لا يشخر، لكنَّه بكى. ولم أكن أعرف ماذا أقول. وضعت يدي على وجهه وقبّلته قبلات

قويّة لمدَّة طويلة، أطول من أيّ وقت مضى، وهو بدوره قبّلني مرّة أخرى حتّى لم أعد أرغب في شيء آخر غير أن يضاجعني. وعندما فعل، بلغت الرّعشة سريعًا. كنت دائمًا أسرع منه، مرّات أكثر منه، وأكثر كثافة منه. بعد تسعة أيّام سافرنا إلى المنزل في نابولي. لم يكن على متن الطّائرة سوانا. وكنت قد سمعت «سيباستيان» يتحدَّث مع والده عبر الهاتف في اللّيلة السابقة. وأظنّ أنَّ «كلايس» كان رأيه أنَّه من غير الضّروريّ أن نستقل طائرة شركاته، وأنّنا يمكن أن نسافر بانتظام، ولكنَّ الطّائرة كانت هناك في انتظارنا عندما وصلنا إلى المطار.

قادتنا السّيّارة إلى منصة الانطلاق. ولم يكن علينا أن نمرّ بأيّ سيطرة. واستمرّ القارب من دوننا يبحر على مدار السّنة مع طاقم كامل. وبعد أسبوع، توقَّعوا مغادرة البحر الأبيض المتوسّط. لا أظنّ أنَّ عدم واقعيّة كلّ هذا كان تراودني أصلًا، ولا أن يكون العالم من بريق البطاقة البريديّة الزّرقاء والشّمس وطلاء الأظافر بلينجابلونج، قبل أن ننعطف بالقرب من إينفيرنيس، ويبدو كلّ شيء هو نفسه كما عندما تركته قبل أقلّ من شهر. بالضّبط الشّيء نفسه، على الرّغم من أنَّ كلَّ شيء تغيّر. هبطنا في مطارٍ بمدينة روما. كانت هناك سيّارة أخرى تنتظرنا في المطار. ولقد أخذ أحد أفراد الطّاقم حقائبنا في السّيّارة. بدا «سيباستيان» متعبًا ولا أحسب أنّني توقَّعت أن يستمرَّ الأمر على ما هو عليه عندما تبدأ المدرسة. ولسبب ما، وجدت صعوبة في تصديق أنَّه يريدني في حياته اليوميّة، إلى حدّ ما كان لديه من حياة يوميّة. لقد بدا طبيعيًّا أن يكون هذا شيئًا صيفيًّا. مرحلة فاصلة في حياته، أفضل أسابيع حياتي.

أوصلتني السّيّارة إلى المنزل، ولم أكن أعرف كيف أقول وداعًا، وكيف أشكر له كلَّ شيء، بيد أنَّ «سيباستيان» جاء معي وصافح أبي (أبي حصل على هذا التَّعبير الَّذي يحصل عليه البالغون عندما يفترض بهم التَّظاهر بأنَّهم

لا يهتمّون، ولكن يكادون يتمزّقون من شدّة الإثارة). ثمَّ قبّلني على خدّي، وقال: «أراك غدًا»، ثمَّ غادر. وفي صباح اليوم التّالي، كان اليوم الأوّل من المدرسة. أرسل إليَّ «سيباستيان» رسالة نصّيّة في السّاعة الثّامنة والنّصف (ولا رسالة واحدة طوال اللّيل) يطلب منّي مقابلته عند مفترق الطّرق أسفل منزلي. لقد أخذني إلى هناك، وظننت أنّه يفعل ذلك ليتمكّن من فعل ذلك. انتهت علاقتنا قبل أن تبدأ المدرسة. وعندما كنّا في منتصف الطّريق، بدأت أبكي، ربّما لأنّني أردت أن أنهي الأمر. وعندما ننفصل كان عليَّ أن أبدأ بالبكاء، كان من الجيّد أن أفعل ذلك الآن. وعندما رآني أبكي، قاد السّيّارة إلى الجانب، وأوقف المحرّك، وسحب مقعدي وجلس يحضنني. وضع يديه تحت قميصي وداعب ظهري، ثمَّ قبّلني، وقبّلني بشكل أعمق، وأمسك بي، وسحبني من قرب، فشعرت بمدى صعوبة حالته، وفوجئت بمدى ارتياحي بشكل لا يصدّق، وبمدى خوفي من أنّه لن يرغب في أن يكون معي بعد الآن. مشينا جنبًا إلى جنب من موقف السّيّارات إلى المدرسة بما يشبه فيلمًا عن المدرسة الثّانويّة العليا، حيث الولد الأكثر شعبيّة يظهر فجأة مع بنت قبيحة مرتدية النّظّارات، ولديها تسريحة شعر غريبة، ولكن بعد أن أجريت لها عمليّات التّجميل فأصبحت جميلة للغاية. تخيَّلت ذلك ليس لأنّني كنت حمقاء من قبل، وليس لأنَّ «سيباستيان» كان لاعب كرة قدم يبتسم دائمًا ويفرق شعره فرقًا منحرفًا، ولكنَّ مدخلنا بأكمله بدا بلون الباستيل بطريقة ما. «أماندا» كانت تعلم أنّنا كنّا معًا بالطّبع. قابلتنا بالقرب من مطعم روكن، عانقتني، ثمَّ طوَّقت بيديها رقبة «سيباستيان» متعلّقة بها مثل زخرفة شجرة عيد الميلاد لمدَّة من الوقت، قبل أن ينزاح «سيباستيان» من طوقها. فذهبنا إلى المدرسة. كان لدى «سيباستيان» شيء كان عليه القيام به قبل الدّرس الأوّل، ونحن افترقنا قرب الخزائن. وعندما قال: «وداعًا»، قبّلني على خدّي

مرّة أخرى، فشعرت أكثر بمثل هذا الفيلم. أدارت «أماندا» عينيها تمامًا مثلما كانت ستفعل في دورها في الفيلم (لم يكن لديها أي من ملابس المشجّعين، وإلّا كان كلّ شيء مثاليًّا).

كانت أماندا سعيدة للغاية حتّى كادت تنهار؛ لأَنَّها اكتسبت فجأة مثل هذا المكان المركزيّ في حياة «سيباستيان» الّذي أصبح جزءًا من حياتنا الآن. الأشخاص الّذين قضى معهم وقتا في العام السّابق اختفوا، إمّا بدخول الجامعة، وإمّا بالانخراط في التّدريب في شركة والده، وإمّا بالسّفر إلى الولايات المتّحدة ضمن بعثة لدراسة اللّغات هناك. والآن جاء دورنا. و«أماندا» كانت مبتهجة. ولكنَّها بالطَّبع لم تقل ذلك، بل أكَّدت أنَّه يجب على «سيباستيان» وعليَّ «الحصول على غرفة»، وأنا انحنيت برأسي إلى الوراء وضحكت، بصورة معقولة، وفقًا للسّيناريو. كما أنَّ هناك العديد من الصور لي ولـ«سيباستيان» من رحلة البحر الأبيض المتوسّط.

أبدو سعيدة، سعيدة من دون أيّ مشكلة. شخص يصرخ ضاحكًا على رجلها، ترشّ الماء عليه قبل أن تغمس نفسها. أبتسم وعيناي لامعتان. أبدو سعيدة، على الرّغم من أنَّني أجد صعوبة بعد ذلك في تذكّر كم كنت أشعر بالسّعادة. ربّما يُشبه الحظّ سوء الحظّ في أنَّ الأمر يستغرق بعض الوقت قبل أن تغرق البصيرة. في البداية كنت لا تشعر بأيّ شيء؛ إذ إنَّ الشّعور سيأتي في وقت لاحق، وربّما لن يأتي حتّى يختفي سبب ذلك. الآن فقط، بعد ذلك، أدركت أنَّ «سيباستيان» لم يبدُ سعيدًا قطّ. ولا حتّى في الصّور الأولى.

18

وأمّا بالنّسبة إلينا نحن الآخرين، فقد كانت الأسابيع القليلة الأولى من المدرسة رائعة. وكان اليوم الأوّل هو الأفضل على الإطلاق؛ إذ إنَّ الابن الأصغر لـ (فاغرمان) سيبدأ في صفّنا، ما لم يكن الشّيء الوحيد الأروع الّذي حدث لـ (أماندا)، بل إنّ كلّ من في الصّفّ تساءل وتحدّث وتمنّى لو بقي بالفعل في الفصل الدّراسيّ السّابق، عندما كانت هناك شائعات أنّ هذه هي السّنة الدّراسيّة الأخيرة له. الآن كان هذا واقعا وكنت أقف في مركز الأحداث.

عندما كان الدّرس الأوّل على وشك أن يبدأ، كان سيباستيان لا يزال في مكان آخر. أماندا وأنا ذهبنا إلى هناك بأنفسنا، جلسنا في مقعدينا المعتادين.. ويسلكريستر لم يسألنا كريستر ما فعلناه خلال العطلة الصّيفيّة، بالطّبع لا، كان من الواضح في المناهج الدّراسيّة أو اللّوائح المدرسيّة أنّه لا يمكن أن تسأل مثل هذه الأسئلة، أو أن تشجّع الصّغار على كتابة مقال عن «عطلتي الصّيفيّة»؛ لأنّه يمكن أن تجعل أولئك الّذين لم يكونوا قادرين على التّحمّل للذّهاب بعيدًا في عطلةٍ يشعرون فيها بالضّيق. وفقا لأولياء أمور المنزل والمدرسة، أن ـ تشعر ـ بأنّك ـ خارج ـ السّرب (مختلف) أسوأ شيء يمكن أن يحدث للإنسان، هذا وآلات المشروبات الرّوحيّة في كافتيريا المدرسة. في المنزل والمدرسة يحبون التّفاهات حبًّا يجعلهما يبدوان مراعين لشعور الآخرين.. كما لو أنّ ذلك يفيد في ألّا يسأل المعلمون هذا السّؤال بالذّات. كانت لدينا السّيطرة الكاملة على المكان الّذي كان فيه الآخرون بالضّبط، أو

على الأقلّ على ما لم يفعلوه. لقد فعل (كريستر) ما بوسعه ليجد موضوعًا آخر للمحادثة، ولم يعلّق على حروق الشّمس لدى أماندا، أو الضّفائر التّشارتريّة لـ(أليس) (أجبرتني أمّي، أي، سأسحب هذه الأشياء اللّيلة...) أو ذراع يعقوب المكسورة (كان قد كسرها عندما ذهب للتّزلّج على الماء، والجميع يعرف ذلك، وربّما حتّى كريستر). وبالتّأكيد لم يعلّق على أنّ صوفيا بدت أنّها خفَّفت وزنها عشرين كيلوغرامًا منذ انتهاء الدّوام المدرسيّ قبل شهرين (على الرّغم من أنَّ تلك النّظرة المصدومة بالذّات لم تستغرق إلّا بضع ثوانٍ حتّى يتمكّن من التّحقّق من ذلك). وبدلًا من ذلك، تحدّث عن أيّ شيء سوى ذلك. وتساءل كريس إذا كنّا قد «قرأنا كتابًا جيّدًا». ولم يجب عن سؤاله من بين الأولاد سوى سمير. جلس مستقيمًا ظهره استقامة زائدة وتلفّظ بسرعةٍ ثلاثة عناوين، حاول كريستر ليبدو وكأنّه يعرف بالضّبط ما هي، ولكنّه لم يسأل أيّ أسئلة لمتابعتها، لذلك أحسب أنّه لم يكن لديه أدنى فكرة عنها. وسألته «هل قرأت ثلاثة كتب فقط هذا الصّيف؟»، فابتسم سمير من طرف الفم. كان يفعل ذلك عندما أقول له أشياء كهذه، ثمّ دسّ يده في شعره الكثيف، وأحيانًا عندما كان يفكّر في شيء ما كان يلفّ خصلة على سبّابته. في كلّ مكان، حتّى بدا وكأنّه كان على وشك نزف الدّم. فابتسمت ردًّا عليه.

منذ رنة المكالمة الأولى، كنا أنا و (سمير) نفعل هذا. تجادلنا، تناقشنا، لم نتظاهر قطّ في حال رأينا أنّ الشَّخص المقابل على حقّ أو قال شيئًا مضحكًا. وكان هذا أمرًا ظريفًا لأنّه لم يتغيّر بعد قضائنا عطلة الصّيف. وأضاف «بالتّأكيد لا، أردت أن أذكر الثّلاثة الأفضل فيكون هناك متّسع من الوقت المتبقّي لك...» تردّد، «لم أقرأ أيّ كتب خيول، ولا قصصًا مصوّرة عن الحيض»، ولكنّك أحببت هذا عن المراهقين الّذين يموتون بالسّرطان ويقع بعضهم في حبّ بعضهم الآخر.

اندفعت (أماندا) كما لو أنّها أصيبت بصعقة. «نعم!» قالت بسعادة. «إنّه لأمرٌ محزنٌ، لم أبكِ مرّة أخرى في حياتي». نظر سمير إليّ. فكّرنا في الشّيء نفسه. أماندا لم تقرأ كتابًا، بل شاهدت فيلما للتّوّ، لكنّنا لم نقل أيّ شيء. دخل سيباستيان إلى الفصل الدّراسيّ. تعجّبنا من أنّه جاء متأخّرًا في اليوم الأوّل من المدرسة! ربّما. وبعد بضعة أسابيع فقط، سيكون لنا ردّ فعلنا إذا ظهر في الوقت المحدّد. «آسف»، قال بصوت خفيض. أومأ كريستر إيماءة خفيفة.

جلس سيباستيان بجانبي، انتقلت أماندا إلى مقعد آخر من دون أن يضطرّ حتّى إلى السّؤال. ولمّا خطت خطوتين تجاه أقرب مقعد شاغر، تدحرجت عيناها وتظاهرت بالعزف على الكمان. كما هو واضح كما لو كان الشّاش الملوّن تسلَّل على طول المقاعد، استطعت أن أعرف كيف فهم الواحد تلو الآخر في الفصول الدّراسيّة. من الصّفّ الأوّل، حيث جلست على جانب وسمير على جانب آخر، حتّى الصّفّ الأخير حيث جلست (ميلا) بأنفها المثقوب وطلاء الأظافر الأسود. يعلم الجميع أنّنا كنّا معًا، والجوّ الَّذي أحاط بسيباستيان، هو مزيج من الإعجاب والفضول (وأدّيت أنا دور اللّامبالاة)، ولكنّها كانت المرّة الأولى الّتي يعنيني فيها الأمر أو على الأقل يهمني جزئيا.

قرأت ذات مرّة عن ممّثلة كانت تتنقل كلّ عام طوال مرحلة النمو والتطور. وقالت إنّها في كلّ مرّة تبدأ مرحلة دراسيّة جديدة، كانت هناك بالضّبط المجموعة نفسها من الأنواع: شعبيّة (غير سارّة إلى حدّ ما)، وأفضل صديق شعبيّة (أكثر شرًّا)، والطّالب المجتهد، والأسوأ في الألعاب الرّياضيّة، وواحد منعزل بلا زملاء. كان هناك، على هذا المنوال، عدد معيّن من الأدوار للتّمثيل في كلّ فئة والشّيء الوحيد المتبقّي لها عندما انتقلت إلى مدرسة جديدة هو معرفة أيٍّ من الأدوار الَّتي كانت شاغرة، والّتي سيجري تمثيلها في العام التّالي. كنت قد أدّيت دائمًا الدّور نفسه: ذكيّة في المدرسة، وليست

شهيرة على الأغلب، بل إلى حدّ ما، لم تخضع للتّنمّر، لا تنمّر في عصابة من اليافعين، ولكن ليس جنبًا إلى جنب معهم لم يكن لي أن أكون قادرة على الحصول على دورٍ جديدٍ، ولكن كان لي دورٌ بكلّ الأحوال.

خسارة صوفيا كبرى الخاسرين بدت باهتة اللّون بالمقارنة بها. أمسك سيباستيان بيدي من تحت المقعد، فشعرت بالدّفء يسري إلى وجهي.

وجّه إليّ (كريستر) سؤالًا جديدًا، ولكن فاتني موضوعه. نظر إليَّ ينتظر جوابًا. التفت إلى سمير. ربّما أمكنه مساعدتي، بتعليقٍ ساخرٍ يجعلني أفهم بالضّبط حول ماذا كان السّؤال وما يجب أن أقوله.

لكنّه لم ينظر إليّ. وكانت ذراعه اليسرى في خطّاف على المقعد بالطّريقة الّتي فعلها عندما كان يكتب ويحدّق في مفكرته. لم يسجّل أيّ شخص سوى سمير اليوم الأوّل من المدرسة. كان قد عقد يده حول القلم الأسود السّميك، مع خراطيش حبر حقيقيّة. المفاصل وعظام يده كانت بيضاء. ولكنَّه لم يكتب أيّ شيء. كان عليَّ أن أنتقل إلى كريستر. «أنا آسف»، قلت. «لم أسمع...» ضحك كريستر. شعر بالارتياح لمّا كان على علمٍ بأهمّ حدث في الصّيف، وشعر بالارتياح لأنّه لم يكن مضطرًّا إلى السّؤال حول ذلك. قال: «سيباستيان... هل قرأت أيّ شيء جيّد هذا الصّيف؟»، لم يكن سمير فقط هو من ضحك، ولكنّني سمعته فقط. ولم يبدُ كأنّه يحسب أنّ الأمر مضحك بشكل خاصّ.

19

لا، سمير لم يكن مقتنعا أن من الممتع أنّ يبدأ سيباستيان في صفّنا. سيباستيان وسمير لن يكون بينهما أي شكل من أشكال التفاهم، أصبح الأمر واضحًا بالفعل عندما طلب منّا كريستر أن نقدّم أنفسنا لسيباستيان لأنّه كان جديدًا على الصّفّ. بدا (سيباستيان) وكأنّه لا يعرف اسم (سمير) بالفعل، ربّما كان انتقامًا لضحكات سمير الصّاخبة، ولكن كان من الممكن أيضًا أنّه لم يكن لديه أيّ فكرة. لكن عندما تظاهر (سمير) بأنّه لا يعرف من هو (سيباستيان)، أصبح الأمر سخيفًا. الجميع في المدرسة يعرفون من هو سيباستيان.

سمير كان الوحيد الّذي توتّر، أمّا الآخرون فكانوا أكثر سعادة. حتّى المعلّمون بدوا سعداء بوجود (سيباستيان) هناك. فلو سأل أحدهم (كريستر)، تلك الأيام الأولى من المدرسة، لقال بالتّأكيد شيئًا مثل أنّ (سيباستيان) يستحقّ *فرصة أخرى*. وكان سيباستيان في الأسبوعين الأوّلين، يتأخّر في المجيء والحضور، والمرور في منتصف الصّفّ، من دون أن يعلّق المعلّمون على ذلك. وعندما لم يكن معه أغراضه (دائمًا) قالوا له يمكنك مشاركة مايا حاسوبها، أو كان عليه أن يستعير جهاز الكمبيوتر الخاصّ بالمعلم.

لم يكن (كريستر) ليعترف أبدًا بأنّه كان يعلم أنّ (سيباستيان) لن يتخرّج أبدًا. *والجميع يستحقّ فرصة أخرى*. في حين أنَّ سميرًا لم يعطِ سيباستيان حتّى فرصة أوّليّة.

استغرق الأمر تسعة أيّام بالضّبط قبل أن ينظّم سيباستيان أوّل حفلة في الفصل الدّراسيّ. كان (كلايس) خارج المدينة، وكان شقيق (سيباستيان) (لوكاس) قد عاد إلى (بوسطن). كنّا، أنا وأماندا أوّل الحاضرين. وأحسب أنّني كنت قد قلت إنّنا نستطيع المساعدة، ولكن بالفعل كان مكتوبًا في الممرّ بوضوح أنّه لم يكن هذا النّوع من الحفلات. ولم يكن سيباستيان بحاجة إلى «مساعدة» في حفلاته.

«لا تأخذ الأمر على محمل شخصيّ! هكذا. النّاس يمكنهم أكل ما يريدون، ولكن لا يمكنني فعل ذلك».

لم تبدأ أماندا بأكل البرغر، أبقته بين السّبّابة والإبهام وفحصته من جانب إلى آخر بعناية، في محاولة للعثور على الجانب الّذي يحتوي أقلَّ السّعرات الحراريّة، نظرت إلى قطعة اللّحم عندي كما لو كانت مدوسة، ومزروعة بالمضادّات الحيويّة في حاوية مبنية من الخرسانة، مسحت الصلصة العالقة بفمي، أومأت وازدردت القطعة.

كانت الشّمس في طريقها إلى المغيب، وكان معظمهم قد أكل بالفعل، ولم تكن هناك أكثر من ثلاث شطائر همبرغر في الفرن، وضغط أستاذ الشّوايّة المستأجر من دون مزاج كتلَ اللّحم، ثمَّ قلّبها على الفحم الحجريّ. تصاعدت ألسنة اللّهب الصّغيرة الغاضبة وخفتت بسرعة.

سار نادل يرتدي سروالًا داخليًّا بالعلم الأمريكيّ حافي القدمين على الأعشاب النّاعمة حاملًا صينيّة من المخاريط المنقوشة برسوم من الصّحف مليئة بالبطاطس المقليّة. اختفى سيباستيان في المنزل مع نصف دزّينة من الرّجال الّذين كانوا يتبعونه دائمًا إذا استطاعوا.

جلست أنا وأماندا في الفناء المعبّد بالحجر ونظرنا إلى البحيرة.

«أين سيبي؟» سألتُ. لقد دعت (سيباستيان) بذلك.

هززت كتفي، في إشارة إلى عدم معرفتي بذلك.

«هل وصل لابي؟».

هززت كتفي مجدّدًا. وفي الوقت نفسه الّذي بدأ فيه (سيباستيان) في صفّنا، كان (لابي) قد ترك الدّوام. ولم يكن عليه أن يذهب إلى هناك، بل اضطرّ إلى تغيير المدرسة. (لابي) كان الوحيد منّا الّذي عرف (سيباستيان) من قبل، ربّما لهذا ظنَّت (أماندا) أنّه سيكون صديقها الجديد. ولكنَّ (سيباستيان) لم يكن لديه أيّ أصدقاء مقرّبين، كان لديه سرب نحل. ومنذ أسبوع، يتّبعه الكلب الضال دينيس.

تنهدت أماندا ووضعت شطيرتها من البرغر نصف المأكولة بعيدًا. لقد أنهيت بالفعل تناول شطيرة البرغر خاصّتي، وبقيت مشغولة بالبطاطا المقليّة. لقد ناولت أماندا قرطاس البوظة، ولكنّها هزّت رأسها من دون حتّى النّظر إليه.

كان الماء المظلم تحتنا يلمع بلون رصاص رماديّ. وكانت الفوانيس في الحمّام تضيء الجسر. ومن الصّور الظّلّيّة الدّاكنة على سطح أحد القاربين اللّذين أرساهما كلايس فاغرمان هناك. عشيقان يداعبان بعضهما في أرجوحة تتدلى من إحدى أشجار الحديقة الأربعة.

جلست نصف دزّينة من الفتيات في الفناء، حول طاولة حجرية ذات سطح فسيفساء وكراسي من مرصوفة بشكل غير منتظم. وكنّ يدخّنن ويشربن النّبيذ الأبيض ويتناوبن على عرض شاشات هواتفهنّ المحمولة بعضهنّ على بعضهنّ الآخر. جاء سيباستيان إلى جانبي، أخذ يدي، وسحبني من الأرض ووضعْ ذراعه حولي. اشتكى قائلا «يا لها من حفلة مملّة». ثمّ ركض، وألقى

في طريقه ملابسه من فوق الجسر إلى الماء. ركضت وراءه، خلعت كلّ ملابسي بسرعة، ما عدا سروالي الدّاخليّ، وقفزت وراءه. سبحنا بسرعة، لم يعد الماء حارًّا، ولكن عندما انزلق إلى جانبي، بسطت ساقيّ ووضعتهما حول وركيه، أمام كلّ الضّيوف الّذين كانوا خارج الماء. ولجني. لم أكن أحتاج حتى إلى أن أخلع سروالي الدّاخليّ، بل تركته يسحبه جانبًا تحت الماء. لا أعلم إن وصل إلى النّشوة، ولكنّه عندما انتهى، نهضنا. كان (سيباستيان) يشعر بالبرد إلى درجة أنّ شفتيه تبدّلتا إلى اللّون الأزرق الأرجوانيّ، يطقطق بأسنانه، وجلبت (أماندا) بدلتي حمام لنا، وناولتنا إيّاهما حين كنّا نتسلّق السّلّم. أخذني سيباستيان من يدي وركضنا إلى السّاونا. «هذه الحفلة ماتت» سحبت رداء الحمّام أكثر إحكامًا عنّي، على الرّغم من أنّه كان حارًّا جدًّا لارتدائه، وجلست في المكان الأقرب إلى الباب. كان سمير ودنيس جالسين في القمّة. وعندما تحدّث سيباستيان، تجاهله دينيس، كما لو كان خطأ سيباستيان أنّ الحفلة لم ترقّ إلى مستوى توقّعاته. وعندما رأى سيباستيان سميرًا، ضحك، إ تفاجأ به، ولم يكن وحده قد تفاجأ. ولم أتصوّر أنّه سيظهر هنا. والأغرب أن نراه مع دينيس. ألم يعرف بعضهما بعضًا، وإلّا ماذا؟ بقي سيباستيان واقفًا مدّةً من الوقت، وأسقط رداء الحمّام على الأرض، ووقف عاريًا يسكب الماء على سخّان الساونا، ليرتفع البخار إلى السّقف قبل أن يجلس، ولكن بعد بضع دقائق فقط خرج، ولا يزال عاريًا.

ما أضجره من حال! هذه الحفلة سيّئة. وتبعه دينيس، يسير الآن دائمًا نصف خطوة خلف سيباستيان وعيناه على الخلف، لم أكن أفهمه. دار دينيس حول سيباستيان وأمامه وعلى مقربة منه، في دوائر غير مفهومة، ومن دون تفسير.

لقد كان أشبه بخفّاش أكثر من كونه كلبا ضالا. (سمير) تركنا وحدنا «هل

جئت إلى هنا مع لابي؟» سأل. لابي وسمير أصبحا صديقين عندما كان سمير في الصف الأول. كانا لا يزالان يختلطان اجتماعيًّا، على الرّغم من أنَّ لابي انتقل إلى مدرسة أخرى أومأ سمير برأسه، ونظر إليَّ مدَّةً قبل أن يغيّر مكانه ويجلس فوق مكان جلوسي مباشرة. لم يكن هو نفسه، منتفخ قليلًا في وجهه ربّما وبالتّأكيد منزعج، سريع الانفعال. لم أكن أودّ أن أسحق، ولكن الآن لم أستطع المغادرة بشكل طبيعي؛ إذ إنَّ سميرًا سيظنّ أنّه أحرجني.

«لم أكن أحسب أنَّك وسيباستيان...»، بدأت، ولكنَّه قاطعني». سأل (لابي) إن كنت أريد المجيء. ثمّ سكت. لم يكن عليه أن يقول المزيد، لقد فهمت. النّاس الَّذين سئلوا عمّا إذا كانوا يريدون زيارة سيباستيان في البيت، نسوا على الفور كالعادة كلّ الكلام المقرف الّذي كانوا قد قالوه عنه في وقت سابق وأجابوا بـ«نعم». وأولئك الَّذين حصلوا على الفرصة، انتهزوها. ولكي تستطيع أن تقول إنَّهم كانوا هناك إذا سأل شخص ما ماذا فعلوا في نهاية هذا الأسبوع. لأخبرك، عندما تحدّثوا عن شيء آخر، أنَّه عندما كنت في حفلة مع سيباستيان فاغرمان، نعم، بالضّبط! ابن (كلايس فاغرمان).

كنت أتساءل لماذا ظننت أنَّ سميرًا لم يكن من هذا القبيل. ولكن لماذا كان منزعجًا جدًّا؟ كانت هذه للجميع ما عدا (لابي)، هي المرّة الأولى الَّتي نأتي فيها إلى إحدى حفلات (سيباستيان) في عامنا الدّراسيّ هذا. وقد حضر اللّيلة اثنان فقط من أولئك الّذين كان قد أمضى بعض الوقت معهم من قبل، ومعظمهم قد تجاوز بالفعل المرحلة الثّانويّة.. انحنى سمير عليّ أكثر. وكان جالسًا قريبًا جدًّا منّي من قبل، والآن كانت ساقاه تضغطان ذراعي. ووصلت رائحة عرقه إلى أنفي. رائحة غريبة لم تناسب سميرًا الطّالب المجتهد الّذي يرتدي بنطالون جينز مكويًّا، وحذاء رياضيًّا عقد قيطانه عقدة مزدوجة، والَّذي يجلس في الصّفّ الأماميّ للفصل. «فكّرت في أن آتي إلى هنا وأرى

ما يتحدّث فيه النّاس. وإنّ حبيبك، ذا الرّأس المخدّر، بكلّ الأحوال، لديه حقّ؛ لأنَّ الأمر مضجر للغاية». هزَّ سمير رأسه وانحنى أكثر عليّ. «إذا كنت لا تحبّ أن تشخر مع الزنجي، بالطّبع». في البداية كنت مصدومة. ولم أسمع سميرًا يتحدّث هكذا من قبل معي، أو أيّ شخصٍ آخر. نهضت لأغادر. أردت أن أستمتع، لم أكن لأدعه يجلس هناك ويحكم عليَّ. ولكنَّ سميرًا وصل إلى الباب في ثانية واحدة ووقف في الطّريق. «هل يسحبك الزنجي من بطنك العارية؟»، شعرت بأنَّ السّاونا ضيّقة. «هل يمكن أن يشاركنا دينيس اللّعب؟ أهذه مكافأة للسّماح لسيباستيان ليجرّب شيئا آخر؟

«هل انتهيت؟» هل كان يحاول أن يكون مسلّيًا؟ لم يبدُ الأمر كذلك. والآن خفض صوته. «أنت تعرف أنّه من واقع الأمر، نحن نتجنّب دينيس لأنَّه مجنون. كان سيبيع الكوكايين في قسم الولادة إذا سُمِح له بالدّخول «قلبي كان ينبض بسرعة كبيرة. لم أكن أعرف إذا كان سمير قد لاحظ أنّني منتشية، إذا كان هذا هو السّبب في أنّه كان غاضبًا، ولكن أردت الخروج من هنا». «ألا تفهمين ذلك؟ إنَّ سيباستيان نكرة يا مايا، لا شيء على الإطلاق. ابتعدي عنه». ولوَّح بيد واحدة حول السّاونا، وسبّابته تمتدّ بغير اتّساق، كما لو كانت الجدران الخشبيّة بفعل البخار المتكثّف في قاعة المرايا في فرساي»، «وهو مثير للاهتمام مثل جرة فارغة. أخذ سمير أخيرًا خطوة بعيدًا منّي بسرعة، وانخلعت المنشفة الّتي كانت حول خصره، فسحبها ليربطها مرّةً أخرى بإحكام. وجرى هذا أمام عينيَّ. سمير كان ثملًا بصورة لم أرَهُ فيها من قبل. ولكن في مرحلة ما سيكون الأوّل، حتّى بالنّسبة إلى الطّالب الأكثر موهبة في الصّفّ. شعرت بالارتياح إلى درجة أنّني كدت أضحك. إنّه لا يعرف ما يقول. لقد فتحت الباب ولم يكن ثمّة من داعٍ للاكتراث بالشّباب السّكارى. ولم يكن هناك جدوى من النّقاش. ثمّ غيّرت رأيي والتفت إليه. «أفهم ذلك»،

قلت. «أنت لا تحبّ دينيس، لا أحد يفعل. لكن من اشترى لك؟ لو كنت قد احتفلت مع لابي، لراهنت بنسًا واحدًا. إنَّه يمكنك شكر دينيس على السّكر. أنت لا تحبّ سيباستيان. لا بأس.

أنت لا تعرفه، ولكن لا بأس. أن تأتي إلى هنا وتحتفل وتجلس في السّاونا خاصّته وتجفّف نفسك بمنشفته، لا بأس. حينذاك يكون شخصًا صالحًا. «ثمّ غادرت. لم أستطع التّنفّس هناك، كان الجوّ حارًّا جدًّا. مسحت أنفي بكمّ الرّداء الصّباحيّ عندما خرجت. وتصدح الموسيقى من منزل حمّام السّباحة. ثلاث فتيات من صفّي الموازي جئن راكضات من الشّاطئ، وتجاوزنني في طريقهنّ إلى السّاونا الّتي كنت قد تركتها للتوّ. يبدو أنّ الحفلة قد تضاعف حجمها في الوقت القصير الّذي كنت فيه خارجها. دعا سيباستيان دائمًا أشخاصًا، وعلى الأغلب من الفتيات. التقاهم في المدينة، ربّما في طابور، كان يرأف بهم وبضمّاداتهم ويسمح لهم بالمشاركة في حفلاته مرّة ما قبل أن يملَّ من فساتين الحفلات، ومن نظّارات محلّات «ايج وايم» ويستضيف في بيته بعض الصّبايا.

ولكنَّه لم يبدُ قلقًا أبدًا من أن يخرج الأمر عن السّيطرة. ربَّما لأنَّه كان من المستحيل إفساد حفلات فاغرمان، ليس لكون الحرّاس مزعجين أو يتدخّلون فيما كنّا نفعله، ولكنَّهم كانوا هناك، على مسافة معقولة. صرخت أماندا من حلبة الرّقص. كانت ترتدي بيكيني وأطلقت شعرها ولم يبدُ أنَّها كانت تسبح. وكان لابي واقفًا على بعد ثلاثة أقدام، وقميصه مفتوح يحدّق فيها.

«هيا»، تمتمت، تطلق شهقة على عنقي. لقد فعلنا هذا من قبل. وكانت أماندا تحبّ الجمهور وكنت جزءًا من عرضها المفضَّل.

صدحت الموسيقى. كنت لا أزال أرتدي روب الصّباح، ولكنَّ أماندا

أخذت تشاكس ووضعت كفّها على ظهري، أحنت رأسها إلى الخلف ورقصنا معًا بشكل قريب جدًّا إلى درجة أنَّ خصرينا كانا يتلامسان. كنّا حافيتي القدمين. كانت لا تزال ترتدي قميصها وكان سروالي الدّاخليّ لا يزال رطبًا قليلًا بعد الحمّام، ولكنَّني أغمضت عينيَّ، وحاولت أن أخفض من وتيرة نبضي. كنت أركّز على الموسيقى. ما ظنّه سمير لم يكن مهمًّا، لقد كان ثملًا ولم يكن يعرف ما كان يقول.

كان سيباستيان يقف بجانب الاستريو، وبعدما نظر للحظة، جاء ووقف إلى جانبنا، وضع ذراعًا حول أماندا، وأخرى حول خصري. أحببت يدي (سيباستيان). عندما لمسني، بشدّة إلى حدّ ما، شعرت بجمالي الرّهيب. سحبت يده إلى أعلى الظّهر وفكّ عن أماندا، ودفعها بعيدًا نحو لابي الّذي ضحك وأمسك بها. أراد سيباستيان أن يلمسني وحدي من دونها.

كان يتعرّق، وأشرقت جبهته، وعيناه كانتا ثابتتين على شيء بعيد. وكنت أنظر إلى أماندا. وقف لابي أمامها ورفعت يديها صعودًا وهبوطًا كإشارة الطّلاء على الجدار. لم يرقص رقصا حقيقيا قطّ. بل رقص بسخرية. شيء فعله ليكون لطيفًا مع أولئك الّذين أحبّوا منّا ذلك. ولإظهار أنّه لم يحكم علينا، على الرّغم من أنّه لم يفهم حقًّا ما سيكون لصالحه.

التقطتُّ روب الصّباح من الأرض، ووضعه سيباستيان على كتفي، لم أتمكّن من العثور على الحزام وخرجت من منزل حمّام السّباحة من خلال غرفة المعيشة والمطبخ، مارّةً من أمام دينيس، سيباستيان طلب منه أن يبقى في المطبخ مع أشيائه. بينما كنت أمشي، نظر دينيس إليّ بتشكيكٍ، ولكنّني هززت رأسي وواصلت الصّعود إلى الطّابق الثّاني إلى غرفة سيباستيان. ولم يسمح لأفراد الأمن بالدّخول ما لم يُستَدعوا. كما لم تكن هناك أيّ كاميرات

مراقبة هنا، بقرار من والد سيباستيان. والسّبب واضح. (كلايس) لم يرد ما حدث في منزله أن يُصوَّر في فيلم؛ إذ يمكن نسخ مثل هذه الأشياء وتوزيعها واستخدامها للابتزاز. عندما دخلت إلى غرفة سيباستيان، ارتديت قميص نوم وسروال ملاكمة من سراويل سيباستيان. ثمّ ذهبت إلى الحمّام.

كانت اللّيلة قد بدأت للتّوّ إذ أردت أن أجفّف شعري. كان نبضي لا يزال سريعًا، ولكنّني لا أملك جمجمة مخدّرات (هل هذه كلمات من عقد الخمسينيّات؟)، كنت قد بدأت بسرعة كبيرة، ولم أكن معتادةً الشّربَ، كنت أشرب نهاية المساء، لا شيء آخر، ولكن كان قبل كلّ شيء على النّبض أن يهدأ. وكان مجفّف الشّعر يئزّ، وأغلقت عينيّ بوجه الهواء الدّافئ. لم أكن في عجلة من أمري للتّراجع فأبقيت عينيّ مغلقتين وتنفّست، أشهق من خلال أنفي، وأزفر من خلال فمي. عندما جُفِّف شعري، سمعتهم. عديد من رجال، ربّما فتاة. أُوقِف تشغيل الموسيقى.

عندما نزلت إلى المطبخ، أمسك حارسان أمنيان بذراعي سمير العلويّتين. وقف دينيس بجانب الحائط ينزف من أنفه، زجاجة نبيذ انزلقت على جنب. بدا دينيس متفاجئًا أكثر منه غاضبًا. «دعني أذهب». وقف سمير بشكل غير طبيعيّ، كما تفعل عندما يفعل المرء في حالة الصّحو. لم يتحدّث بصوتٍ عالٍ، ومع ذلك سُمع. ونظر أحد الحرّاس إلى (سيباستيان). أومأ برأسه. قال حارس الأمن لسمير: «حان الوقت لكي تعود إلى المنزل».

لم أكن لأبقى لو كنت قد دفعت إليّ. «التفت سيباستيان إليّ». لقد توقّف عند المدخل وظهره لسمير، قال: «تأكّد أنّ الآخر لا ينزف في المطبخ ويلطّخه بأكمله بالدّم، من فضلك. إنّه ذاهب إلى المنزل الآن أيضًا».

وخلف ظهر سيباستيان، نظر سمير في عينيَّ مباشرة. لقد حرَّك شفتيه

وحاول أن يقول شيئا آخر. لي وحدي. لقد قام بتقليد شيء ما بدا مثل «تعال». أرادني أن آتي معه. أم أنّه كان يتمتم بلغة مختلفة؟ العربيّة؟ أو الفارسيّة؟ وقد نسيت حتّى أيّ لغة كان يتحدّث بها سمير. لم أهتمّ.

وبالطّبع كنت أعرف أن سميرًا يحبّني، أنا أحبّه أيضًا. ولكن الآن، هنا في منزل (سيباستيان)، تحوّل فجأة نسخةً مخمورةً من حارس الأخلاق. لقد رأى أنَّ من واجبه أن يقودني بعيدًا عن الطّريق العريض. فارس ذو رمح مرفوع عاليًا.

أمر مربك. ظننت أنّه كان محرجًا. أردته أن يذهب، أردته أن يأخذ رأيه معه، أن يأخذ الحياة على محمل الجدّ ويخرج من هناك. لم أطلب حمايته، لم أكن بحاجة إليها، أنا لم أكن أميرة عاجزة مع الأمير الخطأ.

رجل مختص أمسك بـ(سيباستيان) من ذراعه «ولكن»، وقال: «كيف أنا ذاهب... «لا تقلق»، وقال سيباستيان. «لدينا ما يكفي»، سيباستيان أخذني من يدي. ذهبنا إلى حمّام السّباحة. بدأت الموسيقى مرّة أخرى. لم يحدث شيء خطير. (دينيس) طرد. سمير ذهب إلى المنزل. سيباستيان أزال شعري عن عنقي فسحبت نفسًا من رائحته، باردة وطازجة، أحببت رائحة سيباستيان. أحببت كيف جعلني أشعر! لقد استمتعت معه! كنّا نستمتع دائمًا. يجب ألّا تخجلي من استمتاعك. همس سيباستيان.

«هل ترين؟ لا حفلة من دون حادث، والآن ستمضي هذه الحفلة أخيرا بوتيرة أسرع.»

مكتبة
t.me/soramnqraa

20

مضت عطلة نهاية الأسبوع بعد حفلة (سيباستيان) بسرعة كبيرة إلى حدّ ما. ذهبنا إلى المدينة يوم السّبت، سيباستيان وأنا، لابي وأماندا. أمضيت يوم الأحد، مع أمي وأبي ولينا وتناولنا العشاء في مطعم مع الجدّ. كانت أمّي مغتاظة لأنّني كنت «متعبة» وكان أبي غاضبًا لأنّنا كنّا في مطعم مع جدّي. لم أعد أفكر في سمير، على الأقلّ ليس كثيرًا. في صباح يوم الاثنين، أوصلني (سيباستيان) إلى موضع قريب من المدرسة. كانت لديه «أشياء ليفعلها». لم أكن أعرف ماذا تعني، ولكنّني لم أهتمّ. كان هذا قبل أن تقلقني مثل هذه الأشياء. وكان لي بعد الغداء نصف ساعة. كانت أماندا مريضة وسيباستيان لم يردّ على الهاتف.

كان من النّادر أن يزور مكتبة المدرسة قرّاء كثيرون جدًّا في وقت واحد، ولا سيّما بعد أن انقطع الإنترنت عن أجهزة الكمبيوتر. ولكنَّني لم أكن وحدي؛ إذ كانت إيفي في أبعد مكان من القاعة، كانت تدرس في صفّي الدّراسيّ الموازي، وكان لها أنف نحيف، ترتدي تنانير زهريّة وجوارب مع جميع الأحذية بما في ذلك أحذية رقص الباليه. كانت إيفي قد فازت بمسابقة الكتابة في المدرسة (الّتي نظَّمتها منظّمة الرّوتاري) في العام الماضي، على الرّغم من أنّها كانت في الصّفّ الثّاني فقط. كانت الرّواية عن شقيقها المختلّ النّموّ، وحسب الجميع أنَّه حقًّا كذلك، وربّما لهذا السّبب فازت. وعندما تبيَّن أنَّها لم يكن لها أي أخ، بل مجرّد شقيقة طبيعيَّة تمامًا، شعر النّاس بخيبة أمل،

وغضب منها عدد غير قليل؛ إذ ظنّوا أنّها قد «غشّت». ولم يشرِ أحد إلى أمر واضح وهو: أنّها جعلت الرّواية أكثر جمالًا.

جلست في صفّ الأرائك على بعد أمتار قليلة من مقعدي فتاتين انتسبتا حديثًا إلى المدرسة الثّانويّة. كانت كلّ واحدة منهما تتصفّح مجلّة فارغة، وشاركتا كيسًا من الحلويّات الصّغيرة. تحدَّثتا بصوتٍ عالٍ بما فيه الكفاية بالنّسبة إليَّ أن أسمع أنّهما أنهيتا كلمة واحدة على الأقلّ في كلّ جملة تحتوي ـ isch أو ـ iss. كانت هذه هي المسألة الآن، فكلّ الّذين من الصّفّ الأوّل الدّراسيّ كان يتحدّث هكذا. أماندا وأنا كنّا أيضًا ننشغل بكلماتنا وتعبيراتنا الخاصّة عندما كنّا صغيرتين. لكنَّ هذا فاق كل أشكال الغباء الأخرى، وهو ما جعل لغة القراصنة لدى (بيبي أم الجوارب الطّويلة) تبدو أصفى من اللّاتينيّة.

«ولكن bubbisch... استمعي يا عارضة الشّارع! سأجن بسببه، هل يريد أن يكون معنا أم لا؟، سأكون سريعة الانفعال جدًّا!» وأومأت الأخرى من دون أن تتوقَّف عن تصفّح الصّحيفة. «مريضة نفسيًّا psykisch تمامًا.»

كنّا في درس اللّغة الإنجليزيّة قبل بضعة أيّام نتحدّث عن اختبار بيكدل الّذي بمساعدته يمكنك التّحقّق ممّا إذا كانت الأفلام نسويّة أم لا. طُرِحت ثلاثة أسئلة تتعلَّق بالضّبط: هل كانت هناك امرأتان مذكورتان بالاسم على الأقلّ في الفيلم؟ هل تمكّنتا من التّحدّث إحداهُما إلى الأخرى (من دون وجود أيّ رجل معهما) وهل تحدَّثتا عن شيء آخر غير الرّجال؟

سحب المعلّم الكثير من الأفلام الّتي شاهدها الجميع تقريبًا، وكان علينا أن نخمّن إذا استوفت تلك الأفلام المتطلّبات، لم تستوفِ ذلك (ما تظاهرنا بلطف أنّنا لم نفهم، وإلّا لماذا كان قد سأل؟!)، وبالتّأكيد، ظننت أيضًا أنّه كان من غير اللّائق أن يجري الأمر بهذه الطّريقة، وفهمت لماذا من المهمّ أن تكون

النّساء في الفيلم قادرات على إنجاز شيء آخر غير الكلام على الفتيان، ولكن في الواقع، تتحدَّث الفتيات عن الفتيان طوال الوقت. حتّى أمّي وصديقاتها يتحدّثن عن أزواجهنّ (وكيف أصبحوا بلا جدوى) بمجرّد أن يحصلن على فرصة. العرائس في نادي النّقاش ببدلاتهنّ الأنيقة، وعضويتهنّ في جمعيّة الاقتصاديّين الشّباب، والمجموعة المسرحيّة بمسرحيّاتهنّ باللّغة الفرنسيّة وخططهن لركوب القطار، والشّمبانيا الّتي في متناول أيديهنّ، كنّ يشتركن في شيء واحد وهو: كنّ يتحدّثن عن الفتيان. فتيانهنّ، فتيان غيرهنّ، فتيان رغبن فيهم، فتيان أردن التّخلّص منهم. فقط الفتيان طوال الوقت. ربّما، كنت أودّ أن أشير إلى أنّه لا ينبغي للمرء أن يشكو من كيفيّة تصويره في الفيلم طالما أنّ التّصوير يتماشى بشكل جيّد مع الواقع.

دفع سمير الباب بقوّة إلى درجة أنّه اصطدم بموقع كتيبات حول المعهد الملكيّ للتّكنولوجيا وبرنامج القانون في أوبسالا والرّياضيّات في التّعليم البلديّ للكبار. كانت ساقا سمير أطول بما لا يتناسب مع بقيّة جسده، وهو ما جعله يبدو دائمًا كأنّه يقفز. في مكتب الاستعلامات، توقَّف وخلع سمّاعات الهاتف المحمول من أذنيه. لقد تحرّك متعرّجًا مع فائض مستمرّ من الطّاقة، تأتيه أيّ فكرة أسرع قليلًا قبل أن يبدأ الآخرون في التّفكير. كان من السّهل تصوّر أنّه كان متوتّرًا، ولم أحسب قطّ أنّه كان كذلك. ولكنّه الآن بدا متوتّرًا.

ولم يكن لديَّ الوقت للتَّفكير في التّظاهر بأنّني لم أره إلى أن اكتشفني بعد فوات الأوان. كاد يركض نحوي.

«هل يمكنني الجلوس للحظة؟»

حاولت أن أنظر في الاتّجاه الآخر.

همست إحدى الفتاتين للأخرى: «أنت... بوبيش. لكن كان لا يزال

الصّوت عاليًا بما يكفي لي ولسمير لسماعه. «هل معك سدّادات قطنيّة؟» ضحكتْ بإحراج. «نسيت حقيبتي في المنزل.»

كان لديَّ سدّادات قطنيّة في حقيبتي، وكان يمكن أن أذهب للجلوس معهما، فيقولا «تفضّلي ايتش» وأن أتجاهل سميرًا. كان لا يكاد يجرؤ على التّطفّل على محادثة حول سوائل جسم الأنثى. وهذا بالتّأكيد سيصيبه بالإجهاد. بالمناسبة، هل تعرض (الحيض) إلى اختبار (بيكديل)؟ على الأرجح. ولكن هل كان سيبقى الحيض نسويًّا إذا كنت تطلق عليه حيضة؟

«مايا»؟ وقف سمير أمامي وحاول لفت نظري.

«أنا لا أعمل هنا، عليك أن تسأل الموظفين».

«لقد بدا مرتبكًا» ماذا؟ ما الّذي يجب أن أسألهم عنه؟»

«أنا لست الشّخص الّذي يقرّر أين تجلس. ولكن إن جلست، فسأخرج من هنا. لقد صمت. ثمّ ضرب بذراعيه وتنحنح».

«تمضي الأمور بسرعة. أريد أن أعتذر». لقد أسقط ذراعيه مجدّدًا «أردت أن أقول إنني آسف عن يوم الجمعة. هذا غباء لا أعرف لماذا قلت كلّ هذا، أظنّ أنّني كنت ثملًا». الفتاتان الجالستان على صفّ الأرائك صمتتا. تظاهرتا بدراسة عميقة لأحد المقالات في الصّحيفة الّتي وضعتها إحداهما في حضنها. «ماذا؟ هل كنت ثملا؟» قلت. سمير فهم السّخرية وحنى رأسه إلى الأمام. الفتاتان صمتتا الآن تمامًا، لم تريدا تفويت أي جزء من هذا.

«لم يكن عليّ أن آتي إلى الحفلة ولم يكن عليّ ملاحقتك. إنّه (سيباستيان) الّذي لا أطيقه. لم يكن عليّ...»

«هل تتذكر ما قلته لي؟»

أومأ برأسه.

سقطت غرّته على جبهته. بدا وكأنّه كان يتوقّع منّي أن أصفعه على مؤخّرته. هل كان يعلم كم كان وسيمًا؟ بالطّبع فعل. كان هناك شيء في أسلوبه في بعض الأحيان، على وشك الظهور، كان على علم تامّ بما كان يبدو عليه. هذا ما كان يبدو عليه عندما أراد أن يُغفر له، لم أكن أوّل من رأى نظرته الخجلة. ولكن في الوقت نفسه، كان قد بدا في الواقع حزينًا في الحفلة، إنَّه حزين حقًّا، وليس فقط في حالة سكر.

كان هذا جانبًا جديدًا من سمير. كان يبدو دائمًا غير متأثّر، تقريبًا غير مهتمّ بـ(أماندا) وبي وبحياتنا خارج المدرسة. وقد تعلّق بـ (لابي)، ولكن من جانب آخر، نادرًا ما جاء إلى الحفلات، لم يسأل أحدًا أبدًا عمّا فعلوه خلال عطلة نهاية الأسبوع، لطالما ظننت أنَّه يحسب أنَّنا مضحكون جدًّا. وفجأة أدركت أنّني وجدت أنّه من المحزن أنّه لم يرغب قطّ في التّحدّث معي، معي فقط، عن الأشياء الّتي لم تكن حول الواجبات المدرسيّة. لكن الآن، عندما فعل ذلك أخيرًا، كان للحديث عن (سيباستيان).

حديث عن الفتيان، على ما أظنّ. دائمًا الحديث عن الرّجال. الجميع يتحدّث مع الفتيات عن الرّجال، حتّى مع الرّجال.

ظهرت في رأسي من دون أن أكون قادرة على وقفها وابتسمت، ليس عن قصد، ابتسمت فحسب. *أريده أن يتحدّث عنّي. معي. عن أشياء أخرى غير سيباستيان.* ابتسم سمير ردًّا على ابتسامتي. ليس ابتسامته المعتادة، بل غيرها، ألطف منها.

وصدرت من مكبّرات الصّوت إشارة جعلت (الناطقات بلغة القراصنة) يجمعن حقائب اليد الكبيرة والصّحف اللّامعة ويهرعن إلى الصّفّ. سحب

سمير كرسيًّا وجلس أمامي. كشَّر بشفتيه راسمًا ما يكون على الأرجح ابتسامة شخصية.

«سيباستيان هو قرصانك،» قالها مصفرًّا. إنّه «أنا أدرك ذلك»، ثمَّ غيَّر شخصيّته مرّة أخرى، ووضع ذراعه على مسند ظهره، وعدّل كرسيّه، وأفرد ساقيه وقال، في الضّواحي السّويديّة: «Duden e shono الخاصّ بك. وأنت أوزة الرّجل، لا مشكلة يا عروس، jidder chalas، ونحن نحترم ذلك.»

ضحكتُ. لقد كان سيّئًا جدًّا في أداء دور رجل عصابات، ولكنَّه كان وسيمًا، ما الّذي يهمّ لو أجاد هذا الدّور؟ ثمّ عاد مرّة أخرى، الابتسامة الاستفزازيّة. يا إلهي، كم افتقد هذا الدور!

21

مرَّت بضعة أسابيع. ربّما ستّة أو سبعة! في منتصف تشرين الأوَّل/ أكتوبر قرّرنا الخروج إلى منزل لابي الرّيفيّ في إحدى عطلات نهاية الأسبوع. كان يطلق عليه لابي «المزرعة»، ولكن في الواقع كان قلعة قديمة. عائلة والد (لابي) كانت تملك المكان منذ أن كان (غوستاف الثّالث) ملكًا. عائلة والدة (لابي) كان لديها مكان مماثل على بعد بضعة أميال، ولكنّني لم أكن قد رأيته قطّ. جاء سمير أيضًا معنا.

لا أتذكّر ماذا كان رأيي في ذلك، إن كان مبعث سرورنا، ربّما؟ لا أظنّ أنّ هذا أقلقني أو كان ذلك دلالة على الغباء كذلك، بالتّأكيد، كان هناك توتّر بين سمير وسيباستيان، ولكن لا شيء مما قد نقلق بشأنه.

أنا و (أماندا) كنّا مستلقيتين، كلّ واحدة على كرسيّ، وتحت بطّانيّة، مع هاتف. فراشة ليمون مرّت بها، ترفرف مثل ورقة في مهبّ الرّيح أسفل على العشب القصير نحو البحيرة. كان خريفًا دافئًا بشكل غير عاديّ.

«إذا كنت ترغبين في شيء ما»، قالت أماندا «أيّ شيء في العالم، ماذا تريدين أكثر من أيّ شيء آخر؟»

خلفنا كان باب المطبخ مواربا كانت مارغريتا، والدة لابي، تستمع إلى الأوبرا، وتطبخ ولا تريد المساعدة، ولكن بين الحين والآخر خرجت ووقفت في مكان غير بعيد منّا، ويداها في جانبيها، تبتسم نصف ابتسامة. كانت تحبّ أن يكون لنا هناك. كنّا نحبّ أن نكون معها أكثر من ذلك. فتحت أماندا عينيها وحدقت في وجهي.

«لا أعرف»، أجبتها. لم أكن في مزاج للإجابة عن أسئلتها. وما تريده عندما لا تحتاج إلى أيّ شيء لا يستحقّ أبدا إخبار الآخرين به.

«ولكن»، احتجت إلى أماندا. «هيا، هيا. تريد شيئًا، أليس كذلك؟»، أحبّت أماندا طرح الأسئلة الّتي يمكن تضمينها ألعابَ المحادثة مع ملاحظات مطبوعة مسبقًا، «مواضيع» جعلت المشاركين «منفتحين». أحبّت أن تسأل أسئلة متتابعة عن إجابات الآخرين بقدر ما كانت تحبّ الإجابة عن الأسئلة الّتي اخترعتها بنفسها. «هيا يا (مايا)»، وقفت أماندا، ورفعت يدًا واحدة إلى السّماء ووضعت الأخرى في قلبها. «سأبدأ» لقد حصلت عليها، «أتمنّى السّلام على الأرض والغذاء لجميع الأطفال.»

تظاهرتْ بتصحيح تاج ملكة الجمال على رأسها وأنا ضحكتُ. و«لكن بجدّيّة.» جلست بجانبي. «سنتخرّج في الفصل الدّراسيّ القادم. ثمّ سأذهب إلى لندن للتّدريب، هل فهمت؟ سأكون هناك ستّة أسابيع، أبي يقول إنّني سأضطرّ إلى العمل حتى متنصف اللّيل. بالطّبع سأضطرّ إلى نسخ الأوراق وتحضير القهوة وأشياء من هذا القبيل، عليك أن تكون مستعدًّا لذلك، ولكن، ما زلت أتساءل ما الّذي سأشعر به؟ هل تظنّين أنّني سأحسب أنّه عمل حقيقيّ؟ وأنّ ما أقوم به يعني شيئًا؟ من المفترض أن تحدث فرقًا، أليس كذلك؟ الفرق حقيقيّ. ألا تريدين أن تفعلي شيئًا للعالم ولغيره من النّاس وأشياء جيّدة؟

لم أجب.

«بالطّبع أريد أن أفعل ذلك، والجميع يريد أن يفعل ذلك، أليس كذلك؟»، ضحكتْ بعصبيّة. و«لكن، والحقّ يقال، الأهمّ من ذلك كلّه أودّ أن أعرف ما أريد. أو ماذا يعني أن تفعلي شيئًا. لديك خطّة، مثلًا. «هل تفهمين ما أعنيه؟»».

أومأت برأسي. كانت هذه مناقشة عاديّة لأماندا. كانت أماندا تروي لي

دائمًا أمورًا بدهيَّة وتسألني إن كنت أفهم. ثمّ تصبح حائرة وتشعر بعاطفة مفرطة وتمتلئ عيناها بالدّموع.

«هل تدركين ما أعنيه؟».

كان يمكن أن تكون علامة على أنّها ظنَّت أنّني غبيّة جدًّا، وأنّني فهمت بصعوبة، ولكنَّها في الواقع أرادتني أن أؤكّد لها أنّها لم تكن غبيّة كما هي تشعر.

«أفهم ذلك»، قلت. وابتسمت.

عادت والدة (لابي) إلى الحديقة.

«لا أعرف إن كنت قدارة على تقديم وعد بتحقيق السّلام على الأرض، ولكنّ الغذاء لجميع الأطفال سيكون في عشر دقائق». «هل يمكنك المناداة على الأولاد؟». سحبت والدة (لابي) قفّازًا للفرن ومسحت به خدَّ (أماندا). كان أماندا ولابي معًا لمدّة تقلّ عن شهر، ومع ذلك كانت والدة لابي وأماندا قد طوّرتا بالفعل علاقة كاملة بين حماة وكنّة. كنت مع (سيباستيان) لأكثر من ضعف هذه المدّة، وعلى الرّغم من أنّني ربّما لم أكره والده بعد، حتّى ذلك الوقت إلّا أنّه ربّما كان ذلك في الغالب لأنّني قابلته نادرًا جدًّا.

قبل ثلاثة أيّام، كان (كلايس) من دون شكّ في المنزل. وكان قد تلقّى مكالمة من المدرسة وظهر في السّاعة الخامسة لكي يتحدّث مع سيباستيان. لقد أرسلني إلى المنزل، ولكنّني فهمت ما الأمر. توقّف سيباستيان فعلًا عن حضور دروسه. كان يذهب معي إلى المدرسة كلّ يوم تقريبًا، وأحيانًا كان يتسكّع مع دينيس في فناء المدرسة بضع ساعات، ولكن في معظم الأحيان كان يرجع إلى المنزل. وحتّى لو لم يكن (كلايس) في المنزل قطّ خلال النهار، لا بدّ من أنّه كان على الرّغم من ذلك على علم به.

أكلنا في المطبخ الصّيفيّ الّذي كان مباشرة بجوار الحديقة. كانت مارغريتا قد رتّبت الطّاولة مع الخزف ذي الحوافّ مع أنماط نباتيّة، وزخارف مختلفة على كلّ لوحة. كانت نظّارات دوراليكس غير واضحة بسبب سنوات عديدة من الغسل في غسّالة الصّحون. (لابي) وقف بجانب (أماندا). وقفت أماندا بالقرب من مقعدها وعقدت الجزء الخلفيّ من كرسيّ دبوس أزرق مشرق (نعم، كان لديها بالفعل مقعد خاصّ بها). وعندما قبّلها في خدّها، ضحكت ضحكةً منخفضةً، تبين من ضحكتها كم كانت تتصور نفسها مثيرة. بدا أنّ لابي قد اتّفق معها، وحنت ظهرها بزاوية غريبة من أجل وضع ذقنها على كتفها. بديا عاشقين لا حكيمين حقيقيّين.

وكان لابي قد حصل أيضًا على شارب سان فرانسيسكو ضئيل، ومن المفارقات بالطّبع، لإظهار أنّه كان متأكّدًا من أنّه ليس مثليا. لا يهمّ أنّه يشبه واحدًا. أمسكت أماندا ببعض شعر لابي على شفتها العليا، مباشرة عند قوس كيوبيد، والتفت إلى والدته وتساءلت.

«أتظنّين أنّه سيحتفظ بهذا لوقت طويل يا (ماغس)؟».

«نعم، أنت...»، أجابت مارغريت، وهي تنظر إلى ابنها. لم تبدُ منبهرة جدًّا «ربّما سأمتنع عن البوح بما أفكّر فيه».

لقد تلقّفت نظرة من عين سمير، نظر إليّ، ومسدّ بسبّابته وإبهامه بشكل غير محسوس تقريبًا شفته العليا، وشدّ شدقيه له ووسّع منخريه كأنّه يقول: إنّني إقطاعيّ حقيقيّ في قلعتي. كان عليَّ أن أنظر إلى الطّاولة حتّى لا أبدأ بالضّحك.

جلس على جانب، واحد سمير، ولابي، وأماندا. كانت والدة لابي مع سمير عند المنضدة. وجلس على الجانب الآخر سيباستيان وأنا. مقابل

مارغريتا، على الطّرف القصير الآخر، كان جورج والد لابي جالسًا. بينما كنّا جالسين، جاء إلى الغرفة مرتديًا القبقاب والجينز وقميصًا بثقوب على كتفه وزوجًا من نظّارات القراءة معلّقة على جبهته. قبل أن يذهب إلى مقعده، مدّ صحيفة مطويّة إلى سمير.

«هل رأيت ما كتب تيرول في جريدة FT اليوم؟» سأل. بدأ سمير بالقراءة. ولكنَّ والدة (لابي) سحبت الجريدة منه بعناية ووضعتها على أحد المقاعد الجانبيّة.

لا تقرأ على الطّاولة.»

جلس سيباستيان في مقعده قبل أن يكون لدى والدة لابي الوقت لسحب كرسيّها ومدّ كأس النّبيذ الخاصّ بها نحو والد لابي.

«أنا في الثّامنة عشرة من العمر»، حاول.

«المياه المعدنيّة»، أشارت مارغريتا بدلًا من ذلك. بشكل غير محسوس تقريبًا، نظرت هي وزوجها بعضُهما إلى بعضهما الآخر. لقد ناقشوا هذا من قبل «حتّى لو كنت في الثّامنة عشرة من العمر، يمكنك شرب المياه المعدنيّة».

هل يمكن أن يكون (كلايس) هو من طلب منهم عدم خدمة (سيباستيان)؟ كان يعلم أنّ (سيباستيان) يشرب. واضطررت عدّة مرّات إلى إيصال سيّارة (سيباستيان) إلى المنزل على الرّغم من أنّني لم أحصل على رخصة قيادة بعد. وذات مرّة، كان (كلايس) واقفًا في الممرّ عندما أوقفت السّيّارة. (سيباستيان) لم يخبرني بما قال له والده، وعندما سألته، قال «اسألي عن شيء أريد التّحدّث عنه فعلًا، حسنًا؟» وتجاهلت الأمر. ربّما لم يكن (كلايس) يعلم أنّني أقود السّيّارة على الرّغم من عدم امتلاكي رخصة قيادة. أو ربّما فهم وأخذ الأمر على محمل الجدّ.

ساعدنا أنا وأماندا مارجريت على وضع الطّعام على الطّاولة. في البداية كان هناك حساء البطاطا والكراث. لحم الخنزير المقليّ المقدّد موضوع في وعاء منفصل والخبز كان لا يزال دافئًا.

بينما كانت أماندا تضع قطعة من لحم الخنزير المقدّد في طبقها، قال سيباستيان: «ظننت أنّك نباتيّة». «إنّها ليست هي نفسها مع لحوم الحيوان البرّيّ»، قالت، واحمرّت وجنتاها قليلًا. (أماندا) نسيت الحمية النّباتيّة في اللّحظة نفسها الّتي قبلت فيها (لابي) باللّسان للمرّة الأولى. الأسبوع الماضي، كانت قد رافقته وسيباستيان في مطاردة الأيائل. لم أستطع الذّهاب معهم؛ إذ أجبرتني أمّي على حضور عشاء عيد ميلاد جدّي، ولكنَّ (أماندا) كانت متحمّسة للخروج للصيد، والوقوف في برج الصّيد، وقد مارست الجنس في كيس نوم فتبلّل حذاؤها (الهانتر) للمرّة الأولى منذ أن اشترته.

قالت وهي تنقل الطّبق إلى سمير: «سأنال درجة ديبلوم في الصّيد». وناوله بدوره إلى (مارغريت) من دون أن يأخذ شيئًا لنفسه.

«بالطّبع سوف تنالين»، غمغم سمير، بصوت عالٍ جدًّا. وأبتسم، وأغطي فمّي بمنديلي. كنت أعرف لمحة (سيباستيان).

«ديبلوم الصّيّاد فكرة عظيمة»، قال والد لابي متجهّمًا. «الطّبيعة ليست بأيّ حال من الأحوال مكانًا عديم الفائدة لتكون فيه».

كانت أماندا دائمًا أشبه بالزّوجة المثاليّة في كلّ الظّروف. مرّة (عندما بدأنا للتّوّ الدّراسة في الصّفّ الثّاني) كانت مع عازف قيثارة في فرقة من ستوكهولم ادّعى أنَّ لديهم عقدًا مع سوني. وكانت هي أحد جمهور فرقة الرّوك المثاليّة.

«ما الّذي سنتحدّث عنه إذًا؟» سأل والد لابي بعد أفرغنا في المعدة نصف أواني الحساء.

وقال سمير «يمكننا التّحدّث عن صفر أسعار فائدة. «نعم»، غمغم سيباستيان. «ألا يمكننا رجاء، التّحدّث بلطف عن الفائدة الصّفر؟ «كانت مزحة». قال سمير. صوته كان باردًا جدًّا. «هل سمعت حديثًا عن الأغنية؟»، «متعة كبيرة»، قال لابي. صفر أسعار مطلق الفائدة، هاهاها. ولكنَّ هذا الشّيء الّذي تقومون به أنت وأبي، كلّ الكتب والمجلّات والمواضيع والمواقف والتّيّارات... أتفعلون ذلك فقط لتجعلوني أشعر بالغباء أم أنّ هناك خطّة أخرى مع كلّ ما لا أفهمه لأنّني غبيّة جدًّا؟ قال سمير مرّة أخرى: «لا تقلقي».

«سأتوقّف عن المزاح على الفور» انظروا»، قالت مارغريتا، وهي تربّت على يد سمير. «الآن لن نكون هكذا. وإلّا كيف، لارس غابرييل؟» والدا (لابي) لم يدعواه قطّ بـ(لابي)، ولكنّني لم أسمع مارغريتا تناديه بكلا الاسمين من قبل، بدا وكأنّه مأخوذ من فيلم وثائقيّ. ربّما كانت طريقة لإخباره بانتظام. لكنّ (لابي) استمرّ في تناول الطّعام غير مكترث. جورج حاول المساعدة.»لا أحد يظنّ أنّك غبيّ، لارس. لقد أبليت بلاء حسنًا منذ أن انتقلت إلى سيغتونا». وضع قطعة خبز في فمه «نحن ممتنّون يا سموري».

لقد كنت عونًا مذهلًا «كل الاختبارين». (لابي) رفع إصبعين في الهواء «اثنين». «جيّد» يعني أنّني نجحت. حصلت على علامة C و B. وبَّخني سمير. يرى سمير أنَّ كلّ شيء ما عدا A هي نفسها كما F. «أنا لا أفهم لماذا يجب أن ترضى بأيّ شيء آخر غير A»، قال سمير. «أنا أتّفق مع والدك. أنت لست غبيًّا»، كان هناك شيء حول هذا الرّدّ السّريع ربّما شدَّد على كلمة «أنت». لكنَّ الجميع سمع ما قصده سمير، وما ألمح إليه، وإن ما لم يقله هو: على عكس سيباستيان، أنت لست غبيًّا. «أنا أعرف ما يمكننا الحديث عنه بدلًا من الفائدة الصّفر...»، بدأت أماندا، ولكن بعد فوات الأوان.

«ماذا يدفعون لك؟» كان سيباستيان ينظر إلى سمير وليس في أيّ اتّجاه آخر. «هل تخدمهم بشكل جيّد؟» جورج ومارغريت كانا أستاذين في التّظاهر مثل لا شيء. ولم يكن لابي متعلّمًا مثاليًّا بعد، ولكن عندما أظهر جورج مجموعة الصّور في «المنزل الكبير»، وتحدّث عن الخونة والزّانيات وعدد اللّقطاء الّذين وُضِعوا في القرية، اعتاد لابي المزاحَ بأنَّ «الحفاظ على ملامح سليمة» هو سلاح أسرهم. والآن كان عليهم أن يظهروا: وجوهًا صفريّة، ووجوهًا غير متحرّكة تمامًا، ولا حتّى شفة علويّة منحنية في اتّجاه سيباستيان. لكنَّ سميرًا هزَّ رأسه بشكل غير مؤكّد، ونظرته إلى الفراغ بين جورج ومارغريتا، ذهابا وإيابًا، ذهابا وإيابًا، من دون إجراء اتّصال. سيباستيان لم يستسلم، بل كان يتحدّث ببطء وبصوت أعلى، كما لو أنّ سميرًا كان يواجه صعوبة في الفهم. «كيف، كيف. جدًّا.. أنت. مدفوع؟ ما الّذي تكسبه من مراجعة الواجبات المنزليّة مع لابي؟ سأله «سيباستيان»، وقالت مارغريتا، بخفوت، مواصلة إظهار عدم الاكتراث. «تناول الحساء الخاصّ بك.» جورج ناول لابي سلّةَ الخبز. لقد هزَّ رأسه، «عفوًا» رفع سيباستيان يديه في إيماءة ـ أنا ـ أستسلم وأطلق ضحكة.

«سؤال خاطئ، بالطّبع. لا شيء. لم أقل شيئًا». خفض صوته بما يكفي ليتظاهر الآخرون بأنّهم لا يسمعون «لن أتدخّل مع من تضعه على قائمة الرّواتب»، لا أتذكّر ما تحدّثنا عنه بعد ذلك، ولكنّني متأكّد أنّ (مارغريتا) كانت قادرة على اختلاق بعض المواضيع، في حين كان (جورج) قد تناول حساءه. إنَّ تغيير موضوع المحادثة كان تخصّصًا عائليًّا آخر. ونحن بذلنا قصارى جهدنا لمواكبة المنعطفات. عندما أنهت مارغريتا الكلام والأكل، وقف جورج وجمع الصّحون، وحاول الجميع ما خلا سيباستيان أن يفعلوا الشّيء نفسه، لكنّنا تأثرنا بجورج. وبمجرّد وضع وعاء الطّبق الرّئيس على

الطّاولة وضعت مارغريتا مرّة أخرى يدها على يد سمير. ثمّ استقرّت أمام الصّحن ورفعت أدوات المائدة. «أخبرنا، كيف حال والديك يا سمير؟»، لقد سئلت السّؤال نفسه قبل ساعة. أماندا تلقّته حتّى قبل أن نخرج من موقف السّيّارات إلى الجناح الغربيّ، حيث كنّا سننام. لطالما سألت مارغريتا كيف حال والدي الجميع، سواء كانت تعرفهم أم لا؟ سيباستيان كان عليه أن يخبرنا كيف كان حال لوك في الولايات المتّحدة، مارغريت كانت تترصد. إنّ مقابلتها والدي سمير بغير لقائها به في اجتماع الوالدين أمر مستبعد للغاية. لكنّها كانت لا تزال مهتمّة. قال سمير: «إنّهما بصحّة جيّدة».

«أين تعمل أمّك حاليًّا؟» في مستشفى هودينج. «لا»، مارغريت وجورج نظر بعضهما إلى بعضهما الآخر من فوق الطّاولة. «انحلّت مشكلة هُويّتها؟ أوه، سعيدة جدًّا لسماع ذلك. «لا»، سمير مسح فمه. ابتلع ريقه، تحدّث بسرعة، خفض صوته. «إنّها تعمل ممرّضةً بينما هي... إنّها تستمتع ببيئة المستشفى. «جورج هزَّ رأسه»، ومن غير المفهوم ألّا نتمكّن من الاستفادة بشكل أفضل من الموارد الّتي نملكها في هذا البلد. غير مفهوم. وغريب، حتّى. كان بإمكاني أن أقسم على ذلك»، لم يلمس (سيباستيان) الطّعام «كان بإمكاني أن أقسم على أنّك قلت إنّ أمّك محامية».

لابي؟» التفتَ إلى لابي. ألم تخبرني أنّه عندما بدأ سمير عمله بشكل عامّ، أخبر كلّ من يستطيع الاستماع أنّ أمّه محامية؟». (سيباستيان) مدّد الكلمات وجعلها أطول ممّا كانت عليه. وعندما لم يجب (لابي)، التفت إلى (سمير) مجدّدًا. «ولكنّها قد تكون حاصلة على شهادة مزدوجة. اللّعنة، كم مثير للإعجاب، سموري!». سيباستيان لم يكن ثملًا. ولم أظنّ أنّه أخذ أيّ شيء آخر. ولكنّ في فمه تضخّم لقب سمير الّذي لم يستخدمه سوى لابي ووالداه. (سموري). سيباستيان جعل الأمر يبدو وكأنّه اسم عبد. والدي محامٍ وأمّي

طبيبة. «آها» أومأ سيباستيان باستمتاع. نعم، أنا لا أعرف ماذا يحدث»، هذه هي الطّريقة الّتي هي عليه، بطبيعة الحال.

ووالدك المحامي، ماذا يفعل هنا في السّويد؟» سمير لم يستجب. «يعمل سائق سيّارة أجرة، أليس كذلك؟». التفت إلى (لابي) مرّة أخرى. «ألم تقل إنّك تظنّ أنّ والد سمير قادنا إلى المنزل من «ستوربلان» قبل حوالي شهر؟» بقي (لابي) لا يجيب وقد صار وجه سمير أبيض اللّون.

وقال ضاحكًا: «لكن اشرح لي، إذًا، عزيزي سام، لماذا يأتي جميع المهاجرين إلى هنا ويبدؤون العمل سائقين لمترو الأنفاق وعمال نظافة؟ آسف» قال ساخرًا. «الَّذي يقود سيّارة أجرة ويصبح ممرّضًا... لماذا هم جميعا أطبّاء ومهندسون مدنيّون وفيزيائيون نوويّون في بلدانهم الأصليّة؟ كلّ واحد منهم بالضّبط. أمّك «الطّبيبة»، عمل سيباستيان بأصابعه علامات الاقتباس في الهواء، «في صحبة جيّدة. لا يوجد عامل نظافة تافه واحد كان في الواقع عامل تنظيف في بلده الأصليّ كذلك. ليس إذا كنت تصدّق ما يقوله النّاس. هل عمل أحدهم أمين صندوقٍ في إيكيا؟ في سوريا أو مشى في الحديقة في وطنه في إيران والتقط زجاجات فارغة؟ لا، أبدًا. فقط الأطبّاء والمهندسون والمحامون و...».

«كفى يا سيباستيان»، جورج تحدّث بصوت منخفض. تمّ الوصول إلى الحدّ الأقصى لقدرته على التّظاهر وكأنّه لا شيء. لم يستمع سيباستيان. لوَّح بذراعه لنا، وعمل تعبير وجه لم أره يفعله من قبل. «هل سبق لك أن تساءلت عن هذا؟»، لم يجب أحد. التفت إلى سمير مرّة أخرى. «ماذا تفعلون مع النّاس الّذين لديهم ستّ سنوات على الأقلّ دراسة جامعيّة؟ هل تطلق النّار عليهم على الفور حتّى لا يأخذوا وظائفكم؟ «كلايس فاجرمان، فكّرت. يبدو أنّه مثل والده.

أمسكت مارغريتا بذراع سمير عندما نهض. لقد هزّت رأسها له. ثمّ التفتت إلى سيباستيان. «سيباستيان»، بدأت. كانت مارغريتا رئيسة قسم في وزارة الخارجيّة، نسيت اسمه، والآن أصبحنا نسمع أنّها اعتادت الاجتماعات والمفاوضات، في الأوقات الّتي كان عليها أن تكون مهذّبة على الرّغم من أنّها كانت غاضبة إلى حدّ اللعنة. إذ اختفى صوت الأمّ الحنون من دون أثر.

ومن الواضح أنَّ مرحلة التّظاهر بعدم وجود شيء قد انقضت. «اسمعني الآن جيدا»، قالت ببطء. «هناك أشياء يصعب فهمها. من بينها، من الصّعب أن نصدّق أن العديد من اللّاجئين الّذين تمكّنوا من تحقيق ذلك على طول الطّريق إلى أوروبا، حتّى السّويد، من الصّعب أن نفهم أنّ النّاس الّذين...». «هي لهثت من دون صوت. أظنّ أنّها كانت ستتحدّث مثلنا، لكنّها غيّرت رأيها. «ليس دائمًا، ولكن في كثير من الأحيان، النّاس الّذين لديهم حياة منظّمة، واقتصاد جيّد. نعم، والتّعليم العالي. لماذا هذا هو الأمر؟» لم تكن تنتظر جوابًا.

لأنّ الّذين تمكّنوا من الوصول إلى هنا يمكنهم دفع ما يكلّفه نقل العائلة بأكملها إلى حياة أفضل. يتطلّب الأمر مالًا لإنجازه، ليس مالًا كثيرًا في عالمك يا (سيباستيان)، ولكن يجب أن تكون قادرًا على فهمه. وإنّ لديك انطباعًا بأنَّ كلّ من يأتي إلى هنا متعلّم تعليمًا عاليًا. هذا خطأ، لقد كان هذا خطأ على خطأ مثل الادّعاء بأنّ جميع الأشخاص المتعلّمين تعليمًا عاليًا الّذين يأتون إلى هنا يكذبون حول خلفيّتهم.

عدد كبير للغاية من السّويديّين الجدد هم أكاديميّون. إنّ أفقر النّاس وأكثرهم هامشيّة في البلدان الّتي مزّقتها الحروب الّتي نتحدّث عنها الآن نادرًا ما يتمكّنون من الوصول إلى هنا. إنّه أمر مقلق للغاية، ولكنّه ليس سببًا لكي تتصرّف هكذا، وتطلق أحكامًا من الواضح أنّك لا تعرف عنها شيئًا.

«بالتّأكيد»، قال سيباستيان، ومن دون أن يبدو غاضبًا. كان يبدو أنّه لم يلاحظ الاحتقار في صوت (مارغريت). «إنّه لأمر رائع للسّويد أن يأتوا إلى هنا. وأولئك الّذين حاولوا بدء إقامة مخيّمات في همليغاردن، يبدون أنّهم ينتمون حقًّا إلى النّخبة المطلقة، إلى المثقّفين في بلدانهم الأصليّة. «تنحنحت مارغريت»، «لقد عرفتك طوال حياتك يا (سباستيان)، أرفض أن أصدّق أنّك بهذه السطحية». عندما أخذت أنفاسها، انتهز والد لابي الفرصة لتولّي الكلام. وكان قد رفع المنديل المطويّ عن ركبته.

«سيباستيان وأنا ذاهبان للنّزهة قليلًا»، قالها بلهجة المحادثة العادية. وبعد مسح فمه، وقف. «هل ستأتي؟». لا شيء في صوت جورج كشف عن أيّ شيء آخر غير القليل، ربّما، من التّعب الّذي كان سيتركه إذا اضطرّ إلى إلغاء العشاء للمشاركة في مكالمة عمل مهمّة. ولكن عندما وقف خلف مقعد سيباستيان منتظرًا أن يأتي معه، رأيت عضلات فكّه تعمل. «ما هذا بحقّ الجحيم؟!»، ضحك سيباستيان. ولكنّ غير المكترثين اختفوا. وغضب الآن. «هل يجب أن أغادر؟ ولكنّ لاعق الصّحون سميرًا سيجلس هنا ويكذب علينا مباشرة في وجوهنا؟ «لا تجعل الأمر أسوأ ممّا هو عليه بالفعل». أمسك جورج بذراع سيباستيان العلويّة. بقبضة قويّة، أخرجه من الكرسيّ ودفعه خارج الغرفة. استغرق الأمر بضع دقائق أمام جورج للعودة. لا أعرف ماذا فعلنا في هذه الأثناء. حدّق (لابي) مليًّا في سطح الطاولة. امتلأت عينا أماندا بالدّموع وكادت تبكي. مارغريت تحدّثت متمتمة لسمير. لم أستمع. لو لم توجعني ركبتاي كثيرًا لكنت نهضت وابتعدت من هناك. وأوضح جورج قبل أن يعود إلى مقعده: «قرّر سيباستيان أنّه من الأفضل العودة إلى المنزل». التفت إليّ. «ظننت أنّه من الأفضل لك أن تبقى هنا يا (مايا)»، أومأت برأسي. «سيباستيان لم يكن لائقًا به أن يعاشر أيّ شخص، على الأقلّ أنت»، واصل

وهو يكشط بقايا الطّعام في الصّحن. «اتّفقنا أنا ووالده»، أومأت مرّة أخرى. كنت مصدومة جدًّا وعاجزة عن فعل أيّ شيء آخر.

«كيف وصل إلى البيت؟» وقفت مارغريتا، وتحرّكت لالتقاط صحن جورج. «طلبتُ من جون أن يوصله»، أنا و (لابي) كنّا في الصّفّ نفسه من المدرسة المتوسّطة إلى هذا العام الَّذي انتقل فيه إلى مدرسة أخرى. كنت قد سمعت صوت الكونتيسة ذا النّغمة الأحاديّة الرّتيبة والمملّ لمارغريتا، وهي تتحدّث إلى المدير، وحارس المدرسة، وإلى عدد لا يحصى من المعلّمين والآباء الآخرين. كنت قد تخيّلت كيف ألقت محاضرة على رئيس الوزراء بهذا الصّوت. على مرّ السّنين، تمكّنت أنا وأمّي وأبي من مراقبة كيف طالبت (مارغريتا)، (سواء لم يناسب ذلك الجدول الزّمنيّ للحافلة خلال أوقات المدرسة، أم أنَّ المناهج الدّراسيّة الوطنيّة لا تشمل ما اعتقدت مارغريتا بأنه مهم، أم أنّ الطّقس لم يكن جيّدًا بما فيه الكفاية لبطولة الكرة).

وفي كلّ مرّة قدّمت (مارغريتا) مطالب، كانت تبدو وكأنّها تطلب خدمة صغيرة جدًّا. كانت ستتّصل بالملك، وتتنحنح وتقول أنت تفهم، أحتاج إلى خدمة صغيرة لأسألك عنها. والملك لن يفكّر أبدًا في أن يرفض طلب أحد. ولا أحد قد قال لا لـ (مارغريت)، لم يعجب بها أحد. ظننت أنّني أردت أن تتحدّث (مارغريت) مع (كلايس). يمكنها أن تجعله يستمع. أردت أن أمسك بيدها وأقول لها: تحدّثي معه. ولكنّني لم أقل أيّ شيء، بل جلست هناك فقط وكنت محرجة، كانت المرة الأولى الّتي أخجل فيها من كوني صديقة (سيباستيان)؛ «لذلك لقيت والده، كان ذلك جيّدًا جدًّا»، تمتمت مارغريت.

«ماذا قال عزيزنا (كلايس) حينذاك؟» عزيزنا (كلايس) لم تحبّه مارغريت.

مدّ (جورج) كتفيه هكذا حتّى النّصف، هزّة كتف لم تعنِ أنّني أنا ـ لا ـ

أهتمّ - بل بالأحرى ماذا تريدون أن أقول أو أنت تعرف الجواب أصلًا ولا شيء هناك يمكن فعله حيال ذلك. ظنَّ (جورج) أيضًا أنَّ (كلايس) أحمق، «سنتحدّث عن ذلك لاحقا يا (ماغس)»، وما زلت لم أقل أيّ شيء. لم أنظر إلى أيّ شخص، على الأقلّ إلى سمير. «هل يريد أحد أكعاب غزال إيطاليّة؟». أبعدت مارغريت الأطباق المتّسخة. «مع الآيس كريم المحلّيّة الصّنع؟». الجميع أراد الآيس كريم. أجبرتُ نفسي على الأكل.

دفع الحلوى في فمه، حاول ابتلاع القلق. هل شعر (سيباستيان) بالغيرة؟ هل شعر بتهديد؟ لماذا فعل هذا؟ أنا ابتلعت الآيس كريم بسرعة إلى درجة أنّه آذى حلقي. ابتلعت قطعة أخرى منه. استغرق الأمر بضع دقائق. أظنّ أنّ (أماندا) قالت إنّه لا يجب أن تهتمّي بما يقوله لسمير، وبعد ذلك تمكّن الآخرون من التّحدّث عن رحلة إلى الدّنمارك قام بها والدا (لابي) عندما كانا شابّين، إلى مهرجان روك. حيث كانت قد أمطرت ولم يصعدا الخيمة؛ لأنَّ الوحل كان عميقًا جدًّا. ثمّ تحدّثوا عن شخص في السّكن الجامعيّ عينه مثل (لابي) الَّذي كان يمشي في أثناء النّوم.

«على الأقلّ ثلاث مرّات في الأسبوع يذهب إلى غرفة الطّعام، وهناك يزحف صعودًا ويضطجع مباشرة على الطّاولة، ويستمرّ في النّوم هناك». ضحكوا عدّة مرّات. وفي كلّ مرّة ضحكوا بدوا أكثر طبيعيّة، وأكثر استرخاء. لقد أخذوا الآيس كريم، ثمّ شكرناهم على الطّعام، وساعد الجميع على تنظيف المطبخ. لم يكن أحد يتحدّث عن (سيباستيان). تظاهروا بأنّ لا شيء قد حدث. ولكن ماذا كنت سأفعل؟

بعد ساعتين، شاهدنا فيلمًا في غرفة المعيشة عندما جاء جورج لتقديم اعتذار سيباستيان. نسيت ما هو الفيلم، لم نكن نهتمّ بقطع الصّوت حتّى، في

حين كان جورج يُحضّر المحادثة. وكان سيباستيان «عاد إلى البيت بشكل صحيح»، جورج قد تحدّث معه عبر الهاتف، وسيباستيان «يريد» جورج «لتقديم اعتذار». كان الاعتذار شيئًا عامًّا وعامًّا، وعلى الرّغم من أنَّ جورج هو الّذي قام به، إلّا أنّه بدا مخادعًا، وهو شيء ألفقه عندما أنسى عيد ميلاد غير مهمّ.

كان سمير على بعد نصف متر منّي. وضع ذراعه خلف رأسه. شعرت بالشّعر الدّاكن المجعّد تحت كمّ قميصي. الجانب السّفليّ من ذراعه العلويّة كان شاحبًا جدًّا إلى درجة اللّمعان في ضوء التّلفاز. نظر إلى جورج الَّذي كان يلوّح بالاعتذار، تمتم أنّها لا خطر على الإطلاق، لا خطر تمامًا ـ كلّ شيء بخير، وعندما أنهى جورج ذلك وخرج، حوَّل سمير نظره إلى التّلفاز مرّة أخرى، ولكن لم يبدُ وكأنَّه كان ينظر إلى الشّاشة، بل مباشرة في الهواء.

عندما نهض وهرع إلى الخارج للنّزهة، انتظرتُ بالضّبط أربع دقائق قبل أن أنهض أيضًا. «أنا ذاهبة إلى السّرير»، قلت. «ليلة سعيدة»، قالت أماندا. «نومًا هنيئًا»، قال لابي. ثمّ أغلقت هاتفي ووضعته في الغرفة الّتي كنت سأنام فيها. سمير كان يجلس بجانب البحيرة عانق ركبتيه. كان الجوّ باردًا ومظلمًا في الخارج. رأيته كظلّ مضاء بضوء المنزل. القمر يحدّق بنا من الجانب الآخر من البحيرة. قال وأنا أجلس بجانبه: «لست بحاجة إلى أن يسلّيني أحد»، أعرف من قرب، رأيت كم كان قلقًا. لقد حكّ ذراعه، ولا يكاد يمكن أن تكون لدغة بعوض. «ليس عليك أن تخبريني أنّني غبيّ»، «لماذا أفعل ذلك؟». كان أوّل يوم لي في المدرسة. لقد كنت متوتّرة جدًّا.

أفهم أنّك لم تكن كذلك، لأنّكم يعرف بعضُكم بعضًا، الجميع يعرفون بعضهم بعضًا لمدة سبعة عشر جيلًا، ولكن بالنّسبة إليّ كان يومًا تعيسًا، كم

كنتم رائعين، يا ذوي الخمسة عشر عامًا من العمر! عندما يسأل كلٌّ منكم الآخر ماذا يعمل الوالدان؟ كيف حال المرضى؟ «مريض جدًّا»، اعترفت. لم أسألك قطّ عمّا يفعله والداك.

كنّا بعيدين من الطّريق السّريع، وللوصول إلى المنزل اضطررنا إلى قيادة السّيّارة عشرين دقيقة على طريق الحصى، ومع ذلك كانت هناك ضوضاء خافتة، لا بدَّ من أنّها كانت حركة المرور؛ لأنَّها لم تُسمع مع الأصوات الأخرى، لم تكن تتناسب مع أصوات الأشجار، أصوات الغابة، أصوات الحيوان. «من هي أمّك؟» «ماذا تعني؟» أظنّ أنّها ليست محامية، كما أخبرت (لابي)، أو طبيبة، كما أخبرت (جورج) و(مارغريتا)، فما عملها؟». مزَّق سمير قطعةً من العشب بيده من الأرض حيث كان جالسًا. جاء مع قطعة العشب شيء من التّراب انتشر على ساقي. «لم أقل قطّ إنَّ أمّي محامية. لابي يتذكّر خطأ. أمّي كانت تقول دائما إنّها كانت تودّ أن تكون طبيبة، وأنّها كانت جيّدة في المدرسة، إلّا أنَّها اضطرّت إلى ترك الدّراسة.

والآن انتهى الأمر إذ لا يكاد يمكنها متابعة عشر دقائق من الأخبار السّويديّة، لا يمكنها أن تتوقّع الالتحاق بكلّيّة الطّبّ هنا. بالإضافة إلى أنّها يجب أن تعمل. إنّها تحبّ أن تكون ممرّضة. «هل والدك محامٍ؟». استغرق سمير بعض الوقت قبل أن يهزّ رأسه. «أنا أتقاضى أجرًا أيضًا. يدفعون إليَّ مئتي كرون سويديّ في السّاعة، لكن...»، ثمّ استدرك: «أظنّ أنّني سأكون ممتنًّا». ممتنّ على ماذا؟ لأنّ جورج ومارغريتا لم يطرداني، بل كانا راضيين عن إلقاء صديقك العنصريّ خارجًا».

«سيباستيان ليس عنصريًّا». ضحك سمير. «توقّفي عن الدّفاع عنه، لا تكوني من الّذين ينحنون لسيباستيان يا مايا، الّذين يسمحون له بفعل ما يشاء

ويقول ما يريد». الآن حان دوري لكي أغضب. «سيباستيان يعرف لماذا النّاس يُداهنون. أظنّ أنّه لا يعلم بذلك؟ لكنَّ المعلّمين لا يتملّقون له، لذلك لم يكن عليه أن يذهب أكثر. وهل تمكّن من أن يقول ويفعل أيّ شيء اللّيلة؟» ظننت أنّه طرد. «الأمر مختلف مع جورج ومارغريت». «بأيّ طريقة؟»، أنت تعرفين ذلك. لكن لو لم يكن (لابي) بحاجة إليّ ليتمكن من التّخرّج، لكانوا طردوني. «لا يحقّ لهم ذلك على الإطلاق». هل تصدّقين ذلك بنفسك حقًّا؟ «بالطّبع لن يكون لهم الحقّ في ذلك. لم تفهم يا سمير. أحسب أنَّهم فهموا أنَّ أمَّك ليست طبيبة، وأنَّ والدك ليس محاميًا، إنّهم ليسوا أغبياء، أليس كذلك؟ ربّما يشعرون بالأسى عليك لأنّك تظنّ أنَّك بحاجة إلى الكذب بشأن شيء سخيف جدًّا.

أشعر بالأسى عليك لأنّك تظنّ أنّك بحاجة إلى هذا. أنت ما أنت عليه، بغضّ النّظر عمّا يفعله والداك. نحن لا نكترث لتاريخك. إذا كانت أمّك لم تذهب إلى المدرسة قطّ ووالدك يقود سيّارة أجرة وكنت قد حصلت على ما يرام على أيّ حال، فهذه شهادة على أنّك كنت تكافح أكثر منّا. يحبّك النّاس أكثر لأنّك ما أنت عليه على الرّغم من أنّك تأتي من... سمير قاطعني بسرعة إلى درجة أنّني رأيت البصاق يتناثر من فمه.

«أنت حقًّا لا تفهمين أيّ شيء. أنت غبيّة جدًّا، تحسبين أنّك تعرفين ما الّذي تتحدَّثين عنه، أنت مخطئة جدًّا».

«لا تصرخ». لم يخفض صوته. «أنا لا أصرخ. ولكنّك مخطئة عندما تظنّين أنّه لا حاجة إلى التّاريخ. يكفي لمشاهدة برامج Idol، أو The X Factor أو أيّ Mästerbagaren أو لا أدري ما تسمّى تلك البرامج السخيفة، لكي ندرك أنّ الخلفيّة هي نصف الشّيء. تريدون أن تفاجؤوا عندما يغنّي الرّجل السّمين

بشكل رائع، تريدون أن تشبعوا من (دبّره ـ على الرّغم من كلّ شيء)، وتريدون أن تعرفوا أنّه مجرد سوء حظ أنّ والديَّ لا يعيشان في يورهولم، ولا يعملان أطبّاء ومحامين، وأنّه ظلم ألّا تتحمّلوا المسؤوليّة في ذلك، ولكن مثلما تقولون إنّه خطأ وإذا استطعنا أن نقوم برعاية مهاجرينا بشكل أفضل، لو أصبحوا سويديّين أكثر، لتعلّموا اللّغة الجديدة بشكل أسرع، وتذاكروا أكثر، ولكان الحلم الأميركيّ في متناول اليد بما فيه الكفاية. أنتم تحبّون الحلم الأمريكيّ.

أنتم تحبّون زلاتان. يا ملاعين، أنتم تحبّون زلاتان. وترون الأمر أفضل عندما يقول زلاتان إنّه لم يقرأ كتابًا في حياته، وإنّ الفتيات الشرقيات لا يستطعن لعب كرة القدم؛ لأنّ رجالهم مهاجرون ويعادون النساء وغير متعلّمين، ولكنّكم لا تزالون معجبين بهم لأنّكم متسامحون وتقبلون الآخرين، وزلاتان لديه ابتسامة جميلة وساحرة. تحسبون أنَّ كلَّ شيء عن الاندماج والظّروف المؤسفة وأنّ الجميع يمكنهم أن ينجحوا إذا اجتهدوا وكافحوا و... «من أنتم؟» بدأت بالبكاء. لم أستطع منعه. وتجاهل سمير الأمر، كما لو كنتُ قد ضربته. «ماذا؟» سأل. «ما هذا؟» الّذي تتحدّثين عنه «أنت» طوال الوقت. وتروين الكثير من الأشياء عنه.

أنتم تقولون «أنتم» تحسبون هذا وذاك، و«أنتم» تشعرون بهذا وذاك، فأتساءل: من هم «أنتم؟». سمير عضّ شفته السّفلى. واصلت الكلام. «سمير، الجميع يعلم أنَّ الأمر أصعب لك. فالبُلْهُ وحدهم يحسبون أنّه إذا تعلّمت السّويدية بشكل صحيح، أمكنك تجنّب جميع الأحكام المسبقة. وإنّ جورج ومارغريت ليسا أحمقين. «لا ينبغي أن تخاف من أن...» «أنتم»، قال، والآن أمسك بيدي. أنت تعرف شعوري تجاهك. لابي ولد لطيف، ومارجريتا وجورج لطيفان. «جلس بالقرب منّي الآن إلى درجة

أنّني شعرت بالسّرعة الّتي كان يتنفَّس بها». أنت... أنت تعرف بالضَّبط ما أعنيه، من أنتم.

«إنّهم أنت، إنّه أنت وكلّ ما لديك...». قام بإيماءة بيده الأخرى، التفَّ حول الفناء، الغابة، البحيرة، نحو المنزل، كلا الجناحين، بيت الضّيافة، مقرّ إقامة الصّيّاد حيث كان يعيش (جون)، كوخ البحيرة. «أنت تعرف من أنتم، ولكنّك لا تفهم الشّيء الآخر. أنا لست خائفة منكم. ليست المسألة مسألة خوف. فأنت لم تفهم شيئًا».

«فاشرح لي، إذًا». التفت إليّ. يده لمست عظمة وركي. قرب فمه من فمي ما أمكن. وظننت أنّه سيقبّلني، ولكنّه لم يتحرّك. فجلسنا هناك. كان يتنفّس، كنت أتنفّس. لم أجرؤ على النّظر إليه. وعندما نهضت، بقي جالسا في مكانه. عدت إلى المنزل من دون أن ألتفت إلى الوراء، دخلت إلى غرفتي وأغلقت الباب. عندما ذهبت إلى الفراش، التقطت الهاتف وفتحته. كان سيباستيان قد أرسل إليّ رسالة نصّيّة واحدة فقط يقول فيها: «إذا كنت تريدين مضاجعته، فآمل أن تحمي نفسك».

22

كيف «انتقلنا»، سيباستيان وأنا من عطلة نهاية الأسبوع عند لابي إلى ما كان لدينا من قبل؟ لم نفعل. لكنّنا واصلنا. نعم، أظنّ أنّني تخيَّلت أنّني لا أحتاج إلى مثل هذا التّفكير فيما قبل وما بعد. لا، لا أحسب أنَّ (سيباستيان) قال إنّه آسف. نعم، قلت ـ أنا ـ كيف يمكن أن تصدّق ذلك عنّي (لأنّني كان لا بدّ لي من قول شيء عن الرّسالة النّصّيّة الّتي أرسلها)، ونعم، ذهبت مباشرة من منزل لابي إلى سيباستيان وتضاجعنا، في حين أكدّت له مرارًا وتكرارًا أنّه حبّي الوحيد.

الجنس..، ينبغي أن يكون «أفضل ممارسة جنسيّة وأرقاها»، ولكنّه ليس كذلك، إنّها ممارسة للجنس عندما تكون حزينًا وغاضبًا وقد كنت حزينة وغاضبة، ولكن ليس الحزن والغضب إلى درجة أنَّه لم يكن من الأسهل التّظاهر كأن لا شيء بعد مدَّةٍ من الوقت. وسرعان ما انتابني الغضب والحزن على شيء آخر غير عطلة نهاية الأسبوع عند لابي، وكان هذا أسوأ لأنَّ سيباستيان لم يقل أو يفعل أيّ شيء خاصّ، ولكن أنا وحدي أردت أن يكون كلّ شيء مختلفًا، وأحيانًا حاولت أن أدّعي أنَّ الأمر كان كذلك.

مرّت الأيّام. ومرَّ شهر تشرين الثّاني/ نوفمبر. جاءت أوّل أيام العيد. كلّ شيء كان يستحقّ الاحتفال، حَسِبَ سيباستيان، وفعلت ما بوسعي لأوافق على رأيه. كان هناك الكثير من النّاس في مونتاج، ربّما أكثر من المعتاد. وصلنا أبكر ممّا اعتدناه، ومع ذلك فقد اضطررنا إلى دفع الباب بضع دقائق قبل أن

يرانا البوّاب، فيتعرّف إلينا، ويسحبنا إلى الدّاخل. كانوا دائمًا ما يسمحون لسيباستيان بالدّخول بمجرّد أن يظهر. دائمًا، دائمًا، دائمًا. لقد اعتادوا أن يسمحوا لنا بالمرور أمام الطّابور، حتّى لو جئنا إلى هناك من دون سيباستيان، ولكنَّ الأمر في هذه الحالة لم يسر بالسّرعة اللّازمة.

وقف دينيس خارج الباب بكتفيه البارزتين. لم يكن ليسمحوا له بالدّخول إلى مونتاج من دون (سيباستيان)، ونادرًا ما أراد (سيباستيان) أن يدخل معه هناك. وبين الحين والآخر كان يذهب للتّجوّل في جميع أنحاء الحيّ، وسترته مسحوبة إلى ذقنه، مغطّيًا رأسه بالقلنسوة، تتدلّيان (ما هما؟ ولمَ بالمثنى؟) أمام جسده كما لو أنّه لا يقدر على حملهما. ولكنّ دينيس لم يشكُ، وذلك بفضل أنَّ سيباستيان كان لديه المزيد من الزّبائن أكثر من أيّ وقت مضى، ودفعوا أكثر بكثير من فئران المستنقعات الّتي تمكَّن من التقاطها في ساحة سيغل. داخل الغرفة كانت زينة عيد الميلاد، مع أضواء ملوّنة وأكاليل بريق سميكة، والكرات الفضّيّة وكريستال سواروفسكي في شجرة تنوب في وسط حلبة الرّقص. وبعد عبور أماندا ولابي من الباب، سرعان ما بدأ المداعبة الجسديّة على أريكة في قسم كبار الشّخصيّات. استلقى (لابي) على ظهره نصف استلقاء، وجلست (أماندا) بجانبه واضعة إحدى ساقيها فوقه. لساناهما كجرذين أعميين عاريين، ظهرا من الجانب في كلّ مرّة كانا فيها يتبادلان قبلة. وبعد ثلاثين دقيقة من وصولنا، دفع (سيباستيان) أكثر بكثيرٍ من فئران المستنقعات الّتي يمكنه التقاطها في ساحة (سيغل). كان داخل الصّالة التّجهير لزينة عيد الميلاد كاملًا، من أضواء ملوّنة وأكاليل بريق سميكة، والرّصاص الفضّيّ ولآلئ سواروفسكي في شجرة التّنوب في منتصف حلبة الرّقص. وبعد ثلاثين دقيقة من وصولنا، كان سيباستيان ثملًا إلى درجة أنَّه أصبح من الصّعب على الموظّفين تجاهل ذلك. وعند أحد الأبواب، شكّل

اثنان من حرّاس الأمن زوجين. كانا يراقبانه ربّما كانا ينتظرانه أن يغفو أو يغمى عليه. وعندئذٍ فقط سيتمكّنان من إرساله إلى المنزل. وإذا حاول الحرّاس فعل شيء قبل أن ينهار سيباستيان، فإنّهم عادة سيذهبون إلى الجحيم. في الأسبوع الماضي، أمسك به أحدهم من ذراعه فيما كان يحاول خلع سروال رجل اندفع أمامه لدخول الحانة. بطريقة مهذّبة نوعًا ما، طريقة نحسب ـ ربّما ـ أنّه ـ حان ـ وقت الذّهاب ـ إلى البيت ـ بالتّاكسي؟ ولكنَّ سيباستيان جنّ جنونه وبعد ذلك استطاع الدخول.

جاء المالك، وتمكّن من إدخاله إلى إحدى الغرف الفرديّة، وطلب منّي الجلوس هناك معه، ففعلت ذلك حتّى نام وساعدني لابي على سحبه إلى السّيّارة. ولكنّهم دائمًا ما كانوا يسمحون له بالدّخول دائمًا، دائمًا، دائمًا. الأخير في الصّفّ، الأوّل في الدّخول.

لا يمكن تصوّر شيء آخر مثل السّماح لإحدى الأميرات بالوقوف ودوس الأسفلت بقدميها الدّافئتين. لم أكن أعرف ما الّذي خطّط (دينيس) له اللّيلة، لقد كانت دائمًا ثمّة أشياء جديدة لا تكاد تجعله نعسان. والآن كان يشقّ طريقه حول المبنى كما لو كان يبحث عن شخص ما. كان يدور ويدور. مرارًا وتكرارًا. بين الحين والآخر كان يقترب منّي، يطالبنا بالجلوس على الأريكة، حيث كان يجلس لابي وأماندا، ولكن بعد أقلّ من عشر ثوانٍ شبع من الجلوس معنا، وأراد أن يذهب إلى الحانة. وقفنا في الحانة لبضع دقائق. نسي المشروب الّذي طلبه قبل أن يُنهي النّادل خلطه، وطلب مشروبًا مماثلًا من نادل آخر. ثمّ ترك كلتا الزّجاجتين على المنضدة وسحبني من يدي إلى حلبة الرّقص، حيث تركني لأنّه «اضطرّ إلى الذّهاب إلى الحمّام». وبعد بضع دقائق، رأيته يتجوّل مرّة أخرى، ويمدّ رقبته، ويقلب رأسه. يدور هنا وهناك. مرارًا وتكرارًا. «هل نخرج؟ أين سنذهب؟ لن يحدث شيء. هل ننسحب؟

سأذهب إلى الحمّام ثمّ نغادر «حاولت الرّقص». كنت أحاول أن أثمل حتّى إنّني حاولت التّحدّث إلى أماندا، ما كانت مزحة؛ لأنّها لم ترغب في التّحدّث، وقالت إنّها لا تستطيع التّحدّث. من الصّعب التّحدّث عندما تقوم بتدليك اللّوزتين، أفهم ذلك، من الصّعب جدًّا التّحدّث، حتّى لو كان لديك لسان فقط في أذنك، من الصّعب التّركيز، أنا أفهم ذلك.

ولكنّني كنت أودّ أن أتحدّث معها. أن أتحدّث بصوت وأصرخ، فوق الموسيقى، أتمايل عليها من دون الحاجة حتّى إلى قول أيّ شيء سوى السخرية من السّراويل القبيحة لشخص ما أو قَصّة شَعر غريبة. بدلًا من ذلك، حاولت مجاراة (سيباستيان)، والاستماع إلى أسئلته الّتي لم تكن بحاجة إلى إجابات. «هل نذهب الآن؟ هل كنتِ في الحمّام؟» لماذا؟ اللّعنة، ما أتعسك! لقد وصلنا للتّوّ. أتريدين شيئًا تشربينه؟ لقد تعبت من سيباستيان. من أماندا ومن لابي، من جميعهم معًا، من كلّ ما يجري هنا. لقد تعبت من أن أكون شابّة وظريفة، ومن أن أكون مجنونة شيئًا ما، ومن الوقوف والصّراخ في حالة سكر في البرد خارج صالة الحفلة أو داخل قاعة كبار الشّخصيّات. لقد تعبت من كلّ شيء، ولكنّني أجدت اللّعبة ما استطعت.

ليلة بعد ليلة بعد ليلة. وحواليّ دائمًا. استيقظت صباح يومي السّبت والأحد، فوجدت تذكرة زرقاء في جيبي، متكومة، جنبًا إلى جنبٍ مع البلاستيك لعلبة سجائر وأسئلة مختلقة حول إلهي ـ كيف ـ وصلت ـ إلى ـ البيت ـ حقًّا؟ فركت الطّوابع الضّبابيّة على ظهر يدي، وقطعت أشرطة المهرجان بمقصّ الأظافر. وكرّرت قول ذلك الشّيء الّذي قاله الجميع: إلهي ـ كم ـ كنت ـ ثملة ـ وإنّني ـ لا ـ أتذكّر ـ شيئًا ـ اللّعنة ـ كم ـ استمتعنا. ولكنّني لم أعد أستمتع الآن. لم أنسَ كيف وصلت إلى المنزل. كنت دائمًا آتي إلى المنزل بالطّريقة نفسها. لقد تأكّدت من وصول سيباستيان إلى المنزل. نمت

هناك، فيما كان هو نصف فاقد الوعي أو يلعب ألعاب الفيديو أو مجرّد أنَّه كان يبحث عن «شيء للقيام به». لم أعد أرغب في ذلك، ولكنّني لم أكن أعرف ما أريد. أنهي علاقة الحبّ؟ ماذا كنت سأفعل لو أنهيت علاقتي بـ(سيباستيان)؟ هل سأظلّ أتسكّع مع بقيّة الشّلّة من دون أن أكون مع (سيباستيان)؟ لم تكن لديّ خطّة. لم أُرِد خطّة. لم أُرِد سوى الاستمتاع مرّة أخرى.

سيجنّ سيباستيان إذا هجرته. لقد كان مجنونًا بالفعل. لم أستطع الانفصال عنه الآن. سأفعل ذلك قريبًا، عندما يهدأ الجوّ قليلًا، ستنحلّ هذه المشكلة، ولكن لم أستطع أن أقول شيئًا، ليس الآن. نظرنا إليه، أنا وحرّاس الأمن، كلّ من مكانه، ولكنّنا لم نقل أيّ شيء، ذلك الحدّ الّذي كنّا نعرف أنّه سيتجاوزه كان من الممكن دائمًا تجاوزه قليلًا. لم أقل شيئًا لأنّنا تظاهرنا بأنَّ الأمر سينجح. كنّا نعلم أنّ الأمر سيتحوّل جحيمًا. شكّل الحرّاس زوجين، كنت وحدي. لا أحد منّا فعل شيئًا.

لقد كنت مجرّد شخصيّة في الظّلّ، كنّا جميعًا كومبارس. هكذا كان المرء حينما كان بجانب سيباستيان. شخصيّة في الظّلّ من دون ردود. فإذا قلتُ شيئًا، قُطِعَ من السّياق. كان من السّهل تجاهل ما قلته، لم تكن هناك حاجة إلى الإجابة. «ألن نذهب إلى البيت؟»، هذا المكان اللّعين، هذه البلدة اللّعينة. اللّعنة، كم هو مملّ! ما هو إلّا حفرة. اللّعنة. لنذهب إلى برشلونة.

هناك حانة تاباس الرّائعة بالقرب من تلك الكنيسة، أو انتظر، إنّها في (بالما)، أليس كذلك؟ أنا ذاهبة إلى الحمّام. اطلب شيئًا لأشربه. أنا قادمة، أريد التّحقّق من شيء ما. أنا أحتاج إلى شراب. أنا ذاهبة إلى الحمّام اللّعنة، نحن نغادر، اللّعنة/ كم مملّ هذا! هل يمكنك أن تخبر المتحكم بالديسكو اللّعين أنّ عليه أن يقدّم شيئًا جيّدًا؟ لنذهب إلى مدينة نيويورك. أنا ذاهبة إلى

الحمّام لأتحقّق من شيء، حيث دينيس، إنّه يجب عليه... اخرجي وأحضريه، أخبريه أنّني بحاجة إلى التّحدّث معه، اللّعنة أيّ ملل؟! «أخبرت أماندا. لا أعلم إن كنتُ لا أزال عاشقة. لقد تحدّثنا في ذلك. وقالت: «أنا متأكّدة أنّ الأمر سيتحسّن قريبًا». ولكنّها هي و (لابي) انسحبا. فمنذ عطلة نهاية الأسبوع عند والدَي (لابي)، كانا غريبين. بالنّسبة إليهم، كان بالتّأكيد ما هو قبل وما هو بعد. كنت أعرف أنّهم يتسكّعون مع سمير من دون الاتّصال بنا، كنت أعرف أنّهم يحسبون أنّ سيباستيان كان صعبًا. ولكن إذا أرادوا الذّهاب إلى هنا، أو الخروج، أو الذّهاب إلى مكان ما، كنّا لا نزال نهمهم. ليس من الضّروريّ أن تقف في الصّفّ. نحن معه. فكّرت في اللّيل. عندما كنت مستلقية بجانب سيباستيان، وكان رقبته تتعرّق، وبدأ يغفو، التفت نحوي، سحبني نحوه. هناك كلمات يمكن الشّعور بها في جميع أنحاء جسمك. كلمات يمكنها أن توقظ شعورًا مرتبطًا بجزء مختلف عن الدّماغ، أكثر ممّا تظنّ. الكلمات الطّيّبة تشعر بدفئها.

كانت أمّي تهمس «ششششش...»، عندما كنت طفلة وأنام بصعوبة (ابنتي الصّغيرة، ششششش... نامي الآن، حبيبتي). أو لهجة أبي عندما صاح «مايا!» وقد سمعت أنّه يريد أن يعرف الجميع أنّني ابنته، وأنّنا نليق ببعضنا؛ وصوت الجدّة عندما قرأت حكاية (كان يا ما كان...).

قال سيباستيان «أحبّك»، قبل أن ينام مباشرة، في نهاية زفيره. لا أعلم.. لم يكن الأمر سيّئًا فحسب، بل لم يكن سيّئًا على الدّوام. قالت لي أماندا: «على والده أن يفعل شيئًا. سيباستيان بحاجة إلى المساعدة. ظنّت أماندا أنّ الأمر يتعلّق بالمخدّرات، وأنّه إذا تعاطاها (سيباستيان) بهدوء، فسوف أستمر في حبه كما كنت من قبل. أماندا على حقّ، على ما ظننت حينها. من الواضح أنّ أماندا على حقّ.

من الواضح أنّني واقعة في حبّ (سيباستيان). لا أفعل شيئًا. لا أقول شيئًا. أتحدّث معه. أساعده، ولكنّني لم أستطع قول أيّ شيء. لم يقل أحد شيئًا. ماذا سيقولون؟ أردت الخروج من هنا. أردت الذّهاب. لم أعد أريد ذلك بعد الآن. سيباستيان سيجنّ جنونه. لقد كان مجنونًا. سيباستيان كان مجنونًا. كان بصحّة سيّئة. يجب أن أفعل شيئًا. كان بحاجة إلى المساعدة. كنت أحبّه. من الواضح أنّني كنت أحبّه.

23

نامت أماندا على الكرسيّ المجاور لي، وكان لها بريق لوسيا الّذي سقط على كتفها، وكان لجواربها النّايلون ثقب كبير في ركبتها. وقفت امرأة على امرةامرأة على خشبة المسرح بكعبها العالي، وأقراط صغيرة وساعة رجاليّة عملاقة. بدت تسريحتها اللّامعة الفحميّة وكأنّها في حاجة إلى مقعد خاصّ على متن الطّائرة.

كانت أميركيّة و«رئيسة تحرير المجلّة الماليّة الأكثر قراءة في العالم الغربيّ» (Christer presentation). «أنت تدرسين الاقتصاد الدّوليّ، صحيح؟»، همسنا بالموافقة، على الرّغم من أنَّ الكثيرين هنا لم ينخرطوا في برنامج الاقتصاد الدّوليّ على الإطلاق. وكان الطّلّاب الآخرون من العام الماضي هنا أيضًا، والكثيرون من الآباء والأمّهات (معظمهم من الآباء). وقد طُلب من الوالدين عدم طرح الأسئلة وعدم شغل أيّ مقاعد، لذلك وقفوا على طول الجدران. كلّ عشرة أمتار وقف رجل عريض الكتفين مرتديًا بدلة سوداء وسمّاعة أذن، كان هؤلاء الحرّاس الأمنيّون للأمريكيّة.

«وأنتم ممّن لا تدرسون الاقتصاد يجب أن تتحمّلوا هذا على أيّ حال». ضحكنا مجاملة وهي تبتسم ابتسامة أوسع من بوّابة مدخل عبارة سيّارة. حتّى سيباستيان كان هنا. وفي السّاعة الخامسة من صباح اليوم، أنا وأماندا غنّينا له، ثمّ دعانا وبعض الرّجال إلى «الإفطار». ولكن عندما رفضت الذّهاب إلى المدرسة معه في سيّارته، اغتاظ. والآن جلس على الجانب الآخر من القاعة.

وقد رعى «متبرّع مجهول» هذه المحاضرة. كنت قد سألت سيباستيان إن كان هذا كلايس، فبدا وكأنّه رأى سؤالي غبيًّا. كانت هناك شائعات أنّ المحاضرة كلّفت 350,000 كرونة سويديّة، ولكن لم يتحدّث أيّ من المعلّمين في مثل هذه الأشياء. لم تكن الأميركيّة رئيسة تحرير فحسب، بل كانت أيضًا دكتورة في الاقتصاد، وقد انتخبتها مجلّة تايم واحدة من أكثر قادة الرّأي نفوذًا في العالم. وقالت إنّها أصبحت مشهورة من خلال قناة يوتيوب لها، حيث شرحت القضايا الماليّة بمساعدة باربي وكين، ومنزل باربي وسيّارة باربي. وكان المقطع الأكثر مشاهدة حول الأزمة الماليّة في الولايّات المتّحدة. وأدّت باربي السّوداء دور مالكة منزل مطرودة من المنزل (وحيدة، أم لثلاثة أطفال). أدّى كين دور المدير في ليمان براذرز، وكان كين متغطرسًا ومتباعدًا، أقسمت باربي السّوداء وتحدّثت بإنجليزيّة رديئة لا ترقى إلى إنجليزيّة طفل في رياض الأطفال السّويديّة يحلم بأن يصبح مغنّي رّاب. ولكن لم يتّهم أحد الأمريكيّة باستخدام القوالب النّمطيّة العنصريّة.

كانت تشبه باربي السّوداء إلى درجةٍ لا يجرؤ عليها أحد. ظنّ منتقدوها أنّها راديكاليّة، وأنّها كانت تقوم بتبسيطات فجّة لإثبات آرائها. ظننت أنّه كان ينبغي لأحدهم أن يخبرها ضرورة أن تُوازن مكياجها على الأقلّ. سيكون لديها الكثير لتكسبه من زوج من الرّموش الكاذبة الأقصر. اليوم، كانت ستتحدّث بمستقبل الاقتصاد العالميّ. وكان العنوان الفرعيّ (النموّ أو الانهيار) الّذي كان ينبغي له أن ينتهي بعلامة استفهام، ولكنّها لم تفعل ذلك. «هل من شخص هنا يكره الاقتصاد؟ مشغول بأشياء مهمّة حقًّا؟» (قليلًا من الضّحك). «قرار حكيم. لا يمكنك الوثوق بخبراء الاقتصاد الوطنيّ». (ضحك بصوت أعلى). لقد غطّت بذراعها على القاعة.

«اذكر اسم خبير اقتصاديّ خطير». «كارل ماركس»، قال شخص من أحد

الصّفوف الخلفيّة. أومأت برأسها. «ميلتون فريدمان»، صاح سمير. وكان جالسا في المقدّمة. ابتسمت الأمريكيّة بسعادة. «وجهة نظري بالضّبط». التقطت زجاجة بلاستيكيّة من الماء وشربت. وأضافت «أنّ الاقتصاديّين خطرون لسبب بسيط هو أنَّ الاقتصاد العالميّ يؤثّر في النّاس. كلّ النّاس. لذا، سواء كنت تدرس الاقتصاد أم لا، سواء كنت تظنّ أنّ المال هو كلّ شيء أم أنّك فوق الأشياء المادّيّة... استمع بعناية. هذا الأمر يمسّكم». بينما باربي لوّحت بسبّابتها لنا نحن الجمهور، خفت الضّوء في القاعة.

ظهرت شاشة عملاقة في الجزء الخلفيّ من المسرح ومن دون مزيد من العرض بدأتْ المحاضِرة في تقديم دورة مكثّفة وسريعة في اقتصاديّات القرن العشرين: الأرقام والأحداث التّاريخيّة والاقتراع العامّ والحرب العالميّة الأولى والأزمة الاقتصاديّة والحرب العالميّة الثّانية والازدهار الاقتصاديّ. أمامها على الشّاشة، كانت تسير أكوام صور ثلاثيّة الأبعاد ومكعّبات ودوائر ثلاثيّة الأبعاد، وقضبان ورسوم بيانيّة للنّموّ السّكّانيّ، ومتوسّط الدّخل، ومعدّل طول العمر. والآن أصبح من الواضح لماذا أُغلِقت القاعة لمدّة أسبوع، وهو ما أعطى شعورًا وكأنّه مأخوذ مباشرة من فيلم لجيمس بوند. وكانت لديها أيضًا صورة ثلاثيّة الأبعاد لروزفلت.

وقف بجانبها على خشبة المسرح لبضع ثوانٍ، وقرأ من خطاب حول الصّفقة الجديدة. حتّى أماندا لم تجد صعوبة في البقاء مستيقظة. تحدّثت باربي أسرع من المعلّق الرّياضيّ. أومأ كريستر بتناسق مع لحنها الأساسيّ. نيك ـ نيك ـ نيك ـ نيك بدا وكأنّ برغيًّا سقط من هيكل رقبته. كان متحمّسًا جدًّا للمدرّسين، يعاني نوعًا من عدوى المسالك البوليّة العقليّة.

«كثيرون من النّاس مقتنعون بأنّ الاقتصاد هو علم تحكمه قوى تذكّرنا

بقانون الجاذبيّة. الإنفاق والإيرادات. فإذا سقطت من يدك كأس، فإنّها تسقط على الأرض وتتكسّر. يصيبك الإفلاس إذا أنفقت أكثر ممّا تكسب». نظرت باربي إلى صفوف الآباء الّذين ارتدوا بدلات، وعيناها مستمرّتان من الأسفل في النّظر إلينا نحن الطّلّاب، وواصلتْ إحياء قدّاسها.

عندما حان وقت طرح الأسئلة، بدأ كريستر الرّكض حولها مع مكبّر صوت لاسلكيّ. بدأ سيباستيان المشاركة. ابتسمت له الأمريكيّة قبل أن ينهض. كان (كلايس) هو من دفع الثّمن. وفجأة رغبتُ في المغادرة. باربي السّوداء وكين فاجرمان. إذا أُرسِل سيباستيان إلى هنا لتتبّع ماذا كان لدمية الأزياء في العالم الماليّ لتقول، لأصاب الإحباط كلًّا من كلايس والدّمية. بدا سيباستيان متعبًا، ووقف لكنه قرأ ما كان مكتوبًا على وريقة مذكّرته، وبينما أجابت باربي، توجّه كريستر نحو الشّخص التّالي الّذي طلب منه أن يعدّ سؤالًا. وعندما جاء دوري، أعطيت كريستر مكبّرَ الصّوت مرّة أخرى قبل أن تبدأ الأمريكيّة في الإجابة.

لم أحاول توجيه أيّ أسئلة متابعة. وأومأت برأسها لي بعناية. ولم تكن تبدو أنّها ظنَّت أنّه كان سؤالًا أحمق (فقط الأسئلة الغبيّة الّتي عرف أجوبتها كريستر فعلًا قد أُقرّت)، وتلقّت التّصفيق لإجابتها. كان ذاك هو البديل الثّالث والخمسين لها «من ناحية ومن ناحية أخرى، وفي دراستي حول هذه المسألة أسلّط الضّوء على العديد من العوامل الجديدة... الّتي تشير إلى أنّ الأمر ليس واضحًا وجليًّا». لقد أُوقِف تشغيل تقنيّة ثلاثيّة الأبعاد. بدأت جفون أماندا تبدو ثقيلة، كانت تبحث عن وضع أكثر راحة. باربي كانت مجرّد قشرة وسطح، ولم تكن ستقول شيئًا قطّ لا يقبله الجميع هنا في الصّالة. قامت بالتّوصيل. ولكن حينذاك جاء دور سمير. أخذ مكبّر الصّوت من كريستر وبدأ. «كان لدينا انتخابات المدرسة هنا في المدرسة قبل بضعة أشهر». ارتعش صوت سمير.

لقد بدا متوتّرًا. «وسمح لجميع الطّلّاب بالتّظاهر بالتّصويت، وحصل حزبان عنصريّان مختلقان على أكثر من خمسة وثلاثين في المئة من الأصوات».

عبر زاوية عيني، رأيت كيف لمعت نظرة كريستر. لم يكن هذا هو السّؤال المعدّ سلفًا. مدّ يده إلى مكبّر الصّوت مرتبكًا، ولكنَّ الأمريكيَّة أشارت إلى سمير، أرادته أن يستمرّ. ونقل (سمير) مكبّر الصّوت إلى يده الأخرى بعيدًا من متناول (كريستر). «وقرّرت إدارة المدرسة عدم أخذ النّتيجة على محمل الجدّ، وأنّ ذلك يرجع إلى أنّ مجموعة من الطّلّاب اجتمعوا وقرّروا تخريب هذه الممارسة».

«ولكن؟» الأمريكيّة كانت متوتّرة تمامًا. وصاح شخص ما من الجمهور، تمّسكْ بالموضوع، يا سمير. أحد الآباء الّذين كانوا يقفون في الصّفّ الخلفيّ صرخ، الآن أحسب أنّك انتهيت إلى محاضرة خاطئة يا فتى، لكنّ باربي رفعت يدها وهدأ الجوّ مجدّدًا. «استمرّ». «لم يأخذ أحد هذه الانتخابات المدرسيّة على محمل الجدّ، ولكنّها مثال جيّد. لأنّنا تعلّمنا أنّ السّياسة تدور حول أنّ جميع المشاكل في جميع البلدان الأوروبيّة سببها الهجرة والحرب خارج حدود أوروبا والإرهاب الإسلاميّ. أشياء لا يملك سياسيّونا السّيطرة عليها. هذا كلّ ما نتحدّث به؛ فالإسلاميّون هم التّهديد الأكبر. ولكن في الوقت نفسه، فإنّ أصحاب المليارات يزدادون غنى ويزداد الفقراء فقرًا. داخل الوطن. هذا ما لا نتحدّث به. أعني...».

تنحنح سمير وأخذ يتلعثم، وقال «ألا ينبغي أن نتحدّث في كيفيّة تأثير هذه القضايا الاقتصاديّة في رفاهيّتنا والدّيمقراطيّة و...، ألا تؤثّر في الدّيمقراطيّة؟ نعم، مجتمعنا أيضًا؟». أخذ فتى على بعد بضعة صفوف خلف سمير يدمدم نشيد الأمميّة. انتشرت ضحكة حذرة، ولكنّ باربي رفعت يدها اليسوعيّة مرّة

أخرى وقاطعتهم. «أخبرني، هل اسمك سمير؟ أخبرني يا سمير، كيف تظنّ أنّ هذه التّناقضات الاجتماعيّة قضيّة اقتصاديّة وطنيّة؟».

وأضاف: «أظنّ أنَّه على الاقتصاديّين أن يستخدموا أرقامهم للتّوصّل إلى حلول ملموسة للمشاكل القائمة فعلًا. وهذا لا يعني شيئًا لتقوله. إنَّ عليك أن تستثمر ألف مليار في البنية التّحتيّة، إن لم تخبرنا من أين ستأتي هذه الأموال؟ ولا سيّما عندما يكون النّقاش فقط عن عدم قدرتنا على تحمّل أيّ شيء لأنّ الهجرة تكلّف الكثير». شيء ما حدث لابتسامة الأمريكيّة. بدا الأمر مختلفًا واستغرق الأمر بعض الوقت قبل أن أدرك أنّ الابتسامة الجديدة كانت حقيقيّة. أخذ صوت سمير يصبح أكثر استقرارًا.

«بالتّأكيد، الاستثمار العامّ رائع، ولكنّ الصّعوبة تكمن في تحديد من سيدفع الفاتورة. ولا أحد يجرؤ على القول إنّه يجب على الحاضرين هنا أن يدفعوا». كان صوت الهمهمات في الصّالة مرتفعًا نوعًا ما. جرى تغيير الجوّ، ليس إلى حالة متوتّرة، كما هي الحال في أكثر الأحيان عندما تمتلئ غرفة بالبالغين الّذين يريدون شرح كيف تجري الأمور. صفّ الآباء، شعرت حقًّا بالطّريقة الّتي يريدون أن يتنحنحوا بها ويقولوا لسمير (وباربي) إنّ هذا ـ هو ـ ما لا ـ تفهم. لأنّه في الحقيقة لم يكن لديهم مشكلة مع الهجرة. حقًّا لا! وأرادوا أن يقولوا: لكن الآن نتحدّث بصناعة السّويد.

سوف نوفّر فرص العمل والرّعاية الاجتماعيّة ومساكن جديدة لجميع هؤلاء الوافدين الجدد. لذا، لا يمكنكم أن تشلّونا بالضّرائب. كنت أعرف ما يريدون قوله لأنّني سمعت أبي يتحدّث في هذا. ويبدو أنّ الآباء في الخلف قد نسوا أنّهم وعدوا بعدم طرح أيّ أسئلة؛ لأنّ أربعة، وربّما خمسة منهم قد خطوا نصف خطوة إلى الأمام وأيديهم مرفوعة. لم يعتادوا رفعَ أيديهم، على

ما يبدو، ولكنّهم لووا أجسامهم. نظر بعضهم إلى أربعة عشر اتّجاهًا في وقت واحد في محاولة للإشارة إلى ما ـ ألطفه ـ من ـ فتى ـ لكنّه ـ ساذج ـ نحن ـ نريد ـ أن ـ يقوم ـ الجميع ـ بالثّورة ـ مرحلة ـ الشّباب ـ وأطلق أحدهم صفيرا مسرحيّا، قمنا بتغذية أحد الشّيوعيّين ـ في ـ حضننا وشخص آخر بدأ يضحك بشكل لا يمكن السّيطرة عليه.

تجاهلتهم الأمريكيّة، فسحبت كرسيًّا وجلست. «هراء»، صاح فجأة الرّجل الّذي همهم قبل قليل بنشيد الأمميّة. نظرت باربي نظرت إلى فوق. «هل هذا؟» قالت، ودعت الجمهور إلى ابتسامة معجون الأسنان مرّة أخرى. قالت مبتسمة: «لا بأس. أنا أقف إلى جانبكم». وأضافت «لا تقلقوا، لن نتحدّث في سياسة الهجرة. لا أعرف ما يكفي عن هذا الأمر».

سنتحدّث في كيفيّة تمويلنا الإنفاق الحكوميّ. كيف نموّل الرّفاهية. «هذا سؤال نسبيّ، أليس كذلك؟». كانت تنتظر نفخة موافقة. وقالت: «واحد في المئة من سكّان العالم يملكون خمسين في المئة من موارد العالم. وإلى جانب ذلك، فإنّ أغنى خمسة وثمانين شخصًا في العالم يملكون ما يملكه النّصف الأفقر من البشريّة مجتمعين...». تردّدت وجعلت صوتها أنعم. ربّما كانت تمزح؟ ربّما اختلست النّظر إلى (سيباستيان)... على عدد قليل من الصّفوف مقاعد البدلاء هنا في هذه القاعة... أليست هذه مشكلة؟ أحد الآباء لم يستطع الصّمود أكثر.

ومن دون الحصول على إذن إلقاء الكلمة أو مكبّر الصّوت، صاح عفوًا excuse meeee، ولكنّ باربي لم تنظر حتّى إلى مكانه. وبدلًا من ذلك، سارت ببطء عبر المسرح حتّى انتهى بها المطاف أمام صفّ مقاعد سيباستيان. الآن سوف يثبت سيباستيان أنّه يمكنه أن يمثّل مجموعة شركات فاجرمان، على ما

أظنّ، وتشنّجت معدتي. إنّها تريده أن يساعدها على بدء نقاش حقيقيّ. أردت أن ينهض (سيباستيان) ويغادر من هنا. يهرب، ظننت. أنت تكره السّياسة. لذا، فكّرت في الممنوع. أنت غبيّ جدًّا ولست بمستوى هذه المناقشة.

واصلت باربي كلمتها، على بعد أمتار قليلة من سيباستيان. وكانت نغمتها غير جدّيّة أكثر من أيّ وقت مضى، ولكنّها افترضت أنّه كان يستمع. «هناك قناعة بأنّه من منظور الاقتصاد الوطنيّ سوف يكون مجديًا أكثر كلّما كان هناك سخاء أكثر تجاه أصحاب المليارات. وفي السّويد، يحسب حتّى الدّيمقراطيّون الاجتماعيّون أنّ ضريبة الثّروة بنسبة صفر في المئة هي مستوى معقول». ولوّحت لصفّ الوالدين. «ليس لديكم أيّ فكرة عن مدى سعادة محاسبي إذا قلت إنّني سأنتقل إلى السّويد. أنا لست مليارديرة حتّى».

ثمّ التفتت إلى سمير مرّة أخرى. لكن ماذا سيحدث بعد ذلك عندما يدرك أولئك الّذين ليسوا من أصحاب المليارات، ولا حتّى من أصحاب الملايين أنّهم مساكين؟ ماذا يحدث عندما يدركون أنّهم يقومون بتمويل جميع الإنفاق العامّ؟ ماذا سيفعلون؟ «أشارت إلى سمير مناشدة. وكان لا يزال يحمل مكبّر الصّوت وردّ على الفور، كما لو كان ينتظر أوامرها». سوف يحتجّون. «أنت تراهن على أنّهم سوف يفعلون ذلك». عادت إليها ابتسامتها الطّبيعيّة. تمّ إسكات الآباء.

فعل (كريستر) شيئًا يشبه الدّوران على قدم واحدة في المكان ممّا لم يحسب له حساب. وتابعت باربي قائلة: «سوف يحتجّون». كيف؟ هل ستكون هناك ثورة دمويّة؟ هل ستقطع رؤوس آبائكم وأمّهاتكم في ساحة المدينة؟ لا نريد ذلك وسيكون من الأفضل أن نلوم المهاجرين على العجز في الميزانيّة. «حوّلت الأمريكيّة عينيها ونظرت إلى الطّرف البعيد من الغرفة.

قالت مركّزة «أنتم تضحكون». لكن لم يضحك أحد ولم يقل أحد شيئًا ما عدا سمير. كان صوته قد فقد كلّ تردّد وشكّ، وبدا فجأة أكبر بعشر سنوات.

لم أفكّر قطّ في اللّغة الإنجليزيّة الجيّدة الّتي يتحدّث بها، وأضافت أنّ «الطّبقة العليا لم تتوقّع قطّ في التّاريخ تجريدها من السّلطة، «يقينًا»، أومأت الأمريكيّة برأسها، استدارت ونظرت إلى سيباستيان. لم يكن لديه مكبّر صوت، كان نصف جالس على كرسيّه عندما أجاب، ولكنّنا سمعناه على أيّ حال. لغو. من يعطي النّاسَ وظائف؟ أنت، ربّما، سمير؟ أو والدك سائق سيّارة الأجرة؟ «ضحك سيباستيان بصوت أعلى ما أمكن. لكن حتّى الرّجال الّذين بجانبه لم يعيروه أهمّيّة. ألقت الأمريكيّة نظرة قصيرة على سيباستيان، وانحنت برأسها قليلًا إلى الجانب، ثمّ التفتت إلى سمير مرّة أخرى وأومأت له بأنّها ستردّ بدلًا منه. فهزّ رأسه. «الشّيء الغبيّ هو الاعتقاد أنّ المزيد من أصحاب المليارات أفضل للسّويد». أومأت باربي وتولّت الزّمام وتنفّس سمير الصّعداء. «ويمكننا أن نتحدّث عن الآباء الّذين يقودون سيّارات الأجرة أيضًا. ماذا يحدث للمعنويّات الضّريبيّة لسائقي سيّارات الأجرة؟ لا تخبرني، فكّرت بـ(سيباستيان)».

صه. ولم يبذل (سيباستيان) أيّ جهد ليقول أيّ شيء آخر سواء أكان مبتذلًا أم غبيًّا. وبدلًا من ذلك، أمال رأسه وشبك ذراعيه على صدره كما لو كان يحاول العثور على وضع نوم مريح. «لقد خرجنا عن الموضوع، على ما أحسب». تنحنحت الأمريكيّة «قبل أن يأخذني حرّاس الأمن الخاصّون بي من هنا لتجنّب اندلاع أعمال الشّغب...»، نظرت إلى سمير ومجالس الآباء على طول جدار القاعة، وإلى كريستر الّذي كان مضطربا.

ثمّ بدأت تتحدّث مرّة أخرى. جاءت الجمل بعناية أكبر الآن بعد أن

تجنّبت الصّور المجسّمة وانفجارات الصّور. هل نحتاج إلى أصحاب المليارات لخلق فرص عمل؟ حسنًا. الازدهار؟ يمكن أن تكون الشّركات النّاجحة، حتّى الأفراد الأثرياء، بالتّأكيد مفيدة للاقتصاد الوطنيّ... رفعت ذقنها إلى الصّفوف الخلفيّة. «ليس لديّ مشكلة في أن أصبح صاحبة ملايين. ولا أبغض حتّى أصحاب المليارات مباشرة». أومأت برأسها إلى سيباستيان، ولكنّه تظاهر بالنّوم.

«أنا أؤمن بالرّأسماليّة، على الرّغم من أنّ بعض مواطنيّ يحسبون أنّ كلّ شخص يتّفق مع رأيي... هو شيوعيّ».

ضحك (كريستر)، ولكن لا أحد شاركه الضّحك. «ولكن أحسب أنّك كنت تحاول أن تسجّل نقطة أخرى، سمير. أي أنّ هناك حدًّا لمدى عدم المساواة الّتي يمكن أن يصبح عليها المجتمع، ومع ذلك تظلّ الدّيمقراطيّة مستقرّة. وأنت محقّ في ذلك وسأشرح السّبب»، كان الهدوء جنونيًّا. الجميع أراد سماع هذا. لم نغيّر مواقفنا حتّى. «عليك أن تكون حذرًا مع العقد الاجتماعيّ. ويجب على الطّرفين الالتزام بما ينصّ عليه الاتّفاق. يجب أن تكون لدينا عدالة مفهومة. وليس من العدل أن يموّل نظام الرّعاية الاجتماعيّة فقط أصحاب الدّخل المنخفض والمتوسّط. وحقيقة أنّ الشّركات الكبرى تدفع ضرائب أقلّ من أخواتها الصّغيرات والمتوسّطة ليست عادلة أيضًا. هذا ليس ما يبدو عليه العقد الاجتماعيّ. وعندما تدفع الممرّضة ضرائب فرديّة أكثر من شخص ورث ثروة... عدم وجود ضريبة الثّروة. لا شيء على الإطلاق. لقد شكّلت سبّابتها وإبهامها إلى صفر «ولا ضريبة الميراث. صفر في المئة».

أولئك الذين ليسوا بحاجة إلى دفع ضريبة الرّواتب، إذا كانوا لا يريدون، ليسوا مضطرّين إلى دفع الضّرائب على الإطلاق. هل هذا يسري وفقًا للعقد

الاجتماعيّ؟ هل هذا ما يعنيه الكتاب المقدّس أنّه من لديه، بالنّسبة إليه، يجب أن يعطى؟» توقّفت وشربت الماء. وأضافت «حتّى في الولايّات المتّحدة، نحن لسنا كرماء. وليس من الضّروريّ أن تكون شيوعيًّا لترى أنّ التّناقضات في الولايّات المتّحدة تقترب من نقطة الانفجار».

إنّ الاعتقاد بأنّ هذه التناقضات لا علاقة لها بالاقتصاد الوطنيّ خطأ. وأنا أتّفق معك يا سمير. إنّها ليست نظريّة مؤامرة مجنونة أن نقول إنّ هناك من يستفيدون من حقيقة أنّ مسؤوليّة الصّعوبات الاجتماعيّة يمكن أن تلقى على كاهل أقليّة... التّظاهر بأنّ المشاكل هي بسببهم...» رسمت علامات الاقتباس في الهواء، «أسود»... أو، كما كانوا يسمّون في الثّلاثينيّات، «اليهود»، أو كما تسمّونهم ـ في أوروبا اليوم ـ «المهاجرون». صمتت. واستمرّ الصّمت عدّة ثوانٍ. لا أحد هنا يريد أن يعرف أنه يمكن أن يكون هناك صلة بين أموالهم والمشاعر المعادية للمهاجرين.

لسنا عنصريّين، نحن في جانب الخير، لسنا ديمقراطيّي السّويد البسطاء وغير المتعلّمين. ولكن لم يكن يجوز الاحتجاج. باربي لم تتّهم أحدًا مباشرة. ثمّ لمحت الأمريكيّة بشكل غير محسوس تقريبًا إلى ساعة الحائط الّتي ثبتت في أحد طرفي الغرفة، وعدّلت ظهرها وأشارت إلى سمير. «فكّر، ها؟ كان هذا مضحكًا بشكل غير متوقّع، أليس كذلك؟». كان الجوّ هادئًا جدًّا في القاعة حيث كان الوالد يُسمع بصعوبة عندما كان يتحدّث. «مضحك ومضحك»، تمتم. بدا مستيقظًا حديثًا، ولكنّه كان يتحدّث الإنجليزيّة بشكل مثاليّ. لقد تعرّفت إليه. كان مدير أحد البنوك الكبيرة وحكّ رأسه خلال شعره المتشابك. «إنّه أكثر بكثير من مجرّد متعة. هذه ليلة عيد الميلاد المبكرة يمكنني العودة إلى زملائي وإخبارهم أنّنا في السّويد نعيش في ملاذ ضريبيّ. اللّيلة ستكون هناك شمبانيا».

ضحك الآباء والأمّهات بكلّ سهولة. عاد المزاج الجيّد بالسّرعة الّتي اختفى بها. إنّها السّياسة. ليس علينا أن نتّفق. فلو لم يشعر المصرفيّ بالأمر، فلسنا مضطرّين إلى أن نشعر نحن أيضًا به. ماذا تعرف باربي عن أحوالنا في السّويد؟ هاها! هاي. ثمّ صفّقنا. صفّقت الأمريكيّة بحركات تصفيق ناعمة في اتّجاه الجمهور وابتسمت لسمير فابتسم لها، كما لو كانا يشتركان في سرّ، كلاهما فحسب. قالت فيما كنّا لا نزال نصفّق: «هذه أسئلة صعبة تطرحها يا سمير».

«استمرّ بطرحها، سيستغرق الأمر منك طريقًا طويلًا»، عندما صعد (كريستر) على المسرح لتقديم الشّكر، التقت نظراتي بنظرات (سمير). كان لا يزال ورديًّا قليلًا حول وجنتيه. أحسنت، أومأت إليه من دون صوت. شكرًا لك، ردّ عليَّ. أردت أن أقول شيئًا أكثر، ولكنَّه أدار نظرته. نظرت إلى (سيباستيان) بدلًا منه. لقد نام حقًّا. سلم كريستر الزّهور وكتابًا عن يورهولم وصفّقنا مرّة أخرى، وعندما أنهى ما يقوم به أخيرًا أطفأت الهاتف وخرجت من القاعة. شخص آخر أيقظ (سيباستيان).

كان لدينا ساعة فراغ الآن، ولكن بقي يوم دراسيّ كامل ولم أتحمّل سماع ما كان سيقول، وأنا بالتّأكيد لا يمكن أن أحضر دروسًا أخرى؛ لذلك استقللت الحافلة إلى المنزل. مرّت عدّة ساعات قبل أن تأتي أمّي و (لينا)، كنت سأبقى وحدي. لم يمكنني تحمّل سوى الوحدة. عندما رنَّ جرس الباب، كنت قد بدّلت ملابسي ومستلقية على السّرير، والحاسوب على بطني أشاهد فيلمًا. كان سيباستيان جالسًا خارج الباب، وينتظر إن كنت سأحاول تجاهله، فنزلت إلى الطّابق السّفليّ لأفتح. ولكنّه لم يكن سيباستيان، بل كان سميرًا قد علّق سترته على ذراع واحدة ويلهث، كما لو كان قد ركض إلى هنا. «هل يمكنني الدّخول؟». وضع يده على إطار الباب وانحنى عليه انحناءة جعلته

يشد عضلات ساعده. فذهبت باتّجاهه. وقفت بالقرب منه أمسّد بيدي، أوّلًا البشرة الرقيقة، ثمّ شعره القصير على ذراعه. وعندما قبّلته بخفّة وبلطف علقت شعرة بين شفتيّ. أطبقت لساني على لسانه فسرت الحرارة في جلدي.
وضع يده حول خصري، «بالتّأكيد»، قلت: «ادخل».

مكتبة
t.me/soramnqraa

سجن النّساء

جلسات المحاكمة، الأسبوع الأول ـ عطلة نهاية الأسبوع

24

عندما حصلت على استراحة في الصّباح، لم أستطع تناول حبوب منوّمة؛ لذلك لم أنم اللّيلة، على الأقلّ حسب ما أتذكّر. حاولت أن أرى الفيلم الّذي أعطتني إيّاه (سوزي)، ثلاث مرّات حاولت. ربّما نمت لمدَّة خلال محاولتي الأخيرة.

عندما أعيد التّفكير الآن بعد أن أصبح لديّ الوقت لمحاولة فهم ما حدث، فإنّه من السّهل بدء الفرز. أودّ أن أقسم كلّ شيء حلقاتٍ محدّدةً بعناية: الأسابيع الأولى من المدرسة، بعد أن عدنا أنا وسيباستيان إلى المنزل من البحر الأبيض المتوسّط، عندما شعرت *بأنّه كان دائمًا سيباستيان ومايا (كلمات أماندا)*. لقد كان وقتًا مناسبًا وغير معقّد وواضح، أليس كذلك؟ خلال تلك المدَّة، على الأقلّ، عقدت صداقات جديدة، نوعًا جديدًا من الاهتمام، وأنواعًا أخرى من المجاملات. كان يبدو أنّ الجميع من حول سيباستيان وحولي (باستثناء سمير) يحسبون أن لا شيء كان أكثر طبيعيّة في العالم كلّه من حياتي وحياة سيباستيان، والعلاقة ما بيننا.

أمّا الحلقة الثّانية، فقد كانت أكثر تعقيدًا وإرباكًا. والحلقة الثّالثة، بعد أن قبّلت سميرًا، وبعده كانت فوضى عارمة.

ولكنَّ الأمر لا يسير بهذه الطّريقة. أن أكون صادقة، فلا يجوز تمييز المرّة الأولى من المرّة الثّانية الّتي حدثت أخيرًا. لا توجد فصول في هذا الحداد.

ولكنّه كان دافئًا في البداية، صيفًا دافئًا رائعًا، وزاهي الألوان. ربّما كان مفيدًا لنا؟ ذكّرتني الحرارة بالبحر الأبيض المتوسّط، وخفّفت ممّا كان يجب أن أراه في ذلك الوقت، من أشياء غريبة. ليس فقط ما كان غريبًا مع (كلايس)، وكم كان لئيمًا، وكم كان غير مبالٍ. عدا الأمور الغريبة لدى (سيباستيان). كانت المدرسة هي نفسها كما هي الحال دائمًا، ولكنّها تقلّصت ونمت عندما اجتمعنا أنا وسيباستيان. في البداية، كان دائمًا تقريبًا هناك، حتّى عندما لم يكن يحضر الدّروس. كان يبدو دائمًا أنّه يعرف أين أنا، حتّى لو كنت في مكان آخر غير المكان الّذي يجب أن أكون فيه حسب الجدول، وقد أعجبني ذلك؛ إذ شعرت بالإطراء لأنّه كان يراقبني، ولأنه أراد أن يكون بالقرب منّي. لم يكن الأمر يتعلّق بمطاردة، لم يكن مسيطرًا ومخيفًا، لا شيء من هذا القبيل. عندما ظهر، وقف فجأة أمامي بقميصه الأبيض وابتسم، فابتسمت له، بالطّبع ابتسمتُ، كنّا واقعين في الحبّ، كان سعيدًا برؤيتي وكنت سعيدة لأنّه وجدني.

ولكن لم يكن هذا كلّ شيء. كان لديه دائمًا شيء آخر في ذاته. لقد كان أكثر من مجرّد شجن. ولم تكن كراهية، فالكراهية سهلة، وسيباستيان لم يكن من السّهل فهمه. لم أكن في أيّ وقت خائفة ممّا يمكن أن يفعله بي، ولا حتّى عندما اقتربنا من نهاية علاقتنا، ولكنّني كنت قلقة دائمًا. حتّى المرّة الأولى كانت مختلطة وصعبة وسهلة وجميلة، ظريفة، رهيبة ورائعة.

أكره أوّل وقت استراحة في السّجن. أكرهه أكثر لأنّ الموظّفين يحسبون أنّهم يقدمون إليّ معروفًا عندما يعطونني الاستراحة. يريدون منّي أن أكون سعيدة لأنّ لديّ الوقت لأمور أخرى، لأنشطة رائعة لملء ساعات اليوم،

ساعات أحرّرها لأجل «الاستيقاظ والنّهوض في الوقت المحدّد». كما لو أنّ لديّ شيء آخر أفعله سوى التّمنّي أن أتمكّن من التّدخين. وإنّ أقلّ ما يعجبني في الوقت الصّباحيّ ألّا يكون لدي وقت للتّدخين.

وتقلّ رغبتي في التّدخين أكثر عندما يجمعونني مع دوريس.

في الواقع، من المفترض أن أقضي مدّة الاستراحة وحيدة، ولا أزال مقيّدة، على الرّغم من أنّ التّحقيق الأوّليّ قد اكتمل. سأستمرّ معزولة (من أجل سلامتي الخاصّة)، ولديّ أمر حظر الزّيارات. ولكنّ مركز الاحتجاز ممتلئ وعدد ساعات النّهار لا يكفي لكلّ شخص للحصول على وقته المحميّ دستوريًّا في الهواء الطلق ما لم يقترن بعض المحكومين بعضهم ببعضهم الآخر. كما أنّ مسؤولي السّجن بحاجة إلى التّفكير في عمري. ليس من الجيّد أن أُترَك أقضي أوقاتًا طويلة جدًّا من دون مقابلة أشخاص آخرين. وأبقى محتجزة في زنزانة انفراديّة لمدّة ثلاث وعشرين ساعة في اليوم (الشّباب المحتجزون وعدم التّفاعل الاجتماعيّ)، هذا ما تنتقده منظّمة العفو الدّوليّة. تحبّ فرديناند أن تقول لي كلّ ما تعرفه عن منظّمة العفو الدّوليّة وتوضيح سبب محاولة المنظّمة ترتيب لقاء لي بالكاهن والطّبيب النّفسيّ والمعلّم عدّة مرّات في الأسبوع، وألّا أقضي وقت الاستراحة وحدي.

دوريس امرأة في السّتينيّات من عمرها، وهي بالتّأكيد لا تسمّى حقًّا دوريس، ولكن يجب أن تحمل هذا الإسم. إنّها تُعدّ الصّحبة الاجتماعيّة المثاليّة بالنّسبة إليّ، إنّها حجّة غيابي لدى منظّمة العفو الدّوليّة.

لم يكن شيئًا قد خطّط له ـ ما سيكون كما صار مع سمير. كنّا نشعر بالخجل، كان يشعر بالخجل، كنت أشعر بالخجل، بالطّبع كنت أشعر بالخجل.

«لن أضاجع سميرًا»، قلت لسيباستيان (ولنفسي) بعد عطلة نهاية الأسبوع

عند لابي. «أبدًا مرّة أخرى!»، قلنا أنا وسمير بعضنا لبعضنا الآخر بعد ظهر يوم لوسيا عندما حدث ذلك على أيّ حال. لن يحدث ذلك مجدّدًا. لم يكن علينا أن نقول ذلك لنعرف أنّ هذه هي الحال. ولكنّنا قلناها عدّة مرّات طوال الوقت، ومع ذلك حدث ذلك مجدّدًا وتكرر أكثر من مرة.

اتّصل بي سمير وبعث إليّ رسالات نصّيّة قصيرة ولم أردّ، مسحت رسالاته النّصّيّة، غيّرت رأيي، أجبت، غيّرت رأيي مرّة أخرى. التقينا في المدرسة، جلست في المكتبة، حيث غابتنا السّرّيّة، لم يأتِ إليها أحد آخر. شعرت بأنّها حقيقيّة. بمجرّد أن رأيت سميرًا، شعرت بأنَّ الأمر حقيقيّ. كلّ شيء آخر كان صعبًا خلال ذلك الوقت، في ديسمبر/ كانون الأوّل، كانت حياتي مقزّزة طوال الوقت على مدار السّاعة، حتّى لمسني سمير. واستمرّ الأمر في الاشمئزاز حتّى لمسني مرّة أخرى.

لطالما ظننت أنّه من الغريب أن يجرح النّاس أذرعهم حتّى لا يتألموا كثيرًا في الرّوح، لكي يكونوا قادرين على التّأقلم. ولكنّ الأمر بالنّسبة إلى سمير ربّما كان هو نفسه. كان من اللّطيف للغاية أن أكون معه إلى درجة الألم، في بعض الأحيان ظننت أنّه لا بد من الألم إذا أردت اللذة، على الرّغم من أنّني أحسب أيضًا أنّه لم يفعل كلّ شيء لكي أتعلّق به.

لم يكن سمير دائمًا على وشك الانهيار. ولم يرد أن يفعل أيّ شيء غير ما كان يفعله طوال الوقت ولم ينتظر من أحد أن يتعرّف إليه، يطلب صداقته، أو الدّفء منه، والاهتمام به، والسّماح له بالدّخول قبل الجميع. عندما لمسني (سمير)، أراد فقط أن يلمسني، لا شيء آخر، على الأقلّ هذا ما شعرت به. لقد تضاجعنا في كلّ مكان، حيث لم يكن مسموحًا فعل ذلك، في بيتي (عندما كانت أمّي وأبي في العمل، ولينا في رياض الأطفال)، وعندما تغيّبت عن

المدرسة (لم يتغيّب سمير، كان لديه ساعة فراغ). في أحد مراحيض المدرسة ذات مساء بعد يومين من عيد لوسيا. كانت المدرسة مفتوحة للجوقة للتّدرّب في القاعة، ولكنّنا لم نكن نعرف أيّ شخص في الجوقة، وفي ذلك الوقت حينما كان يأخذني بالأحضان، إذ ظننت أنّه يجب أن يكون هذا الأمر. *لو كنّا أنا وهو، لتخلّيت عن (سيباستيان)*، كان العكس وأردت ذلك حقًّا. ربّما هذا هو السّبب؟

سمير لم يكن فارس أحلامي، بل على العكس، كان التّفّاحة المسمومة. ولكن بعد ذلك، وتنقضي الأيّام القصيرة، ولا يهمّني أبدًا ما أثير من أسئلة حول سمير، ولم تكن تكفي سببًا للتّخلّي عن سمير. لذا، لم أكترث لتلك الأسئلة.

طوال مدَّة الاستراحة في مركز الاحتجاز، سواء كانت مبكرة أم لا، كانت دوريس تجلس على المقعد الإسمنتيّ على مسافة رمي عقب منّي وهي تلفّ السّجائرّ من دون إخراج السّيجارة من فمها حتّى. الدّخان يتصاعد حولها كما لو كانت قدرًا بغطاء مشوّه. ولا تتفوّه بأيّ كلمة لي ولا بأيّ لغة حتّى عندما أسلّم عليها. إنّها لا تنظر، ولا تومئ، ولا تتمتم. سمعتها يومًا تتنهّد لولّاعتها عندما كانت تمطر وكانت تواجه صعوبة في تشغيلها. ولكنّها لم تسأل إذا كان بإمكانها استعارة ولّاعتي، بل استمرّت حتّى بدأت تشتعل بعد بضع دقائق، وعندما اشتعلت النّار في سيجارتها، ندّ عنها صوت أنين. أظنّ أنّ ذلك الصّوت كان من الشّعور بالرّاحة. الفرح، ربّما؟ متحوّر فرح خاصّ بدوريس.

أتذكّر أنّني سألت أمّي عندما كنت في الثّانية عشرة من عمري كم يجب أن يكون عمرك عندما تنامين مع شخص ما لأوّل مرّة. أجابت أمّي أنه عندما تريدين أن تنامي مع شخص ما إلى درجة أنّك لا تهتمّين بما أفكّر فيه، عندما

لا تهتمّين بما يفكر به الآخرون لأنّك تفضّلين الموت على ألّا تفعلي ذلك، حينذاك فأنت بعمر بما فيه الكفاية. حسبت أنّها قالت ذلك لإظهار كم هو ممتع الجنس، ولتبيان كم أنّها «تستمتع» بالجنس. ولكنّها كانت على حقّ. لمرّة واحدة، كان يجب أن أستمع إليها. لم أكن أعرف ما تعنيه حتّى قابلت (سيباستيان) فكنت ممتنّة لها. في بداية علاقتنا، وعندما مسّد ساعدي الّذي شعرت حينها وكأنّه مصنوع من المخمل، حينذاك فهمت بالضّبط. كنت لا أزال أظنّ أنّ أمّي سخيفة، ولكنّني فهمت. وعندما لم يعد الأمر هكذا، كنت مستعدّة لفعل أيّ شيء مع أيّ شخص فقط لأتعرّف إلى الحالة مرّة أخرى. لا، بالمناسبة، سمير لم يكن مجرّد أيّ شخص، وبالتّأكيد لم يفعل أيّ شيء كان. ولكنّه جعلني أشعر بأنّني لا يمكن أن أدع الأمر يفوت. على الرّغم من أنّ الأمر، حتّى لو كان يسير بصورة جيّدة، لم يكن سهلًا مع سمير. لقد كان شكلًا من أشكال البهجة، ولكنّه لم يسعدني قطّ.

دوريس لديها شخصيّة مثيرة مثل ساقي بنطلونها الرّطبين، ومثل أنّها سمينة على تلك الطّريقة الأمريكيّة ـ على شكل مخروطيّ ـ ما يجعلني أفكّر في لعبة كانت لي عندما كنت طفلة، عبارة عن حفنة حلقات بألوان مختلفة وبلاستيك مجوّف. تُوضَع فوق على طبق في وسطه عصا، بترتيب تنازليّ، والحلقة الكبرى في الأسفل. أو واحدة من تلك اللّوالب الّتي كانت لأبي عندما كانت أمّي شابّة (إنّهما «يسيران» أسفل الدّرج)، تتحرّك دوريس ببطء وثبات: حلقة سيّارة واحدة في كلّ مرّة، في مناسبات قليلة عندما لا تجلس هادئة.

سألتُ سوزي لماذا (دوريس) في السّجن. (سوزي) «عليها حظر الإخبار»، ولكن بغضّ النّظر عن سبب سجنها، كان من المستغرب أن تجد دوريس في العراء أكثر من وراء القضبان. إذا بحثت عن «سجينة» في قاموس قديم من القرن التّاسع عشر، ستجد صورة داكنة اللّون لشخص يشبه دوريس

بشكل مربك، ربّما باستثناء الملابس. دوريس لا تملك زيّ السجن (أوه لا!)، إنّها ترتدي جوارب سميكة ونعالات كروكس، والسّراويل النّاعمة وسترة الصّوف. أكثر من ذلك لديها سترة المطر العملاقة، مع جيوب بحجم صناديق القمامة، حيث تحتفظ بتبغها وربما بقطط مولودة حديثا ومبللة.

في كلّ مرّة عندما يكون لديّ وقت استراحة مع دوريس، أتخيّل قصصًا جديدة حول ما قد فعلته، إذ أصبح تحدّيًا لي أن أحاول دائمًا أن أخترع جريمة جديدة؛ لأنّه ليس من السّهل معرفة ذلك؛ فدوريس أكبر من أن تكون في الحجز لقتلها طفلها حديث الولادة؛ إنّها تبدو أسمن من أن تقتل زوجها (إلّا إذا كانت قد جلست عليه بكلّ ثقلها)، وأنا لا أستطيع أن أتخيّل من يريد أن يشارك دوريس مثل هذه الفعلة، أو أنّ هناك شخصًا ما في العالم قد اهتمّت به دوريس بما فيه الكفاية حتّى أرادت أن تجلس عليه. دوريس أقبح امرأة رأيتها في حياتي.

إنّ أوّل شيء فكّرت فيه عندما بدأ سمير في مدرستنا كم كان جميلًا. إذا سألت أيّ شخص سيقول إنّ هذا ليس الشّيء المهمّ فيه؛ لأنّ الجميع يجب أن يتظاهروا دائمًا بأنّ من يتمتعون بالجمال لديهم سمات داخليّة خاصّة بكونهم أذكياء وطيّبين وظرفاء، ولكن بالتّأكيد كان هذا هو مورد سمير الرّئيس. والأهمّ من ذلك حتّى تعليقاته الذّكيّة وعلاماته الفائقة والالتزام السّياسيّ والأشياء الّتي استطاع فعلها، والّتي لم تكن للآخرين في سنّه أيّ فكرة عنها، كلّها لا يطيقها سوى صاحب هذه البشرة الزّبدية والعيون البنيّة الدّاكنة، المائلة إلى السّواد مثل رموش الدّمية الطّويلة بشكل مثير للسّخرية.

شعرت بأنّ عينيّ أصبحتا بلا لون مثل مياه الأمطار عندما نظر إليّ. تفوح من سمير رائحة القطران والملح. لقد كان أجمل رجل رأيته في حياتي، كيف يمكن أن يكون ذلك غير مهمّ؟!

دوريس بشرتها رماديّة شاحبة مثل دودة الأرض، ولها رائحة مثل رائحة كلب مبلّل. لفّقتُ لها في نهاية الأسبوع الماضي تهمة أنّها تدير بيت دعارة مع مومسات مستضعفات، اختطفن من عائلاتهنّ في البلدان الشّرقيّة الفقيرة. تخيّلت كيف تجلس وتدخّن سجائرها الرّماديّة البنّيّة بالقرب من هاتف من الطّراز القديم من باكليت وسلك ومفتاح لولبي، تلقّت عبره طلبات لممارسة الجنس المهينة، وتركت تأدية هذه المهمّة لاحقًا لإحدى عاملاتها الحشّاشات الّتي كانت تشتغل في هذه المهنة منذ اثني عشر عامًا. وكانت تعتمد في عملها على نصف دزّينة من العبيد ذوي رائحة الفم الكريهة واللّحى المرقّطة. لقد كان أحد عبيدها، حسب ظنّي، هو من اتّصل بالشّرطة وأبلغ عنها عندما لم تدفع إليه أجره. اليوم أنا أكثر وعيًا بأنّها أدّت أعمال المحاسبة لأحد أمراء المخدّرات (ترفض أن تشهد ضدّه؛ لأنّه سيقتلها لاحقًا)، أو ربّما أنّها قد طبخت المتفجّرات لابنها الأصغر (وهو عامل منجم وجهه مليء بحَبّ الشّباب، ويعمل للمافيا الرّوسيّة).

ربّما تتحدّث السّويديّة بطلاقة، وتتظاهر بتشغيل هذا الفيلم الصّامت، وهي في الواقع ولدت هنا، ربّما أرادت أن تكون ممثّلة مسرحيّة عندما كانت صغيرة، ولكنّها لم تدخل إلى مدرسة المسرح بسبب قبح شكلها، فبدأت تسكر وتنحطّ، وبعد بضع سنوات بدأت تتسلّم الأطفال بالتّبنّي؛ لأنّها كسبت من ورائه أجورًا مجزية. ربّما كان أحد أطفالها بالتّبنّي الّذين يعانون سوء التّغذية قد أكل الكثير من سلطة الملفوف ومربّى لينجونبيري في مقصف المدرسة إلى درجة أنّ الشّبل اضطرّ إلى الذّهاب إلى المستشفى. وأجري له فحص طبّيّ فتبيّن إهمال دوريس إيّاه وهذا هو السّبب في أنّها تجلس في ساحة الرّاحة الخاصّة بي وترفض أن تقول كلمة واحدة.

ليس لديَّ ما أفعله طوال النّهار سوى تخيّل مثل هذه الأشياء. دوريس هي

ضمن حملة مكافحة التّدخين الأكثر فعاليّة الّتي تعرّضت لها. كانت أمّي تقول دائمًا عندما كنت طفلة وكنت أعاني صعوبةَ النّوم: «تخيّلي مكانًا تشعرين فيه بالأمان». أغلقت عينيّ وتظاهرت بفعل ما قالته، ولكنّني لم أفعل قطّ. الآن أفعل، في كلّ وقت. لقد جعلت عطلة نهاية الأسبوع في السّجن من الوقت ساعة في رأسك. التّروس الصّدئة الّتي في الدّماغ، ميكرو ميلّيمتر واحد في كلّ مرّة. أحيانًا أفكّر فيما هو عادة ما أفكّر فيه في أماكن أخرى حيث لا يوجد أحد آخر.

أختلق المحلّ الّذي تشعر فيه بالأمان. شواطئ وبحار ومجالات رحبة، وفضاءات، وغروب الشّمس، والرّياح. وأحيانًا أفكّر في الغابة. أن أمشي حافية القدمين على الطّحالب على الرّغم من أنّه الخريف، وأشواك شجرات التّنوب توخز، ويلتصق الطّين بين أصابع قدميّ. أنا لا أكره السّجن. فهو عزلة مثاليّة. لا يمكنك أن تكون شخصًا آخر، ولكن في بعض الأحيان تسمح لنفسك بأن تصبح شخصًا آخر. حتّى لو لم يدم هذا الشّعور الجميل إلّا بضع ثوانٍ ربّما (حزام تشعر بجماله لثوان قبل أن تحكم شدّه عليك)، ولكنّي في ذلك الحين شعرت قليلًا بالرّاحة.

أتظاهر بأنّني أمشي على الشّاطئ، على سبيل المثال، لا لأنّني كنت على الشّاطئ وحدي؛ فمن السّهل تخيّل شاطئ طويل بقواقع رماديّة ورمال بيضاء وأعشاب بحريّة وأخشاب منجرفة. أتخيّل أنّني أمشي هناك، وتنحسر الأمواج، الرّمال ثقيلة كالإسفلت ومدمجة عندما يحدث الجزر في البحر. بعيدًا في الأفق، تتناطح الأمواج. والصّخور حول الخليج سوداء، والزّبد الأبيض يشكّل دوّامات حولها، سوداء ترتفع عدّة أمتار وتنفجر في السّماء. تحدث صوتًا وتطلق رائحة البحر حتّى عندما يكون البحر لا يزال هادئًا فإنّه يتحرّك في كلّ مكان. وأعلم أنّه يبدو نوعًا ما مثل فيلم حيث الممثل (رايان

جوسلينج) يسير يدًا بيد على الشّاطئ مع عروس انحدر شعرها على وجهها، وأنا أكره مثل هذه الأفلام، ولكنّني على الرّغم من ذلك أحبّ التّفكير في ذلك المكان، حتّى لو كان خاليًا من النّاس.

كلّ الأماكن الّتي أتخيّلها فارغة. وبمجرد أن أفكّر في إنسان، سرعان ما يعود إمّا سمير، وإمّا سيباستيان، وإمّا أماندا، فدماغي يجبرني على التّفكير بهم. ولا أستطيع تدبير ذلك، حينذاك لا تفيد طريقة أمّي.

وعدا فواصل الاستراحة مع دوريس، أبقى معزولة. «من أجل سلامتي»، ولكنّني أعرف أنّ هذا هو ما يقولونه. أنا لست في زنزانة منفردة لكي أشعر بالأمان، بل لكي يشعر كلّ شخص خارج السّجن بالأمان مع العلم أنّني محبوسة بإحكام. ولكن على الرّغم من ذلك. على الرّغم من التّلف نتيجة الرّطوبة فوق مغسلتي المصنوعة من الحديد (تنحني إلى الخارج مثل بطن سمكة). على الرّغم من أنّهم يعطونني الحبوب المنوّمة (أشعر بلساني وكأنّه فأر في فمي عندما أستيقظ). على الرّغم من الرّائحة الموجودة. أنا لن أعتاد رائحةً، فإنّها مثل أحد الألوان الأساسيّة، لا تتغيّر أبدًا وتذكّرني ـ إلى حدّ ما ـ بروائح الطّعام من مقصف المدرسة (مزيج بين المطبخ الكبير وأحذية رياضيّة تفوح منها رائحة العرق).

وعلى الرّغم من كلّ شيء، أنا سعيدة لكوني وحيدة في السّجن. أستطيع التّفكير في البحر والشّاطئ والغابة، كلّ الكليشيهات الأكثر إثارة للشّفقة.

كلّ أضداد هذا المكان. لا أظنّ أنّني سأشعر بالأمان في الغابة، أو على الشاطئ أو في المنزل، ولكنّني أشعر بالأمان قليلًا، وأنا محاصرة وأفكّر في مثل هذه الأماكن.

هناك أفكار ممنوعة أيضًا، غير تلك المتعلّقة بأماندا وسمير وسيباستيان.

ممنوع: في المنزل، والطّريق إلى الماء، والذّهاب بالدّرّاجة إلى إيكودن مع لينا وهي جالسة، والسّباحة في برج القفز في حديقة باراك ودا، والمشي حافية القدمين، وإبعاد النّمل عن قدمي لينا، الشّواء على جزيرة سايكلنيكل والقراءة بصوت عالٍ على أريكة ولينا في حضني، والجلوس على درج المطبخ مع بطّانيّة كشمير أمّي على ساقي، نشرب الشّاي، يد لينا تفوح منها رائحة العرق عندما أصل إلى فصل مخيف، مصباح طاولة سريري الّذي يطنّ عندما يكون يضاء لمدَّةٍ من الوقت، فيلم رعب مع لينا، أصابع لزجة مع الفشار السّاخن مع الزّبدة، لينا الّتي تتناول كعكة التّفّاح وتحاول عدم لعق فمها، لينا الّتي تقرص عينيها وفمها وتعبس عندما أدهن خدّيها بكريم واقٍ من الشّمس. أفكار ممنوعة مقارنة بأخرى: لينا. أغمض عينيك، تخيّل مكانًا، أيّ مكان، سوى مكان ليست لينا فيه.

عندما تُنْهَى المحاكمة وأدان، سأضطرّ إلى الانتقال من الحجز. لم أسأل ساندر، ولكنّه قال لي على أيّ حال إنّه (إذا تجدّد هذا الوضع) سيطالب بالحكم عليّ بالسّجن في رعاية الأحداث، ونقلي إلى مكان ما مخصص للشّباب. ولكن يمكن لهذا الأمر أن «يصبح صعبًا» لأنّني سأبلغ الثّامنة عشرة قريبًا. سألت ساندر إذا كان بإمكاني البقاء في السّجن، ولكنّه لم يحسب أنّني كنت أعني ما أقول. إلّا أنّني كنت جادّة فيما قلت.

إذا كنت مريضة لبضعة أيّام، فستطول مدَّة مرضي قبل أن أنتقل من هنا. وأينما نقلوني، فلن أبقى معزولة بعد الآن. يظنّ ساندر والجميع أنّ أسوأ شيء في مركز الاحتجاز هو الحبس الانفراديّ، لا أعرف كيف سأُدبّر حالي من دونه. سيكون هناك الكثير من النّاس حولي، سيتحدّثون معي، يلمسونني، يطرحون الأسئلة عليّ، يجلسون بجانبي على مائدة العشاء، يطالبونني بإجابات. هل سأحتاج إلى رؤية لينا؟ ربّما. أرفض تخيّل ذلك.

الجلسة الرّئيسة في القضيّة بـاء 147 66
الادعاء العام في مواجهة ماريا نوربـيرغ

جلسات المحاكمة - الأسبوع الثاني، الاثنين

25

إنّها تمطر في الطّريق إلى المحكمة. زجاج النّافذة الّذي أنظر خلاله إلى الخارج يصبح مخطّطًا بخطوط مائلة من المياه. ساندر يجلس في المقعد الخلفيّ معي، التقى بي في الحجز ليتمكن من «مراجعة بعض الأمور» في الطّريق إلى جلسة الاستماع.

«هل نمت جيّدًا؟» سأل. أومأت برأسي. عندما كنت طفلة، ظننت أنّه لو راودك كابوس، وجب أن تحكيه لكيلا يصدّق. وإذا أخبرت عن ذلك الحلم الفظيع بصوت عالٍ، أصبح غير واقعيّ. كأنّه سقط من إطار ما يمكن أن يحدث في الواقع. تقول القصص إنّ السّحر ينفجر في الشّمس. وأظنّه يعني أنك إن فضحت هذا الشّيء الرّهيب، وكشفته، فإنّه يتوقّف عن كونه كذلك. ولكن في الواقع، مع أشياء مثيرة للاشمئزاز حقًّا، يكون العكس. الكثير من أشعّة الشّمس و«الحقائق» و«التّحدّث» و«قل ما تشعر به» و«هل تجرؤ على مناقشة مشاكلك» أمور تجعل النّاس يرون أيّ وحش أنت. مشاعرك القبيحة واضحة مثل الثّآليل المشعّرة. وتعمي الشّمس أحيانًا أولئك الّذين ينظرون إلى المارد الخرافيّ. وبعد ذلك قد يجعل كلّ الضّوء، واللّمعان، من الوحش أجمل كائن في العالم. كانت هذه هي الحال مع سيباستيان. كانت أضواؤه قويّة إلى درجة لم يكن سهلًا رؤيته سوى أنّه كان ابن كلايس فاجرمان، مدبّر الحفلات، الرجل المرِح. ولم يمكن تمييزه ممّا كان في

الحقيقة. لقد توقّفت عن الظَّنّ بأنّني أستطيع تجنّب الكوارث عن طريق إلباسها الكلمات.

من الواضح أنّ الأمور تحدث بغضّ النّظر عمّا أقول. والأسوأ أنَّ الأشياء لا تتأثّر بالصّراخ، والخرافات، والإحصاءات، والاحتمالات. لذلك أقول لساندر: «شكرا». ماذا سيفعل لأنّني أنام نومًا مريحًا؟ «لا بأس»، ثمّ أعود إلى النّظر خلال النّافذة. تنساب النسائم من خلال نظام تكييف الهواء في السّيّارة. الجوّ حارّ جدًّا، ولكنّني لا أقول أيّ شيء. كنت من قبل أحكي عن تخيّلاتي، أحلامي، ما تظاهرت به وتوهّمته. كنت أروي والجميع يستمعون. أبي كان يسحبني إلى حضنه ويقول إنّه يحبّ «مخيّلتي الحيّة» عندما أصبحت أكبر من أن أجلس في الأحضان، تغيّر الأمر.

ثم بدأ يشعر بالاشمئزاز عندما أخبرته عن أشياء عجيبة فكّرت بها. كان يحب إذا علّقت على ما قاله شخص آخر بالفعل، وإذا جعلته ملغزًا وغرائبيًا شيئًا ما. حينذاك كان يستمع. في بعض الأحيان كان يضحك. وإذا تماديت، ظنّ أنّني سخيفة، ثمّ حاول أن يبدو وكأنّه لم يكن يستمع حتّى. لقد فعل كلّ ما بوسعه ليظهر أنّه لم يكن مهتمًّا أدنى اهتمام. كان عليَّ أن أهمس من دون لحن حتّى لا يطلب منّي أن أهدأ.

(خذي الأمور بسهولة، مايا)، لكنَّ هذا لم يكن أبي فقط، بل سيباستيان أيضًا، كان هو سمير بالطّريقة نفسها. سمير بعد أن تضاجعنا صار يردد أكثر من سيباستيان (خذي الأمور بسهولة، مايا. ما الّذي تتحمّسين له؟)، كلّ الرّجال هكذا عندما يكون المرء مستلقيًا. كلّ فتاة تعرف ذلك. الفتيات لا يجب أن يضحكن من نكاتهنّ. لا يتحدّثن بسرعة، أو الأسوأ من ذلك: بصوت عالٍ. الفتاة الّتي تتحدّث بصوت عالٍ جدًّا عن الأشياء الّتي ابتدعتها بنفسها قد

تبدأ بالتّبوّل في الأماكن العامّة، وتكشف عن ثدييها خارج مبنى البرلمان. هورمونات حيضيّة مراهقة، أنثويّة.

كان أبي يحبّ مخيّلتي من النّاحية النّظريّة. وفي الواقع، كان خائفًا منها. والآن يكاد يكون وحده يعرف هذا الأمر. إنّ مخيّلتي هي جزء ممّا يحسبون أنّني عليه، شهادة على الخطر والانفلات. لذا، أنا لا أتحدّث عن كوابيسي أو ما أخاف منه. لقد توقّفت عن التّفكير في أنّ هذا سيجعل الشّرّ ينسحب بعيدا. لا تساعد الخرافة على مواجهة الواقع. ويصاب الموسوسون بأمراض فتّاكة في كثيرٍ من الأحيان مثل أيّ شخص آخر. نصل إلى المحكمة. ونركن السّيّارة. نخرج من السّيّارة. ندخل المصعد للذّهاب إلى أعلى.

سألت: «ماذا كنت تريد أن تناقش؟»، وعندئذٍ فقط أدركت أنّنا كنّا صامتين طوال الرّحلة. ساندر يتجاهل الأمر. للحظة، ظننت أنّه سيربّت على خدّي، كما كان يمكن لجدي أن يفعل. «أنت على ما يرام، مايا»، قال. «على ما يرام»، ساندر يستمع لي دائمًا. وحتّى عندما أكون هادئة. تبدو قاعة المحكمة أكثر قتامة من المعتاد. ليس لأنّ النّوافذ عادة ما تسمح لكثير من ضوء النّهار بالدّخول، بل لأنّنا اليوم تلفنا رغوة رماديّة، ورطبة حتّى في الأماكن المغلقة. والهواء جافّ، يبدو قائظًا حتّى قبل أن نبدأ.

بقي لدينا ما يقرب من أسبوعين من المحاكمة أشعر كأنّهما أبديّتان. لقد فهمت الأمر. ابدأ في السّاعة العاشرة، التّوقّف عند السّاعة الرّابعة، أيّام الجمعة في وقت أبكر قليلًا إن أمكن. عندما أخبرني (ساندر) بالجدول الزّمنيّ، لم يبدُ الأمر وكأنّه سيكون أيّامًا طويلة أكثر من المعتاد، ولكنّني لم أدرك مدى التّعب القاتل من الملل. لم أدرك أنّ المحاكمة الخاصّة بي قد تكون مملّة إلى هذا الحدّ.

أوراق المدّعية العامّة، قبل قراءة المحاضر والاستمارات، والتّقارير والإفادات (سوف «نعود» إليها عندما يحين الوقت تدرّجًا في نهاية المطاف للشّهود لقراءة الورقة اللّعينة نفسها)، والمزيد من المحاضر. المزيد من التّصريحات. لقد أمضينا أكثر من نصف الأسبوع الماضي نستمع إلى المدّعية العامّة وهي تراجع ما سنعود إليه، لن ينتهي هذا أبدًا. المحاكمة مثل كابوس حيث تبحث باستمرار عن شيء، ولكنّك تنسى ما هو.

أو عندما تحاول الصّراخ في الحلم ولا يمكنك ذلك، ليس هناك أي صوت يخرج من حلقك. هو حلم مخيف، سوف تتعرق شاعرا بالتوتر، ومع ذلك فأنت تعرف أنّ كلّ شيء يذهب إلى الجحيم، وليس هناك شيء يمكنك القيام به لمنعه. اليوم ساندر سيؤدّي مهمّته (سيقدّم أوراقه اللّعينة الّتي سيعود إليها في وقت لاحق).

أن يقوم بطرح قضيّة يعني أنّه سيحكي قصّتي، ولكنّه قال أيضًا «إنّنا سنضع الأساس لسبب ظنّنا بأنّه يجب أن يحكم عليك بالتّبرئة». لم يقل ساندر قطّ «سيكون الأمر على ما يرام»، إنّه لا يكذب عليّ. وقد قالت فرديناند: «لا تقلقي» بضع مرّات، ولكنّها لا تكاد تبذل جهدًا في محاولة لتبدو وكأنّها تعني ذلك. وبما أنّ ما أشعر به لا يمكن تفسيره على أنّه مثير للقلق، فأنا أهمل الرّدّ عليها. ما يقوله (البانكيك) لا يهمّني.

شغّل رئيس المحكمة مكبّر الصّوت لديه في السّاعة العاشرة إلّا عشر دقائق. بدا يمخّط. وتثاءب أحد القضاة من دون أن يغطّي فمه بيده. ولم يجلس أيّ من القضاة مستقيم الظّهر بهذه الطّريقة كما فعلوا في اليومين الأوّلين. نحن على وشك البدء وهم بالفعل أكثر مللًا من الحارس عند الباب.. ولا يضيء هنا سوى صفّ أسنان (ساندرز) بسطوع. إنّه بخير، يحسب أنّني

أعتني بنفسي. بمجرّد أن يشقّ الرّئيس طريقه من خلال الكلمات الافتتاحيّة (بموجب هذا دعا إلى جلسة الاستماع الرّئيسة في القضيّة B 147 66...) ـ يتمتم بعدم اهتمام، من طراز «باسم الأب والابن والرّوح القدس»، أو «كما هي الحال في السّماء وكذلك على الأرض» ـ فجاء الآن دور ساندرز للكلام.

و«طبقًا للمدّعية العامّة، فإنّ مايا نوربيرغ مدانة بالقتل والتّحريض على القتل والمساعدة والتّحريض على القتل ومحاولة القتل». أشكّ في أنّ هذه الصّحبة تحتاج إلى تذكير بذلك، ولكن يبدو أنّ ساندر يظنّ أنّها مقدّمة لزجة. «مايا نوربيرغ ترفض تحميلها المسؤوليّة»، ويتابع، والآن حان دوره للتّمتمة، إنّه يتمتم ما هزّ بالفعل في البيان الافتتاحيّ حول موقفي من المطالبات الرّئيسة والمطالبات البديلة، ويصبح على الفور مملًّا، أريد أن أغادر من هنا.

ولكنّه بعد ذلك زاد من إبطاء الوتيرة الرّتيبة، وعليك أن تبذل جهدًا للاستماع. «تدّعي المدّعية العامّة أنّ مايا نوربيرغ قد حرّضت على قتل كلايس فاجرمان وأنّها خطّطت ونفّذت الجرائم المعنيّة في مدرسة يورهولم الثّانويّة العامّة...»، حالة ساندر التّصويت مجمّدة. صوت يقول: هذا ـ أمر ـ سخيف ـ ما ـ تدّعيه ـ المدّعية العامّة ـ يدّعي ـ وغير معقول ـ ومستحيل. الصّوت يقول إنّ كلّ ما قالته (لينا) القبيحة منافٍ للعقل إلى درجة أنّ (ساندر) لا يستطيع حتّى أن يكرّره كالتزام على الإطلاق. ويختتم بلمحة من التّنهّد. «مايا نوربيرغ تنفي ذلك». ينظر ساندر إلى الجانب الآخر. عضو هيئة المحلّفين المتعب يتثاءب مرّة أخرى، وهذه المرّة يلتفت جانبًا. ويواصل ساندر. «إنّ وصف المدّعية العامّة الجريمةَ يشمل...»، وأتساءل عمّا إذا حان دوره للتّثاؤب»، وصفًا... كيف أعبّر عن نفسي؟

إنّها قاتلة متميّزة على أقلّ تقدير «المدّعية العامّة تتصرّف بخجلٍ. لا تبدو

نعسانة. بل منزعجة انزعاجًا واضحًا، وتحدّق بالرّئيس في محاولة للحصول على اهتمامه. ساندر يستمتع بالكلمات، يبدو مسرورًا، يرفع رأسه، كما لو كان يفكر اللحظة في أمر جديد. «صورة المدّعية العامّة عن مايا بكونها مرتكبة للجريمة هي صورة متميّزة. فريدة من نوعها». أحاول أن أبدو عكس فريدة من نوعها. غير متميّزة.

عادي. أريد أن أُري الجميع كم أنا عاديّة. فريدة من نوعها؟ لماذا يقول ذلك؟ أليس هذا أمرًا جيّدًا؟ هل صورة المدّعيّة العامّة عنّي جيّدة؟ يجعل ساندر الأمر يبدو وكأنّه الطّاعون الدّبلي (أو، نعم، القتل الجماعيّ). لكن لا أحد ينظر إليّ. الجميع يحدّقون في ساندر، إنّهم خائفون من فقدان مقطع كلمة واحد. «هل مايا هي كما قيل؟» لا أظنّ. الجملة عبارة عن جلدة. «هل (مايا) حقًّا كما تدّعي المدّعية العامّة؟» الآن المدّعية العامّة تخدّش بكرسيّها الأرض ولا تكاد تستطيع الجلوس ساكنة، إنّها منزعجة جدًّا.

ترك ساندر السّؤال معلّقًا في الهواء. لا يتحدّث ساندر عن وضعي المتميّز، أنّني من يورهولم، وأنّني «محظوظة بشكل فريد»، بعيدة عن الواقع معزولة، وكلّ ما تحدّثت عنه المدّعية العامّة. سؤال (ساندر) الخطابيّ يدور حول ما إذا كنت شرّيرة بشكل فريد. إحصائيًّا، تقف معظم الأشياء ضدّي. بالفعل حتّى الجنس الّذي أنتمي إليه يجعل من غير المحتمل أن أذهب إلى المدرسة، وأبدأ في سحق النّاس. بالتّأكيد، كان هناك بعض مطلقي النّار في المدارس من الإناث، ولكنّهن في الحقيقة لسنّ كثيرات. سيباستيان، من ناحية أخرى، هو الّذي كان طوال حياته فريدًا من نوعه، في كلّ شيء ما عدا أن يكون مطلق النّار في المدرسة فريدًا من نوعه.

من أغنياء السويد، صحيح كلّيًّا؛ رجل أبيض لديه مشاكل نفسيّة، ومشاكل

في المدرسة ومدمن المخدّرات، ووالداه منفصلان واعتاد استخدام البنادق. كان لدى ساندر عند طرحه القضيّة تصريح من طبيب نفسيّ. سيُستدعى الطّبيب النّفسيّ كشاهد. قال الطّبيب النّفسيّ: «مايا، لم تدفع سيباستيان إلى الجنون». «لقد جنّ جنونه من تلقاء نفسه»، ومع ذلك، فإنّه ليس من السّهل وضعي في النّموذج. «مايا ليست من نوع مطلقي النّار المدرسيّة»، يجب أن يشير خبيرنا إلى ذلك. إحصائيًّا، هذه وجهة نظر (ساندرز)، يجب أن أكون بريئة. المشكلة الوحيدة هي أنّه ليس كلّ القتلة نموذجيّين.

وفي حالات نادرة كان فيها مطلق النّار في المدرسة امرأة، وشاركت صديقها في إطلاق النّار. ولكنّ ساندر لا يقول أيّ شيء عن ذلك. ومع ذلك، يقال إنّ المدّعية العامّة لديها مجموعة من الخبراء على استعداد للتّذكير بذلك تمامًا. وقد أصبح الآن لدى المدّعية العامّة ما يكفيها. لقد ضغطت مكبّر الصّوت وفمها تكوّم على شكل خوخة. لا يجب على المحامي (ساندر) لأسباب زمنيّة إن لم يكن لشيء آخر، أن يركّز على طرح قضيّته ويحفظ هذا من أجل المرافعة الّتي يقدّمها».

القاضي يهزّ رأسه. كما أنّه يبدو غاضبًا. أكثر على لينا القبيحة ممّا على ساندر. لا يحب القاضي أن يقال له كيف يتعامل مع محاكمته. المحامي ساندر على علم تامّ بتخطيطنا والمدّة الّتي يجب يخصّصها له. ينظر إلى (ساندر) «أليس كذلك؟» يومئ ساندر ويواصل، إنّه منشّط بشكل ملحوظ. «إنّ وصف المدّعية العامّة للجريمة قصّة لا تضاهى. لقد كان العالم كلّه مفتونًا بسيباستيان ومايا: عاشقان في السّويد لا يتوقّع أحد تورّطهما في جريمة قتل. وقد جرت مساعدة المدّعية العامّة في كتابة قصّتها، على الأقلّ من قبل الصّحفيّين الّذين تمكّنوا على مدى الأشهر التّسعة الماضية من معرفة كيف أقنعت مايا نوربيرغ، آسف، تلاعبت بصديقها الضّعيف في القوّة والفعل

ليقوم بهذا الانتقام الدّمويّ من النّاس في محيطهم المطلق. تتنهّد المدّعية العامّة بصوتٍ عالٍ حيث سمع الجميع صوت تنهيدتها.

«لم تقل هذا أبدًا»، تقول التّنهيدة. ولكنّها، ربّما ليست على حقّ، ولكنَّ الجميع يعرف ما تعنيه. يرفع القاضي يده على مضض راسمًا بها حركة دائريّة في اتّجاه ساندر. ادخل في الموضوع، تقول يده. العجوز الشّمطاء مزعجة، ولكنّ لديها ميزة، تقول اليد أيضًا. يجب أن تعود إلى هذا لاحقًا. أنظرُ إلى أسفل الطّاولة. أعرف ما يفعله ساندر. ولكنّه يتحدّث عنّا، أنا و (سيباستيان)، «نحن نعرف التّاريخ الآن. كان مايا وسيباستيان شابّين يعانيان العديدَ من المشاكل: المخدّرات والكحول، المدرسة وعلاقتهما ببعضهما، وعلاقاتهما بالوالدين والأصدقاء.

تحاول المدّعية العامّة أن تظهر أنّ مايا كانت تسعى بلا حدود إلى الحصول على تأكيد أنّها كانت تشعر بكراهية غير معقولة للأشخاص المحيطين بها وبسيباستيان، وأنّها تريد الانتقام، وأنّ سيباستيان كان ضعيفًا، وأنّه شعر بالتّهديد والتّشكيك، وأنّ مايا كانت نقطة حياته الثّابتة الوحيدة، وأنّه كان معها يسعى إلى الحصول على استقرار. «تنحنحت المدّعية العامّة مرّة أخرى بصوتٍ أعلى هذه المرّة. ساندر يواصل الحديث براحة. وقال «لقد سمعنا المدّعية العامّة تقدّم وصفًا للأحداث الّتي سبقت مقتل كلايس فاجرمان والمأساة الّتي وقعت في مدرسة يورهولم الثّانويّة العامّة. مايا تقبل الكثير من هذا الوصف. تنهّد ساندر مرّة أخرى تنهيدة تكاد تكون غير محسوسة.

«مع بعض الفروق القاطعة. «ينظر ساندر إلى أسفل في أوراقه؛ إنّه صامت ويتصفّح لمدّة من الوقت. إنّه لا يحتاج إلى الأوراق سوى لكي يعطينا الوقت للتّفكير. يريدنا أن نكون متلهّفين لسماع التّالي. وعندما يدرك الرّئيس أنّ

بداية خطاب ساندرز قد انتهت، فإنّه يمتدّ نحو حزمة وريقاته. أنا حقًّا أحبّ ذلك عنه، أن يسجّل الملاحظات ويستمع. في بعض الأحيان، عندما يظنّ أنّ لينا بيرسون تتحدّث بسرعة كبيرة جدًّا، على سبيل المثال، حينذاك يرفع يده علامة وقف لجعلها تبطئ.

ذات مرّة، عندما عرضت لينا بيرسون الرّسالة النّصّيّة القصيرة الّتي أرسلتها إلى سيباستيان في اللّيلة السّابقة، طلب منها أن تسكت في حين كان يسجّل المؤشّرات الزّمنيّة. حتّى إنّه قال «ششششت...»، على الرّغم من أنّه ربّما كان من طريق الصدفة. «للحظة»، قال، بعد ذلك مباشرة. (لينا بيرسون) كانت صامتة. أراد القاضي تسجيل كلّ المؤشّرات الزّمنيّة على ورقته الخاصّة به، على الرّغم من أنّه كان لديه بالفعل جميع الأوراق، وعلى الرّغم من أنّ لينا بيرسون أدارت قولها التّربويّ للقراءة بصوتٍ عالٍ، وعرض على الشّاشة الكبيرة في الوقت نفسه. يعجبني أنّه يأخذ كلّ شيء على محمل الجدّ ولا يثق بأنّ كلّ ما تقوله بيرسون صحيح. ساندر لا يزال مستمرًّا. هذا هدف بارز بشكل استثنائيّ. كلّنا سمعنا رواية المدّعية العامّة.

لقد كانت تنقلها إلى وسائل الإعلام ومن دون قلق لمدّة طويلة جدًّا. وأرى الآن أنّ الوقت مناسب لنا لاتّخاذ خطوة إلى الوراء. الآن فقط تستطيع (مايا) أن تحكي ما يخصّها عن القضيّة. استمع إليها، رجاء. بعقل منفتح. وحاول أيضًا أن تتذكّر أنّه لا يمكننا تلخيص ما نعرفه بالفعل إلّا بعد أن نراجع جميع الأدلّة ونستمع إلى جميع الشّهود. ما هي الحقائق وما هي التّكهّنات؟ ولن نتمكّن من مقارنة الوقائع الّتي لدينا في القضيّة بما يخبرنا به ماجا إلّا بعد انتهاء جلسات المحاكمة. تنجح المدّعية العامّة في أدائها بإصدار صوت يذكّرنا بمن يشيح بعينيه.

لا تتحدّث معنا بشأن غبائنا، يقول الصّوت. (ساندر) أومأ إلى (فرديناند)، تنهض وتقف قرب مكتب خارج الخدمة مع جهاز كمبيوتر. هناك تلتقط أداة تشبه قلم رصاص وترتبط بشاشتين كبيرتين في الصّالة. ويمكنها استخدامها في الإشارة إلى الصّور مع نقطة ليزر حمراء. رجل اللّيزر، على ما أظنّ، وأشعر بضحكة تصعد في حلقي، فجأة مثل تجشّؤ حمضي. في اللّحظة الأخيرة تمكّنتُ من تحويل الضّحك إلى سعالٍ وتنقّر فرديناند فوق فيلم مراقبة من مسار سيباستيان. مؤشّر الوقت مرئيّ في أحد أركان الشّاشة. ليس هناك صوت تمّ تشغيله. «إذًا... ما هذا الّذي نعرفه؟» يتساءل ساندر. «لنبدأ بالتّسلسل الزّمنيّ. أعلمتنا (مايا) أنّها غادرت منزل (فاجرمان) بعد الثّالثة صباحًا بقليل في اليوم المعنيّ. وتبيّن الموادّ الّتي تمّ الحصول عليها من كاميرات فاجرمان للمراقبة أنّ هذا صحيح. وغادرت مايا المنزل في السّاعة 3:20 صباحًا. وقد أبلغتنا أنّها عادت قبل السّاعة الثّامنة من صباح ذلك اليوم، كما أكّدتها الموادّ المصورة.

لقد تهيّأ. أومأ إلى فرديناند، فنقرت لاستخراج نسخة مطبوعة من نصّ استجواب أحد حرّاس أمن كلاييس. «وفقًا لمقابلات مع حارس أمن فاجرمان، أنّ لديه آخر اتّصال، من طريق هاتف البوّابة المجهّز بكاميرا، مع كلايس فاجرمان بعد مغادرة مايا المنزل في السّاعة 3.20 صباحًا. ما هي النّتيجة الّتي يمكن أن نستخلصها من هذا؟ كان كلايس فاجرمان على قيد الحياة عندما غادرت مايا». فرديناند تنقر مرّة أخرى فيلم المراقبة وتتيح للنّقطة الحمراء أن ترقص على الشّاشة الكبيرة. «لنفعلها مجدّدًا. تظهر كاميرات المراقبة من مدخل منزل فاجرمان كيف أنّ مايا نوربيرغ تركت مسكن فاجرمان في السّاعة الثّالثة وعشرين دقيقة صباحًا، ومن ثمّ عادت إلى مكان الحادث في السّاعة 7:44 صباحًا». يتنحنح ساندر ويتيح لمسلسل الصّور أن يلفّ بوضوح.

لقد قصّوا لقطات المراقبة. نشاهد أوّلًا لقطة خروجي من الباب الخارجيّ لسيباستيان نزولًا على دربه ثمّ عندما أعود مرّة أخرى. ترسم فرديناند دوائر بقلم اللّيزر حول مؤشّرات التّوقيت. بعد ذلك تظهر فرديناند تقرير تشريح الجثّة على الشّاشة.

«وفقًا لبيان الطّبّ الشّرعيّ، مات كلايس فاجرمان قبل ساعات قليلة من عودة مايا إلى المنزل قبل السّاعة الثّامنة. وتشير التّقديرات إلى أنّ كلايس فاجرمان قتل بالرّصاص في حوالي السّاعة الخامسة من صباح يوم الجمعة. وإنّ ملاحظات الطّبيب الشّرعيّ في مكان الحادث وفحص الطّبّ الشّرعيّ اللّاحق تدعم هذا المؤشّر الزّمنيّ. وكما يظهر التّحقيق أنّه عندما قتل كلايس فاجرمان بالرّصاص، فإنّ مايا نوربيرغ لم تكن موجودة. وذكرت مايا أنّها كانت في منزلها، على بعد أكثر من كيلومتر واحد من منزل فاجرمان، بين السّاعة الرّابعة والنّصف والثّامنة تقريبًا صباحًا. وهذا التّصريح لا يؤكّده حارس الأمن الّذي كان يعمل عند مدخل منزل فاجرمان في أثناء اللّيل المعنيّ فحسب، بل هي أيضًا رواية والدي مايا. «أستطيع أن أرى في زاوية عيني كيف تهزّ المدّعية العامّة رأسها. إنّها تحسب أنّ هذا أيضًا غير ضروريّ، وهي تريد أن تظهر ظنها: ينبغي لساندر أن يصل إلى هذه النّقطة».

لكن لم يكن واضحًا ما أخبرتني به. والأصعب كان فهم ما تعنيه. «ولذلك يمكننا التّأكّد من ثبوت أن كلايس فاجرمان توفّي خلال مدّة لم تكن فيها مايا في المنزل». ويتّسق هذا أيضًا مع وصف المدّعية العامّة للجريمة. وإنّ رئيسي ليس لديه اعتراض على هذه الأجزاء. «أظنّ للحظة أنّ ساندر لن يقول أيّ شيء عن الرّسائل النّصّيّة. سيتظاهر وكأنّها غير موجودة. ولكن بالطّبع لا يمكنه فعل ذلك «ماذا يحدث إن كانت مايا في بيت والديها أو في طريقها إلى

أومن فيلا فاجرمان؟ وفي هذا الجزء، يتحوّل وصف المدّعية العامّة الجريمةَ من شرح ما نعرفه إلى مجرّد تكهّنات».

نقر فرديناند في اللّحظة نفسها عندما شرحت المدّعية العامّة قبل ليلة الرّسائل النّصّيّة المتبادلة بيني وبين سيباستيان. أبدأ على الفور في التّجمّد. تتقلّص فروة رأسي. حدث الشّيء نفسه عندما قرأت لينا الرّسائل النّصّيّة في الأسبوع الماضي. لا أريد رؤية تلك الرّسائل مجدّدًا على الإطلاق. ساندر يتيح للصّورة أن تسطع وهو يواصل الكلام. «تتضمّن رواية المدّعية العامّة عن مجريات الأحداث عددًا من الادّعاءات الّتي تعترض عليها مايا. لكن أوّلًا دعني أذكّرك بسرعة بما تعترف به (مايا). لقد أخبرت في أثناء الاستجواب أنّ (كلايس فاجرمان) بدأ جدالًا عنيفًا مع ابنه، واستمرّ الشّجار بينهما إلى أن غادر الشّباب الّذين كانوا في المنزل للاحتفال. بعد أن ذهبت مايا وسيباستيان في نزهة مشتركة، يعودان إلى المنزل حيث يستأنف الشّجار بين سيباستيان ووالده.

سيباستيان وكلايس لا يزالان يتشاجران عندما تغادر مايا المنزل للعودة إلى منزلها والنوم. حتّى الآن لا يوجد شيء للاعتراض عليه. «الحفلة. أشعر بالغثيان وأنا أفكّر في الأمر. عندما ألقى كلايس بدينيس، ولابي، وأماندا وجميع الآخرين خارجًا، ساد الفيلا الصّمت. ظننت أنّ ذلك كان لطيفًا في البداية. ثمّ بدأ (كلايس) بالصّراخ. ليس فقط على سيباستيان، كان يصرخ في وجهي أيضًا. كان علينا المغادرة. كنّا في الخارج نسير لبعض الوقت. كنت خائفة. أخافني والد (سيباستيان). وبينما كان يجلس في غرفة عمله، يتحدّث إلى النّاس الّذين يتقاضون أجرًا لجعل حياته أسهل، كانوا لا يكادون ينظرون إليه مباشرة من دون أن يبهرهم بكلّ تفوّقه وتميّزه. ولكن مثل والد (سيباستيان)، كان شخصًا آخر. عندما عدنا، كان (كلايس) يرتدي الرّوب الصّباحيّ، ينتظرنا في المطبخ ولم تكن لديه حتّى صحيفة يمسك بها.

لا أكاد أستطيع التّعرّف إليه. لقد فقد كلّ الأصباغ. كان يبدو غير مزدان، على الرّغم من أنّه لم يكن يبدو مزيّنًا من قبل في أيّ مرّة، حتّى عندما ظهر على شاشة التّلفزيون. قبل ساعة فقط، عندما طرد (كلايس) الجميع، شعر بأنّه عملاق، أكبر ممّا كان عليه، ولكن الآن بعد أن ذهب الجميع إلى المنزل وصرخ بوضوح، ودمّر كلّ شيء، أصبح أقصر وأقبح. كلّ الفطنة التّجاريّة أُلغِيت. ولم يترك على طاولة المطبخ سوى رجل عجوز شاحب في رداء الحمّام، سمكة رعب تسبح دائريّة في ماء أسود، سمكة بيضاء عمياء في قاع بحيرة عميقة. عاش والد سيباستان على حيوانات الماء السّمراء وذات الخليّة الواحدة. كان هذا جليًّا. لذلك لا أظنّ أنّني كرهت (كلايس فاجرمان) أكثر ممّا كرهته في ذلك الوقت بالضّبط. و«لكن» لقد رفع (ساندر) سبّابة طويلة ومتبرّجة باعتناء.

نحن ننتظر وجهة نظره. نحن ننتظره ليشرح ما لا أتّفق فيه مع المدّعية العامّة في غضون ذلك، أرى نقطة حمراء، نوعًا من الزّواحف على الشّاشة وتعلّق على رسالتي الأولى. أخمدت فرديناند مؤشّر اللّيزر، إنّها بطريق الخطأ نقطة تنتهي هناك. رسالتي النّصيّة الأولى. يمكننا أن ننهيها من دونها. أنت لا تحتاجين إليها. والدك مقرف أنا لا أقرأ الباقي. كتبت الكثير في تلك اللّيلة. يمكن أيّ شخص قراءتها. أنظر إلى أسفل على الطّاولة. يمكن للآخرين أن يقرأوا: إنّه يستحقّ الموت.

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الثاني، الاثنين

26

«عندما عادت (مايا) إلى منزل (فاجرمان) في صباح اليوم التّالي، أرسلت إلى (سيباستيان) تسع رسائل عبر الهاتف المحمول. أرسل سيباستيان ثلاثة ردود واتّصل بمايا مرّتين. فماذا يقول الشّابّان أحدهما للآخر؟ قالت المدّعية العامّة إنّ التّخطيط نفسه قد جرى في أثناء المكالمات ما بينهما. تستمرّ المكالمة الأولى مدّة دقيقتين وخمس وأربعين ثانية، وستجري بعد وقت قصير من مغادرة مايا منزلَ سيباستيان، وقبل أن يكون لديها الوقت للعودة إلى المنزل. والثّانية جرت قبل أن تغادر منزلها للعودة إلى سيباستيان. هذه المكالمة تستمرّ أقلّ من دقيقة».

نظر ساندر إلى فرديناند. وقد التقطت مؤشّر اللّيزر مرّة أخرى ووجهته إلى قائمة الهاتف حيث جرى تناول مكالمتين.

النّقطة الحمراء ترتجف قليلًا. كيف يمكن أيّ شخص أن يفهم لماذا كتبت ما كتبت؟ كم كان (كلايس) مقرفًا. إنّ أسوأ شيء لم يكن قد تهربه ممّا كان يجب أن يفعله، وممّا كان يجب أن يقوله لسيباستيان، أسوأ شيء كان ما فعله وقاله في الواقع.

سيباستيان لم يرد أن يرى هذا الجانب منه من قبل. لقد كان يعشق والده. كان الشّخص الوحيد الّذي يتطلّع إليه. لكن في اللّيلة الأخيرة، كان على

(سيباستيان) أن يرى ما أعرفه بالفعل. لقد بدا متعبًا أكثر من أن يكون غاضبًا عندما غادرت. لقد أرهقه الشّجار والمشي وما قلناه. ظننت أنّه سيذهب للنّوم. هل كنت غاضبة؟ لا أعلم، لا أعلم، لا أعرف.

لم تعد لمشاعري أهمّيّة منذ وقت طويل جدًّا، الشّيء الرّئيس كان سيباستيان. عندما كتب لي الرّسالة النّصّيّة الأولى «ماذا سأفعل؟»، أردت أن أظهر أنّني إلى جانبه، أردت أن أقول إنّني رأيت أيضًا من هو والده، وأنّه سيدبّر حاله من دونه، وأنّ كلّ شيء سيكون على ما يرام. والده لم يستحقّه ولم يكن لديه الحقّ في إذلال (سيباستيان). يمكننا أن نعيش بدونه. أنت لا تحتاج إليه.

أرفض قراءة الكلمات الأخيرة. ولكنّني كتبت لسيباستيان أنّني أحسب أنّ (كلايس) يستحقّ الموت. لقد عنيت ذلك.

لا يقول ساندر أيّ شيء عن ذلك، عن شعوري آنذاك. على الرّغم من أنّني أخبرته بذلك. رفع إصبعه مرّة أخرى، والآن أعلى من قبل، مطالبًا بأن نستمع.

«ماذا تقول قائمة الهاتف هذه؟ أوّلًا، (سيباستيان) و (مايا) تحادثا وتراسلا معًا. نحن لا نعرف ما كانوا يتحدّثون فيه ونحن نعرف محتوى النّصّ، ولكن هل نعرف ما يعنيه ذلك؟».

يرفع إصبعًا أخرى.

«مايا اعترفت بأنّها لم تحبّ كلايس فاجرمان. ظنّت أنّه كان يسيء التّعامل مع دوره الأبويّ. واستندت مايا في هذا الرّأي إلى معاملة كلايس فاجرمان مع ابنهُ. ومع ذلك، لم تتصرّف مايا في أيّ وقت من الأوقات بطريقة توحي بأنّها أقنعت سيباستيان بقتل والده أو أنّ ما قالته ينبغي جعله كافيًا لاستيفاء معايير التّحريض بالمعنى المقصود في القانون.»

ولكنّني أردته أن يموت. كيف سيلتفّ (ساندر) على ذلك؟

«سنناقش ما إذا كانت هناك نيّة، أو ما إذا كان نصّ الرّسالة «يستحقّ الموت»، يعني أنّ مايا أرادت سيباستيان أن يقتل والده، أو على الأقلّ أنها لم تكن تبالي بما إذا كان سيباستيان يمكن أن يفسّره على أنّه دعوة إلى القتل. نحسب أنّ (مايا) ليس لديها نيّة، ولكن هناك سبب أكثر أهمّيّة لعدم احتساب المدّعية العامّة أنَّه قد استوفى معايير التّحريض. سيباستيان أراد قتل والده، ولم يكن من الضّروريّ أن يقتنع من لدن مايا حول هذه النّقطة. وسنعود إلى ذلك».

يحبّ الصّحفيّون هذا. أنا لا أراهم، ولكن أستطيع أن أشعر بهم يميلون بشكل جماعيّ إلى الأمام في كراسيّهم حتّى لا تفوتهم كلمة واحدة. يستمعون بدقّة متناهية إلى كلّ كلمة عن الإمبراطور كلايس فاجرمان، كيف عامل هذا الملياردير الشّرير ابنه كعبدٍ عاصٍ. يحبّون أن يجعل ساندر من كلايس فاجرمان وحشًا، وأن يسمح لهم بدخول منزله لمعرفة جميع تفاصيل تجاهله ابنَهُ، وإحراجه، وإهانته، وطرده من العائلة، وصرفه. كان يجب على الأب الحريص أن يتأكّد أنّ سيباستيان تلقّى الرّعاية والاهتمام، ولكنَّ كلايس فاجرمان بصق عليه بدلًا من ذلك مرارًا وتكرارًا.

لا أستطيع أن أرى الصّحفيّين، ولكنَّ درجة الحرارة في القاعة قد ارتفعت عدّة درجات بسبب حماستهم إثر هذه القصّة الجديدة. يريدون أن يرووها وقد نسوا بالفعل أنّهم قد رووا قصّة أخرى الآن. والآن سوف يدعون قرّاءَهم ومشاهديهم إلى التّعرّف إلى أغنى رجل في السّويد حقيقة، (كلايس فاجرمان)، الملياردير الّذي كان سببًا في أن يرتكب ابنه جريمة القتل الجماعيّ. وحقيقة أنّ هذه القصّة يمكن أن تؤثّر أيضًا في سوق الأوراق الماليّة، وهي مكافأة يصعب على الصّحفيّين التعامل معها؛ إذ يحسبون أنّها شيء رائع.

«دعونا نعود إلى محور الزّمن. ثمّة واقعةٌ لدينا وضوحٌ تامٌّ حولها، وهي أنّه بعد أن كانت مايا داخل منزل فاجرمان لمدة إحدى عشرة دقيقة، يجلس سيباستيان فاجرمان ومايا نوربيرغ في إحدى سيّارات كلايس فاجرمان للذّهاب إلى مدرسة يورهولم الثّانويّة العامّة. لديهما في السّيّارة حقيبتان. وتدّعي المدّعية العامّة أنّ مايا كانت على علم بما كان في الحقيبتين حتّى قبل أن تساعد سيباستيان على وضعهما في السّيّارة. وتقول المدّعية العامّة إنّ مايا علمت بمحتوياتهما مؤخّرًا خلال الدّقائق الإحدى عشرة عندما كانت في منزل فاجرمان في السّاعة الثّامنة صباحًا من اليوم المعنيّ.»

«يخفض يده».

«مايا تنكر ذلك. وأنّ سيباستيان كان سيقول لها ما فعله واعتزم القيام به هو محض تكهّنات من جانب المدّعية العامّة. عندما يذهب سيباستيان ومايا إلى المدرسة، لا تعرف مايا أنّ سيباستيان قتل والده. لم تكن تعرف ما الّذي سيفعله (سيباستيان) في المدرسة. تحسب مايا أنّ سيباستيان لا ينوي النّوم في المنزل في اللّيالي القليلة القادمة، ومن ثمَّ فقد احتاج إلى جلب أغراضه. وافترضت أنّه سينام على متن أحد قوارب العائلة ويأخذ حقائبه إلى هناك بعد المدرسة. هل كان عليها أن تسأل ما محتويات الحقيبتين؟ هل كان عليها أن تكتشف أنّ (سيباستيان) قتل والده؟ وبالرّجوع إلى ما ورد لاحقًا، قالت في مقابلات إنّها تتمنّى لو كانت قد فعلت ذلك. لكن لا يوجد شيء يمكننا لومها عليه. ومن المستحيل أيضًا التّكهّن بما كان سيحدث لو أنّها فعلت ذلك. هل كان سيباستيان سيقتلها هي وحرّاس الأمن ويذهب إلى المدرسة بمفرده؟ ربّما. من المستحيل معرفة ذلك وإلى جانب ذلك، بقدر ما يتعلّق الأمر بلائحة الاتّهام، فهذا غير مثير للاهتمام. لأنّ الشّيء الحاسم هو: لا يمكن المدّعية العامّة أن تثبت أنّ مايا قد خطّطت لأيّ من جرائم القتل مع سيباستيان

فاجرمان، لا يمكن للمدّعية العامّة حتّى أن تظهر أنّ مايا كانت على علم بأنّ سيباستيان فاجرمان لديه تلك الخطط».

اخرج من منزلي. صرخ (كلايس) بينما كان الآخرون لا يزالون هناك. لم أكن الوحيدة ممّن سمعوه. قال ذلك لحارس الأمن أيضًا. *سأمنحه فرصة 24 ساعة، بعدها عليك تغيير القفل. وبعد ذلك، لا يسمح له بدخول المنطقة تحت أيّ ظرف من الظّروف. هل تسمعون ذلك؟ هل تسمعون ما أقوله؟ لا أريد أن أفعل أيّ شيء معه؛ إنّه في السّنّ القانونيّة، وليس لديّ أيّ مسؤوليّة عنه. إنّ عليه أن يخرج، لقد عانيت ما يكفي. وتستطيع الشّرطة طرده إذا لزم الأمر.*

لا يقول ساندر شيئًا حول ذلك الآن. سَيُسْتَمَع إلى حرّاس الأمن في وقت لاحق. سيطلب منهم أن يقدّموا إفادتهم عن ذلك.

ساندر يرفع إصبعه مرة أخرى.

«مايا لم تكن تعرف خطط سيباستيان. لم تساعده على التّحضير أو التّخطيط. كما أنّها لم تساعد سيباستيان على تنفيذ هذه الأعمال، سواء بشكل مباشر أم غير مباشر. وستتسنح لنا الفرصة لمناقشة أوجه القصور في الادّعاء في هذا الإجراء بمزيد من التّفصيل، ولكنّني أودّ أن أذكّركم بالأدلّة الخطّيّة للمدّعية العامّة. هل هناك أيّ شيء في التّحقيق يشير إلى أنّ مايا كانت تعرف أنّ الحقيبتين لم تكونا تحتويان أمتعة سيباستيان، وأنّها كانت على علم بوجود أسلحة ومتفجّرات فيهما؟ الإجابة هي لا.»

تنقر فرديناند ملفّ بروتوكول سبق للمدّعية العامّة أن تحدّثت عنه، ولكن الآن حان دورنا لإظهار الورقة نفسها.

«جميع الأسلحة النّاريّة في التّحقيق مملوكة لكلايس فاجرمان وقد تمّ

تخزينها ـ قبل الهجمات ـ في خزانة بنادق مجهّزة برمز الأمان. مايا لم تكن على علم بهذا الرّمز. الحقيبتان تعود ملكيّتهما إلى سيباستيان فاجرمان. ولم تساعد على حزم هاتين الحقيبتين، أو على التّحضيرات بأيّ طريقة أخرى. سنعود إلى التّحقيق التّقنيّ ونظهر أنّ هذا يدعم أيضًا قصّة مايا.»

أحسب صادقة أنّ رواية ساندر بدأت تفقد اتّساقها، ولكن يبدو أنّ الرّئيس يستمع ولا يبدو أنّ القضاة الآخرين سينعسون. ساندر يروي كيف ذهبنا بالسّيّارة إلى المدرسة. وكم استغرق الأمر. أين ركنا السّيّارة. تنقر فرديناند جهاز الكمبيوتر الخاصّ بها وتشير بقلم اللّيزر الخاصّ بها. يتصفّح البانكيك وثائقه. وبين الحين والآخر يسلّم ساندر ورقة.

أفاد ساندر أنّه عندما وصلنا إلى خزانتي وضع سيباستيان الحقيبتين. لقد كانت فيها تلك القنبلة.

لقد سئلت ثلاثًا وستّين مرّةً على الأقلّ لماذا تركته يضعها هناك؟ ولماذا قلت تفضّل؟ من فضلك، مثل: ضع قنبلتك في خزانتي. تتساءل المدّعية العامّة، تماما كما فعلت الشّرطة عندما استجوبتني، لماذا لم أخبر سيباستيان بضرورة أن يترك الأشياء في السّيّارة؟ لماذا تؤخذ حمولته إلى المدرسة إذا كان مقصدها القارب؟

كنت أحاول أن أشرح لأكون صادقة. لأنَّ الحقيقة هي أنَّ (سيباستيان) ربّما لم يسألني حتّى إن كان بإمكانه ترك الحقيبة هناك، لقد فعلها ولم يسألني. لم يكن عليّ أن أقول: نعم؛ لأنّني لم أكن سأقول: لا أبدًا.

وإذا لم تجدي أنّه من الغريب أنّه وضع حقيبة واحدة هناك، لماذا لم تظنّي أنّه من الأفضل وضعهما معا؟ لماذا لم تجدي أن سحب حقيبة مليئة إلى الفصل أمر غريب؟

الحقيبة الأخرى لم يكن لها مكان يناسبها. لم يستطع وضع الاثنتين هناك، لماذا خزانتي وليس خزانته؟ سيباستيان لم يكن معه مفتاح خزانته. لم يكن لديه قطّ. لا أحسب حتّى إن كان لديه المفتاح، على الأقلّ لم أره يستخدم خزانته الخاصّة؛ إذا كان بحاجة إلى خزانة، استخدم خزانتي. كما استخدم كتبي وأقلامي وأوراقي في المناسبات النّادرة الّتي كان يهتمّ فيها. ولم يكن غريبًا أن يحضر سيباستيان الحقيبة الأخرى إلى الفصل بدلا من تركها.

عندما انتهى (ساندر) من الحديث عن خزانتي والحقائب، نظر إلى (فرديناند) وانتظر تنقلها إلى صور أخرى. رسم تخطيطيّ للفصل الدّراسيّ. شعرت بالغثيان. أردت أن أضع يدي على أذني، ولكنّني أعرف أنّني لا أستطيع. يجب أن أستمع. يجب أن أبدو وكأنني أستطيع تجاوز هذا.

«إنّ مسار الأحداث المضبوط في الفصل الدّراسيّ غير واضح. ولكن وفقًا لما استطاعت مايا تذكّره، يبدو إلى حدّ كبير على النّحو التّالي. داخل الفصل الدّراسيّ، يضع سيباستيان فاجرمان الحقيبة الّتي معه على أحد المقاعد في الجزء الخلفيّ من الفصل الدّراسيّ.»

فرديناند تشير بالنّقطة الحمراء.

«مباشرة بعد دخول فاجرمان إلى الفصل الدّراسيّ، يفتح الحقيبة وينتقي السّلاح رقم 1، وهو سلاح صيد شبه آليّ مسجّل باسم كلايس فاجرمان. سلاح من نوع ريمنجتن عيار 308 دبليو. مايا تقف خلف فاجرمان عندما يطلق النّار. السّلاح ذو رقم 1 محمّل بمخزن قياسيّ يحتوي أربع رصاصات. فاجرمان يطلق طلقتين أصابتا... فرديناند تدع شعاع اللّيزر يشير إلى موقع دينيس، إنّه خبير برقم 1. ثمّ يُفرغ فاجرمان المخزن قبل إعادة تحميل سلاحه بمخزن قياسيّ جديد وإطلاق رصاصة أخرى». تشير فرديناند إلى موضعي كريستر

وسمير. وقال لم يتخلّ عن البندقية ويستغرق منه ما يقدّر بثانية لإعادة شحنه. وما يتعلّق بإطلاق فاجرمان هذه الطّلقات، تلتقط مايا نوربيرغ السّلاح ذا رقم 2. هذا السّلاح مسجّل أيضًا باسم (كلايس فاجرمان). وهو مرئيّ تمامًا في الحقيبة المفتوحة. هذا السّلاح هو من طراز السّلاح ذي رقم 1 نفسه، ويجري تحميله أيضًا مع مخزن قياسيّ مع أربع طلقات. وهناك أيضًا رصاصة واحدة. فرديناند تتيح لشعاع اللّيزر الإشارة إلى النّقطة الّتي تميّز حيث وقفت أماندا عندما أصيبت، ومن ثمّ فهي تسمح للنّقطة بأن تحطّ على رقم سيباستيان. تنقر جهاز الكمبيوتر الخاصّ بها، والصّورة تبيّن كيف تنتقل أرقام سيباستيان وأماندا وأنا (ليس لديّ رقم، ولكن حلقة).

«يرجّح أن يكون السّلاح غير آمن عندما تلتقطه مايا وتبحث عن مكان ستتمكّن فيه من تأمين السّلاح، تطلق النّار أوّلًا ـ عن طريق الخطأ ـ ثمّ تطلق رصاصة أخرى. وبعد بضع ثوانٍ، أفرغت المخزن. تنقر فرديناند النّقرات لإظهار مواضع جديدة على الرّسم بواسطة الشّيء الّذي تحمله في يدها. النّقرات والأرقام تتحرّك واحدًا تلو الآخر إلى أن تصبح ساكنة، وتجعلني أفكّر في ذلك الشّكل الورقيّ الّذي اعتاد الجدّ أن يرسمه لي عندما كنت طفلة. جدّي رسم ذات مرّة رجلًا عجوزًا شنق نفسه على الجانب الأخير، كان ميتًا. جدّتي كانت غاضبة «عندما ينتهي إطلاق النار، تنتظر مايا الشّرطة والطّاقم الطّبّيّ. عندما يصلون، يتمّ نزع سلاح مايا من دون مقاومة».

هناك الكثير من الصّور الّتي التقطت داخل الفصل الدّراسيّ بعد نقل الجثث من هناك. ولكنّ ساندر لا يعرضها. الرّسومات والتّخطيطات فقط مع النّقاط والأرقام والخطوط المنقّطة. لا دماء.

«لقد وصلنا الآن إلى جوهر وصف المدّعية العامّة الجريمةَ». ساندر ينظر

إليّ من الجانب «ولذلك، تجادل المدّعية العامّة بأنّ مايا وسيباستيان خطّطا معًا لإطلاق النّار على جميع الحاضرين، ولتفجير العبوّة النّاسفة المؤقّتة في خزانة مايا، والانتهاء بإطلاق النّار على نفسيهما. وتعني المدّعية العامّة أنّه عندما تطلق مايا الطّلقات الأولى بالسّلاح ذي الرّقم 2، فإنّها تفعل ذلك بنيّة قتل أماندا. وتدّعي المدّعية العامّة أنّ مايا تقتل أماندا عمدًا وأنّها تقتل سيباستيان في وضع لا يمكن توصيفه بأنّه دفاع عن النّفس».

ساندر يتوقّف مرّة أخرى. لا أحد يتثاءب بعد الآن. تعود الظّهور المستقيمة مرّة أخرى. القضاة ينظرون إليّ عندما يتوقّف (ساندر) عن الكلام. أمسح عيني بظهر يدي وأنظر بدوري إليهم. يعطيني البانكيك منديلًا ورقيًّا، مسحت به عرقي ثم كورته... ساندر يتحدّث بصوت منخفض مرّة أخرى. «مايا تنفي مسؤوليّتها. مايا لم تخطّط لهذا مع فاجرمان. عندما تأتي إلى فاجرمان للذّهاب معه إلى المدرسة، لم تكن تعرف أنّ كلايس فاجرمان قد مات. ولم تكن على علم بذلك أيضًا. إنّها لا تعرف ما تحتويه الحقائب.

لا يمكننا التّكهّن إلّا بما حدث بين الأب والابن فاجرمان خلال المدّة الّتي كانت فيها مايا في المنزل مع والديها. ربّما كانت المعركة هي الّتي فاقمت الوضع بطريقة قرّر فيها (سيباستيان) إطلاق النّار على والده؟ ربّما كان قد خطّط لما كان يفعله من قبل؟ ولكن خلال هذه المحاكمة، لا ينبغي لنا أن نتكهّن بدوافع سيباستيان فاجرمان وأفعاله. المهمّة الوحيدة للمحكمة هي تحديد دور مايا. عندما بدأت إطلاق النّار، صدمت مايا.

عندما تلتقط واحدًا من الأسلحة الّتي كان فاجرمان قد جلبها إلى الفصل الدّراسيّ، كان لحماية حياتها وحياة الآخرين، ولوقف فاجرمان. يسرع في إطلاق النّار على ضحاياه الثّلاثة. بسرعة كبيرة. مايا هي مطلقة النّار أعلاه،

وقالت إنّها مرغوبة كذلك. عندما تطلق النّار في البداية، تصاب أماندا، ولكنّها لم تكن هدف مايا. لم تعرف مايا كيف يعمل السّلاح الّذي تجده في الحقيبة، وقد أوضحت في أثناء التّحقيق أنّ الطّلقة الأولى أطلقت في أثناء محاولتها العثور على الفتيل (صمّام الأمان). وعندما انفجر السّلاح، كانت خائفة فأطلقت النّار، مرّة أخرى من طريق الخطأ، وطلقة أخرى.

عندها فقط تمكّنت من السّيطرة شيئًا ما على سلاحها، وعندما أطلقت النّار مرّة أخرى أصابت فاجرمان. وطوال هذه المدّة، كانت مايا في وضع طارئ بوضوح. الطّريقة الوحيدة لحماية حياتها هي أن تتناول سلاحًا من الأسلحة الّتي جلبها فاجرمان إلى الفصل الدّراسيّ واستخدامه للدّفاع عن نفسها. و«الآن ساندر ينهض. لم يعد يستطيع الجلوس ساكنًا، فيمشي تجاه فرديناند ويأخذ قلم اللّيزر منها، ويتيح للشّعاع الأحمر بالدّوار على الرّسم، ولكنّه لا يشير إلى أيّ شيء خاصّ. «هل يظهر التّحقيق أنّ (مايا) خطّطت لهذا مع (سيباستيان)؟ لا. هل يظهر أنّ (مايا) كانت على علم بخطط (سيباستيان)؟ لا. هل ستتمكّن المدّعية العامّة من إثبات أنّ (مايا) كانت تنوي قتل (أماندا)؟ لا. الإجابات عن كلّ هذه الأسئلة واضحة: لا، لم يتمّ إثبات لائحة الاتّهام على أساس أيّ من هذه النّقاط. هل تقتل (مايا) (سيباستيان) دفاعًا عن النّفس؟ بالطّبع. للمرّة الثّانية، أغلقت المدّعية العامّة مكبّر الصّوت الخاصّ بها. وهي تبدو الآن غاضبة إلى حدّ اللّعنة.

في الواقع يجب أن أحتجّ. هل من المستكثر علينا حقًّا أن نطلب من المحامي التّمسّك بعرض القضيّة؟ هل يمكن المحامي العودة إلى هذه الدّعوى الدّفاعيّة في بيانه الختاميّ؟»، يومئ الرّئيس على مضض. «المحامي ساندر؟» ساندر يلتفت نحوي. يرفع يده بحدّة والنّقطة الحمراء تظهر على كتفي (على الشّاشة...). أنا أنفض كتفي. يبدو ساندر غاضبًا.

هو لا يهتمّ أقلّ اهتمام بأنّ القاضي والمدّعية العامّة يحسبان أنّه يجب أن يغيّر مساره. سيضطرّون إلى طرده ليضعوا حدًّا له. يبدو أنّه لم يعد يتحدّث إلى القضاة «رجاء، اشرح لي كيف مايا... مراهقة، مصدومة، مهدّدة بالموت... كيف يمكنها أن تفعل شيئًا آخر؟». ساندر يخفض يده مرّة أخرى، ويتلفّت إلى اللجنة، «أستطيع التنفس». «أرجوكم، اشرحوا لي ما كنتم ستفعلونه لو كنتم في مكانها» اشرحوا لي، لطفًا، كيف يمكنكم لومها على هذا؟». لقد كانت المدّعية العامّة صاخبة للغاية ومهمومة بمكبّر الصّوت الشّغّال. القاضي يومئ مرّة أخرى، أكثر حزمًا هذه المرّة. «نحن بحاجة إلى المضيّ قدمًا، المحامي ساندر. المحامي لديه بعض الأدلّة المكتوبة الّتي تحتاج إلى مراجعة، صحيح؟»، ساندر يتحوّل إلى فرديناند. إنّه يهزّ كتفيه، ويعيد إليها مرّة أخرى قلم اللّيزر ويعود إلى مقعده. وبمجرّد أن يجلس، يستعيد صوته لهجته الجافّة المعتادة. وقال «لدينا بعض الأدلّة المكتوبة الّتي نعتمد عليها. نعم». يعضّ شفته. مثال نموذجيّ على روح الدّعابة لدى ساندر.

قدّم كيلوغرامات من أوراق الأدلّة الخطّيّة. وقد التقطت فرديناند كومة من المجلّدات السّميكة على منضدة المدّعية العامّة. يحصل كلّ قاضٍ على مجلّد. الرّئيس يحصل على مجلّده أوّلًا. وأخيرًا، تضع فرديناند أربعة ملفّات على طاولة المدّعية العامّة. بالإضافة إلى بيان الطّبيب النّفسيّ لسيباستيان، يوجد ما جرى القيام به بعد وقت قصير ممّا حدث في اليوم الثّاني من رأس السّنة، من ملاحق للتحقيق الشّخصيّ وجميع النّسخ من إجراءات التّحقيق الإضافيّة الّتي كلّف ساندر معاونيه تنفيذها. ولم يثق بأيّ تحليل من تحليلات للمدّعية العامّة، ولكنّه أمر بإجراء تحقيقات خاصّة به بشأن الأسلحة ومسرح الجريمة. حتّى إنّه أكمل إعادة تمثيل الحادث في المدرسة. وقد أجرى

(ساندر) تحقيقًا موازيًا كاملًا تقريبًا. سيذكّر المحكمة بكلّ قطعة ورق، ورقة بعد ورقة بعد ورقة.

سنعود إلى معظمها. سيكون الغداء وسيكون العشاء وسرعان ما يسود ملل قاتل مرّة أخرى. كانت السّاعة تشير إلى الرّابعة والخمس وعشرين دقيقة عندما شرب (ساندر) الكمّيّة المتبقيّة من الماء لديه، وأزاح جانبًا آخر ورقة له. يرفع القاضي يده ويكتب بشكل محموم في دفتر ملاحظاته. ساندر يسمح له بإنهاء الكتابة. ثمّ يضع يديه أمامه، كفّاه ممدودتان، نظرته موجّهة إلى الأمام مباشرة. «أحيانا نقول عن أهداف مهملة بشكل خاصّ إنّ الكلمات تقف ضدّ الكلمات. هنا هو أسهل شيء. ويظهر التّحقيق الفنّيّ أنّ سيباستيان حزم حقائبه، وتعامل مع الأسلحة والمتفجّرات بمفرده، ساندر ينظر إليّ من الجانب. وفجأة ظننت أنّه سيمسك بيدي ويضعها على ركبتيّ، نظرت إلى رئيس المحكمة. ينظر إليّ مباشرة في عينيّ عندما ينتهي (ساندر). «لقد أطلقت مايا نوربيرغ النّار من بندقية في فصلها الدّراسيّ. لقد فعلت ذلك لإنقاذ حياتها. ولكن الآن حان دورنا. والآن علينا أن ننقذ مايا».

مكتبة
t.me/soramnqraa

جلسات المحاكمة - الأسبوع الثاني، الاثنين

27

ساد الهدوء. صمت يصمّ الآذان. تقريبًا كما هو الحال في الكنيسة عندما يكون شخص ما قد أنشد منفردًا أغنية رائعة ولا يمكنك التصفيق لها. يعرف عن ساندر كونه أفضل محامٍ جنائيّ في السّويد. ربّما الآن فقط أدركت أنّ الإشاعة صحيحة. إنّه يجيد سرد الأحداث، ولكنّني لم أدرك كم هو جيّد في الإقناع. أمّا البانكيك فهو واثق أكثر ممّا ينبغي، في كلّ وقت، وربّما هذا هو السّبب في عدم السّماح له بالتّحدّث هنا في المحكمة، على الرّغم من أنّ الكثيرين من الناس يحسبون أنّ هذا ما يفعله المرء: إذا قدّمت نفسك إلى الآخرين واثقًا من نفسك 100 في المئة، يكفي ذلك لكسب النّاس. في الواقع، لا أحد يؤمن بهذا النّوع من الثّقة بالنّفس. وينبغي للسّياسيّين أن يتعلّموا أنّنا ننتظر صدور أحكام تنتهي بعلامات استفهام. وأنّنا نتوق إلى شخص لا يفهم كلّ شيء، ولكنّه يقدّم اقتراحات. لست متأكّدة إن جاز ذلك، ولكنّي أريد أن أحاول.

يدع ساندر الجميع يتابعون شكوكه الخاصّة، في كلّ خطوة على الطّريق. وعندما يقول: «سألنا أنفسنا السّؤال، هل يمكن أن يكون هذا صحيحًا حقًّا؟»؛ يأخذ الجميع الفضول. عندما يقول «قررنا التّحقيق في الأمر بأنفسنا»، حينذاك يحسب الجميع، على الرّغم من أنّهم قالوا في وقت سابق إن إعادة مهمّة الشّرطة مضيعة للوقت والمال؛ فإنّها فكرة رائعة للغاية. وعندما يخبرنا

أنّ «النّتيجة فاجأتنا» و«حقّقنا تقدّمًا»، حينها يستمع الجميع. وحتّى لو كانوا متأكّدين أنّه كان مخطئًا، لا يسعهم إلّا أن يخفضوا حذرهم ويفكّروا، ربّما... ربّما لديه وجهة نظر بعد كلّ شيء. الآن، المزاج في قاعة المحكمة مختلف عمّا كان عليه هذا الصّباح.

الصّحفيّون خلفي منهمكون في الكتابة حول هذا الانعطاف الجديد إلى درجة أنّك تظنّ أنّهم نسوا النّسخة السّابقة، على الرّغم من أنّهم من قام باختلاقها. ينظر الرّئيس إليّ، لقد نظر إليّ عدّة مرّات اليوم، على الرّغم من أن ذلك غير ضروري. لم يفعل ذلك من قبل ولم تعد أهمّيّة كبيرة، على ما أحسب، لكتابتي تلك الرّسالة النّصّيّة إلى سيباستيان. إنّها المرّة الأولى الّتي أظنّ أنّه قد لا يكون دليلًا كافيًا لهم على أنّني كنت أحمل الحقيبة، وأنّهم عثروا على القنبلة في خزانتي. قد لا يكون كافيًا القول إنّه من الواضح أنّك أردت تفجير المدرسة بأكملها. لديّ الوقت للتّفكير في كلّ هذا. لديَّ الوقت لأحسب أنَّ المزاج المتغيّر يعني أنّ الموجودين هنا قد غيّروا رأيهم فيّ أيضًا، وأنّهم ربّما غيّروا رأيهم فيما أكون. أُفضّل أن أموت. يجب أن يمحى وجوده. إنّه يستحقّ الموت. هل هناك أشياء يمكنك التّفكير بها من دون الرّغبة في قتل أيّ شخص؟

هل هذه أشياء يمكن أن يقولها المرء؟ يحسب ساندر ذلك. إذ قال: «إنّها ليست جريمة لو قالت واحدة لفتاها إنّك تكره شخصًا ما». يقول إنّه لا يهمّ ما قلتُ لـ(سيباستيان)؛ إذ كان سيقتل والده على أيّ حال، كان سيفعل ما فعله على أيّ حال. كان سيحدث ذلك على أيّ حال، حتّى لو لم أفعل ما فعلته. ربّما هو محقٌّ، استدركتُ. ربّما؟ «ثمّ نشكر الدّفاع لهذا اليوم»، يقول الرّئيس، وبدأ يجمع الأوراق القليلة الّتي أمامه. أنا أنظر إلى الآخرين في لجنة التّحكيم، أولئك الّذين لا يسألون أيّ أسئلة، أولئك الّذين ينظرون إليّ، ولكن

فقط عندما يظنّون أنّني لا ألاحظهم. غدًا، هل ستُقدّم المتّهمة تقريرها؟» أومأ ساندر. أسحب أنفاسي بصعوبة. جاء دوري. والآن حان الوقت. القاضي ينظر إلى ساعة يده «أنهينا عمل اليوم»، يتناول حقيبته ويضع ملاحظاته.

«إذا لم يكن شيئًا آخر. فهمت أنّ هناك مشكلةً في جدولة استجوابات المدّعية، هل هذا صحيح؟ «لينا بيرسون تتنحنح. رئيس المحكمة العليا ينظر إليها. تعدل ظهرها وتومئ بحزم. لا تزال منزعجة، ولكنّ هذا يُذكّرها بأنّ المحاكمة لم تنتهِ بعد. للأسف، هذا يُذكّرني بالشّيء نفسه. أدّى الآن ساندر ما عليه، وغدًا سيأتي دوري لتقديم إفادتي. ولكن إذا شكّ الحاضرون هنا بأنّني القاتلة كما تدّعي المدّعية العامّة، فهذا مؤقّت للغاية. لم يعد هذا أمرًا خاصًّا. تميل لينا بيرسون على مكبّر الصّوت وتنقره. حان الوقت للمدّعية العامّة لكي تحوّل زاوية نظرها مرّة أخرى. هناك شخص واحد يختلف مع ساندر الّذي يريد تذكير الجميع بأنّني قتلت أعزّ أصدقائي. يقول هذا الشّخص إنّني التقطت البندقية في وقت أبكر ممّا أدّعي، وإنّني لم أصوّب على (سيباستيان) على الإطلاق عندما أصبت (أماندا)، ولم يكن ذلك من طريق الخطأ على الإطلاق. بدأت لينا بيرسون الكلام، وقالت «كما أبلغت المحكمة، لا يمكن صاحب القضيّة، كما تعلمون، أن يكون حاضرًا هذا الأسبوع (...)، لذلك، سأبدأ بشهادات الشّهود من واحد إلى أربعة. وقد أخطر الشّهود المعنيّون ووافقوا على تغيير الجدول الزّمنيّ. وقد طلبت لاحقًا من صاحب القضيّة أن يمثل يوم الاثنين في السّاعة العاشرة، وفقًا لتعليمات المحكمة.

أتوقع أنّنا سنحتاج إلى النّهار بأكمله. «في زاوية عيني أرى البانكيك. لا يبدو سعيدًا، ولا يبدو أنّنا سنكسب القضيّة. وفكّرت بما قاله لي أحد حرّاس السّجن مرّة واحدة في البداية، عندما مشينا وحدنا من غرفة الاستجواب إلى زنزانتي: أنت على علم بأنّه لم يكسب أيّ قضايا، هذا الـ(ساندر)؟

إنّهم لا يفعلون ذلك أبدًا، المحامون الشّهيرون. إنّهم يتبنّون قضايا العملاء الخسيسين الّذين يعرف الجميع أنّهم مذنبون؛ لأنّ هؤلاء المحامين الشّهيرين يحبّون القضايا الميؤوس منها. ثمّ يخسرون. ولم يخسر أحد أكثر من ساندر.

يعرف البانكيك هذا، بالطّبع. إنّه يعلم أنّه عندما يتولّى محامٍ نجمٌ قضيَّةً مثل قضيّتي، فهذا ليس الفوز، بل لأنّه يريد أن يُظهِر أنّه مستعدّ للخسارة من أجل المبدأ: لكلّ شخص الحقّ في الدفاع، حتّى أكثرهم خسّة. وإنّ أولئك هنا يحبّون سماع كلام ساندر، ورؤية المحترفين في العمل. ولكنّ هذا لن يمنع ما لا مفرَّ منه. لقد فعلت ما فعلته وهناك شخص كان هناك عندما فعلت ذلك. لديَّ الحقّ في أفضل محامي دفاع في السّويد. ولكن أن أفوز، فليس لديّ الحقّ في ذلك.

يومئ القاضي ويضرب بمطرقته على المنضدة. أشعر بأنّه يضرب بها جبهتي. أنت تستحقّين الموت «لِتَقُلْ هذا». سمير سعيد سيستمع إليه يوم الإثنين الساعة 10:00 صباحًا. إلى اللّقاء غدًا.

سمير وأنا

28

«دبلوم في المرحاض؟» عاد سمير إلى غرفتي ضاحكًا، وتمدَّد على ظهره فوق سريري ووضع يديه خلف رأسه. «هل النّاس حقًّا يفعلون ذلك؟ يعلّقون شهاداتهم في مرحاض الضّيوف ليروا أنّهم درسوا في كلٍّ من كلّيّة التّجارة وإنسياد المعهد الأوربيّ لإدارة الأعمال INSEAD؟»، حاولت الإجابة عن ابتسامته بضحكة غير مكترثة وصعدت لفتح نّافذة مواربة. كان صباح السّبت في الأسبوع السّابق لعيد الميلاد والقائظ هنا في المنزل؛ كان ذلك بعد خمسة أيّام من تقبيل سمير إيّاي للمرّة الأولى، والآن كان قد تأخّر في النّوم عندي وماذا أقول؟ أبي كان سخيفًا أيضًا، ليس هذا بجديدٍ.

كان (سيباستيان) في رحلة صيدٍ في جنوب أفريقيا خلال عطلة نهاية الأسبوع. وكانت أمّي وأبي في لندن. لقد أخذا معهما (لينا). لم يكن أيٌّ منهم سيعود قبل أربعٍ وعشرين ساعةً على الأقلّ. «إنّه شيء مثير للسّخرية، يحسب أبي أنّ مثل هذا شيء مضحك. وفي الواقع، هو فقط يريد أن يتجنّب الاعتراف بأهمّيّة ذلك له». «مرحاض الضّيوف». كان سمير مستمرًّا في ضحكه. «أين علّقت أمّك علاماتها؟ في غرفة الضّيوف؟ لكنّ أمّي لم تكن تظهر هكذا قطّ على الرّغم من أنّها كانت تحصل على درجات أفضل من أبي في المدرسة. ذات مرّة وجدت أوراقهما القديمة في صندوق في العلّيّة. وعندما أخبرت أمّي، لم يسرّها ذلك، عكس ما ظننت، بل بدت منزعجة. «كانت لي درجات

أفضل في الجامعة أيضًا»، وقالت موبّخة «كنت طالبة نموذجية في كلّيّة الحقوق في الفصول الأربعة الأخيرة». كما لو أنّني قلت شيئًا سيّئًا أهانها. والداي كان كلاهما متميّزين، كلّ بطريقته الخاصّة.

عدت إلى السّرير وجلست فوق سمير مفرجة عن رجليّ. «من المهمّ لوالدي أن يثبت أنّه عمل جاهدًا للوصول إلى ما هو عليه. ولكن لا شيء مهمًّا مثلُ التّظاهر بأنّه ليس دعيًّا». سحبني سمير من شعري نحوه وقبّلني، ودفع لسانه بقوّة إلى فمي، عميقًا شيئًا ما. اللّيلة الماضية كانت المرّة الأولى الّتي مكنتنا من حيازة المزيد من الوقت، بما يغنينا عن الإسراع من دون أن يلاحظ أحد ذلك. وفي ستّة أيّام، تضاجعنا خمس مرّات. وخلال الأربع وعشرين ساعة الأخيرة تضاجعنا ثلاث مرّات أخرى. شعرت بالغرابة للذّهاب إلى الفراش والاستيقاظ معه، شعرت بأنّ أصابعه مختلفة، لم أكن قد اعتدت رؤية جسده العاري كلّه في وقت واحد. «هل تحسب أنّنا عملنا بجدٍّ». هزَّ سمير رأسه متسلّيًا. «والدك يريد أن يُظهر أنّه عمل بجدّ للوصول إلى ما هو عليه اليوم؟ ألم يكن يعيش في السّكن الجامعيّ حيث يعيش (لابي) الآن؟»، «نعم، ولكن...» فهمت أين يريد سمير أن يصل بأسئلته هذه، علامته، ولكن هل عليك أن تكون فخورًا بما قمت به، حتّى لو لم تتربَّ في الشّارع، أليس كذلك؟ «أبي لم يذهب إلى هناك لأنَّ الجدَّ والجدَّة كانا غنيّين، كانا يعيشان في الخارج، وكان عليه أن يذهب إلى مدرسة داخليّة».

«أنا أفهم»، تمتم سمير على رقبتي، وضغطني بين فخذيه. «لا بدّ من أنَّ الأمر كان صعبًا جدًّا. الأب المسكين». ضحك مرّة أخرى، ثمّ صمت أخيرًا. بينما سحب سمير قميصي، رأيت صورتنا الضّبابيّة في زجاج نافذتي. وضع يده على بطني، وفمه على صدري وانحنيت إلى الوراء، استلقيت، تركت رأسي وشعري يسقطان على حافّة السّرير للنّظر مباشرة إلى انعكاساتنا.

أحببت كيف كنّا نبدو، وكيف كنت أشعر بسمير، وكيف كانت أطرافه القوية ويداه الكبيرتان عندما لمسني. لم يكن حذرًا ومعتادًا ذلكَ، ولكنّني أردته أن يستمرّ، ويحضنني بقوّة أشدّ، ويتنفّس ملتصقًا بي. كنّا جميلين بشكلٍ لا يصدّق معًا. كان عليَّ أن أقرّر كيف أمارس الجنس. حتّى إنّني اضطررت إلى فعل ذلك. كان سمير يسرّه أخذ المبادرة، وترك كلّ شيء آخر لي، استلقيت على ظهري، جلست فوقه بأطرافي الأربعة. وإذا لم أفعل شيئًا، أنزعج.

«هيا»، كان بإمكانه أن يقول إذا لم أخلع جواربي الطويلة أو سروالي الدّاخليّ أو أفرد ساقيّ أو أيًّا كان ممّا يتطلّبه الأمر لكي يخترقني. إذا قلت له: اخلع سروالي الدّاخليّ، أفرج عن ساقيّ، أولج فيّ، عندها فقط فعل ذلك. بعد ذلك، ذهبت إلى الفراش معه نستلقي بشكلٍ معكوس قدماي تتراصفان مع رأسه وقدماه تتراصفان مع رأسي. نهض بنصفه أمامي وانحنى على وسادتي ولفّ خصلة من شعره الدّاكن حول إصبعه. عندما نظر إليّ، لمدَّة طويلة جدًّا، قام بمصّ بطني ولحسه. يمكننا أن نجيد هذا، أنا وهو، على ما أحسب. عندما انفصلت عن سيباستيان «ماذا ستفعل في عيد الميلاد؟»، لم يجب في البداية وبدلًا من ذلك، أغلق عينيه، وسحبني من جانبي من السّرير وأجبرني على النزول بجانبه، وقبّلني مرّة أخرى. وضعت يدي في شعره السّميك، السّرير لم يكن واسعًا بما يكفي ليناسبنا، شعرت وكأنّني أسقط من الحافّة. ثمّ ومض هاتفي. كان الصّوت صامتًا، ولكن كان من المستحيل تفويت الأضواء.

انحنيت على سمير، ولم أنظر إلى الهاتف، وتجاهلته تمامًا، ورفعت يدي ووضعتها على كتف سمير. «انتقل إلى هناك، لا أستطيع التّأقلم»، انكمش بضع سنتيمترات، ولكنّه نهض، وأنا انزلقت نحوه، تسلّقني صعودًا وهبوطًا على السّرير، أمسك بسرواله الدّاخليّ وارتداه. «يجب أن أدرس»، نظرت

إليه في ذهول. هل اغتاظ لأنّ رسالة نصّيّة وردت إليّ؟ «هل يجب أن تدرس الآن؟»، لم أتّصل بـ(سيباستيان) منذ أن جاء (سمير) إلى هنا. كنت قد أجبت عن رسائله، ولكنّني كنت في الحمّام وأغلقت بابه عندما فعلت. لم أكد أستطيع إلّا أن أردّ على رسائله. لم يستطع سمير أن ينزعج منّي لأنَّ سيباستيان كان يراسلني، لقد شرحت له الوضع، وقال إنّه يفهم. «في أيّام العطلة. سألتني ماذا سأفعل في عيد الميلاد هذا العامّ؟ سأكون في المنزل أدرس». عندما ارتدى سمير سرواله الدّاخليّ، واصل بارتداء قميصه. كان من الجيّد أن أتركه وشأنه «سأستحمّ»، قلت. تركت الهاتف على طاولة السّرير. وكان سمير يستطيع قراءة رسائلي إذا أراد ذلك، لم أهتمّ. كنت سأنفصل عن سيباستيان، بالطّبع كنت سأنفصل، ولكن ليس الآن، لم أستطع أن أقطع علاقتي عبر الهاتف بسهولة، هذا ما يجب على سمير أن يفهمه.

عندما خرجت إلى المطبخ، كان يجلس هناك يشرب القهوة من آلة الإسبريسو الخاصّة بنا، القهوة الّتي أهملها في اللّيلة السّابقة. كان سمير قد تلقّى الكثير من التّعليقات حول الدّيكور. ضوء السّقف. في ذكرى المصنع المهجور، كما أرى. مكان السّكاكين لماذا تشتري السّكاكين الّتي لا يجوز شحذها؟ ماكينة القهوة. هذه الآلة لن تباع في بلد حيث تعرف ما طعم القهوة الحقيقيّة الموقد. هل تطبخ أمّك؟ مبردات النّبيذ. يجب أن يكون لي واحدة منها!

أنت تعرف ماذا يحدث للشّمبانيا إذا تركتها تعاشر الحليب البروليتاريّ. النّتف المغبّرة الّتي وجدها في مخزننا وسكبها في وعاء لا تكاد تروقه. لقد غليت البيض وحمّصت الخبز، والآن يؤلمني رأسي، لم أستطع التّفكير في أيّ شيء لأتحدّث عنه. في الخارج، أشرقت الشّمس لأوّل مرّة منذ عشرة أيّام، ولكنّنا كنّا لا نكاد نستطيع المشي يدًا بيدٍ أو الذّهاب إلى أيّ مكان، أو

الجلوس في مقهى وتشبيك الأصابع أو الذّهاب إلى السّينما والخروج في الظّلام. لقد قابلت دائمًا شخصًا أعرفه عندما أردت الخروج.

«بماذا تفكّر؟»، سألته.

«يجب أن أعود إلى المنزل قريبًا».

«هل أخبرت والديك أين أنت؟».

لقد هزّ كتفيه. وقفت ووضعت أطباقي في غسّالة الصّحون. بقي سمير في مقعده رافعًا يديه حتّى أتمكّن من الوصول إلى فنجان القهوة.

«سأتحدّث مع (سيباستيان). ولكن...».

سمير ضحك بصمت.

«لم أطلب منك أن تفعلي شيئًا».

«أنا أعرف. ولكنّ سيباستيان ليس على ما يرام. إنّه...

توقّفي يا (مايا)، واصلا أنتم بعضُكم مع بعضكم الآخر، في حال سيباستيان الصّغير المسكين... ولكن لا تجرّيني إلى هذا الأمر. لا أشعر بالأسى عليه. إذا كان من الصّعب جدًّا عليه تحمّل العيش في الڤيلا الفاخرة، لماذا لا ينتقل منها؟ إذا لم يستطع الوصول إلى المدرسة، لماذا لا يترك المدرسة؟ حبيبك شخص منحطّ، سواء كان صاحيًا أم ثملًا. لو كنت والده لطردته منذ وقت طويل. ولماذا لديك فكرة أنّ عليك أن تعتني به، وهذا ما لا أفهمه. ابتلعت «إنّه يحتاج»...

«إنّه لا يحتاج إليك يا (مايا). آسف لإحباطك، ولكنه لا يحتاج إلى أيّ شخص على الإطلاق. كلّ شيء قابل للتّبديل لسيباستيان فاجرمان. إنّه لا يهتمّ بأحد ولا حتّى بك»، لم يكن لديّ متّسع من الوقت للرّدّ، ومعرفة ما أقول لسمير ليفهم. بيد أنّ هاتفي بدأ يهتز. خرجت الإشارات بصمت، والهاتف

يزحف فوق مغسلة الصّحون في إثر الاهتزازات. نظرنا إليه حتّى انتهى البريد الصّوتيّ وانطفأ. «هناك حافلة بعد اثنتي عشرة دقيقة». نهض سمير. «أحاول اللّحاق بها».

ترك أنبوب الرّقائق الدّبقة على طاولة المطبخ وخرج إلى القاعة. تبعته. انحنيت إلى أمام وطبعت قبلة على خدّه، وبينما كان يربط حذاءه فتحت الباب، كانت المفاتيح في الدّاخل. عندما فتحت، كانت أماندا واقفة في دربنا تربط درّاجتها. قالت وهي تقف ويداها على جانبيها: «مرحبًا». سمير مرّ من أمامي وأمامها، وسلّم عليها: «أهلًا اهلًا»، قال لأماندا. صوته لم يتحرّك ولم تردّ أماندا. بمجرّد الخروج إلى الشّارع، بدأ سمير يهرول.

«أراك»، صاح. لم يجب أحد منّا.

عندما نظرت إلى أماندا مرّة أخرى، حدّقت هي أيضًا فيّ. عندما تأكّدت أنّني رأيت أنّها فهمت، فتحت الدّرّاجة مرّة أخرى، وسحبتها إلى الشّارع وركبتها وذهبت بعيدًا. لم أستطع اللّحاق بها. كان الجوّ باردًا جدًّا ما يجعل مقاومته بالقمصان والسّراويل الدّاخليّة مستحيلا. لم أكن (بريدجيت جونز) اللّعينة.

عندما توارت أماندا عن الأنظار، عدت إلى المنزل، وأغلقت الباب، وأغلقت الهاتف، وسحبت لحافي من غرفة المعيشة، وتمدَّدت على الأريكة، وشاهدت ثلاث حلقات من «الموتى السّائرون»، وأكلت المعكرونة بالزّبدة والجبن مباشرة من القدر.

انتظرت أربع ساعات. ليس لأنّني لم أكن أعرف أين كانت أماندا، أو لأنّني لم أكن سأفعل أيّ شيء حيال هذا الوضع قبل أن ينفجر، بل لأنّني كنت بحاجة إلى أن أكون وحدي.

كانت الشّمس قد غربت تقريبًا عندما خرجت من الباب الخارجيّ مرّة أخرى. كان الثّلج يتساقط. وبينما كنت أمشي، اتّصلت بـ(سمير). لم يجب، لم يكن هناك ثلج حقيقيّ، فقط البديل الّذي يذكّرك بعدم التّفكير في أنّ الشّتاء جميل. مشيت في الثّلج المخلوط بالوحل وظلام كانون الأوّل/ ديسمبر، تنقّع حذائي وأصبحت النّوافذ ضبابية من الدّاخل بسبب المولّدات المشغّلة وحرارة أجساد الأحصنة وزفيرها. مشيت مباشرة إلى آماندا. كان الباب مفتوحًا على مصراعيه.

«ممكن أن نتكلّم؟».

لم تردّ، فدخلت وجلست بالقرب من رأس (ديفيلين).

وقفت أماندا وأخذت تمشّط ظهر الحصان. وتكشط قبالة الفرشاة بعد كلّ سحبة. لقد كان نظيفًا بالفعل، ولكنَّ (أماندا) لم تستطع التّوقّف الآن. فاضطرّت إلى النّظر إليّ.

ماذا كنت أفعل هنا؟ لماذا شعرت على الفور بأنّه كان عليَّ أن أعلن عن نفسي، لماذا كان من واجبي طمأنة أماندا؟ لم أفعل لها شيئًا. ومع ذلك كنت هنا لأشرح أنّه لم يحدث شيء خطير، وأن لا شيء في حياتها سيتغيّر، وأنّ كلّ شيء كان كما كان دائمًا. وأن أعتذر إليها. علاقتنا بدت هكذا، اعتذرت إليها، سواء أخطأت بحقها أم لا.

وليس العكس أبدًا.

حنى (ديفلين) رأسه وأطلق زفيره السّاخن في شعري. مسّدت ظهره. ربّما مرّت ستّة أشهر منذ آخر مرّة كنت فيها في الإسطبل. سابقًا، كنت أعيش هنا عمليًّا. كان أبي يقول دائمًا إنّه بمجرّد أن «أحبّ الرّجال»، يجب أن أتوقّف عن ركوب الخيل، وكرهت أنّه كان على حقّ. في كلّ مرّة أدخل فيها إلى هنا، أقرّر أن أبدأ ركوب الخيل من جديد. ولكن لم يتسنَّ لي ذلك قطّ.

«أماندا»، حاولتُ. كان من الجيّد إنجاز الأمر.

«لا يمكنك...»، (أماندا) التفتت إليَّ ورفعت يدها تلوّح بمشط الأحصنة. كانت منزعجة جدًّا إلى درجة أنَّ صوتها تهادى.

«لا أعرف بماذا تفكّرين يا (مايا)، لا أعرف ما الّذي تحسبين أن أقوله.

أنت تعرفين كم هذا مقزّز، أليس كذلك؟ أنت تعرفين ما فعلت، أليس كذلك؟ «أومأت برأسي. كان من الجيّد أن نتّفق. ربّما كان من شأن ذلك أن يقصّر العمليّة. «ليس الأمر أنّني لا أعرف أنّ الأمر صعب مع سيبي». بدأتْ البكاء. أماندا كانت مقتنعة أنّ هذا أمر يتعلّق بها. ولكنَّ مايا، إنّه لا يستحقّ هذا. يلاقي صعوبة، يا (مايا). لا يجوز أن تفعلي هذا ضدّه. «إذا قلت مايا مرّة أخرى، سوف أقطع لك، تصوّرت. كان عليّ أن أهدأ لبرهة من الوقت.

عدّي إلى مئة. دعيها تتحدّث من تلقاء نفسها، لم يكن عليَّ أن أستمع، كان عليَّ أن أدعها تتحدّث. ولكنَّها لم تستطع فعل أيّ شيء حيال ما كنت أفكّر به. لم تستطع أن تجعلني أتوقّف عن الصّراخ عليها بأنّها لا تفهم شيئًا. لقد كانت غبيَّة لم تدرك حتّى أنَّ اللَّقب الَّذي أوجدته لسيباستيان جعل رجالنا يبدون مثل اثنين من الشّخصيّات الكرتونيّة. (لابي) و(سيبي) (تود) و(لودي)، ابتلعتُ ذلك. لم أتحمّل (أماندا). لم أستطع التّعامل مع كلّ النّاس الّذين ظنّوا أنّهم يفهمون كيف يكون الأمر عندما أكون مع سيباستيان. كنت معه أنا فقط. لم أرد أن أكون كذلك، ولكنّني كنت كذلك على أيّ حال. ولا أحد يستطيع أن يقول كيف كانت حالي. كانت أماندا دنيئة للغاية. لم أدبّر ذلك. ومع ذلك لم أستطع المقاومة. «إنّني لن... إنّها ليس...»، «وسمير؟ ليس هذا لطيفًا معه أيضًا. هل أنت واقعة في حبّه؟»».

ضحكت بسخرية إلى درجة أنّك كنت ستظنّ أنّنا نتحدّث حول سياسيّ

بلديّ ديمقراطيّ اجتماعيّ سمين يرتدي سروال غاباردين وأطفال سياسيين بالغين. لم لا؟ لماذا لا أستطيع أن أكون عاشقة لسمير؟ أيّ شيء غير محتمل، حقًّا؟ منذ أن صارت مع لابي، تحدّثت أماندا عن سمير مثل مشروع خيريّ خاصّ بها. سمير ذكيّ جدًّا، سمير ظريف جدًّا وذكيّ. وعاقل حقًّا. هل قلت ذكيّ؟ «لا»، هززت رأسي وتحدّثت في الوقت نفسه. «لا، لا»، لم أستطع الشّعور بذلك، ربّما كانت كذبة، ولكنّني لم أستطع الاهتمام. «لا أعرف، لا أعرف، لا أعرف. لقد كان صعبًا يا أماندا. أنا أحبّ سميرًا، إنّه ليس معقّدًا طوال الوقت.

لقد حصلت على ما... أنا و(سيباستيان) لم....»

لم أضطر إلى إنهاء أيّ من عباراتي. كان من الأفضل أن تدع (أماندا) تقول ما ظنّت أنّه الأنسب. في الواقع، يجب أن أبكي أيضًا، لم نستطع البكاء في الوقت نفسه، أماندا كانت تكره مشاركة الاهتمام، ولكن بمجرّد أن تتوقّف عن البكاء، يجب أن أبدأ. لكي تجعلها حقًّا بجانبي، يجب أن أدعها تريحني أيضًا. ولكنّني شككت في أنّني سأنتهي من ذلك.

«وهذا ما حدث. كلّ شيء صعب جدًّا مع سيباستيان وسمير هو...»

(أماندا) نظرت إليّ بغضب. «سأتحدّث إلى سمير»، أكّدت لها. «سأتحدّث مع (سيباستيان) أيضًا، ولكن عليكِ أن تعديني ألّا تقولي شيئًا. لا يمكنك إخبار (لابي) أو (سيباستيان). يجب ألّا يعرف سيباستيان شيئًا. سيجنّ جنونه لو عرف.»

أماندا أومأت برأسها.

بالطّبع، لن أقول شيئًا.

«كنت أتساءل إذا كانت قد أخبرت (لابي) بالفعل».

«حسنًا»، قلت.

«أنا دائمًا أحافظ على أسراري»، قالتها من أنفها غاضبة.

تعلّمي التّحدّث بانتظام، فكّرتُ. أنت تفي بوعودك بألّا تفشي أسرارك. ولكن ما كدت أستطيع أن أشير إلى تلك الأسرار..

«شكرا لك، أماندا»، قلت.

29

في الخارج كان ظلام دامس يعمّ، كان ليلًا في السّاعة الرّابعة بعد الظّهر. مرحبًا بكم في سويد أكتوبر. عندما انتهيت من مواساة أماندا على كلّ ما لم أفعله بها، ابتعدت عن الإسطبل واتّصلت بسمير مرّة أخرى. ولم يجب إلى حدّ ذلك الوقت. اتصلت به أربع مرّات متتالية. أرسلت إليه رسالة نصّيّة. كان على الإنترنت، ولكن عندما ظهرت علامة «تسليم» على رسالتي، انفصل (سمير) عن الإنترنت. لا جواب. عندما وصلت إلى شارع فينديفاغن، رأيت الحافلة قادمة من الميدان. صعدت إليها واتّصلت مرّة أخرى. اشتغل البريد الصّوتيّ.

نحن نحتاج إلى التّحدّث. لم أرد الانتظار حتّى يعود (سيباستيان) إلى المنزل. وإنّ ما كان عليّ فعله، أردت أن أفعله قبل أن يوقفني أحد، قبل أن أغيّر رأيي. وكان سمير قد بدا غاضبًا عندما غادر، حتى قبل وصول أماندا. لم أكن أريد أن نكون على خلاف، لم أكن أريده أن يحسب أنّني أخجل منه، أردته أن يعرف أنّني جادّة.

في عربة مترو الأنفاق، كانت هناك نافذتان مفتوحتان. كان الهواء باردًا جدًّا. ومع ذلك، كانت رائحة ثمالة يوم الجمعة وزحمة التّسوّق لعيد الميلاد تصل إلى الأنوف. بين مركز مدينة بوربي وميدان أوسترمالم كانت جميع المقاعد والمساحات مشغولة بالحقائب والنّاس، فاستغرق الوصول إلى مركز ميترو الأنفاق بعض الوقت. كنت أرى بصعوبة جميع النّاس من النّوافذ، ولكن بعد

أن غيّر الميترو المسار أصبحت أرى على نحو أفضل. وكان كريستر قد كلفنا بتقرير بحثي حيث أجريت دراسة حول المدّة الّتي عاشها النّاس في استخدام ميترو الأنفاق والانتقال بين محطّاته. كان هناك فرق لمدة 15 عامًا في متوسّط العمر المتوقّع المقدّر بين مستشفى باغارموسن ومستشفى داندريد.

في آخر ثلاث محطّات قبل وصولي إلى تينستا، لم يكن أيّ من كبار السّنّ على متن القطار على الإطلاق. ولا فتاة واحدة في عمري، بل فقط شبّان وأمّان محجّبتان مع عربتي طفل، وكلّ واحدة منهما ترتدي فستانا كامل الطّول. ربّما حُبِست جميع الفتيات ممّن هنّ في عمري في شققهنّ حتّى لا ينزلقن بطريق الخطأ على قضيبٍ منتصبٍ أو يسقطن من الشّرفة. في جيب سترتي كان لديّ رذاذ الغاز المسيّل للدّموع الّذي أعطتني إيّاه أمّي، كانت قد أحضرته من فرنسا. ذات مرّة ضغطت زرّ الرّش حين كان لا يزال في جيبي. لم ألاحظ أنّني فعلت ذلك حتّى أخرجت يدي من جيبي، وسحبتها من خلال شعري فالتهبت عيناي. وقد أصيبتا بحرقة وتدمّع لأكثر من ساعتين بعد ذلك.

أمّي أرادت أن تأخذني إلى قسم الطّوارئ، ولكنّ أبي وضعني في الحمّام ومسح وجهي بالماء الفاتر حتّى شعرت بتحسّن قليلًا، ثمّ اتّصل بصديق طبيب وأعطانا عبر الهاتف وصفة طبّيّة لمرهم وسائل غسل، أدّت إلى تقليل التّورّم في عيني. طلب أبي منّي أن أرمي الرّذاذ بعد ذلك، ولكنّ أمّي رفضت. كان من الممكن أن يقبض عليّ بتهمة حيازة السّلاح، ولكنّ أمّي «لم تهتمّ» لأنّ «سلامتي كانت أكثر أهمّيّة». أهمّ من ماذا؟ قد تتساءل، فلو قبضت عليّ الشّرطة، فأنا من سوف أتأذّى وليس هي. ولكنّني الآن سعيدة لأنّني أملك هذا. عندما جلس رجل أمامي في السّيّارة، وضعت الأصابع على الزّجاجة ونظرت إلى الأرض. كنت حريصة على عدم الاتّصال العينيّ بأيّ شخص. فكّرت في الاقتراب من الأمّين اللّتين معهما عربتا طفل، ولكنّهما وضعتا

العربتين في الوسط حتى لا يتمكّن أحد من الوصول إلى المقاعد المتاحة. مركز تينستا كان المحطّة قبل الأخيرة على الخطّ الأزرق. جميع الأشخاص ما عدا شخصين في العربة نزلوا معي في الوقت نفسه. كنت بطيئة لكي أكون آخر من يصعد على السّلالم المتحرّكة.

نظرت إلى نظام تحديد المواقع على الهاتف من قبل، وبرمجت عنوان سمير فيه، وتحقّقت الطّريق الّذي يجب أن أسلكه عندما خرجت من مترو الأنفاق، ولكن لم أكن أريد أن أُخرِج الهاتف، لم يكن لديّ أيّ رغبةٍ في إظهار أنّني لا يمكن العثور على العنوان هنا، ولا في إظهار الهاتف حتّى. كان هناك عدد كبير من النّاس في الشّارع أكثر ممّا كان عليه في العربة، جرى استقبال المرأتين من عربتي من لدن ولد في سنّ الحادية عشرة، ورأيت جانبيا ثلاث نساء أخرياتٍ كأنّهن أكياس، يخرجن من متجر إيكيا بعيدًا نوعًا ما، وما عداهنّ لم يكن هناك سوى الرّجال. الرّجال، والرّجال، والرّجال. لم يخبرني سمير قطّ أنّه يعيش في تينستا.

هل تفاجأت عندما تحقّقت العنوانَ؟ ربّما. ربّما لأنّه كان في تينستا، شعرت بأنّها متطرّفة بطريقة ما ربّما تكون مختلقة. ولكنّني لا أعرف ماذا كنت أتوقّع من المكان نفسه، لم أكن هناك من قبل. أكشاك الفواكه والخضروات؟ سجّادات ملفوفة وبيع ساعات زائفة وحقائب اليد البلاستيكيّة ألصقت عليها العلامة التّجاريّة غوتشي؟ اللّوز والكستناء المحمّصة، وعوائل مع تسعة عشر طفلًا يلعبون كرة القدم، ورجال انحنوا على ألواح الشّطرنج ونماذج روكي بأيدٍ مربوطة يصفّق الجميع لها في الشّوارع عندما تركض أمامهم مرتدية قلنسوات الرّأس وبدلات التّمرين؟ كلاب البيتبولتيرير ومشروبات الرّيدبول؟ الزّعفران والثّوم؟ وأرغفة خبز وضحك صاخب؟ ربّما. أو ظننت أنّه سيكون مشابها للحيّ الّذي يعيش فيه (دينيس). ذهبت أنا وسيباستيان إلى

هناك مرّة واحدة، وعلى الرّغم من أنّنا التقطناه على مسافة قليلة من منزله، رأيناها منطقة بيوت متسلسلة غير مثيرة للاهتمام وغير مهمّة.

ينسى المرء، حتّى قبل المغادرة، مكانًا تافهًا مثل كوب بلاستيكيّ ذي الاستخدام لمرّة واحدة يمكن التّخلّص منه. ولكن هذا؟ لقد كان غير مفهوم. مكان من دون فكرة. مكان حفظ الأغذية مكسور ومن دون غطاء. ربّما كان أفضل في الصّيف، عندما لم يكن ثمّة ظلام والأشجار وأوراق الشّجر كثيفة، ولكنّه الآن كان مجرّد واحدًا من أقبح الأماكن الّتي رأيتها في حياتي. السّياسيّون والصّحفيّون الّذين فعلوا شيئًا من حقيقة أنّهم «بقوا حقًّا بقوا يعيشون في تينستا»، لا بدّ من أن يكونوا أغبياء أو كان لديهم شقق للمبيت اللّيليّ في الجنوب. أحصيت أربعة أضواء شوارع مكسورة فقط في السّاحة مباشرة من قبل منخفض مترو الأنفاق، ودخل صوت كريستر في رأسي. صوت معلّمه الجادّ. فلو كان يعلم أنّني جئت إلى هنا، لأصبح مسرورًا للغاية، وأومأ برأسه ببطء وقال بصوت صارم: إنّها السّويد الحقيقية، يا مايا. هكذا تبدو السّويد. ولكن هذه لم تكن السّويد الحقيقيّة، لا أكثر من سوق أوسترمالم أو أرخبيل ستوكهولم، أو شارع ستراند.

الأمور لا تصبح أكثر حقيقيّة فقط لأنّها قبيحة. جلستُ في محطّة للحافلات على الجانب الآخر من السّاحة، والتقطت الهاتف بإحدى يديّ. كنت مضطرّة. وضعت يدي الأخرى في جيبي حيث كان رذاذ الغاز المسيّل للدّموع، وبذلت قصارى جهدي أحاول إقناع نفسي أنّه ليس من العنصريّة على الإطلاق أن أكون خائفة. صوت أمّي صداه في رأسي: توخّي الحذر لا يعني الخوف. ثمّ وجّهت نفسي. عاش سمير في مكان غير بعيد من المحطّة، خمس دقائق حسب ما يبيّن مؤشّر المشي. عندما غادر الرّجل الّذي كان معي في القطار في حافلة كانت في عجلة من أمرها من المحطّة حتّى أخذت تفتر

قبل أن تغلق الأبواب تمامًا، بدأت المشي على طول ممشى معبَّد بالأسفلت. كما كان خاليًا من المارّة. لم يكن أحد يسير مع كلبه أو خرج مع الطّفل لتنفّس الهواء النّقيّ. لم يكن أحد يركض، لم يكن أحد ذاهبًا إلى أيّ مكان. سارعت في المشي أمام الغرافيتي، والدّرّاجات المربوطة بالسّلاسل إلى مربط الدّرّاجات كانت قد انقلبت حتّى النّصف، ومن خلال نفق تفوح منه رائحة البول والماضي ومن أمام ملعبين فارغين. كان سمير يعيش في الطّابق السّفليّ من مبنى سكنيّ.

بدا الأمر كما المباني السّكنيّة في جميع أفلام الشّباب عن الضّواحي من دون القلنسوات الدّانمركيّة ومصّاصي الدّماء، ودرّاجات الجدّ والثّلوج. تردَّدت أصداؤها في الدّرج، وكانت البوّابة مواربة، يبدو أنّه لا حاجة إلى رمزٍ لفتحها. كان باب شقّة سمير بجوار المصعد مباشرة وعندما دققت الجرس، رنّ الباب. من فتح لي الباب كان نسخة أصغر من سمير. ولم يتسنَّ لي الوقت لأقدّم إليه نفسي حتّى ظهر بنفسه. كان كلّ من والدته ووالده في المنزل. لم أكن أعرف أنّ لديه شقيقين أصغر سنًّا، ومتشابهين إلى درجة أنَّهما لا يمكن أن يكونا شيئًا آخر. عرّفت نفسي إلى الجميع وظننت أنّنا سوف نجلس في المطبخ، بدا هذا من القاعة الّتي كانت أشبه بمعدة ضيّقة بباب يؤدّي إلى شرفة. وبدت مليئة بالصّناديق الفارغة. ظننت أنَّ والديه يودّان التّحدّث معي، أو السّؤال كيف تعارفنا أنا وسمير، أو سيُصرّان على أن أجلس، أو أتناول كوبًا من الشّاي، أو آكل كعكة لزجة، أو على الأقلّ سينظران إليّ بفضول؟ ربّما. لم يحدث شيء من هذا. بدوا غير مهتمّين، وكانت والدته من الواضح منزعجة للغاية.

قالت شيئًا بلغة لم أفهمها، ثمّ لم أعد أراها بعد ذلك. أخذ الأب يدي الممدودة، ولكنّه تركها وذهب من دون أن يقول اسمه، استدار وذهب وجلس

إزاء التّلفاز، كانت هناك مباراة كرة قدم بين فريقين لم أسمع بهما من قبل. كانّ التّلفاز ضخمًا، على الأقلّ ضعف حجم تلفازنا. في البداية، حسبت أنّ الصّوت كان مطفأ، حتّى رأيت أنّ الأب كان يضع زوجًا من سمّاعات الرّأس الصّاخبة الخضراء. لم أفهم لماذا بدا سمير غاضبًا جدًّا. هل لأنّني أتيت من دون ميعاد سابق؟ ولكنّه حضر أيضًا في منزلي من دون أن يخبرني من قبل. هكذا بدأ الأمر. لم أطلب منه أن يقدّمني بكوني صديقته، ولكن كان من الرّائع لو قال: «هذه مايا، نحن في الصّفّ نفسه».

كان بإمكاننا الذّهاب إلى غرفته، كنت أودّ أن أراها، لا يهمّ إذا كان يشارك إخوته غرفته. لم أهتمّ لكونه عاش بهذه الطّريقة. أردت أن أقول له: ليس عليك أن تخجل، لا يهمّني. ولكنّه بدا غريبًا. أبقيت فمي مغلقًا. هل يمكننا التّحدّث؟ شيء من هذا القبيل خرج من فمي. ولكن لا شيء أكثر من ذلك. وأومأ سمير برأسه وداس بقدميه حذاءً رياضيًّا لم أره يرتديه في المدرسة. خلع بنطلونه وارتدى بنطلونًا واقيًا.

زيّ الضّواحي، على ما أظنّ. «لنذهب»، قال. التفتّ لأعود إلى غرفة المعيشة وتوديع والده، ولكنَّ سميرًا أمسكني بذراعي وأخرجني من الباب، وعدنا إلى الدّرج في الباب الأماميّ الموارب. كان من الواضح أنّ مجيئي أزعجه. لقد كان منزعجًا جدًّا. أردت فقط أن نكون وحدنا وأن أُخبره أنَّ آماندا علمت، أردت أن اسأله ماذا سنفعل الآن؟ لم أكن أريد أن أتّخذ جميع القرارات وحدي. أردت أن يقول لي أن أنفصل عن (سيباستيان) لأجيبه حالًا بأنّني سأفعل ذلك اللّيلة، وكنت سأتخلّص من الشّعور بالوحدة. لماذا لم يرَ أنّه كان الأجدر بي أن آتي إليه بدلًا من أن أسأل: هل يمكنك المجيء إلى هنا؟ أردت أن أُريَه أنّني أحبّ الذّهاب إليه، وأنّه لا يهمّني أين يعيش.

لقد كان هذا سخيفًا جدًّا. دائمًا هذا: لا يهمّني، سمير. كنت أتساءل لماذا من المهمّ أن يفهم، أنا لا تهمّني هذه الأمور. هل ظنّ سمير أنَّ تينستا مكان ممتاز، أفضل ألف مرّة من جميع الأماكن الأخرى؟ بالكاد. وحينذاك، لم يكن قد حصل على وقت للتّنقّل لمدّة ساعة واحدة في كلّ اتّجاه كلّ يوم، فقط للوصول إلى مدرسة يورهولم الثّانويّة العامّة. فهمت. ربّما كان يجب أن أقول إنّني فهمت لماذا يكره هذا المكان الّذي لا يطاق حيث كان عليه أن يعيش، فهمت حقًّا لماذا كان يفعل كلّ ما في وسعه للخروج من هناك. لأنّه يستحقّ أفضل من (تينستا). لقد كان هو أفضل من المكان الّذي انتهى به المطاف إليه. ربّما كان يجب أن أقول ذلك. شقّته، الدّرج، الطّريق هناك، الطّريق من هناك، سروال بوليستر للتّدريب. لم أظنّ أنّه يجب أن يخجل لأنّه لم يكن خطأه، ولكنّني لم أستطع قول ذلك أيضًا.

هذا سيجعله يشعر بالخجل أيضًا. مشى أمامي من دون أن يصدر صوتًا. لم أكن أعرف إلى أين نحن ذاهبان. لا يهمّ. لم أكن أعرف إلى أين أذهب للتّحدّث في تينستا، كنت مستعدّة لكلّ شيء، غرفة الغسيل، أو غرفة التّخزين في الطّابق السّفليّ، أو في لوح خربشات أو في مركز للشّباب أو مقهى الحيّ أو حلبة تزلّج. لكي يمكنني التّحدّث بسلام وهدوء فحسب. استغرق منّي بعض الوقت حتّى أدركت أنّنا كنّا متّجهين إلى محطّة مترو الأنفاق. ثمّ أمسكت به وأجبرته على التّوقّف. حتّى قبل أن أخبره لماذا حسبت أنّنا يجب أن نتحدّث، نظر سمير إليّ بغرابة. وعندما واصلت الحديث ازداد الأمر سوءًا. أنا بصراحة لا أتذكّر بالضّبط ما قاله، ولكنّه لم يحسب أنّني بحاجة إلى الانفصال عن سيباستيان، وليس لأجله، حقًّا، ليس لأجله. نحن لسنا معًا يا (مايا). لقد تضاجعنا معًا عدّة مرّات، ليست هذه هي المسألة. لم يكن الأمر أنّه دعاني عاهرة، أو رخيصة، لا شيء من هذا القبيل. ولكنَّ سميرًا المثقّف، الواعي

سياسيًّا، الطّموح ليكون مراسلًا صحفيًّا للشّؤون الأجنبيّة الأفضل في العالم، نظر إليَّ بعينين جديدتين. نظرة ـ لا بدّ ـ من ـ أنّك ـ غبيّة.

لم يرد أن يقف ساكنًا. من الواضح أنّنا كنّا سنغادر فيما كان يتحدّث. أراد إخراجي من هنا في أسرع وقت ممكن، وما كان عليّ قوله لم يكن مثيرًا للاهتمام، أمسكني من ساعدي مرّة أخرى، كنت طفلًا متحدّيًا رفض العودة إلى المنزل من الملعب. عندما انتهى من الحديث، كنّا قد وصلنا إلى مترو الأنفاق، ولكنّه لم يتركني وشأني هناك أيضًا، وقف هناك وداس حذاءه الرّياضيَّ الأبيض القبيح على الرّصيف حتّى وصل قطاري، ثمّ صعد معي وبقي معي على طول الطّريق إلى مركز المدينة.

ماذا كان يظنّ أنّني سأفعل؟ أن أبقى في الخفاء، وأكسب الكثير من الأصدقاء الرائعين وشقّة رماديّة خاصّة بي بواحد وتسعين في ارتفاع السّقف وأرضيّات مشمّعة. أن أكون جاره الجديد، وأحصل على بطن حامل، وبدلة تمرين مطابقة وربط شال منقوش حول الرّأس فقط لأنّ ذلك جميل جدًّا؟ جلست على المقعد، وظلّ هو واقفًا على الرّغم من أنّ العربة بأكملها كانت مليئة بالمقاعد المجّانيّة. عندما وصلنا، بدا أنّه هدأ قليلًا، وضع يده تحت كتفي قبل أن يتركني. وداعًا يا (مايا)، سأراك في المدرسة. أتمنّى لو كان بإمكاني التّقيّؤ عليه. ذهبت من مستشفى (دانديريد) طوال الطّريق إلى المنزل. كان نفق المشي من مدخل مترو الأنفاق إلى موقف للسّيّارات خارج مدرسة موربي رائعًا، يكاد يكون له دفء وراحة غرفة المعيشة، بالمقارنة مع وسط مدينة تينستا. ولكنّني بدأت في التّجمّد قبل وقت طويل من وصولي إلى السّاحات الرّياضيّة في ستوكهولم. وقد تبلّلت القفّازات اللّوفيكيّة الّتي أهدتني إيّاها أماندا (لقد وجدتها في متجر لطيف في سوهو)، من الدّاخل بالعرق، ومن خارج بالثّلج البليل. كانت ثقيلة. رميتها في سلّة قمامة في خارج

المدينة وعقدت يدي في جيوبي. لم يساعد ذلك. عندما وصلت أخيرًا إلى المنزل، تجمّدت حتّى ارتعشت، ودخلت حالًا إلى الحمّام، ولم أخلع أيّ شيء حتّى امتلأ حوض الاستحمام.

آلمني أن أدخل في الماء الّذي كان حارًّا جدًّا، ولكنّني فعلت ذلك على أيّ حال. ظننت أنَّ سميرًا كان يحبّني، ربّما كنت قد اتّخذت حتّى أمرًا مفروغًا منه: إنّه يعشقني، مثلما كان دائمًا (بالتّأكيد؟)، وكنت قد قطعت هذا الدّرب الطّويل للوصل إليه لأعلن أنّي أحبّه أيضًا، وحسبت أنّه سيفهم. إنّه سيظنّ أنّني أستحقّ العناء. لم يفعل ذلك. وعندما تدفّأت وتجعّدت وبدأ ماء الاستحمام يبرد، ارتديت ثوب حمّام والدي، وذهبت إلى غرفة المعيشة حيث كان لحافي لا يزال على الأريكة، وزحفت تحته واتّصلت بسيباستيان. كان من المفترض أن يعود من جنوب أفريقيا ليلة الغد، ولكن يجب أن أفعل هذا الآن، على الفور، قبل أن أغيّر رأيي. تحدّثنا لمدّة عشرين دقيقة تقريبًا. عندما أجاب لأوّل مرة، بالكاد سمعت ما كان يقوله، ولكنّه ذهب إلى غرفة أكثر هدوءًا، أو ربّما ذهب إلى الخارج، وقلت ما كنت أعرف أنّني يجب أن أقول وأجاب، أجاب بهدوء وتعقّل من دون أن يجنّ، وقلت إنّنا يمكن أن نتحدّث أكثر عندما يصل إلى المنزل، وقال ماذا تريد منّي أن أقول، ولم يبدُ عبوسًا، بدا أنّه يفهم كلّ شيء، وودّع بعضنا بعضًا وأغلقنا الخطّ.

بعد عشر دقائق انتابني قلق ممّا إذا كان يتذكّر ما قلته له، لذلك أرسلت إليه رسالة نصّيّة أيضًا. عندما لم يجب، أرسلت واحدة أخرى. النّصّ نفسه. أردت أن أتأكّد أنّ هذا هو أوّل شيء سيراه عندما ينظر إلى الهاتف، فقط في حال نسي كلّ شيء، حتّى لو لم يكن قد بدا صوته عاليًا. انتظرت حتّى منتصف اللّيل قبل أن أتّصل بـ(سمير). ربّما لم يحسب أنّني جادّة عندما قلت إنّني سأفعلها. ربّما لهذا تصرّف بالطّريقة الّتي تصرّف بها. وفي المرّة الأولى الّتي

أجاب فيها، ظننت أنّني أيقظته، أغلقت الخطّ من دون أن أقول شيئًا. كان يرى على الشّاشة أنّني أنا من اتّصل وتوقّعت منه أن يتّصل مرّة أخرى. بعد ثماني دقائق، اتّصلت مرّة أخرى. وأوضح البريد الصّوتيّ لسمير أنّه سيردّ. وجاء في الرّسالة «في أقرب وقت ممكن». غفوت بعد ساعة، ولا يزال هاتفي في يدي ودرجة الصّوت في أعلى مستوى. لم يتّصل سمير قطّ ولا (سيباستيان).

30

عندما انتهى الأمر مع سيباستيان (وسمير)، لم أفعل شيئًا ممّا يفعله المرء عندما تنتهي العلاقة. لم أشاهد أفلامًا ظننتها حزينة في صغري، لم آكل الآيس كريم مباشرة من العلبة أو أستمع إلى الأغاني حول مدى كون الرّجال جميعهم مقرفين. ولكنّني أصبت بالبرد. ولمدّة يومين كنت أجرّ نفسي إلى المدرسة على أيّ حال، ولكن في نهاية آخر يوم من مرضي، وأخيرًا حان وقت عطلة عيد الميلاد، انتابتني حمى مرتفعة حقًّا. في اليوم الأوّل من العطلة، أعطتني أمّي جرعتين من أقراص ايبرين وبطّانيّة ووسادة لتكونا في السّيّارة. معظم الرّحلة نمت، استيقظت من وقت إلى آخر؛ لأنّه كان لديّ ألم في ظهري، ورقبتي، وبلعومي، وساقي. كنت أتعرّق ونظرت لينا إليّ من الجانب الآخر من المقعد الخلفيّ وشيء من القلق في عينيها الزّرقاوين الدّاكنتين. أيقظني أبي عندما توقّفنا لتناول الطّعام، واضطررت إلى الذّهاب معهم إلى المطعم على جانب الطّريق.

كانوا يقدّمون نقانق الشّواء مع أكياس الكاتشب والبطاطا المقليّة الدّاكنة، ولكنّني فضّلت البقاء في السّيّارة. قال والدي: «الجوّ بارد جدًّا». قالت أمّي: «عليك أن تأكلي شيئًا». وصلنا إلى بيت الجدّ بعد السّابعة مساء، وكان الأراضي الواقعة في الطّريق إلى المنزل محروثة. في الصّيف، كنت أذهب للمشي لمسافات طويلة مع الجدّ على الطّريق نفسه. عاش جدّي على بعد ثلاثة كيلومترات من الدّكّان ومتجر إيكا، وعندما كنت طفلًا حسبت جدّتي

أنّه يجب أن ألعب مع الأطفال المجاورين، ولكنّني رفضت لأنّني لم أكن أعرفهم. بدلًا من ذلك، ذهبت من الكشك وإليه، واشتريت الصّحيفة المسائيّة لجدّي، ثمّ عدت واشتريت الآيس كريم لنفسي.

وهذه كانت مشاغلي. سلوك الطّريق ذهابًا وإيابًا. أحيانًا مشيت مرّات عديدة في منعطفات لأتجنّب أن تتبعني الكلاب. كان الطّريق الصّيفيّ مغطّى بالحصى وفي الوسط بعشب كثيف، وعندما أمطرت تشكّلت برك عميقة وهبط البعوض على لمعان البنزين. الآن جرى تأطير الطّريق بمترين من الثّلوج على جانبيه. وهذا هو عيد الميلاد الثّاني الّذي نحتفل به في غياب الجدّة. وعلى الدّرج الّذي أصبح الآن للجدّ وحده، وقفت شجرة التّنوب عارية، عُلّق عليها اثنان من القناديل مضاءة. الموقد السّيراميك احترق في غرفتي، ووضع جدّي وسادة تدفئة في السّرير. لم أُبدّل ملابسي، غفوت بالملابس الّتي كنت أرتديها عندما ذهبت إليها هناك. دخلت أمّي مرّتين؛ المرّة الأولى الّتي خلعت فيها ملابسي وألبستني ثوب نوم رائعًا ومكويًّا حديثًا. كان لجدّتي. في المرّة الثّانية أعطتني فيها مشروبات غازيّة بمذاق البرتقال واللّوز المرّ، كانت تلك أقراص الإنفلونزا الّتي اشترتها في الولايّات المتّحدة، نمت، ونمت ونمت، في حين صنع الآخرون خبز الزّنجبيل (شممت رائحتها)، وقاموا بتلبيس شجرة عيد الميلاد (سمعت والدي يحملها إلى المنزل وأمّي تصرخ فيه لإتيانه بكلّ الثّلج الّذي سحبه إلى القاعة)، كرات اللّحم الملفوفة ولحم الخنزير المشويّ (الرّائحة مرّة أخرى) والسّلمون المحفور؛ أمّي جاءت بساندويتش عندما كانت جاهزة لم أستطع أكلها. كنت مستلقية تحت لحاف عندما جاء الجدّ، ووضع المزيد من الحطب في الموقد السّيراميك، وعندما سَمَح لأحد الكلاب بالدّخول، كانت هي نائمة تحت لحاف بالزّغب خاصّتي، وأنفها ضغط ركبتي.

كنت لا أزال هناك عندما أحضرت أمّي صينيّة من الشّاي والسّندويشات بالجبن، لم أتمكّن من تناولها أيضًا. بينما تلحّفت باللّحاف حتّى ذقني وجلست نصف جلسة، كنت ألعق الآيس كريم الفانيليا على عودة، وأظهرت لينا لي الرّسومات، كانت تنوي إرسالها بمناسبة عيد الميلاد. عندما انتهى الآيس كريم، اضطجعت في وضع جنيني وغفوت، في حين كانت لينا تتحدّث. لم أخرج حتّى عشيّة عيد الميلاد من السّرير، استحممت لمدّة نصف ساعة، غسلت شعري مرّتين وارتديت ملابس نظيفة. أمّي غيّرت ملاءتي وأكلت كمّيّة من عصيدة الأرز مع صلصة الفراولة. لينا نبشت عصيدتها حتّى وجدت اللّوز، لقد مرّت سنوات عديدة منذ أن حصلت على ذلك؛ لأنَّ لينا كانت لا تزال سعيدة جدًّا. «أين يعيش بابا نويل، مايا؟»، سألت وفمها مليء بالطّعام. «أي...»، قلت متردّدة. لأنَّ كلينا قد مرَّ بذلك بالفعل. لم يكن مدعاة مفاجأة.

«بابا نويل غير موجود» «أعرف»، تنهّدت لينا، وهي تعضّ شفتها السّفلى. «ولكن ماذا عن تلك الرّنّات الطّائرة، أين تعيش؟» احتفلنا بعيد الميلاد مع الجدّ هذا العام. قرّر أشقّاء أمّي الاحتفال مع عائلات حماتهم، ولم يعد أوّل عيد ميلاد من دون جدّة. ولكنَّني كنت سعيدة بذلك. كان عيد ميلاد أكثر هدوءًا من دون جميع أبناء العم الاستفزازيّين الّذين تناوبوا على البكاء وأجبروا البالغين على التّورّط في مشاجرات غير مفهومة حول لا شيء. عشيّة عيد الميلاد، حُطّم السّجّل القياسيّ للثّلوج محلّيًّا (منذ بدء القياسات)، وعُطِّل طبق الأقمار الصّناعيّة والإنترنت. استمعنا إلى الموسيقى في ستيريو الجدّ، وتناولنا الغداء في المطبخ لأنّه كان أكثر دفئًا هناك، وعندما أنهينا تناول الطّعام جلسنا جميعا في غرفة المعيشة، وشاهدنا فيلم الدّي ڤي دي نفسه على شاشة التّلفاز، الفيلم الّذي كان أبي قد اختاره. غفوت واستيقظت ورأسي في حضن أمّي، مسّدت جبهتي وأغلقتُ عيني

لمدَّة أطول ممّا كنت بحاجة إليه. لينا علّمتني لعبة الورق الّتي اخترعتها، وكان أبي في المطبخ يقشّر البطاطا.

أمّا نحن فقد خرجنا للنّزهة (علينا ألّا نفوّت الفرصة ما دام أنّ الشَّمس لم تغرب بعد)، وقد خدش الهواء البارد حناجرنا. وعندما عدنا، أشعلت النّار في الموقد في المطبخ، وحصلت على الكثير من الثّناء إلى درجة أنّك كنت تظنّ أنَّ إشعال النّار أصعب من اكتشاف البنسلين. بينما كنا في الخارج نمشي، وضع جدّي ظرفًا في جيبي. داعب خدّي وابتسم. كان لدرجاتي، حصلت على مكافأة اعتمادًا على مدى نجاحي. وكان الظّرف سميكًا، وكان دائمًا مليئًا بشكل جيّد، والآن كذلك. ما زلت على ما يرام. لا أزال أُدبّر حالي. لقد نجحت.

«شكرا لك»، أومأت. جدّي بدا سعيدًا، وكنت أنا أسعد لابتسامته، أحببت أنَّ الجدَّ ابتسم على الرّغم من أنّه كان في عيد الميلاد الثّاني من دون الجدّة. خلال دروس الفلسفة في المدرسة، كنّا قد تحدّثنا حول ماهيَّة المشاعر، وأنَّ هناك ستّة مشاعر أساسيّة سلبيّة وواحدة إيجابيّة فحسب ـ الفرح. كنت سأرفع يدي وقلت إنّ الجميع يعرفون أنّنا خائفون بالطّريقة نفسها، وأنّنا نستطيع دائمًا أن نفهم ما يعنيه الشَّخص إذا قال إنّه يشعر بالخجل. إنَّ أنقى المشاعر تلك الّتي تجعلنا نتشبَّث بالحياة، هي دائما سلبيّة. يزحف إلى جسدي عندما أفكّر في كيفيّة جلوسي في الفصل الدّراسيّ، وحاولت أن أظهر أنّني كنت أعمق وأكثر حساسية من أيّ شخص آخر.

ظننت أنّني أعرف ما هو شعورك عندما تغضب. ظننت أنّه يمكنني فقد السّيطرة. ولكن، خبر عاجل! تناول رغيفين من الخبز مع الزّبدة والجبن ولا تحسب مرور الوقت. تظاهر بالمتوهّمات، تبًّا للكوكايين، وقل إنّه كان جيّدًا

إلى درجة أنّني ظننت أنّني سأموت. إنّها مجرّد اختلاق شيء. لا شيء، لا شيء على الإطلاق، كنت أعرف عن الرّغبة في الموت. كنت قد حضرت تشييع جنازة واحدة في حياتي (الجدّة)، وأنا لم أكن خائفة حقًّا، لم أكن وحدي، لم أرغب في الموت. لم يسبق لي أن شعرت بالانكسار. مايا الذّكيّة في الصّفّ الأماميّ من الفصل الدّراسيّ ويدها مرفوعة في الهواء. أعرف الجواب! كلا، لا تعرفين. أنت لا تعرفين أيّ شيء. والآن، بعد الفصل الدّراسيّ، أعرف:

أنَّ المشاعر الأساسيّة لا طعم لها وغير مثيرة للاهتمام، مجرّد مجنون واحد فقط يتجوَّل ويضحك طوال اليوم وسع شدقيه. أضحك أحيانًا، ولكنَّ فرحتي هي ردّ فعل هستيري. خجل. خوف. غمّ. بغض. إنّها العواطف المركّبة الّتي اختفت، وخلطات في متجر الألوان والأصباغ، ستّة عشر ظلًّا من قشر البيض الأبيض. مزيج الأصفر والأزرق يتحوّل إلى اللّون الأخضر. مودّة؟ غيرة؟ وجع؟ الرّعاية، الشّفقة. سعادة. أفتقد السّعادة أكثر من كلّ شيء، إنّها مزيج من كلّ شيء، من كلّ المشاعر السّلبيّة، لمسة من المفاجأة والكثير من الفرح. السّعادة هي المزيج المثاليّ، ولكن لا أحد يعرف الوصفة. أيّام عيد الميلاد تلك الّتي كنت فيها عند جدّي، كانت المرّة الأخيرة الّتي أسعدت فيها. ضحكت وقلت أشياء لأمّي من دون أن أفكّر في أنّني كنت أقولها فقط لأنّها أرادت منّي أن أقولها. حصلت لينا على جهاز ووكي توكي هديّة عيد الميلاد، أجبرتني على الخروج إلى الثّلج لنرى إلى أيّ مدى يعمل هذا الجهاز. وعندما فعلنا ذلك، بنينا كوخ الثّلج وفانوسًا أشعلناه، وصنعنا أشكال الملائكة من الثّلج، وألقينا كرات ثلجيَّة في البحيرة فقط لنرى إلى أيّ مدى تصل. أكلت عجينة اللّوز مغموسة في الشّوكولاتة، وأحسب أنّها كانت طيّبة، إضافة الى لحم الخنزير المشويّ والخردل على الخبز الصّلب؛ لأنّه لا يوجد شيء ألذّ من ذلك، والجدّ طلب منّي السّكوت لكي أستمع بعناية فائقة عندما غنّى جوسي

بيولينغ أغنية عن الدّموع والحبّ التّعيس. ولمدة ثلاثة أيّام، كنت حزينة فقط في لحظات لالتقاط الأنفاس، ولست خائفة مرّة واحدة: أنَّ عيد الميلاد كان مزيج سعادة كامل عشيّة عيد الميلاد، يوم عيد الميلاد واليوم الآخر.

وبعد ذلك. إذا خلطت جميع الألوان في حاوية الطّلاء، أصبحت مجرّد رثاء بنّيٍّ. وفي النهاية، يتحوّل كلّ شيء إلى سواد. لليوم التّالي لليوم الآخر، أيقظتني أمّي قبل السّابعة بقليل. لقد اتّصل (كلايس فاجرمان). كانوا قد تحدّثوا لمدّة عشر دقائق. كان آسفًا لاتّصاله في ساعة متأخّرة من اللّيل، أمّي كانت آسفة لأنَّ عليها أن تخبرني، ولكن كان عليَّ أن أذهب إلى مستشفى دانديريد في جناح الطّوارئ النَّفسيَّة لأنَّ سيباستيان قد حاول الانتحار.

31

بعد ساعتين، هبطت طائرة هليكوبتر في حديقة الجدّ الّتي تمتدّ بعيدًا من المنزل باتّجاه البحيرة. كانت الثّلوج تحوم وأنا أهرول وبيدي حقيبتي بعيدًا نحو طائرة هليكوبتر مفتوحة الباب. ركض جدّي معي بأسرع ما أمكن، كانت ساقاه متشنّجتين قليلًا. وتحدّث لوقتٍ وجيزٍ مع الطّيّار، واضطررت إلى الجلوس بجانبه، إنّه «سيوصلني» «إلى المدينة»، ثمّ تصل سيّارة سوف تلتقطني وتنقلني المسافة المتبقّية إلى المستشفى. ولم يكن كلايس للأسف هناك، ولكنه «سلّم»، و«ثمّن عاليًا حقًا» عملنا، وقد «اضطرّ» إلى أن يكون في مكانٍ آخر، لم أكن أستمع. كان سيباستيان قد حاول الانتحار. قام جدّي بحركة غريبة برأسه، وقبّلني في خدّي وتركني أذهب، لم يخطر في بالي أنَّ أحدًا لم يسألني إن كنت أريد الذّهاب إلى سيباستيان إلّا بعد أن كنت في المروحيّة. ولكن ماذا كنت سأجيبهم؟ لا، إنّه سيدبّر حاله بنفسه؟

عليّ أن أذهب. بالطبع يجب علي ذلك؟ كان لدى (سيباستيان) أنبوب تغذية مربوط بذراعه وضمادة بيضاء وقميص ليلي أزرق فاتح. وعندما دخلت من الباب بدأ يبكي. جلست بجانبه، نهضت مرة أخرى، ذهبت إلى الجانب الآخر حيث لم تكن التغذية المنقطة، استلقيت على السرير بجانبه، دسست أنفي في عنقه، وبكيت. أمّي احمرّ خداها عندما قالت لي: «إنّه يحتاج إليك يا مايا». كانت خائفة وحزينة، وأيضًا شيئًا آخر، كما أظهرت. نظر أبي إليَّ تلك النّظرة الغريبة الَّتي كان ينظرها أحيانًا. لدينا ابنة ناضجة، كما يظنّون. إنّها

تتحمّل مسؤوليّتها. لديها مشكلة مع سيباستيان، ولكنَّه يحبّها، وإنّها تفهم أنَّ عليها أن تدعمه، وتساعده من خلال هذا.

كانوا يعلمون أنَّ العلاقة ما بيننا قد انتهت. ولكن «في هذه الحالة»، يبدو أنّهم نسوا هذا الأمر. فمهما كان سبب مشاجراتنا في سنّ المراهقة، فإنّه لا يمكن أن يكون أكثر أهمّيّة من لحظة «الوقوف». الآن هنا، وكان أبي وأمّي فخورين بي، لما فعلته، بعد كلّ شيء. ولكنَّني لم أكن ناضجة وشجاعة. كنت قد خنت سيباستيان، ثمَّ هجرته؛ لأنَّني «لم أعد أستطيع التّحمّل»، وبكيت منحنية على عنقه؛ لأنّني لم أكن أعرف ما إذا كنت أريد أن أكون هناك. ما أخافني. ولأوّل مرّة تصوَّرت أنَّه يمكن أن يموت بكلّ سهولة، إنَّ الموت ليس سوى نبضة قلب من الحياة، وأمسكت معصمه، ضغطت أصابعي الضّمّادةَ بأقوى ممّا تجرّأت؛ لأنّني يجب أن أحسّ بالأوردة تحت الضّمّادة. كنت خائفة أكثر من أيّ وقت مضى في حياتي. سيباستيان كان يمكن أن يكون ميتًا وكان خطئي.

كنت قد خذلته. اغفر لي، همستُ، وفمي مطبق على شريانه السّباتيّ. لم أستطع مساعدته، لم أستطع، كيف كنت سأفعل ذلك؟ معذرة. كيف تخبر شخصًا ألّا يموت؟ سأحبّك عندما لا يستطيع أحد آخر ذلك. أتعهّد إليك. لن أتركك وحدك مجدّدًا. بينما كنت لا أزال في السّرير تحدّث (سيباستيان). كان بالخارج في اللّيلة الَّتي سبقت ليلة عيد الميلاد، وكان (دينيس) معتمدًا عليه، كان مستعدًّا دائمًا، وماذا سيفعل غير ذلك؟ ولكن عندما أخذت سيّارة الإسعاف (سيباستيان)، كان قد غادر. كان سيباستيان مستلقيًا على الرّصيف خارج أوربان أوتيتر في شارع المكتبة، وقال الطّبيب إنّ المتّصل فعل ذلك من هاتف نقديّ غير مسجّل. ولكنَّ (سيباستيان) لم يَلُمْ (دينيس) وقيل له إنّه يستطيع البقاء في السّويد إلى أن ينهي السّنة في المدرسة، ثمّ سيجري ترحيله.

كان الهرب من مركز الاحتجاز أصعب بكثير من الفرار من بيت العائلة البديل الّذي يعيش فيه، ولم يكن من الممكن أن يخاطر بأن تحتجزه الشّرطة، ليس الآن، ولا سيّما ليس الآن. نُقِل سيباستيان إلى غرفة الطّوارئ الخاصّة بجرعات زائدة مشتبه بها. جاء والده لزيارته خلال ساعة الزّيارة، ولكنَّه غادر بعد عشرين دقيقة. بعد أكثر من أربع وعشرين ساعة بقليل، في اللّيلة بين عشيّة عيد الميلاد ويوم عيد الميلاد، وجد الموظّفون سيباستيان في مرحاض غرفة المرضى. كانت المرآة مكسورة والدّم قد نفد من خلال باب المرحاض المغلق. لقد فقد الكثير من الدّماء، ومنذ ذلك الحين كان في الجناح النّفسيّ، وانتظروا الاتّصال بي حتّى لا يزعجني خلال عطلة عيد الميلاد. (كلايس) تحدّث إلى طبيب غرفة الطّوارئ. الممرّضات أخبرن (سيباستيان) أنّه عندما استيقظ «هل يمكن أن يكون الطّبيب هو الّذي قال إنّ أبي لن يأتي إلى هنا؟» سألني. «إنّني لم أحصل على زيارة؟ «هل يمكن أن يكون الطّبيب قد قال ذلك؟»».

أرادني أن أجيب، ولكنّني لم أفعل. لأنّه لم يُردّ تلك الإجابات. ولكنّه غضب على أيّ حال، على الرّغم من أنّني لم أقل أيّ شيء وقال إنّك لا تعرفين ما الّذي تتحدّثين عنه، وإنَّ والدي في الواقع يجب أن يدير الشّركة، وإنَّ والدي لا يستطيع الجلوس في المستشفى والتّحديق. سيباستيان قال عدّة مرّات: إنَّ والده لا يمكن... وإنّه كان عليَّ أن أفهم ذلك، وظللت هادئة لأنَّ كلينا عرف أنَّه لم يكن صحيحًا. كان (كلايس) سيحضر إلى هنا لو كان أخاك، على ما أحسب، ولكنَّني لم أقل ذلك أيضًا؛ لأنَّ شقيق (سيباستيان) لن يحاول قتل نفسه أبدًا، لم يرتكب (لوك) أيّ خطأ. لكن هذا ما قلته على أيّ حال إنَّ كلايس يجب أن يكون مثل جميع الآباء العاديّين، يجب على الأب ألّا يفعل ذلك. وبعد ذلك أصبح (سيباستيان) أكثر غضبًا، ولكن بعد ذلك لم يستطع الصّراخ. لقد بكى. إنّه ليس أبًا عاديًّا، لقد همس فحسب بصوت يطلب منّي

الموافقة، ثمَّ لم يقل المزيد، ولم أرد أن أجعله أكثر حزنًا. لذا، تحدَّثنا عن والدته «لم يحصلوا عليها». لم أكن أنا من طلب منهم أن يحاولوا ذلك.

لا أظنّ أنَّ أبي سيتّصل بها، ليس من أجل هذا «لماذا؟» تجرّأت على أن أسأل. لماذا لا يتّصل بها؟ لماذا لا تلتقون أبدًا؟ لماذا تركتكم؟ «والآن سيباستيان لم يغضب»، وأضاف «لا أعرف ما إذا كانت تركتنا». «يقول إنّه من طردها، ولكن في بعض الأحيان أظنّ أنّها هي الّتي تركته ولا أعرف ما إذا كانت تريد أن تأخذنا معها، أو إذا كانت تريد أن تُترك وحدها، ولكنَّ لوكاس لم يكن يريد أن ينتقل، وفي ذلك الحين لم أكن أريد أنا أيضًا أن أنتقل ولن يسمح لها أبي...»، استأنف الكلام عندما استعاد صوته.» لوكاس اتصل بالأمس، لقد اتّصل مرّتين. لقد اتّصل بي، اتّصل وأظنّ أنّه لو كانت أمّي هي من تركت أبي لما تمكّنتْ من ملاقاتنا. لم يكن ليسمح بذلك قطّ. أبي لا يتحمّل الإهانة وأمّي هي... «مسحت حول فمه وأنفه بورق التواليت، وهمست «استمرّ»، وبكى أكثر. وعندما أنهى حالة البكاء تمخّط، وقال: «أنا لست مثل أمّي. أبي يقول دائمًا إنّني كذلك، ولكنّني أكرهها، أنا لست مثلها، إنّها حمقاء. لا يهمّني إن كانت هي من غادرت، أنا متأكّد أنّها لا تستطيع فعل أيّ شيء. قال لوكاس ذلك أيضًا، إنّها يائسة جدًّا، وبعد ذلك لم أقل أيّ شيء آخر. لم يكن والداه عنده. ليس شقيقه الكبير الموهوب لوكاس الّذي لم يجرؤ على أن يخالف كلايس، اتّصل في السّرّ عندما لم يكن بقربه. ولكنّني جئت إلى المستشفى. لقد آذيته أيضًا، ولكنّنا لم نعد نتحدَّث عن ذلك، ما فعلته لم يكن مهمًّا، كان تافهًا وعندما همست سامحني، قال إنّه لا يهمّ، أنت هنا الآن، لا يهمّ، قبّلته وقبّلني ووضع يده السالمة تحت قميصي، في شعري، حضنني من رقبتي وقبّلني مرّة أخرى وأخرى؛ لأنَّه لم يستطع العيش من دوني، كانت مسألة حياة أو موت.

هل كنت أظنّ ذلك حقًّا؟ أن يكون بحاجة إليّ لأعيش؟ نعم. لأنَّ هذا صحيح. وعندما نقل إلى جناح الطّبّ النّفسيّ، كان والده وشقيقه موجودين بالفعل في (زيرمات) للتّزلّج على الثّلوج. ومن هناك، طار والده مباشرة إلى مدينة أخرى للعمل، وغادر لوكاس إلى الولايات المتّحدة. تبدو مزحة، ولكنَّ الوحيد الَّذي استقبل (سيباستيان) قبل أن آتي إلى الجناح النّفسيّ كان سكرتير كلايس. وربّما تحسبون أنّني ألفّق ذلك، إلّا أنّني لا أفعل، وإنَّ أسوأ شيء في ذلك هو أنَّ (كلايس فاجرمان) لم يكن قد أرسل مساعده، والأسوأ هو أنّه فهم بالضّبط كم من المقرف ذلك، ولكنَّه فعله على أيّ حال. استلقى سيباستيان في سرير المستشفى لمدّة طويلة يبكي. استلقيت إلى جانبه وأدركت مدى قربه من الموت، ونظرت إليه كأنّه يريد أن يموت، وفكّرت في أنَّ وجودي معه سيؤدّي إلى تحسّن صحّته. كنت سأجعله ينظر إليّ كما لم يرَ شيئًا مثل هذا من قبل. أجعله يشعر بأنَّه ضلَّ الدّرب، كما لو أنَّه فقد موضع قدمه، ولم يستطع تذكّر سوى شيء واحد: أنّه يريدني.

حينذاك كنت سأكتشف، سأعرف كيف أنقذ إنسانًا. وبعدها سيكون كلّ شيء على ما يرام. وعندما سيتعافى سيباستيان. هل فكّرت في سمير؟ ربّما. ولكنَّه لم يردني، لم أكن مناسبة لحياته، لم يرد التّكيّف مع حياتي. سمير لم يكن بحاجة إليَّ عندما كنت عند سرير (سيباستيان) في المستشفى ونبكي كلانا، أردت أن أشعل العالم من أجله، أريه ما كان يعنيه لي، وأن أكون معه، وأن أذهب إليه، ولأجله. اللّعنة، تحسبون أنكم على حق، ولكنَّكم تفعلون ذلك فقط لأنّكم تعرفون كيف سارت الأمور. في ذلك الوقت، لم يكن أحد يعرف أيّ شيء. ولم يسألني أحد هل تريد؟ هل تستطيع؟ أو قال لنتعاون، لا يمكنك أن تفعلي هذا وحدك. لأنَّ الجميع كان يعلم أنَّ هذا هو الخيار

الوحيد. هناك أنا فحسب. لم يسألني أحد إن كنت أريد إنقاذ (سيباستيان)، ولكنَّ الجميع يلومني على الفشل.

لا أعرف ماذا قال الطّبيب عندما أوضح (كلايس فاجرمان) أنّه لا يستطيع المجيء لزيارة ابنه في الجناح النّفسيّ؛ لأنّه كان مشغولًا بالتّزلّج والاحتفال بعيد الميلاد، ولكنّني أعرف أنَّ النّاس لم يتقدّموا بمطالب إلى (كلايس فاجرمان). ولا حتّى الأطبّاء. ربّما أخبر بعضهم بعضًا، في غرفة استراحة القهوة عندما لم يسمع كلايس، شخص ما يجب أن يخبره، ولكنّهم هم أنفسهم لم يكونوا قطّ هذا الشّخص، لا أحد هو هذا الشّخص، وإذا أو عندما قابلوا كلايس فاجرمان، ومن النّاحية النّظريّة أمكن أن يقولوا أيّ شيء، حينذاك نسوا ما كان مهمًّا من قبل. ماذا تفعل بحقّ الجحيم، أنت والده! وأنت أخوه الأكبر!

أين والدته؟ من المستحيل أن يسألوا هذا السّؤال. لقد أثّر كلايس فاجرمان بهم إلى درجة أنَّهم لم يجرؤوا على قول أيّ شيء آخر غير الأشياء الّتي كانوا متأكّدين أنّه يريدها. وكانوا خائفين من أن يحوّل غضبه واحتقاره لابنَهُ فيوجّهه إليهم. استلقيت في سرير سيباستيان وعانقته حتّى توقَّف عن البكاء، وذهب إلى النّوم، فبقيت هناك حتّى استيقظ مرّة أخرى. لم يقف شخص واحد على وجه الأرض ويصرخ حتّى يستمع إليه شخص ما: هل يمكن لأحد أبناء العاهرات أن يجلب والدي سيباستيان الملعونين إلى هنا، ويجبرهم على حبّه بالطّريقة الّتي يستحقّها لكي يكون محبوبًا؟ عندما بكى حتّى لم يستطع الكلام، قبّلته. لقد قبّلني مرّة بدوره. كان الوضع غير مريح وتلطّخت بمخاطه في فمه والضّمّادات كانت في الطّريق، ولكن في ذلك الوقت، في المستشفى، كان سيباستيان هو الحبّ. كان كل ما أحتاج إليه، كان معي ولن يذهب إلى أيّ مكان آخر، وظننت في الواقع أنّني يمكن أن أغيّر شيئًا.

ليس العالم، أنا لست غبيّة، ولكنّني فكّرت كيف سيكون الأمر عندما يخرج، وسنتمدّد على سريره المزدوج عاريين ووحيدين، وهو يرسم خطوطًا على بطني وأتنفّس زفيره ونحن، لا، لم نكن بحاجة إلى أشخاص آخرين. لم نكن بحاجة إلى والده العجوز المقزّز. هذا الوالد يجب أن يموت، وليس أنت، همست في أذن سيباستيان. هل قصدت ذلك؟ بالطّبع كنت أعني ما أقول. كرهت (كلايس فاجرمان). أردت التّضحية بكلّ شيء من أجل (سيباستيان)، المشكلة الوحيدة هي أنّه لم يكن لديَّ أيّ فكرة عن «كلّ شيء». بالنّسبة إلى الأعظم على الإطلاق، فالحبّ هو الأعظم حتّى يصبح هناك شيء آخر أكبر. ذهبت إلى المستشفى بطائرة هليكوبتر وسيّارة، وكان من الواضح أنّني كنت سأذهب. عدت إلى سيباستيان وبقيت عنده، لأنَّ سيباستيان احتاج إليَّ. لم يكن لديه أيّ شخص آخر. لقد أحبّني أنا. كم كنّا محظوظين وليس معنا أحد. ما أفتقده الآن، بعد كلّ شيء، هو كيف كان الأمر عندما كنت أشعر بمشاعر مختلطة فاترة تشبه السّعادة. كيف كان الأمر خلال أيّام عيد الميلاد تلك عند جدّي، عندما كان الثلج يتساقط في كلّ مكان وترقّق شعر رأسي بعد عاصفة ممطرة، وجرى تخفيف مشاعري في خليط معتدل. حبّ؟ لا، أنا لا أفتقد الحبّ. الحبّ ليس الأعظم أو الأنقى؛ فهو لا يصبح خليطًا مثاليًّا، بل مجرّد سائل نجس. يجب أن تشمّه قبل تذوقه، ولكنَّ الخطر هو عدم انتباهك لكونه ساما.

الليل، سجن النّساء

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الثاني، ليلة الثّلاثاء

32

حتّى في منتصف اللّيل، في أحلك ساعة، يجد خيط خافت من الضّوء طريقه إلى زنزانتي. يأتي من خارج المدينة، حيث لا يصبح أسود تماما، ولا صامتا تمامًا أبدًا. عندما أستيقظ، أستلقي على ظهري برهةً وأدع عينيَّ تعتادان ذلك، ثمّ أرى ما حولي. ترتفع بطّانيّتي الرّقيقة الصّفراء تحت الملاءة لكي أتنفّس، وضعت يدي على اللّوح الأمامي وشعرت ببصمات أظافري في الخشب الصّنوبريّ النّاعم. حينذاك شعرت بأشد حالات الوحدة. كان لي سرير الصّنوبر عندما كنت طفلة، أردت سريرًا بطابق واحد وأمّي اشترته لي في متجر إيكيا، لم أجرؤ على النّوم في الأسرّة، ولكنّني اعتدت أن أزحف تحت السّرير والاستلقاء ممدّدة على ظهري والرّسم على أرجل السّرير، وكتابة رسائل سرّيّة إلى الأجيال القادمة. أجبرت أحيانًا أماندا على أن تشاركني ذلك. ربّما لم نكن في أيّ وقت أفضل صديقتين ممّا كنّا عليه في تلك الأيّام، عندما تألّفت الحياة من الآيس كريم، والوشم اللّامع في علب العلك، ومن كان يمكنه أن يرسم أفضل رأس حصان. ولكن كان الحيّز ضيّقًا تحت السّرير، ونحن لم نستلقِ هناك لمدَّة طويلة جدًّا.

هي وأنا. سيباستيان وأنا. مجرّد التّفكير فيه، كيف كان الأمر عندما كان

سيباستيان يجعل جسدي يتفاعل؟! لا يهمّ أن يحتجَّ الرّأس، يتذكّر الجسم، حتّى جلدي يتذكّره. قبل سيباستيان، كنت فتاة تقول: نعم أو لا. لا شيء آخر أبدًا، ولكن مع (سيباستيان)، أصبحت مثل أحد الرّجال. لم يكن مهمًّا قطّ أنّني كنت أعرف أنّني سأكره نفسي بعد ذلك، قلت. «هيا إذًا»، ناشدت، «من فضلك»، «أكثر»، «مرّة أخرى»، «مرّة أخيرة فقط». هناك شيء واحد فقط يتذكّره جسدي بوضوح أكثر ممّا رغبت فيه، وهذا هو ما شعرت به عندما اختفى. لقد حان دوري للحديث في غضون ساعات قليلة. أوّلًا، سيقودني ساندر خلال إفادتي، ثمّ ستطرح المدّعية العامّة أسئلتها. أستطيع أن أسمع في رأسي ما ستقوله المدّعية العامّة. كيف استطعت؟ ماذا فعلت؟ بمَ كنت تعرفين؟ لماذا لم توقفيه؟ أجيبي. يقول ساندر: «ليس الأمر متروكًا لك لتشرحي سبب قيام سيباستيان بما فعله»، قال ساندر. «كلّما أسرعت في إدراك ذلك وذكرته، كان أفضل. عليك أن تركّزي على دورك الخاصّ في هذه القصّة». «لا يحسب ساندر أنّني يجب أن أتحدّث عن كيف أحببت سيباستيان، فهذا لا علاقة له بالمسألة».

لا يريد أن يستمع عندما أشرح كيف خذلتُ (سيباستيان). وإنّه كان خطأي أنّه شعر بحالة سيّئة. أو أنَّ سيباستيان احتاجني. عندما أتحدّث إلى ساندر حول هذا الموضوع، يغتنم دائمًا أيَّ فرصة ليتصفّح شيئًا أو يشيح عنّي، أو يبحث في جيوبه عن نظاراته. لا يريد ساندر أن يعرف تفاصيل قصّة حبّنا، فهذه لا تناسبنا الآن. ويحسب أنَّ هذه القصّة بحدّ ذاتها تجعلني أبدو مذنبة غبيّة وبلهاء، وهذا إلى حدّ كبير صحيح. فهذه القصّة ليست جزءًا من المسألة. فليس عليك إخباري بذلك. ويمكنك الاحتفاظ بها لنفسك. وهي ليست ذات صلة من النّاحية القانونيّة.

ولكن هناك أشياء لا يفهمها (ساندر). في صغره، لم يكن الملك بحاجة

إلى تقبيل سيلفيا على مدرّج القلعة عندما كانا متزوّجين حديثًا. لم يكن على الملك أن يلقي خطابًا على الهواء مباشرة على العشاء، يصرخ فيه: «سيلفيا، سيلفيا. أحبّك يا (بلا بلا بلا)...»، أمام جموع الشّعب.

لم يكن ثمّة حاجة إلى كتابة الخطب لتلبية حاجة الغوغاء إلى «لقد مررنا بالنّار والماء، ولم نختر الطّريقة السّهلة، ولكن أعظم شيء على الإطلاق هو الحبّ». في زمان (ساندر)، كان على المرء أن يترك وشأنه. في زمان (ساندر)، كنت تحتفظ بالأشياء لنفسك؛ وإلّا لكان الأمر محرجًا. ولكن هذا زمان ولّى. وأنا أعرف ما يتطلّبه الأمر. أعرف ما كنت أودّ أن أعرف نفسي: وكنت أودّ أن أعرف كلّ شيء، كنت سأطالب بكلّ التّفاصيل تقريبًا، عن حبّ سيباستيان، وحبّي القذر، والمرضيّ، والسّام. ولأفهم لماذا قلت إنّني أظنّ أنَّ والده يستحقّ الموت، ولماذا أطلقت النّار على حبيبي وصديقي الحميم. ربّما ليس من شأني أن أشرح لماذا فعل (سيباستيان) ما فعله.

أنا متأكّدة أنَّ ذلك ليس له صلة قانونيّة. ولكنَّني كنت هناك، كان فتاي، عرفته أفضل من أيّ شخص آخر في ذلك الفصل الدّراسيّ، بالتّأكيد كنت أعرف عنه أكثر من والديه. وقتلته هو و (أماندا). إذا لم أشرح، فمن سيفعل؟ أريد أن أعرف أيضًا. ولماذا؟ سؤال كبير إلى ما لا نهاية، ويتطلّب «الشّفافيّة الكاملة» و«الشّفافيّة الكاملة» تتطلّب منّي أن أكون أكثر حذرًا ممّا كنت عليه في أيّ وقت مضى ممّا أقوله؛ لأنّه بمجرّد أن أقول ذلك، فإنّه يتحقّق.

يوم جاء أخيرًا دوري للحديث، بعد كلّ التّأخير، استيقظت قبل وقت طويل ممّا يلزم. الاستيقاظ في ساعة يكون الظّلام في أحلك حالاته هو الأسوأ. اليوم أفعل ذلك، وحتّى قبل أن أفتح عيني، أعلم أنّني لن أعود لأنام ثانية. أشعر بأنني مريضة، أقف ورأسي مُنْحَنٍ فوق حوض المغسلة، وأدع

الماء يسيل، ومياه الصّنبور في السّجن لا تصبح باردة أبدًا، ولا ساخنة حقًّا، ولكنَّني أشطف وجهي، ثوب نومي يتبلّل عند خطّ العنق وأزيحه عنّي. ثمّ أقف عارية في وسط الغرفة وأتنفّس، شهيق وزفير، شهيق وزفير. أشعر بالبرد والتّعرّق. وقد أعادني ساندر إلى ما سيحدث اليوم، لقد تدرّبنا، تدرّبنا وتدرّبنا وتدرّبنا، ولا، ليس الأمر يتعلّق بأنّ ساندر قد لفّق قصّة لي تعلّمتها عن ظهر قلب، ولكنّه يعلم أنّه إذا بدأت في التّأتأة واحمرّ خدّاي، وتعرّقت حتّى ينفضح الأمر، حينذاك لا يهمّ ما أقوله، كم أنا صادقة، حينذاك لا أحد في قاعة المحكمة سيستمع إليّ. المدّعى عليها.

ها أنذا، في غضون ساعات قليلة سأقدّم روايتي، حان الوقت بالنّسبة إليَّ لتسليم إفادتي. لقد قال (ساندر) إنَّ لديَّ «الحقّ في الامتناع»، هذا يعني أنّه يمكنني أن أخرس طوال المحاكمة بأكملها. لا أحد يستطيع إجباري على الكلام، لا أحد يستطيع إجباري على الإجابة عن الأسئلة. إذا أردت أن أسكت، فسأسكت. في المستشفى، تحدّث سيباستيان، ولكن عندما غادر، سكت. تركته وحيدًا، ولم أسأل ألف سؤال ولم أطلب إجابات. كنت أعرف أنّه بحاجة إلى أن يكون هادئًا. بذل أصدقاؤه قصارى جهدهم لأداء دور من لا علاقة له بالموضوع. لم يصرّ أيّ منهم على الوصول إلى القسم النّفسيّ، ولكن عندما عاد إلى البيت، أصبح من الصّعب التّظاهر بأنَّ مسرحيّتهم كانت من أجل سيباستيان. دينيس كان أذكاهم، في حين كان (لابي) الأسوأ. في المرّة الأولى الّتي التقى فيها سيباستيان (لابي) بعد عيد الميلاد، بدأ لابي بالبكاء والعناق، بعده حاولت أماندا أيضًا أن تفعل الشّيء نفسه وكان الأمر فظيعًا. سيباستيان كره ذلك. عندما عدت إلى السّرير، شعرت بالبرد الشّديد.

هناك بطّانيّة إضافيّة في خزانتي، ولكنّني أرتجف كثيرًا حتّى أعجز عن التقاطها. وعندما أغلق عينيّ، تؤلمني جفوني. استلقيت على جانبي في

محاولةٍ لوضع ذراعي حول ركبتي، والتّنفّس تحت الغطاء. تنتابني القشعريرة متواترة، وألفت الإيقاع تقريبًا، كأنّها شهقات، ثمّ سرعان ما تتوقّف مثلما بدأت. وبمجرّد أن أُنهي روايتي، فلا مجال للعودة. ولكن هنا في اللّيل توجد نسخ من الرّواية، حياة موازية لحياتي. لا أستطيع التّوقّف عن التّفكير فيها. في إحدى النّسخ، لا أقبّل سميرًا أبدًا، ولا أدعه يمسك بيدي أبدًا، ولا أخرج أبدًا إلى محلّته السّكنيّة، ولا يبدأ أبدًا بكرهي أو الخجل ممّا أجعله يشعر به، ولا يشعر بالمسؤوليّة تجاهي؛ إذ يمكنه الحصول على أشياء أخرى يتهيّج عليها أكثر من سيباستيان، ولا أقع أبدًا في حبّ سمير، ولا يجب أن أنفضّ عن سيباستيان، ولا يحاول سيباستيان الانتحار، ولا تتفاقم حاله سوءًا بالطّريقة الّتي صار عليها بعد عيد الميلاد، والحفلة الأخيرة لا تنظم، ووالده لا يغضب، وسيباستيان لا يفقد الأمل في أنَّ والده سوف يحبّه، وبالتالي لا يطلق الطّلقة الأولى، ولا نقتل أنا وآخرون آماندا، ولا أقتل أبدًا سيباستيان والآخرين ونواصل الحياة، إنّها أفضل خاتمة، أفضل بداية وأفضل حياة.

عندما أقطع علاقتي بـ(سيباستيان)، يلاحظ كم هو سهل الموت مثلما يصبح قاتلًا. لم أفهم ذلك إلّا بعد فوات الأوان. وفي عالم موازٍ آخر، أرمي (سيباستيان) في اللّيلة الآنفة. مباشرة بعد الحفلة. ولا أعرف لماذا كنت سأفعل ذلك، وكيف؟ ولكن مع ذلك كان سيكون من الأفضل لأنّ الآخرين يمكن أن يستمرّوا في العيش.

في نسخة ثالثة، أنا لا أذهب إلى المنزل بعد الحفلة في اللّيلة السّابقة، وأمّي وأبي يتّصلان بالشّرطة في الصّباح الباكر ويجدانني ميتة في باراكودا. لقد أغرقت نفسي والشّرطة تذهب مباشرة إلى سيباستيان وتشقّ طريقها بالقوّة للتّحدّث معه، ولا يمكنه أن يفعلَ ما فعله في المنزل، ولا يمكنه الذّهاب إلى المدرسة وفعل ما فعله هناك. في النّسخة الرّابعة أنا لا أعود إلى البيت من عند

سيباستيان بعد الحفلة، وأنا لا أكترث للذّهاب على الرّغم من أنَّ والده يطلب منّي أن أبقى مع سيباستيان، وأنا أجبره على أن يكون معي، وإذا كنت هناك لما قتل والده.

هذا يعني أنَّ الجميع لهم الحقّ في الحياة. تستحقّ أماندا الحياة. وجميع النّسخ تتضمَّن شيئًا واحدًا مشتركًا. لا أستطيع التّوقّف عن التَّفكير بها. ليس إلى حدّ الآن على أيّ حال.

من المهمّ أن تروي. قالت بيرمانينتن هذا عدة مرات أمام الشّرطة وفي أثناء استجواباتي، قالت بيرمانينتن ذلك مرّات أكثر من أن يمكنني تعقّبها. *افعلها من أجل أماندا.*

يحسب النّاس دائمًا أنّهم يعرفون ما كان الموتى يريدونه. كانت أماندا تودّ أن تكوني شجاعة. *كانت أماندا تودّ لو أنّك قلت الحقيقة. كانت أماند قد فهمت.*

إنّه أمر سخيف أساسًا. كانت أماندا تودّ لو أنّني لم أرمِها. أماندا لم ترد أن تموت. هذا هو الشّيء الوحيد الّذي أظنّ أنّنا يمكن أن نكون متأكّدين منه.

الحقيقة هي أنّ كلَّ ما حدث بعد العودة إلى سيباستيان حدث لأنّني لم أستطع منعه من الحدوث. ماذا لو أخبرت عن هذا الّذي كان عن (سيباستيان) أيضًا؟ هذا الشّرّ؟ نعم، لماذا لا؟ ليس من مسؤوليّتي الدّفاع عنه. الآن هو وحيد، وحيد مثلي أنا. ولكنَّني لست متأكّدة أنَّ هذا سيفيد، أو أنّه مهمّ كثيرًا. لأنّني سأقدّم روايتي اليوم. ثمّ يحين دور سمير.

الجلسة الرّئيسة في القضية باء 147 66
الادعاء العام في مواجهة ماريا نوربيرغ

جلسات المحاكمة - الأسبوع الثاني، الثّلاثاء

33

نجا سمير من الموت. أطلق عليه سيباستيان ثلاث طلقات، استقرّت واحدة في بطنه وواحدة في الكتف وواحدة اخترقت مباشرة ذراعه. وخضع لستّ عمليّات جراحيّة، فأزالوا له البنكرياس. لست متأكّدة ما يعني ذلك، ولكن ورد في الدّعوى أنّه ستجري معالجته لما تبقى من حياته، وأنَّ قدرته على الحركة في ذراعه اليسرى قد انخفضت، ولديه ألم الظّهر المزمن. ولكنَّه تعافى بما فيه الكفاية للدّراسة في ستانفورد من بين جميع الأماكن، وفقًا للبانكيك، وذلك بفضل التّعويض الّذي تلقّاه من مجموعة شركات فاجرمان. ليس سمير مجرّد واحد من الضّحايا، ومجرَّد واحد من المدّعين، بل هو أيضًا الشّاهد الرّئيس للمدّعية العامّة، الشّاهد الوحيد للينا القبيحة من داخل الفصل الدّراسيّ. قصّة سمير هي ما تبني عليه ملاحقتها القضائيّة بحقّي. وبالطّبع أعرف ما قاله في تقريره. الاستجوابات معه موجودة في التّحقيق الأوليّ وقد قرأتها. لقد قرأتها مرّات عديدة إلى درجة أنّني أعرفها عن ظهر قلب. وقال سمير إنّني أطلقت النّار على أماندا عمدًا، وإنّني التقطت سلاحي في سلام وهدوء، ولم يبدُ على سيباستيان أيّ توتّر ممّا فعلته، وإنَّ سيباستيان طلب منّي أن «افعليه الآن، هيا. أريدك أن تفعلي ذلك»، قبل أن أطلق النّار على أماندا أوّلًا ثمّ سيباستيان.

ساد الهدوء قاعة المحكمة عندما دخلت للجلوس في مقعدي. يرتجف

من شدّة التّرقّب، حسب تعبير جدّتي. حتّى القضاة يبدون مختلفين. ملؤهم الأهمّيّة مرّة أخرى، تمامًا مثل اليوم الأوّل. لن يدلي سمير بشهادته حتّى يوم الاثنين من الأسبوع القادم؛ إذ لديه مهمّة عليه أداؤها في ستانفورد ووافقت المحكمة على ذلك، ولكنّي سأقدّم شهادتي اليوم. لهذا السّبب فالجميع متوتّرون للغاية لأنّني سأتكلم. ولكن بالنّظر إلى أنّنا جميعًا نعرف ما سيقوله سمير، لا أفهم لماذا الجميع مستفزّون. لا يوجد شيء يمكنني قوله من شأنه أن يفنّد روايته. قال ساندر إنَّ شهادة سمير «يجب أن تقيم في ضوء الوضع الّذي كان فيه»، بمعنى أنَّه «يمكن أن يُشير إلى الشّكوك في ملاحظات سمير». ولكنّني أعرف أنّهم بمجرّد سماع ما لديه ليقوله، سوف يثقون به. سمير شخص موثوق به.

يبدأ ساندر بطرح الأسئلة عنّي. يتساءل كم عمري، على الرّغم من أنّ أيّ شخص لا يزال لا يعرف ذلك، بالكاد ينبض، ويسأل أين أعيش وأنا لا أجيب «يورهول»، بل أقول «مع أمّي وأبي وأختي الصّغيرة... الّتي عمرها خمس سنوات واسمها لينا». ثمّ يريد منّي أن أتحدّث عن وضعي في المدرسة، فأقول «جيّد جدًّا»، ويشير ساندر إلى «جيّد جدًّا». وبمجرّد الانتهاء من الإحماء، حان الوقت للبدء في الحديث عن «ما حدث». قال ساندر إنّه لن «يركّز» على «تصوّر» سمير للأحداث، ولكن يجب أن أخبر عن الفصل الدّراسيّ. ولكن لنبدأ بمحاولة (سيباستيان) للانتحار. يجب أن أتحدّث في موضوع كم كان مريضًا من قبل، وفي موضوع حفلاته، وإنّني ظننت أنّه كان صعبًا، وإنّني قابلت (سميرًا)، ما قاله (سيباستيان) عندما انفصلت عنه، وما تحدّثنا فيه داخل المستشفى.

أخبرينا ماذا حدث عندما عاد (سيباستيان) من المستشفى. هل يمكنك فعل ذلك؟ «اضطرّ سيباستيان إلى العودة إلى المنزل بعد أسبوع من بدء

السّنة الجديدة، في اليوم الَّذي بدأ فيه الدّوام المدرسيّ.. ولكنَّه كان في إجازة مرضيّة لمدّة أسبوعين آخرين أمضاهما في البيت. في البداية ظننت أنَّ الأمر سيتحسَّن. لم يتحسَّن الأمر، ولكنَّني ظننت ذلك. توقَّف سيباستيان عن الخروج، وتوقَّف عن دعوة مئتي شخص إلى حفلاته وحجز رحلات نهاية الأسبوع إلى برشلونة ولندن ونيويورك. أراد أن يكون معي بدلًا من ذلك طوال الوقت لو أمكنه ذلك، حتّى عندما يجب أن أكون في المدرسة. كما توقَّف عن الحديث عمّا يجب القيام به، وإلى أين نذهب، وكيف سنحتفل. بدلًا من ذلك، أرادنا أن نتعاشر وحدنا. وحيدين. في منزله حيث نادرًا ما كان والده يبقى لمدَّة كافية لتغيير حقيبة السّفر. ظننت أنَّ هذه علامة جيّدة. لم يثمل كثيرًا، لم يكن منتشيًا بإفراط بالطّريقة نفسها قطّ.

عندما اتّصل أصدقاؤه وكنت هناك، قطع المكالمات ولم يردّ، فلو أردنا أن نتسكّع مع الآخرين، لأراد أن نفعل ذلك في منزله، وإذا جاء شخص ما فلم يكن مستغربًا بالنّسبة إليه أن يختفي بعيدًا في جزء آخر من المنزل. أحيانًا لم أستطع حتّى العثور عليه. لقد كان مختفيًا. وبالطّبع كان مكتئبًا، ولكن في الوقت نفسه لم يبدُ سيباستيان قطّ واقعًا في حبّي كما في تلك الأسابيع بعد عودته من المستشفى، وتجواله مرتديًا بيجامته. وربّما كان ذلك عندما أحببته أكثر من غيره. لماذا كان ذلك؟

في نهاية هاري بوتر، عندما يقاتل أبطال الفيلم فولدمورت بشراسة، يتبادل رون وهيرميون القبلات. يفعلان ذلك لأنّهما يظنّان أنّهما سيموتان بعد ذلك بوقت قصير، يقبّل هاري وجيني أيضًا بعضهما بعضًا وللسّبب نفسه. أظنّ أنّ (سيباستيان) أحبّني أكثر من أيّ وقت مضى؛ لأنّه كان يعلم أن من الممكن أن يموت. وراودني الشّعور نفسه. والآن، عندما أعرف ما حدث. أحسب أنّه ربّما حتّى ذلك الحين كان يعرف أن موته محتمل بل مؤكد، أو أنّه على الأقلّ

كان يعرف أنّه من السّهل أن يموت إذا كان هذا ما قرّر القيام به. لقد انتهى الأمر. ذلك الشّعور الشّديد بالحبّ. نحن نتحدّث عن (كلايس). يطلب منّي ساندر أن أذكر ما قاله، ما فعله وما لم يفعله. «هل كان سيباستيان يعاني؟» هل خاب أمل (سيباستيان) في والده؟ «هل تحدّثتما عن ذلك؟»، وأنا أَواصل روايتي. سأروي عن الآخرين أيضًا، عن لوكاس وأمّي و(لابي) وجميع الحفلات ودينيس والمخدّرات وسمير وكلّ شيء. سأحكي عن كلّ شيء.

«هل يمكنك أن تخبرينا كيف تفاقمت حالة سيباستيان؟» تكلّمت عن هذا أيضًا. استغرق الأمر منّي حتّى عطلة عيد الفصح تقريبًا أن أعترف لنفسي أن لا شيء قد تحسّن، بل صار أسوأ. وقد فهم الجميع ذلك من قبل، حتّى أماندا؛ لأنّه بالفعل في نهاية شباط/ فبراير لم يعد سيباستيان يريد أن يكون وحده، ولم يكن بحاجة إلى قطع المكالمات الهاتفيّة الخليويّة أو التّظاهر بأنّه مريض لتجنّب القيام بأشياء معيّنة. كنّا وحدنا لأن لا أحد أراد أن يكون معنا. فالعيش بسعادة إلى الأبد مع واحد تحبّه يوجد فقط في الكتب؛ «في كلّ أيّامك» ليست سوى مرحلة طويلة بما فيه الكفاية إذا كنت تتصنّع ذلك. لا يمنح الحبّ أحدًا الحياة الأبديّة. هناك أمران مهمّان لـ(ساندر). الأوّل هو أنّه يريد أن يظهر أن (سيباستيان) كان لديه نزاع مع والده لم أكن أنا مسؤولًا عنه.

وإنّني لم أقنعه لكي يقتل (كلايس)، وإنَّ (سيباستيان) كان سيفعلها سواء قلت أم لم أقل له أن يفعل. والثّاني هو أنّه يريد أن يبيّن أنَّ سيباستيان وأنا لم يكن لدينا خطط مشتركة للانتقام، ولم نكن في فيلا كلايس نخطّط لمؤامرة القتل. ساندر يريد من المحكمة أن تفهم أنّني افتقدت أصدقائي، وأنني لم أكرههم، وأنَّ سيباستيان هو الَّذي أصبح أكثر سوءًا وأكثر غضبا وأغرب. سيباستيان وليس أنا. هذا ما أقوله للمحكمة والصّحفيّين والجميع. سأروي عن الشّرّ المتنامي. ففي المرّة الأولى صرخ سيباستيان «اخرسي» على الرّغم

من أنّني لم أقل شيئًا. «إذا لم تصمت، فسأقطعك»، وعندما أصبحت مقتنعة بأنّه سيؤذيني. والشّيء الآخر. «هل كنت خائفة من سيباستيان؟» يسأل ساندر، ويميل رئيس المحكمة العليا إلى الأمام قليلًا، ينظر في وجهي منتظرًا جوابي. ولكنَّني لم أكن خائفة منه، ليس في ذلك الوقت، ليس في المرّة الأولى. ولا في المرّة الثّانية.

من الصّعب رواية ذلك. أنا لا أُجيد صياغات تجعل النّاس يفهمون ما تشعر به. «هل هذا صحيح حقًّا؟» يسأل ساندر. «لم تكوني خائفة؟» بدلًا من الإجابة، تسيل دموعي، لا أستطيع إيقافها. أهزّ رأسي، الآن لا أستطيع أن أقول أيّ شيء على الإطلاق. أبكي كثيرًا. وأخيرًا تخرج منّي كلمة «نعم». «هذا صحيح، لقد كان هذا صحيحًا. لم أكن خائفة لأجلي. ربّما كنت خائفة، ولكن ليس لأنّه كان سيفعل بي شيئًا. «ماذا تعنين؟»

لم أستطع تركه.

«هل تظنّين أنّه كان سيحاول قتل نفسه مرّة أخرى إذا تركته؟»، أومئ برأسي. «مم»! «لماذا كنت تظنّين ذلك؟» لأنّه قالها وكان ذلك صحيحًا. كنت أعرف أنّه كان صحيحًا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

«ولم تريدين ذلك؟»

«بالطّبع لم أرد ذلك».

هل تحدّثت مع أيّ شخص حول هذا الموضوع، مايا؟

هل شرحت مدى خطورة الأمر؟

أومئ مرّة أخرى. «نعم»، أقول. «لقد فعلت».

سيباستيان وأنا

34

لم نكن نعلم أنَّ (كلايس) سيعود إلى المنزل. ولكنَّه كان جنبًا إلى جنب مع أربعة رجال آخرين، تناول العشاء في المطبخ. كان أحد الرّجال يقف بجانب الموقد، تعرفت إليه، اعتاد أن يكون له شعر طويل يصل إلى كتفيه، يعقده عقدة فطيرة (ربّما كان يريد أن يبدو وكأنّه لاعب كرة قدم محترف) في أحد برامج الطّبخ الّتي يبلغ عددها ثلاثة ملايين برنامج على شاشة التّلفاز. وكان شعره الآن دهنيًّا، وقف في مطبخ سيباستيان يحمل سمكة فوق رقبته بيدٍ، وسكينًا في اليد الأخرى. طاهي التّلفاز كان رديئًا للغاية.

كان كلايس منغمسا في الحديث، قصَّة عن مدَّة الصّيد الّتي قضاها في جنوب أفريقيا، وطلب منه أحد قادة الصّيد أن يأتي بالمزيد من الذّخيرة. لا بدَّ من أنَّ الجميع سمعوه عشرين مرَّة على الأقلّ، ولكنَّهم ضحكوا بصوتٍ عالٍ في المواضع المناسبة. قال كلايس في منتصف إحدى الجمل: «اجلسوا»، قبل استئناف القصّة: جلسنا. لماذا؟ لأنّ (سيباستيان) كان يفعل ما قال له (كلايس) دائمًا، وفعلت أنا ما فعله (سيباستيان). «هل يمكنك تدبير بضعة صحون؟»، التفت إلى الرّجل الأقرب منّي، وهو رجل عجوز في السّتينيّات من عمره.

لقد تعرّفت إليه أيضًا، لم يكن وزيرًا للماليّة، بل كان نوعًا آخر من الوزراء، وزير الأعمال ربّما، قابلته من قبل. مع وجه مرتبك، وقف وانعطف إلى صفّ

الخزانات. لم يكن لدى الوزير أيّ فكرة عن مكان وجود الصّحون. وعلاوة على ذلك، كان ثملًا إلى درجة أنّه اضطرّ إلى وضع يده على عين واحدة من أجل الرّؤية بشكل صحيح. عندما أشار بإصبع السّبّابة السّمين إلى الثّلاجة وتساءل: «أين أطباقك؟»، وقفت.

«سأتولى أمر ذلك»، قلت. أردت الخروج من هناك، والإسراع بما أراده منّا كلايس أن نفعل، أيًّا كان. «ما خطبك اليوم يا (سباستيان)؟» أنهى (كلايس) سرد القصّة. «تبدو صاحيًا، هل أنت مريض؟» ابتسم سيباستيان ابتسامة خفيفة وسكب لكلّ واحد منّا كأسًا من النّبيذ.

كرع كأسه، ثمّ أعاد تعبئتها، ورفعها نخب والده في وعاء قبل أن يكرعها أيضًا. قال طاهي التّلفاز، وهو يقف بجانبي: «إنّه يحمل جينات والده، كما أرى». وجلس بجانبي. انحنى إلى الأمام ووضع طبقًا من البطاطا المطهوّة مرشوش عليها الشّبت، ووعاءً من البازلاء على الطّاولة. وأضاف وهو يقرصني في ساعدي قبل أن يعود ليجلب السّمكة: «له ذوق جميل أيضًا. «هناك أنت على خطأ، للأسف»، قال له كلايس، وأخذ مغرفة من البطاطا ومرّر الطّبق.

«إنّه لا يحمل جيناتي»، لقد تحقّقت من ذلك قبل بضع سنوات، والغريب أنّه لي، ولكنّه 120 بالمئة منه يعود إلى الآنسة يونشوبينغ بجذوره، ما يجعل والدته تبدو مستقرّة وذكيّة على حدّ سواء. «ضحك أصدقاء (كلايس) السّكارى» متردّدين قليلًا، ربّما. ولكنّهم ضحكوا، فلا أحد يصدّق أنّه كان جادًّا عدا طاهي التّلفاز، وسحب كرسيًّا واندسّ بيني وبين سيباستيان. جلس قريبًا جدًّا منّي إلى درجة أنّني كنت أشمّ رائحته، مزيجًا من السّمك النّظيف والعرق وعطور الرّجال الثّقيلة. ولكن من فضلك قل لي»، تابع كلايس. «سيباستيان، النّعجة الجرباء للعائلة. كيف حالك؟ «هل تهتمّين؟»، تمتمت

وحاولت تحريك الكرسيّ في الاتّجاه الآخر. لم أكن أحسب أنَّه سيكون مسموعًا، ولكنَّ كلايس نظر إلى الطّبق. هل كان سيبدأ بالضّحك؟

«إذا كنت أهتمّ؟» رئيس الطّهاة التّلفزيونيّ وضع ذراعًا حولي «إنّه يمزح فحسب يا فتاة، خذي راحتك. تذوّقي الطّعام.» أخذ شوكتي، علّق بها قطعة من السّمك وقرّبها إلى فمي. «سفينة تأتي محمّلة... قطعة لأبيك، افتحي فمك الآن. »ضحك كلايس، محصّن ضدّ الانفجارات، وبعد أقلّ من ثانية في وقتٍ لاحقٍ، ضحك الجميع مرّة أخرى. كنت أفتح فمي ولا أعرف لماذا فعلت ذلك، ولكنّ طاهي التّلفاز قطع قطعة أخرى، ودسّها في فمي.

بينما كنت أبتلع، مسح فمي بمنديله. لم أكن أرى (سيباستيان)، ولكنّني سمعته يضحك. تلك الضّحكة الّتي كان دائمًا ما تمكّن من إطلاقها عندما بدأ والده، والّتي جعلتني أشعر بالغثيان. اعتاد سيباستيان هذا، ولم يمكنه التّخلّي عن هذا التّنمّر قطّ. ألم يرَ كم كان الأمر مقرفًا؟ بالطّبع رأى. ألم يرَ كم كان والده مقرفًا؟ نعم، لقد فعل. كيف كان يتصرّف باشمئزاز؟ بالطّبع. لماذا لم يفعل أيّ شيء؟ لماذا لم يعرف أنَّ النّاس لا يمكن أن يعاملوا معاملةً كهذه؟ لماذا وضعت قواعد السّلوك الّتي تسري على الجميع، ما عدا كلايس؟ كان لـ (كلايس فاجرمان) أن يفعل أيّ شيء. أمّا نحن الآخرون فقد كنّا نفتح الأفواه ونبتلع. ربّما كانت اللّقمة الثّالثة الّتي أعدّها طاهي التّلفاز الّتي أعطتني القوّة. دفعته وشوكته اللّعينة عنّي بكلتا يديّ إلى حافة الطّاولة. «يا صغيرتي...»، حاول الطّاهي الاحتجاج عندما تملصت. «يجب أن تأكلي إذا أردت أن تكبري وتكوني قويّة» «افتحي فمك على وسعه»، صرخ أحدهم. لم أسمع من كان. ربّما الوزير، وسمعت (سيباستيان) يضحك مجدّدًا. مثل والده. أغمض عينيّ وأفتحهما، بقوّة وسرعة، والنّقاط البيضاء رقصت على شبكية العين. التفتُّ إلى سيباستيان.

«أنا ذاهبة إلى البيت الآن». لم يُجِبْ. لا أحسب حتّى أنّه نظر إلى الخلف. ففي الاختيار بيني وبين والده، كنت أخسر دائمًا. «إنّها على الأرجح فكرة جيّدة»، قال كلايس ومدّ يده إلى وعاء البطاطا لتناول المزيد من الطّعام. «ما ألذّه من طعام!»، واصل، استدار نحو الطّاهي الآن. سرتُ أربع خطوات على الأرضيّة ووقفت أمام كلايس.

«هل تظنّ حقًّا»، خرجت من فمي. بلعومي يؤلمني. وبالكاد يحمل الصّوت. سأبدأ بالبكاء بعد بضع ثوانٍ، ويجب أن أخرج من هنا قبل ذلك. ولكن يجب أن أقول هذا «هل تحسب أنَّ هذا على ما يرام؟ لا تريدين فعل شيء؟» انتهيت، كنت أبكي بالفعل. «أنت لا تهتمّ لكون سيباستيان مريضًا، ولكونه لا يمكنه تدبير... لن تفعل أيّ شيء حياله؟». نظر كلايس إليّ. ابتسم: «افعل شيئًا؟» صوته كان باردًا جدًّا.

«اشرحي لي، مايا... ماذا تريدين أن أفعل؟ ماذا تعني أنّه يجب أن أفعل ما لم أفعله من قبل؟ رجاء اشرح لي ماذا سيكون ذلك بالضّبط؟ حاولت أن أنظر إلى الوراء. «حاولت أن أبقي عينيّ ثابتتين، ولكنّني لم أستطع. هل سيقول إنّه يجب أن نتحدّث في هذا بشكل فرديّ؟ إنّ هذا لم يكن مناسبًا للمناقشة خلال عشاء للرّجال؟ لا. لم يكن (كلايس) خجلًا، لماذا يفعل ذلك؟ لم يكن يشعر بالخجل قطّ، لا شيء يمكن أن يهدّده، لم يكن هناك شيء لا يستطيع قوله أو فعله أمام العالم. انحنى إلى الخلف. لقد وضع أدوات المائدة. الجميع توقّف عن الأكل. كانوا ينظرون إليّ، «نحن نستمع يا (مايا)، أخبرينا ما يدور في ذهنك. أخبرينا ما تظنّين أنّه يجب عليّ فعله. لقد أدار كأس نبيذه. كان المشروب الأصفر يلفّ في الزّجاجة.

يده الأخرى لا تزال بجانب الصّحن، أصابعه متباعدة بعضها من بعضها

الآخر قليلًا. كان لديه خاتم كعب في إصبعه الأيسر الصّغير، طرقه على الطّاولة. لم أتفوّه بـ «شيء». لقد كان همسًا. حلقي احترق بسبب الجهد المبذول. «ليس عليك فعل أيّ شيء»، ثمّ استدرت وغادرت. سيباستيان لم يتبعني. أمّي وأبي كانا يجلسان في غرفة المعيشة يشاهدان التّلفاز عندما وصلت إلى المنزل. ذهبت إلى غرفتي على الفور. لم أرد أن يريا أنّني قد كنت أبكي. ولكنّني أغلقت الباب بأقصى ما أستطيع ورائي. ربّما أردت التّأكّد من أن يسمعا أنّني قد عدت إلى المنزل، وأن يعلما أنّني لم أنم عند سيباستيان على الرّغم من أنّني كنت دائمًا أنام عنده أيّام السّبت. بعد ثلاث دقائق، طرق والدي الباب. خلعت سروالي الجينز ودخلت تحت الأغطية. لم أعد أبكي بعد الآن، «هل كلّ شيء على ما يرام، يا بنت؟» التفتّ إلى الجدار. «بالتّأكيد» هل تريدين التّحدّث؟»، «أريد النّوم». سار إلى سريري وانحنى وأزاح شعري عن خدّي. «ليلة سعيدة يا عزيزتي»، في صباح اليوم التّالي جلست أمّي قبالتي عندما تناولت الإفطار. «ماذا حدث يا (مايا)؟» هززت كتفي «هل تشاجرتما؟». تجاهلت الأمر مجدّدًا بهزّ كتفي. ساد الهدوء لبرهة من الوقت.

«كيف حاله؟».

ليس على ما يرام.

«فهمنا ذلك. أتريدين منا أن نفعل شيئًا؟».

«لا».

هل أنت متأكّدة؟

هل ستخبرينني إذا كان هناك أيّ شيء يمكننا فعله؟

نحن نفهم أنّ الأمر ليس بهذه السّهولة، وأنّ سيباستيان لديه مشكلة. لقد تحدّثنا إلى معلّميك، فهم يفهمون أيضًا. إنّهم يعلمون أنّه يجب أن تخرجي

أحيانًا وأنك ما زلت تدبّرين حالك، حسنًا، فهم ليسوا قلقين عليك». ابتلعت ريقي. يجب أن يقلقوا عليّ. أنا قلقة على نفسي.

«أنت تقومين بعمل رائع، مايا. إنّه يحتاج إليك، وأنت هناك من أجله. لا يستطيع الكثير من النّاس في عمرك القيام بذلك. هل أنت متأكّدة أنّك ستخبرينني إذا كنتِ بحاجة إلى مساعدة؟».

«لا شيء، لا يمكنك فعل أيّ شيء».

ابتسمت أمّي. ابتسامة سريعة، وواسعة إلى حدّ ما. وتنفّستْ الصّعداء، كاد يكون من الهزليّ أن نراها لطيفة بشكل لا يصدّق حين ظنّت أنّه لم يكن ثمّة ما يدعو إلى التّعامل مع هذا. وفي الوقت نفسه، كانت راضية على نفسها وفخورة بها.

كان هذا صباحًا رائعًا بالنّسبة إليها، وكان هذا هو الدّور الأموميّ الّذي أحبّت أن تُؤدّيه أكثر من غيره. استمعي إلى طفلك. اسألي إذا كنت تستطيعين أن تفعلي شيئًا. دقّقي. أريني اهتمامك. افحصي. افعلي شيئًا؟ أيّ شيء؟ قوليها، اشرحي لي، عليك أن تخبريني بما يمكنني المساهمة به. إنّها ليست مسؤوليّتي. إلهي! وإنّ لدى سيباستيان والدين حقًّا، وقد وعدت بأخذ لينا إلى الجمباز.

دفعت عربتها الخاصّة الّتي أخذناها معنا حتّى تتمكّن من الجلوس فيها عندما يحين الوقت لكي تعود إلى المنزل مرّة أخرى؛ لأنّها كانت متعبَة بعد ذلك. صعد سمير على متن الحافلة بالقرب من مدرسة يورهولم الثّانويّة العامّة. احتار عندما رآنا.

فكّر للحظة قصيرة في أن يمرّ أمامنا، ولكن عندما قالت له لينا: «مرحبا»، جلس على المقعد في الجهة الأماميّة، واستدار ينظر إلينا. «كيف أنت؟».

«هل تذهب إلى المدرسة في عطلة نهاية الأسبوع أيضًا؟».

هزّ رأسه.

«كنت قد تركت كتاب الرّياضيّات في خزانتي».

فقلت: «ومن المؤكّد أنَّ ذلك سيكون كارثة أن تقضي يوم الأحد بأكمله من دون كتاب الرّياضيّات».

سمير ضحك وظهرت غمّازة صغيرة على خدّه. وفجأة بكيت مرّة أخرى. تعبت من البكاء. لا شيء تحسّن من حالتي هذه. ولكن كان من الأسهل عدم البكاء عندما لم يكن سمير يبتسم. كلّ شيء أصبح أقلّ صعوبة عندما كان يغضب ويكون غريب الأطوار ويعاملني كالقذارة. حاولت أن أبتسم مرّة أخرى، وأمسح الدّموع من دون أن يلاحظ، ولكنّني لم أستطع. نظرت من النّافذة متّكئّة إلى الخلف على مسند الظّهر بقدر ما أستطيع. لم أرد أن تراني (لينا) بهذه الحال.

«أقول..»، حاول. اذهب إلى الجحيم. أكرهك. لا تنظر إليّ نظرةً كهذه إن لم تكن تريدني. مسحت دموعي بظاهر يدي. أنت جبان يا سمير. لو لم تكن خائفًا، لكان من الممكن أن نكون أنا وأنت فحسب.

«ما اسمك؟» قالت لينا.

كانت قد صعدت إلى المقعد، وركعت على ركبتيها للوصول إلى الأعلى، وأطلقت أنا ضحكة عصبيّة ومسدت شعرها. لا أريد مواصلة البكاء.

ضحك سمير أيضًا متّكئًا على لينا، وكان وجهه على بعد سنتيمترات قليلة من وجهها.

«سمير»، همس.

وقهقهت لينا مبهورة.

يمكن للينا أن تكون حجّة لغيابنا. يمكننا أن ندعها تثرثر عن الأشياء الّتي تعني كلّ شيء لها، إذا تحدّثت لم يكن علينا أن نقول ما يجب علينا. لا يمكنني أن أغضب يا سمير. ليس منك أيضًا. وجّهت لينا أسئلتها العشرين المعتادة عن لا شيء. أجاب سمير. بين الحين والآخر كان ينظر إليّ، وكان لديّ متّسع من الوقت لكبح البكاء عندي. ولكن بعد ذلك صمتت لينا، وغاصت مرّة أخرى في المقعد والتقطت الكتاب الّذي أحضرتْه للتّصفّح في الحافلة.

تظاهرت بالقراءة وتشكّلت تجاعيد على جبين سمير. هززت رأسي متجاهلة. نظرت إلى الأسفل. سبق وأن عايشت الأمر، من خلال كلّ الحركات الّتي يقوم بها المرء عندما يريد أن يفهم الشّخص الّذي يتحدّث إليه، يفهم أنّ الأمر ذاهب إلى الجحيم، كلّ شيء ذاهب إلى الجحيم، ولكن لا أستطيع أن أقول ذلك. لا أستطيع التّحدّث عن ذلك. أرغمني. أومأ برأسه.

«ليس عليك أن تتحمّلي المسؤوليّة عنه»، بدأ.

«نعم»، قلت.

«أنا في الواقع في حاجة إلى هذا».

«إنّه مريض في رأسه يا (مايا)». سمير همس.

«وما يفعله لا يصبح أكثر قانونيّة لمجرّد أنّه يفعل ذلك في المنزل بدلًا من المدرسة وفي ستورابلان. ليس عليك أن تعتني به. إنّها ليست مسؤوليّتك».

إنّها ليست المخدّرات يا سمير، ليست أسوأ ما في الأمر. ليس بعد الآن. لقد تحوّل إلى شخص آخر. ثمّة شيء ينمو فيه. في اللّيل، يعاني آلامًا في رأسه ويبكي بصوتٍ عالٍ مباشرة، إنّه شيء سام فيه، أحيانًا لا يستطيع حتّى التّعامل مع الضّوء، أدنى بصيص من الضّوء. لا أعرف ماذا أفعل. ساعدني.

ابتلعت ريقي، عبثت قليلًا بشرابة لينا، انحنيت وشممت رائحة رأسها.

كانت قد استخدمت شامبو أمّي. أومأ سمير برأسه. وظننت أنّه فهم. إنّه فهم كم كان كلّ شيء سيّئًا؛ ولهذا السّبب لم يسأل إن كان هناك شيء يمكنه فعله. كان ذلك لأنّه كان يعرف مدى سوء عدم سؤاله عن إمكانية مساعدتي. ولكنّني لم أقل شيئًا. أيّ شيء قطّ.

أنا و (لينا) تجاوزنا محطّتين قبل (ميربي). ذهبنا مشيًا لمسافة قصيرة إلى الجمباز، وبينما كنت أساعدها على تغيير ملابسها، تلقّيت رسالة نصّيّة.

كتب سمير: «سيكون الأمر على ما يرام».

كان يجب أن أجيب، ولكنّني لم أفعل. بدلًا من ذلك، حذفت رسالته. لم يفهم شيئًا. لا شيء سيكون على ما يرام. لم أرد الاتّصال بـ (سمير)؛ لأنَّ هذا الأخير لم يرد أن تكون له علاقة بي. لم يجرؤ لأنّه كان جبانًا حقيرًا. كان يجب أن أرد: لا، لن يكون الأمر على ما يرام. أو على الأقلّ: أنت أحمق لعين، يا سمير سعيد.

ولكنّني لم أفعل، ربّما لهذا السّبب ذهب كلّ شيء إلى الجحيم؛ لأنّه كان من الواضح أنّ سميرًا كان يحاول المساعدة. وربّما أراد مساعدتي لأنّه شعر بتأنيب الضّمير. كان سمير من النّوع الّذي يحسب أنّه يمكن أن يساعد. كان يجب أن أفهم ذلك.

الجلسة الرّئيسة في القضيّة بـاء 14766
الادعاء العام في مواجهة ماريا نوربـيرغ

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الثاني، من الأربعاء إلى الجمعة

35

عندما أنهيت الكلام، جاء دور لينا بيرسون مرّة أخرى. وبما أنّه سيمرّ بعض الوقت قبل أن يسعد سمير ببلبلة الوصول إلى المحكمة، بدأت رئيسة الادّعاء لينا بيرسون بالاتّصال بالشّخص الّذي أجرى أوّل مكالمة طوارئ. تمّت إعادة تشغيلها في المحكمة، واستمعنا إلى صوت مذعور أمام عيون القضاة المستديرة المذهولة. صراخ حول إطلاق النّار، وأجاب صوت هادئ ويطرح أسئلة: أين تتّصل؟ أين أنت الآن؟ هل أبلغت إدارة المدرسة؟ هل بدأت بإخلاء المدرسة؟ في الخلفيّة سمعنا أيضًا أصوات الإخلاء: الطّلّاب يركضون، يبكون. سمعنا أيضًا كيف أصبح الصّوت الهادئ متوتّرًا بشكل متزايد. نحن في طريقنا. وهناك سيّارات في الطّريق. هل يمكنك سماعهم؟ هل تسمع السّيّارات؟ هل يمكنك الخروج من المبنى؟ ورأينا أنّ مكالمة الطّوارئ جعلت القضاة يشعرون كأنّهم كانوا هناك.

الأصوات، الأصوات الحقيقيّة، الذّعر، الذّعر الحقيقيّ. ولكنّها جعلتني أشعر بالعكس تمامًا، بأنّ ما كنّا نتحدّث فيه، ونستمع إليه، كان شيئًا مختلفًا عمّا مررت به. لم أستطع تذكّر أيّ أصوات من هذا القبيل قادمة من داخل الفصل الدّراسيّ. مكالمة الإنذار كان يمكن أن تكون عن أيّ شيء، أيّ شخص. كان يمكن أن تكون مصطنعة.

وجّهت (ادعوني لينا) ثمانية أسئلة (حسبتها) إلى المرأة، وهي تعمل فرّاشة لم أرَها من قبل، وهي من أجرت المكالمة.

لم تبكِ إلى أنّ وُجّه إليها السّؤال الرّابع، ولكنّها لم تأتِ بشيء جديد، لم أسمعه من قبل. لم يسأل ساندر أيّ أسئلة.

ثمّ دعت لينا ضبّاط الشّرطة الثّلاثة الّذين وصلوا أوّلًا إلى مكان الحادث. وأخبروا بما شاهدوه وما شعروا به عندما قرّروا دخول الفصل، وما رأوه هناك، وما فعلوه وما لم يفعلوه. وبكى اثنان منهم، أو بكى أحدهما، واضطرّ الآخر إلى التّنحنح، وبلع ريقه عدّة مرّات لئلّا يبدأ في البكاء. إنّه الشّخص الّذي أخذ البندقية منّي وتكلّم معي، لم أتعرّف إليه، ولكنّه نظر إليَّ وبدا متعبًا.

إنه متعَب أكثر من أن يكون حزينًا وغاضبًا. لم يبكِ. بينما بكت القاضية الجالسة إلى يسار الرّئيس. حتّى إنّها مسحت أنفها. أطلعهم ساندر على رسم تخطيطيّ للفصل الدّراسيّ، وسألهم عمّا إذا كان بإمكانهم التّأكّد من العثور على سمير وأماندا في المواقع المتميّزة. أمكنهم ذلك.

كما استمعت المدّعية العامّة إلى طالبتين كانتا خارج الرّدهة عندما بدأ إطلاق النّار، لم أكن أعرفهما، ولكن عندما نظرت إحداهما إليّ، بدأت تهتزّ، وتهتزّ حقًّا، وكأنّني زومبي أو نوعٌ من تشارلز مانسون مرعبة إلى درجة أنّك ستصاب بالصّرع بمجرّد الاقتراب منّي. ولكن عندما بدأت تتمايل حول ما سمعت عنّي وعن سيباستيان، وأنّ الجميع يعرف ما كنّا نفعله، قاطعها الرّئيس.

«الآن لنتمسّك بالموضوع، على ما أحسب»، قال، وهي الّتي تظاهرت بأنّها تعرفني، ولم يكن لديها أيّ فكرة عمّا كنّا عليه أنا وسيباستيان، فاضطربت.

وجّه ساندر ثلاثة أسئلة إلى كلّ طالبة.

هل تعرفين سيباستيان شخصيًّا؟ هل تعرفين مايا شخصيًّا؟ هل كان باب الفصل مغلقًا؟ أجبن. لا. لا. نعم.

جرى سماع (لابي) عن طريق وصلة فيديو؛ إذ رفض أن يُسمع صوته في الغرفة نفسها الّتي حدّدناها أنا والرّئيس. وقال لابي إنّ «الجميع كانوا قلقين» بشأن سيباستيان، وإنّ «الجميع كانوا يعرفون أنّه في ورطة»، وإنَّ سيباستيان وأنا «توقّفنا عن مخالطة الآخرين كما كان الأمر من قبل».

لم يخبرنا كيف تجنّبونا، إلّا عندما أرادوا الحفلات، ولم يبدأ في البكاء حتّى تكلم عن الحفلة الأخيرة، عندما أوضح أنّه غادر مدرسته «لأنّ الأمر كان ذا أهمّيّة»، وأنّه نام في منزل أماندا بعد الحفلة. وعندما أراد أن يوضح أنّه بقي في السّرير عندما ذهبت هي إلى المدرسة في صباح اليوم التّالي، ابتسم ابتسامة عريضة. بالكاد كنّا نسمع ما كان يقول. أنا سعيدة لأنّه لم يكن في قاعة المحكمة.

لم أكن مضطرّة إلى النّظر، ولم أرغب قطّ في رؤيته. لم يسأله ساندر أيّ أسئلة. وقال الرّئيس بعد أن أنهى الكلام.

«شكرا»، تمتمت المدّعية العامّة لينا عبر مكبّر الصّوت الخاصّ بها، ولكن بحلول ذلك الوقت كان لابي قد قطع تشغيل صوته بالفعل. ثمّ استجوبت لينا الفنّيّين. كان عليهم أن يشرحوا أيّ سلاح كانت بصمات أصابعي على زناده، وأيّ سلاح كان يحمل بصماتي فقط على أنبوبه.

كان عليهم أن يفيدوا أيّ سلاح، وفقًا للتّحقيق، قتل أماندا أوّلًا ثمّ سيباستيان، وعلى أيّ أساس كان يُعَدُّ واضحًا أنّني من أطلق النّار. كانت أسئلة ساندر للفنّيّين حول زوايا الرؤية وهوامش الخطأ وأين كنت متموضعة عندما أطلقت النّار. وأظهر تقرير التّحقيق الّذي أمر به هو نفسه وتركهم يتحدّثون عن رأيهم في مصداقيّة ذلك، ولا أعرف ما إذا كنت قد فهمت لماذا طرح جميع الأسئلة الّتي طرحها إذا لم أكن أعرف بالفعل أنّه كان يحاول أن يظهر

أنّه لم يكن غريبًا أنّ شخصا (أنا) لم يتعوّد استخدام السّلاح، ويمكن أن يخطئ الهدف بشكل صارخ (ويستهدف أماندا بدلًا من سيباستيان).

عندما أنهى الحديث عن المكان الّذي ظنَّ الفنيّون أنّني كنت أقف فيه عندما أطلقت طلقاتي، بدأ يتحدّث عن الحقيبة في خزانتي. وكانت المدّعية العامّة قد سألت: «هل يمكن استبعاد أن تكون مايا قد تعاملت مع الحقيبة؟»، أجاب الفنّيّ لا. والآن جاء دور ساندر. وتساءل: «ما مدى احتمال أن تكون مايا قادرة على التّعامل مع الحقيبة من دون ترك أيّ بصمات سواء على الحقيبة أو في الحقيبة؟».

«ليس من المحتمل جدًّا». ثمّ حان الوقت بالنّسبة إليه لمناقشة موضوع «القنبلة».

ووصف التّحقيق ذلك بأنّه «مادة متفجّرة». ووصفت المدّعية العامّة الفعل بأنّه «متفجّرات» كظرف يشير إلى أنّني وسيباستيان خطّطنا «للدمار أوسع نطاقًا»، وأنّه «لا يمكن استبعاد أنَّ الغرض هو توسيع نطاق الهجوم على المدرسة».

تمكّن المحقّقون من تعقّب «القنبلة» مع بعض عمّال البناء الّذين قاموا ببعض الأعمال في منزل كلايس فاغرمان. كانت في الحقيقة نصف قنبلة فقط، كما يمكن أن نقول، لأنّ أداة الإشعال نفسها كانت مفقودة. ربّما، كما جاء في التّحقيق الأوّليّ أنَّ سيباستيان قد سرق الأدوات عندما كانت هناك لتفجير صخرة كانت في الطّريق، وهو ما أصبح في نهاية المطاف كوخ فاجرمان السّاحليّ؛ أو أنّ الأداة قد نُسيت وعندما وجدها (سيباستيان) احتفظ بها على حسابه الخاصّ.مكتبة .. سُر مَن قرأ

وعلى أيّ حال، لم يبلّغ عمّال البناء قطّ عن أيّ سرقة، أو أرادوا الاعتراف

بأنّهم لا يسيطرون على أشيائهم. قالت المدّعية العامّة إنّ «القنبلة» أظهرت أنّني وسيباستيان كنّا نخطّط للهجوم لمدَّة طويلة، ولكنَّ ساندر كان «غير مبدئيّ» إذا كان من الممكن استخدام القنبلة. تجادل ساندر وهي لمدَّة من الوقت حول هذا الموضوع، حتّى قاطع الرّئيس، وقال إنّنا يمكن أن «نترك رؤية سيباستيان المحتملة عند هذا الحدّ». كان يحسب أنّه من غير المثير للاهتمام إذا كان سيباستيان غبيًّا بما فيه الكفاية للظّنّ بأنّه من الممكن استخدام «القنبلة». سأل ساندر الفنّيّ الكثير من الأسئلة. أعطى الفنّيّ إجابة طويلة جدًّا. لم أفهم نصفها، ولكن عندما سأل الرّئيس من أين يريد ساندر طرح أسئلته «بالنّظر إلى أنّ لائحة الاتّهام لا تغطّي سوى الجرائم المرتكبة»، غضب ساندر.

وبالنّظر إلى أنَّ التّحقيق الجنائيّ بأكمله قد استرشد بفكرة خاطئة مفادها أنّ موكّلتي كانت تخطّط لتسوية مدرستها بالأرض، أرى أنّه من المهمّ للغاية أن أظهر أنّ موكّلتي لا يمكن ربطها، من ناحية، بالحقيبة أو بمحتوياتها، ومن ناحية أخرى فإنّ محتويات الحقيبة لم تشكّل أيّ خطر على المناطق المحيطة». وسمح له القاضي بمواصلة الأسئلة بعد ذلك. ولكن ما زلت أظنّ أنّه كان غباء من ساندر؛ لأنّ القاضي بدا منزعجًا طوال الوقت. أخذ نفسًا عميقًا أمكن سماعه، ومال مرّة يلمح ساعته، لم يفعل ذلك من قبل قطّ. وعندما أنهوا الحديث عن القنبلة، ذهب ساندر إلى «عدم وجود آثار يمكن أن تربط بموكّلتي الحقيبةَ وخزانةَ الأسلحة وغيرَها من الأسلحة الّتي عثر عليها في مسرح الجريمة».

«ما مدى احتمال أن تكون «مايا» قد حزمت الحقيبة؟ فتح خزانة السلاح، وتعاملت مع الأسلحة الأخرى؟ وأضاف «لا يمكن استبعاد ذلك». ظهرت تجعيدة على جبهة ساندر. «هل وجدت بصمات أصابعها في أيّ مكان آخر

غير مقبض حقيبة السّلاح؟ على السّوستة؟ داخليا؟ هل وجدتم بصماتها على خزانة السّلاح؟ الأسلحة الأخرى؟ «لا» «لا» «لا، لا، لا.» لم يوجّه ساندر المزيد من الأسئلة بعد ذلك، ولكنَّ التّجعّد لم يختفِ. ولا يزال الرّئيس يبدو غاضبًا. لا أظنّ أنَّ هذا الجزء بالذّات من المحاكمة سار بشكل جيّد بالنّسبة إلينا. كان على الطّبّ الشّرعيّ أن يخبرنا عن سجّلات التّشريح.

كم كان عمر الضّحايا (قدّر دينيس أنّه يتراوح بين خمسة عشر وعشرين عامًا)، بالضّبط عندما ماتوا (أعلن عن وفاة دينيس وأماندا وكريستر بالفعل في الفصل الدّراسيّ، في حين توفّي سيباستيان في سيّارة الإسعاف في الطّريق إلى المستشفى). وكيف ماتوا (لم يكن كافيًا القول إنّهم أصيبوا بالرّصاص، كان عليهم أن يخبرونا بالضّبط ما فعلته الرّصاصات من أضرار وكيف يمكنهم تحديد الإصابة القاتلة وغير القاتلة). وبينما كان الشّهود الخبراء يتحدّثون، نظرت إليهم بعناية، ونظرت بكثافة إلى وجوههم. أردت أن ألاحظ طريقتهم في الكلام، وكيف يخدشون أنوفهم، ويعضّون شفاههم السّفليّة، ويمسّدون العروة على جبهتهم، وهو ما يمكن أن يعطيني فكرة عن الإجابة عن لغز غير قابل للحلّ. لم يفلح الأمر، أردت أن أتقيّأ.

عندما كان من المقرّر الاستماع إلى والدة أماندا، طلبت من ساندر عدم المشاركة. ولكنّه رفض. كانت والدة أماندا قد تقدّمت بطلب إليَّ للجلوس في القاعة المجاورة، ومتابعة استجوابها على شاشة الفيديو، ولكنَّ الرّئيس رفض. وكان ساندر قد احتجّ أيضًا، على الرّغم من أنّني قلت له: ظننت أنّه سيكون على نحو أفضل لو لم أشارك. جلست والدة (أماندا) في مكان ليس بعيدًا منّي، بجانبي بشكل غير مباشر. رأيتها من الجانب، كانت قد فقدت نضارتها ونصف شعرها، انتقلت من وزن مقبول إلى حالة هزال، وبالكاد تعرّفت إليها. سمحت لها المدّعية العامّة بالحديث عن أماندا مطوّلًا، من

كانت؟ ماذا كانت تحبّ أن تفعل؟ ماذا كانت ستفعل بعد التّخرّج؟ لم يطلب منها القاضي أن تلتزم الموضوعَ.

لم يكن مطلوبًا من والدة (أماندا) أن تتحدّث عن متى ماتت (أماندا)؛ لأنّها لم تكن معها هناك حينها، ولكن كان عليها أن تقول كيف فكّرت في أنّه من المستغرب أن نتعاشر أنا و (أماندا) نادرًا ما خلال الرّبيع، وأنّها تحدّثت إلى (أماندا) حول هذا الموضوع، وأنَّ (أماندا) أخبرت والدتها أنَّ (سيباستيان) وأنا نفضّل أن نُترك في سلام، وأنَّ والدة (أماندا) كانت قلقة، كانت قلقة عليَّ وعلى (سيباستيان)، إلّا أنَّها لم تقلق قطّ بشأن (أماندا). عندما حان الوقت لـ (ساندر) لطرح الأسئلة ظننت أنَّ الأمر قد انتهى. وإذا كان هناك شيء واحد فهمت حول تكتيكاته، هو أنّه لم يطرح أسئلة إذا لم يكن متأكّدًا من الإجابة. ظننت أنّه من الواضح أنّه يودّ أن تتوقّف والدة (أماندا) عن الكلام بأسرع ما يمكن. ولكن عندما سمعت ما قاله، أردت أن أمسك بذراعه. وأجبره على سحب السّؤال. ألا ترى كيف تنظر إليّ؟ أردت أن أقول. ألا ترى كيف تكرهني؟ إنّها تتمنّى لو متُّ أنا وليس ابنتها أماندا. لم أرَ أحدًا يكرهني كرهًا كهذا من قبل. ألا ترى ذلك؟ سألها ساندر: «هل تظنّ أنَّ مايا كانت ستؤذي أماندا عن عمد؟».

كان صوته خاليًا تمامًا من التّعبير. وبكت والدة أماندا للحظة قبل أن تجيب. ثمّ أدارت رأسها ونظرت مباشرة في وجهي.

«لا»، قالت. «مايا لم تكن لتفعل ذلك قطّ. لقد أحبت أماندا».

سجن النّساء

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الثاني، عطلة نهاية الأسبوع

36

بقيت في زنزانتي طوال عطلة نهاية الأسبوع، من دون منحي أيّ فرصة خروج للـ «استراحة»، أو إقناعي بارتداء ملابس التّمرين، وتحريك قدميّ على درّاجة التّمرين المكسورة، أو الموافقة على «التّحدّث إلى شخص ما». أريد أن أتقيّأ بمجرّد التّفكير في متدرّبة عطلة نهاية الأسبوع تفوح منها رائحة العرق وهي في سنتها الأخيرة في علم النّفس، يجب أن تجلس وتتحقّق من ملاحظاتها ولا تطرح أسئلة؛ لأنَّ القائمة المرجعيّة لا تحتوي أيّ أسئلة، بل أشياء من قبيل «أن نكون يقظين بشأن». هل تنام هي بشكل سيّئ؟ هل تظهر عليها علامات العصبيّة؟ هلع؟ تقلّبات مزاجيّة مفاجئة؟ هل تمضغ الزَّبَد؟

سأبقى في سريري. أظهرت علامات على تقلّب المزاج. يجب أن يلبسوني سترة المجانين إذا كانوا سيخرجونني من هنا قبل أن يحين الوقت للعودة إلى المحكمة. أرفض ذلك.

جرى دفن (أماندا) يوم السّبت في الثّالثة عصرًا، بعد خمسة أسابيع من قتلي إيّاها. وقد أقيم القدّاس في كنيسة يورهولم.

جرى تعميدي أنا وأماندا في كنيسة يورهولم في الصّيف الواقع بين سنتينا

الدّراسيّتين الثّامنة والتّاسعة، وارتدينا الأغطية البيضاء نفسها وارتديناها فوق فساتيننا البيضاء.

بينما كانت فساتينها من شركة (كلوي)، كان فستاني من (ستيلا مكارتني). جرى شراء فستانها حديثًا، في حين عثرت أمّي على فستاني في متجر الألبسة المستعملة في كارلابلان. ولكنّهما بدوا متشابهين تقريبًا. تنّورة مقرّعة، فتحة صدر مناسبة، القطن اللّامع، كان لكلّ منّا صليب باللّون الذّهبيّ الأبيض حول الرّقبة، سلاسل طويلة إضافيّة ضيّقة. بالفعل في ذلك الصباح كنّا قد تلقّينا هدايا من والدينا، كلّ واحدة منّا ساعة، العلامة التّجاريّة نفسها، نماذج مختلفة، وهو ما أثار لدينا الضّحك، على أنّها كانت مشابهة جدًّا لوالدينا، إنّهم فعلوا أشياء سخيفة متشابهة في الوقت نفسه، من دون الحاجة حتّى إلى التحدّث مع بعضهم من قبل. ولكن في الغالب كنّا قد ضحكنا لأنّنا متشابهتان جدًّا، أنا وأماندا، كان من الممكن أن نكون شقيقتين. أبي قالها حتّى عندما ذهبنا لأخذ أماندا حتّى يتمكّن من تركنا في الكنيسة قبل ساعة من الموعد المفترض أن يبدأ فيه التّعميد.

يمكن أن تكونا شقيقتين.

لم تكن هناك جلسة تعميد بالطّبع. ولم نكن متوتّرتين. وكانت هناك خلال المخيّم شائعات بأنَّ علينا أن ندرس، ويمكن أن يلقى علينا سؤال في الكنيسة، وأنّنا سنكون راسبتين إذا لم نجب بشكل صحيح. ولكن جرى تعميد كلّ شخص من المخيّم بعد ذلك، كنّا قد أعددنا رسومات صغيرة من الكتاب المقدّس، وبدأنا كلّ رسم بالقول أي دور سنؤدي وأخذنا نضحك عندما قدّم الآخرون أنفسهم. «مرحبًا، اسمي يعقوب، أنا سأقوم بأداء دور النّاس العاديين».

«مرحبًا، اسمي أليس، أنا سأُؤدّي دور يسوع».

وقد اختار بعضهم مقطعًا من الكتاب المقدّس قرأوه في الكنيسة. تحدّثت أماندا «تلقائيًّا» عن «شيء مهمّ تعلّمته»، وتلت ما كتبته عنه «لماذا يجب ألّا تكذب». كان الكاهن قد قرأها من قبل وصحّحها قليلًا من دون أن يعترف بأنّه يودّ أن يقرّر بالضّبط ما يجب أن تقول أماندا.

هناك قسّيس في السّجن أيضًا، بندوب حبّ الشّباب وحذاء بنعل مطّاط سمكه نصف ديسيمتر. لا أريد أن أراه. سأبقى في سريري طوال عطلة نهاية الأسبوع هذه، وأنتظر الفطور ثمّ الغداء وأخيرًا العشاء فالنّوم. وسأفعل الشّيء نفسه لمدّة 24 ساعة أخرى. الأسبوع القادم هو الأسبوع الأخير.

تقول (سوزي) عندما تصل «لتتمنّى لي عطلة نهاية أسبوع سعيدة»: «ثمّ ينتهي الأمر».

نعم، ولكن بالتّأكيد.

لا يمكن غسل الدّم. شاهدت مسرحيّة ماكبث المملّة مع أمّي في المسرح. يبقى الدّم مهما فركت. وإذا قمت بالدّعك بقوّة كافية، لحدث ثقب في الجلد وسالت دماء جديدة. لن ينتهي الأمر أبدًا. والدة (أماندا) لن تغفر أبدًا. ولن أغفر أنا أبدًا. وأنتم؟ ماذا ترون؟ أعرف ما فعلتم وما زلتم تفعلون، أنتم تكرّسون وقتكم لمحاولة جعلي أنسجم مع ما تظنّون أنّني أنا عليه. أنتم ترفضون أن تروا أنّني لا أتناسب في أيّ قالب، سواء كان إيجابيًّا أم سلبيًّا. أنا لست رئيسًا أنيقًا لمجلس الطّلّاب، لا ضحيّة اغتصاب شجاعة، لا قاتلة جماعيّة نموذجيَّة، لا ذكيّة باعتدال، ولا أنيقة عصريّة. لن أوقف سيّارات الأجرة الصّفراء بالكعب العالي. ليس لديّ وشم، لا ذكريات مصوّرة. لست حبيبة أحد، ولا صديقة مخلصة لأحد، ولا ابنة أحد. أنا (مايا) فقط.

لن تغفروا لي أبدًا.

وأحسب أنّكم من النّوع الَّذي يمشي أمام المتسوّلين في الشّارع ويفكّر «كان يمكن أن أكون أنا هذا»، وتدمع عيونكم لأنّكم ناس متعاطفون ولطيفون كثيرًا. وهكذا تحسبون أنَّ الجميع يمكن أن يمرضوا لكي يقعوا في أزمة اقتصاديّة بسرعة، وربّما يطردون من وظائفهم أو مساكنهم و... *كان يمكن أن يكون أنا*، كما تظنّون. بسروالك البالي ورقبتك المنحنية، في كفّك عملة العشر كرونات الذّهبيّة، تنتظر شراء القهوة في ماكدونالدز. تريد إظهار الشّفقة. *إنّه من الرّائع*. تريد أن تكون لطيفًا. ولكن في الحقيقة، أنت تتظاهر فقط. لم تحسب قطّ أنّه كان من الممكن أن تكون أنت. وإلى جانب ذلك، فإنّها ذروة الأنانية أن تفكّر في أنّ عليك أن تكون معنيًّا شخصيًّا لكي تشعر بالتّعاطف. فالتّعاطف هو العكس. إنّه عن الشّعور بأنَّ ذلك المقزّز الّذي تصعد منه رائحة مثل رائحة البراز وليس لديه أدنى شيء مشترك في حياتي، يجب ألّا يكون لديه مثل هذا؛ لأنّه بغضّ النّظر عمّا فعله، فهو لا يستحقّ أن يعيش على فراش البول. لو كنتم متعاطفين حقًّا لأدركتم أنَّ الأمر يتعلّق بي أيضًا.

يقول سمير إنّني أردت أن تموت أماندا. إنّني أطلقت النّار عليها عمدًا. لقد قال منذ أوّل استجواب له إنّه رأى الأمر بوضوح، كيف صوّبت وأطلقت النّار عليها، ويقول إنّه يحسب أنّني سمحت لنفسي بأن أقتنع بكلام سيباستيان، وأنّه لا أحد في عالمي كان أكثر أهمّيّة من سيباستيان، وأنّني فعلت كلّ ما قال لي، وأنّني ضحّيت بحياتي من أجله، وأنّني قتلت أماندا وسيباستيان؛ لأنّه طلب منّي أن أفعل ذلك.

«من أنتم»، سألت سمير، قبل أن يحدث كلّ شيء. فأجاب: «أنتِ لا تفهمين».

أظنّ أنّكم تقفون في صفّ سمير؛ لأنّكم تحبّونه أكثر منّي، وتحسبون أنَّ هذا يجعلكم خير ناس، وأنّ مصير سمير يترك بصمته عليكم؛ إنّكم تعرّفون أنفسكم به. أنا مجرّد داعرة ثرية.

سآخذ حبّة منوّمة في الحادية عشرة صباحًا، وأنام عندما يصل الغداء، ولكنَّهم يريدونني أن أسهر وحتّى الآن تركت وشأني. بالتّأكيد، إنّهم يتحقّقون منّي من وقت إلى آخر، ولكن ليس في كثير من الأحيان بما فيه الكفاية حتّى يتّضح أنّني تحت مراقبة مشدّدة.

يعرفون أنّني كنت «مستاءة» من الاستماع إلى والدة أماندا. إنّهم يعرفون أنّهم «بحاجة» إلى تركي وشأني، ولكنَّهم «يبقونني تحت المراقبة»؛ لأنّني يمكن أن أكون خطيرة، خطرًا على نفسي؛ لأنَّ الضَّغط عليَّ «مرتفع».

ولكن على صينيّة الغداء وضع مجموعة كاملة من أدوات المائدة البلاستيكيّة. كلّ من السّكّين والشّوكة في محاولة لمس حلقي بحذر ولطف إذا تحمّلتُ.

جاء أحد الحرّاس هنا بالصّحف المسائيّة ووضعها على مكتبي وخرج من دون أن يقول شيئًا بخصوص الصّحف، وهو ما كان يعني أنّه لا يوجد شيء عنّي فيها، وإلّا فإنّهم عادة ما يخبرونني من قبل.

«هل تريدين أنّ تقرئي؟» يسألون مشيرين إلى العنوان (دائمًا الصّفحة الأولى)، وأريد ذلك على الأغلب. وإذا لم أرد ذلك، فسيخرجون الصّحيفة مرّة أخرى. ولكنهم اليوم لا يقولون شيئًا ومع ذلك وضعتها هناك. لأنّه، حتّى لو لم يقل الحارس أيّ شيء، فهناك خطر أن يكون هناك شيء حول والدة أماندا، أو والدة سيباستيان، أو أمّ سخيفة أخرى. وهذا أمر لا أطيقه الآن، إنه شيء مقرف.

عندما استمعت رئيسة الادّعاء لينا بيرسون إلى الطّبّ الشّرعيّ، عرضت بروتوكول تشريح جثّة أماندا على الشّاشات. قرأتْه بصوت عالٍ. قرأت بصوت عالٍ عن الأماكن في جسم أماندا الّتي أصابتها رصاصاتي، وماذا فعلت تلك الرّصاصات بجسدها. وعرضت رسمًا للفصل حيث كانت جثّة أماندا وأين كنت أجلس عندما اقتحمت الشّرطة المكان. حتّى إنّها سحبت البندقية في قاعة المحكمة. كانت موجودة في كيس بلاستيكيّ ملصوق. وكانت الرّصاصات، وعددها خمسة، في كيسين بلاستيكيّين صغيرين آخرين، أحدهما لأماندا، والآخر لسيباستيان. كانت تلك معها أيضًا. حسبتُ بهدوء إلى خمسة، واحد، اثنين، ثلاثة... يستغرق وقتًا طويلًا رهيبًا، كيف يمكنني إطلاق هذا العدد الكبير من الطّلقات؟... أربعة، خمسة... لم تبقَ جثّة (أماندا) معها بعد أن أحرقت ودفنت.

في اليوم الّذي دفنتْ فيه (أماندا)، كنت أنا في غرفتي. لم يستجوبني أحد وتركوني وشأني طوال عطلة نهاية الأسبوع أيضًا. لا أحسب أنَّ السَّبب هو أنَّهم أظهروا لي اهتمامًا خاصًّا، لا أظنّ أنّهم فهموا أنّني كنت أعرف أنَّ أماندا ستدفن، وأنَّه سيكون «صعبًا» بالنّسبة إليّ. أظنّ أنّها كانت مصادفة محضة. فقد كانوا في البداية فقط يستجوبونني كلّ يوم، ثمّ ساد الهدوء. كانوا يعرفون أين يجدونني وكانوا يعرفون أنّني لن أذهب إلى أيّ مكان؛ لذلك لم يكن هناك سبب وجيه لهم للعمل في عطلة نهاية الأسبوع إذا كان يمكن تجنّبه.

ظننت أنَّ الحرّاس الّذين كانوا يأتون ويذهبون قد نظروا إليَّ بغرابة شديدة. ربّما كانوا يعرفون أنّه يوم أماندا، ربّما ورد اسمي في جميع الصّحف، ربّما كان خبرًا على الصّفحة الأولى، ربّما تصدّرت نشرات الأخبار أكتويلت ورابورت. ولكن لم يسمح لي بقراءة الصّحف آنذاك، ولم يقولوا لي أيّ شيء، بل حدّقوا فقط.

غير أنّني كنت أعرف ما هو اليوم. كان ساندر يخبرني بذلك ولم أنسَهُ.

طوال يوم تشييع (أماندا)، جلست في غرفتي، على الأرض. بعد الغداء اتّصلت بالحارس أربع مرّات لمعرفة كم السّاعة، وعندما قالوا إنّها الثّانية والنّصف، بدأت العدّ بهدوء لنفسي. ثلاثون مرّة، واحد ـ ميسيسيبي ـ اثنان ـ ميسيسيبي. وعندما تأكّدت تقريبًا من أنّها السّاعة الثّالثة، شغّلت الموسيقى الّتي كنت أعددتها. أمّي أرسلت إليَّ جهاز الآي بود القديم. استغرق الأمر ما يقرب من أسبوعين قبل أن أستلم الجهاز؛ لأنَّ الشَّرطة كان عليها أن تتحقّق من أنّه لا يمكن ربطه بالإنترنت، وتستمع إلى جميع الأغاني من قبل لكي تتأكّد من ذلك، أنا لا أعرف حقًّا ممّا التّأكيد، ولكن أظنّ أنّهم تحقّقوا من أنّه لم تكن هناك رسالة سرّيّة مدسوسة بين مطربة أمّي المفضّلة ذات الصّوت الأجشّ والمغنّي الأثير لأبي. وأنا استمع إلى ذلك، كنت أودّ لو كان لي غيتار كهربائيّ ومشكلة المخدّرات الخفيفة ومشكلة الموسيقى. أو لو لم يكن هناك شيء يمكن أن يجعلني أخيرًا أخطو خطوة نحو الانتحار. عندما أنهى عناصر الشّرطة الفحص، حصلت على مشغّل الموسيقى واستمعت إليه في زنزانتي، في حين دفنت أماندا في الكنيسة الّتي عُمّدنا فيها مرتدية زيّ الأخوات.

بالإضافة إلى الموسيقى الّتي وضعتها، اشترت أمّي قوائم سبوتيفاي الثّلاث الأكثر استماعًا وتمكّنت من تنزيلها. أزالت الشّرطة ثلاث أغنيات بريئة منها، إلّا أنّها تركت قطعتين أثبتتا أنَّ شخصًا ما قد استمع من خلالهما إلى الأغاني للتّأكّد من أنّني لم أستمع إلى شيء يشجّعني على الانتحار، وهو ما يدلّ على غبائه أو غبائها. ولكنّني لم أشتكِ. بل كنت أطيق فقط الأغاني الّتي تؤذي حقًّا.

عندما ظننت أنَّها السّاعة الثّالثة، استلقيت على أرضيّة الزّنزانة، كانت

ضيّقة، فاضطررت إلى الاستلقاء مائلة قليلًا وقدماي تحت السّرير. وهكذا سرحت في الخيال وتمكّنت من تنزيل قوائم سبوتيفاي الثّلاث الأكثر استماعًا. تخيّلت كيف يبدو الأمر في الكنيسة. كيف كانت مزدحمة بالنّاس. كيف كانت المدرسة بأكملها، الجميع، الجميع، الجميع، هناك. كانوا يرتدون ملابس هادئة الألوان تمامًا مثل أماندا وأنا في التّعميد، معهم الزّهور. رحّب بنا أخوة أماندا الاثنان ووالداها عند المدخل. بكوا إلى أن جفّت دموعهم. الآن بدوا متعبين ومرتبكين، ولا سيّما إليونورا، أخت أماندا الصّغرى. غضب شقيق (أماندا). ولم يحصل الجميع على أماكن في الكنيسة، فاضطرّ الّذين لم توجَّه إليهم دعوة إلى البقاء خارج الكنيسة واقفين على طول الممرّ مع أزهارهم. أولئك الّذين لم يعرفوا أماندا بما فيه الكفاية للدّخول إلى الكنيسة، بقوا يذرفون الدّموع.. بينما بكوا وتعانقوا، كان التّلفاز يصوّر، وأغلقت أبواب الكنيسة، وأولئك الّذين بكوا أكثر وعانقوا أطول كانوا يأملون أن يظهروا في الصّورة ليشاهد النّاس في الأخبار مدى حزنهم.

لم تتمكّن أمّي وأبي ولينا من حضور جنازة أماندا. وبالكاد استطاعوا إرسال الزّهور أو البطاقات. كان ممكنًا أن يلقى بهم بعيدًا، ويحرقوا، كان سينظر إلى حضورهم نظرة سخرية.

ولكن ما زلت أشعر في جسدي كيف أمسكت لينا يد أمي وسألتها *هل يمكنني الذّهاب، أريد أن أقدّم زهرة إلى أماندا*، فأجابت أمّي: *لا، عزيزتي، لا يمكنك الذّهاب*. على الرّغم من أنَّ هذا فقط في مخيّلتي، غير أنَّني أشعر به في أعماقي.

كنت أسمع ما لم تروِه أمّي لـ (لينا) قطّ. إنّهم لا يريدونك هناك.

من الغريب كيف يتذكّر الجسد. أستطيع أن أتذكّر شعوري وأنا أعانق

والدي في صغري، وضغط أنفي على عظم وركه القاسي، وكيف طوّقت بذراعي ساقيه. كما يمكنني أن أتذكّر شعوري وهو ينحني ويرفعني حتّى يتمكّن من احتضاني. أستطيع أن أتذكّر الشّعور بيديه عندما وصلت إليّ حول خصري. ولكن لا أستطيع أن أتذكّر بالضّبط متى فعلها، لا أستطيع أن أتذكّر المرّة الأولى، وليس المرّة الأخيرة، ولا مناسبة ملموسة واحدة. لا أستطيع تذكّر ذلك بوضوح بما فيه الكفاية لكي أتخلّص من ألمه.

هل تعرف لينا أنَّ أماندا ميتة؟ هل سألت، *رجاء، هل يمكنني توديع أماندا؟* يؤلمني جسدي عندما أفكّر في ذلك. هل يمكن الجسم أن يتذكّر أشياء لم تحدث قطّ أو أنَّ هذا يعني أنّها سألت بالفعل؟

في التّعميد الّذي جرى لي ولأماندا، قرأت نصًّا من الكتاب المقدّس، اخترته بنفسي. استلقينا أنا وأماندا طوال اللّيل على أسرّة المخيّم غير المريحة، وحاولنا العثور على شيء جيّد. من لوقا، يوحنّا، المزامير، أو موعظة اقترحها الكاهن. كانت هناك إشارة في المزامير عن الرب الذي يضرب «أعدائي في الفم»، وكسر أسنانهم، شيء من هذا القبيل. ضحكنا حول هذا الموضوع، أماندا وأنا. ضحكنا بشكل هستيريّ في معظم تلك الكلمات، كان هناك شيء حول اللّغة ووجه الكاهن وإيماءات أماندا. كان من المستحيل أن نأخذ الأمر على محمل الجدّ. والأسوأ من ذلك، عندما أراد الكاهن مناقشة حقيقة أنّ يسوع غسل أقدام التّلاميذ (يظهر لك محبّته، هذا أمر يتعلّق بكم!). لم أستطع حتّى النّظر إلى وجه (أماندا) المثير للاشمئزاز من دون أن أتماهى مع أناشيد الكتاب المقدّس وأضحك.

لدي الكتاب المقدس في زنزانتي. وفي الأسبوع الثّاني أو الثّالث، سأل شخص ما (سوزي على الأرجح) عمّا إذا كنت أرغب في مقابلة قسّيس

السّجن. قلت: نعم. كان من الأسهل دائمًا أن تقول «نعم» من أن تقول «لا». أدع الوقت يمضي، أمرّ عبر الممرّات، أدخل من خلال الأبواب حيث أشار الحارس، وأجلس على الكراسي الّتي سحبت إلى الأمام، وأشرب من الزّجاجة الّتي في متناول اليد.

أعطاني ذلك الكاهن في السّجن نسخة من الكتاب المقدّس. أخذتها إلى زنزانتي. وبينما كنت مستلقية على الأرض أفكّر في جنازة أماندا، التقطتّها عن الرّفّ وتصفّحتها. أماندا وأنا عثرنا على حكاية شخص *يحمل الشّرّ بداخله كأنّه حامل به*. لقد أصبح «حاملًا» بشروره. وتضخّم ونما قبل أن يلد كلّ هذه اللّعنات والآثام، وهو ما آثار الضّحك لدينا. ثمّ قرأنا الكثير من نشيد هللويا والثّناء والأدعية، وقبعت أماندا في سريرها تحمل الكتاب المقدّس في يدٍ، ووضعت اليد الأخرى على قلبها، وأكاد أنا أن أتبوّل على نفسي من الضّحك، الكتاب المقدّس فيه الكثير من الكلام السّخيف، ما كنت أظنّ ذلك موجودًا في ذلك الحين وأعلم به الآن؛ لأنَّ الشّخص الحامل بالشّرّ *سقط في حفرته*، وقد كان هو ولا أحد آخر قد عانى كلَّ الشّرّ الّذي كان بداخله.

كان كاهننا يعتقد أنَّ اللّٰه عادل وخير، وقرأ أشياء مات فيها الشّرّير وذهب إلى الجحيم، وأتساءل ماذا قال الكاهن بحقّ الجحيم عن *الإله العادل الّذي يحبّ الشّباب* المشاركين في جنازة أماندا.

ولا يواجه الشّرّ بعدالة. وفي الواقع لا يسقط أحد في حفرته السّخيفة. ويوم الاثنين، بعد أقلّ من يومين، سيتحدّث سمير.

لم أتحمّل قطّ تخيّل (أماندا) لمدّة طويلة. لم أكن قادرة على التّفكير في تعميدنا منذ أن استلقيت على أرضيّتي وحاولت تخيّل جنازتها. لم أكن قادرة على التّفكير في جنازة أماندا أيضًا، منذ ذلك اليوم.

خارج نافذتي، كان الطّقس لطيفًا. ربّما يجب أن أطلب الذّهاب في استراحة على أيّ حال. يمكنني الاستلقاء مباشرة على المقعد وأدخّن. في نهاية الأسبوع الماضي تساقطت الثّلوج. عندما خرجت في الاستراحة، كان الثّلج لا يزال متراكمًا هناك، متفائلًا وأبيض. وفي اليوم التّالي، أصبحت الأرض متزحلقة مخاطية اللّون مختلطة بالطّين. كان من الأسهل التّنفّس. أسهل قليلًا من داخل الزّنزانة على أيّ حال.

لا تزال لديَّ قائمة التّشغيل الّتي صنعتها لجنازة أماندا. الأغاني الّتي رقصنا عليها. تلك الّتي غنّيناها معًا، بصوت عالٍ جدًّا إلى درجة أنّنا فقدنا صوتنا. تلك الّتي كنّا نحفظ كلماتها عن ظهر قلب. وعندما جرى تشغيلها، هرعنا إلى حلبة الرّقص ورقصنا أنا وهي، بجنون.

Party girls don't get hurt, can't feel anything, when will I learn, I push it down, push it down.

(فتيات الحفلات لا يتأذّين، لا يمكن أن يشعرن بأيّ شيء، متى سأتعلّم، أدفعه إلى الأسفل، أدفعه إلى الأسفل). الأغاني الّتي لن تعزف في الكنيسة.

في التّعميد، قرأت بصوتٍ عالٍ عن هروب يسوع إلى الكنيسة «ليكون مع أبيه»، وكانت والدته ووالده قلقين من أنّهما لا يعرفان مكانه.

عندما أنهيت القراءة، كان عليّ أن أقول شيئًا (كلماتي الخاصّة الّتي كان الكاهن قد «ساعدني» فيها) عن أهمّيّة أن تُترك وحدك بسلام في بعض الأحيان عند المراهقة. يمكن أن تكون الكنيسة مكانًا لذلك.

لو سألوني الآن، لكنت قرأت ذلك عن الخواء. إنّه الشّيء الوحيد الحقيقيّ. *كلّ شيء هو خواء.* مطاردة الرّياح. ولن نحصل على ما نريد أبدا. طلب منّي الكاهن أن أقرأ شيئًا يجعلني أعتقد يتعلَّق بي وبحياتي. كان يجب أن أقرأ ذلك وأتخطّى أن يفرح المرء لكونه شابًّا؛ لأنَّ هذا كلام سخيف.

سأقرع الجرس على أيّ حال. سأطالب بالذّهاب في استراحة. سآخذ جهاز الآي بود معي وسأستمع إلى أغانينا وأدخّن إلى أن أمرض.

في اللّيلة الأخيرة، عندما أرسل والد سيباستيان الجميع، الجميع ما عداي، إلى المنزل، ساعات قليلة قبل الجريمة، قبّلت أماندا رؤوس أصابعها ولوّحت بيدها في اتّجاهي، فيما كانت تسير من خلال الباب وعلى الدّرج.

تظاهرت بالتقاط قبلتها بكفّ يدي، وضممتها إلى صدري. عمليّة دراميّة، سخيفة، مضحكة، مسرحيّة، تمامًا مثل أماندا قبل جرائم القتل.

كانت هذه هي المرّة قبل الأخيرة الّتي التقينا فيها مباشرة وجهًا لوجه، وكان كلّ شيء من حولنا عبارة عن فوضى، سيباستيان كان مجنونًا، كلايس وسمير ودنيس والجميع كانوا مجانين، وأرسلت أماندا إليَّ قبلة في الهواء لتقول: سيكون كلّ شيء على ما يرام، مايا، ستنحلّ مشاكلنا، وقريبًا سيتحوّل هذا الرّبيع إلى ذاكرة، وأنا تظاهرت بالموافقة لكيلا يتبيّن أنَّ كلينا يعرف أنّها على خطأ. لقد كانت مخطئة ولا شيء سيتحسّن.

حاولت أماندا مواساتي. لقد كذبت عليها لأكون لطيفة، على ما أظنّ. وقد كانت لطيفة معي دائمًا. كانت لطيفة مع الجميع حتّى مع (سيباستيان) بعد مدّة طويلة من توقّف الجميع عن أن يكونوا لطفاء.

دومًا.

حسنًا، بماذا تفكرون الآن، الانتظار؟

لقد تحدّثت عن مدى كرهك أماندا. وقد احتقرت دينيس واعترفت بأنّك تكره (كلايس فاجرمان).

وتهمسون بعضكم إلى بعضكم الآخر، أنت لست أيّ شخص كان. هناك سبب لوجودك في تلك الزّنزانة. لأنّكم لا تريدون التّفكير في أنّه «كان يمكن

أن يكون أنا»، تريدون أن يكون ثمّة خطأ في رأسي. تريدون التّأكّد أنّكم لا تملكون شيئًا مشتركًا معي. أنتم لا تتجوّلون لتفكّروا أفكاري، ما كنتم ستفعلون ما فعلته أو تقولون ما قلته. يا إلهي! ماذا ترون في أنّ ما حدث لي لا يمكن أن يحدث لكم قطّ؛ لأنّني أستحقّ ذلك، لقد سقطت في حفرتي. كنت مهووسة بـ (سيباستيان)، كنت مصابة باضطراب التّعاطف، مدلَّلة، منفصلة عن الواقع، ربّما كنت مدمنة، ألا يمكننا التّظاهر بذلك؟

أنتم لستم مهووسين، أنتم لستم مهتمّين بالمخدّرات، كان يجب أن تتّصلوا بالشّرطة، أنتم لستم أنا.

لماذا اختارني (سيباستيان)؟ لا بدَّ من أنَّ هناك سببًا لمجيئه إلى الفندق تلك اللّيلة! لماذا بحث عنّي في نيس؟ لماذا بقي هناك؟ لماذا حاول الانتحار عندما انفصلت عنه؟

«العشوائيّة ليست سوى طريقة اللّٰه للبقاء مجهولًا»، قال أحدهم. كلّ شيء ذو مغزى هو نتيجة ليانصيب. وينطبق هذا إذا كنت ولدت غنيّة أو فقيرة أو بكوني امرأة أو شخصًا متحوّلًا جنسيًّا، إذا كنت خارقة مثل فنّان أو قادرة على الفوز بخمسة وعشرين مليون في اللّوتو. مجرّد صدفة. فجأة يحدث ذلك. وإذا كان الخير يمكن أن يصل إلينا فقط من خلال الأبواب الخلفيّة الغريبة، ثمّ يجب أن يكون ذلك مع الشّرّ أيضًا.

فالعشوائيّة هي دليل على أنّ اللّٰه غير موجود، أودّ أن أقول. لأصل الأحداث الرّهيبة حقًّا يمكنني التّخطيط لها ووراثتها. ولكن يمكن أيضًا أن تكون عشوائيّة. على الحدود مع المألوف.

الشّرّ لا معنى له. هذا هو تعريف الشّرّ ذاته. ولكن أنَّ شيئًا ما يؤلم فلا يجب أن يعني أنَّ سبب الشّرّ هو الشّرّ.

فعلت أشياء جرحت مشاعر الكثيرين من النّاس، عميقًا، وبأسوأ الطّرق. لا أفهم ما معنى أن يموت (كلايس) و(كريستر) و(دينيس) و(أماندا) و(سيباستيان). أو أنّني نجوت من الموت أو أنّني حاولت إنقاذ (سيباستيان)، ولكنّني بدلًا من إنقاذه ساعدته على أن يموت ويقتل. لا أفهم ذلك. لا يوجد شيء مخطّط له وموروث. ولكن يمكن أيضًا أن تكون عشوائيّة. أن تشكّل حدودًا لما هو مألوف. فالشّرّ لا معنى له. هذا هو تعريف الشّرّ ذاته. ولكن أنَّ شيئًا ما يؤلم لا يجب أن يعني أنّ سبب الشّرّ هو شرّير. لا يوجد شيء لفهمه. ولكنّني لست شرّيرة، قد لا أكون خيّرة أيضًا، ولكنّكم ترفضون ملاحظة ذلك لأنَّ العاطفة تتحكّم بكم.

عندما يصل الحارس، ألتقط الصّحف من مكتبي وأطلب منه إخراجها مرّة أخرى.

لا أريد القراءة. أريده أن يزيل جميع المقالات عن تحسين الرّعاية الصّحّيّة النّفسيّة للشّباب، والسّيطرة على الأسلحة النّاريّة في المدرسة، وكاميرات المراقبة ومكافحة المخدّرات. وأقول أريد أن أذهب في استراحة. «سأتحقّق من الجدول الزّمنيّ»، قال، وخرج مرّة أخرى. انزعج، ولكنّه لم يستطع أن يقول: لا، لا يستطيع، حينذاك سترسل فرديناند منظّمة العفو الدّوليّة لمساءلته.

ثمّ أزحف إلى سرير زنزانتي، وأسحب البطّانيّة المقزّزة الصّفراء، وأستدير إلى الحائط وأبكي. للمرّة الألف، أبكي.

I couldn't live without you now, oh, I know I'd go insane, I wouldn't last one night alone baby, I couldn't stand the pain.

لم أستطع العيش من دونك الآن، أعلم أنّني سأجنّ، لن أصمد ليلة واحدة بمفردي، لم أستطع تحمّل الألم.

أعلم أنّني أطلقت الرّصاصات الّتي قتلت (أماندا)، ولكنّني أردت أن أعيش، أردت إيقاف (سيباستيان)، أردته أن يتوقّف؛ ولهذا أطلقت النّار عليه. لقد قتلت (سيباستيان)، صحيح أنّني قتلته عمدًا، ولكن ماذا كنت سأفعل غير ذلك؟ أتمنّى لو أنّني قتلته في المرّة الأولى الّتي أطلقت فيها النّار، أتمنّى لو لم أطلق النّار على أماندا، أتمنّى ذلك أكثر من أيّ شيء آخر في حياتي، ولكنّني لم أطلق النّار من بندقيّة كهذه من قبل. لقد أطلقت النّار على الحمام الطّينيّ عدّة مرّات، ولكن مثل هذه البنادق بطيئة في سحب الزّناد وتعبئتها بالعتاد وثقيلة لحملها. كان هذا سهلًا جدًّا، بالكاد اضطررت إلى فعل أيّ شيء على الإطلاق، لقد التقطت المسدّس، وعندما سحبت إصبعي ذلك الشّيء، ظننت أنّ السّلاح غير آمن، أو لا أعرف ما كنت أفكّر به، لقد سحبت الزّناد، خمس مرّات ضغطت الزّناد وفق ما جاء في التّحقيق الأوّليّ، ولم أقتل سيباستيان أوّل مرّة ولا المرّة الثّانية أيضًا، ولكن بعدها قتلته وقبل ذلك قتلت أماندا، وما يهمّ أيّ نوع من الأشخاص أنا وما هي الانطباعات الّتي أتركها وما حدث ولماذا، ولماذا لا؟ وما يهمّ ما فعلته، فهذا كلّ ما يهمّ. وقتلت أماندا.

لن ترقص أماندا مجدّدًا. لن تغنّي أبدًا، لن تستمع أبدًا إلى الموسيقى الّتي لا تحبّها حقًّا، ولكنّها تفهم أنّك «يجب» أن تحبّها.

أحببت أنّ أماندا أرسلت القبلات عبر الهواء واضطررت إلى اصطيادها. كانت سطحيّة وسخيفة ومنفصلة عن الواقع وأنانيّة، كنت أحبّ أماندا. بالطّبع أحببتها. لقد كانت أصدق صديقاتي. ولم أكن لأؤذيها قطّ. ولكنّني فعلتها على أيّ حال.

سيباستيان

37

لا أعرف ماذا سأقول عن الأسابيع الأخيرة؟ مرّت الأيّام وتفاقمت حالة سيباستيان سوءًا. من سيّئ إلى أسوأ. كنت أذهب إلى المدرسة في كثير من الأحيان؛ لأنّه لم يعد يريد أن أصحبه طوال الوقت. ولكنّني كنت أحضر محاضراتي جالسةً في الجزء الخلفيّ من الفصل الدّراسيّ، وعند انتهاء الدّوام في المدرسة، ذهبت إلى المنزل عند سيباستيان على الرّغم من أنّه لم يطلب منّي المجيء. وصادف أن يوصلني إلى المدرسة.

في مرّة ما، حضر في المحاضرة في الصّفّ. في بعض الأحيان كان يجلس في الخارج، وينتظر متى أنتهي من المحاضرة. جاء معلّم عدّة مرّات وسأل عن حاله. فأجاب «بخير»، وقال له المعلم إنّه «يجب أن يبدأ الذّهاب إلى المدرسة». أومأ ثمّ ودّعه. حاول كريستر حمله على «شحذ نفسه». ثمّ حصل كريستر على فكرة أنّنا سوف نخطو إلى المرحلة النّهائيّة. أتت الفكرة في اللّحظة الأخيرة، غير متأكّدين إن كنّا قادرين على الحصول على عرض فعّال، ولكن وفقًا لكريستر سيكون ذلك صالحًا لحلّ «الصّراعات المحدّدة» الّتي كانت «في المجموعة». كان يرتّب عروضًا مماثلة كلّ عام.

كانت دائمًا «موضع تقدير». وأحبّت أماندا الفكرة، وكان لدى دينيس ما يكفي من فكرة أنّه يمكن أن يفيد طلبه للحصول على تصريح إقامة، وفعل سمير كلّ ما طلبه منه المعلّم، غير أنَّ سيباستيان يحسب أنّها كانت مزحة

سيّئة. أصرّ كريستر. وقال «على الأقلّ، تعال إلى الاجتماع الأوّل لنناقش ما يمكننا القيام به. أنا منفتح على اقتراحاتكم». كان مجرّد اجتماع. واتّصل اثنان من المعلّمين الآخرين بكلايس للحديث عن «مشاكل» سيباستيان. بكلّ الأحوال، أدعو ذلك بعد أن سألت الشّرطة عنه. ووفقًا للتّحقيق الأوّليّ، فإنّه حتّى المدير سعى إلى الاتصال ب كلايس «مرّتين».

لم يتمكّن من الإمساك به؛ إذ كان «من الصّعب الوصول إليه»، ولكنّه ترك رسائل، وأرسلت رسالة إلى منزلهم. سيباستيان لن يحصل على علامات النّجاح، هذا العام أيضا، كما كانت المدرسة ملزمة بإبلاغ الآباء، على الرّغم من أنّه كان في السّنّ القانونيّة. ويفيد التّحقيق الأوّليّ أنّ رسالة معاون المدرسة وجدت في غرفة عمل (كلايس) عندما فُتِّش البيت.

كانت غير مفتوحة. وماذا عن والدة (سيباستيان)؟ وجدها ساندر. كما عثرت عليها الصّحف المسائيّة، وهناك صور باباراتزي لها خارج المنزل الّذي تعيش فيه، وهناك استجواب لها في التّحقيق الأوّليّ. أعلم أنّ (ساندر) كان يفكّر في دعوتها إلى المحاكمة، والسّماح لها بالتّحدّث؛ لأنّني أعرف أنّه كان لديه فكرة أنّها يمكن أن تعطي صورة لما حدث بين (سيباستيان) و (كلايس)، وأنّها يمكن أن تشرح أن علاقتهما محكوم عليها بالفشل منذ البداية (وليس كلمات «ساندر»)، ربّما الحصول منها على توضيح ما هو الخطأ مع كلايس، وشرح لماذا كان نموذجا وحشيّا للأب (وليست هذه كلمات ساندر)، لماذا فعل ما فعله؟ وماذا فعل مع سيباستيان؟

ظنّت فرديناند أنّها فكرة سيئة، وفي الواقع إذا كانت فرديناند تكره شخصًا أكثر ممّا تكرهني، فأحسب أنَّ هذا الشَّخص هو والدة سيباستيان. قالت إنَّ هذا كان «أكثر من اللّازم»، وأظنّ أنّها كانت تعني أنّه بغضّ النّظر عن التّفسيرات المتوفّرة، لم يكن هناك أيّ محاولة للالتفاف: كانت والدة سيباستيان حمقاء

أنانيّة، وكان والد سيباستيان مضطربًا عاطفيًّا. وهي فكرة قد لا تكون مفيدة أن تشهد والدة سيباستيان «لي» بغضّ النّظر عمّا قالته؛ لأن لا أحد يريد أن يرتبط بهذه الشّمطاء. كان الأمر أشبه بوجود والدة هتلر شاهدةً شخصيّةً. أحسب أنَّ (ساندر) ظنَّ في البداية أنَّ والدة (سيباستيان) يمكنها إثبات أطروحته بأنَّ (سيباستيان) لم يكن بحاجة إلى أن أقنعه بقتل والده. ولكن بعد ذلك، توقّف عن الحديث عن ذلك، وأحسب أنّه فهم أنّه يمكن أن يلطّخه، وكان المرء يشمئزّ تلقائيًّا عندما يسمع العجوز الشّرّيرة تحاول شرح لماذا اختارت أن تترك أطفالها. لذا، اضطرّت والدة (سيباستيان) إلى الاختفاء مجدّدًا، بعيدًا، بعيدًا. ولكنّني قرأت استجوابها حيث تحدّثت في الغالب عن نفسها. حول كيف أنّها لم يمكن لها أن تعيش مع كلايس (إلى حدّ ما فهمت منها إلى الآن)، وأنّها في البداية حاولت إيجاد «شفاء له» (يبدو وكأنّ معالجًا طبيعيًّا علّمها هذا التّعبير)، وجعله يحبّها على الرّغم من أنَّ مشاعره كانت فاترة (ربّما أيضًا من تعابير المعالج)، ولكن كان عليها أن «تتركه»، وعلى الرّغم من أنّه بعد ذلك «رفض» السّماح لها أن ترعى الأطفال «للانتقام»، «ماذا كان يمكنني أن أفعل؟» سألتْ، وهو سؤال بلاغيّ كان عليها أن تجيب عنه بنفسها للحصول على الجواب الّذي تريده.

«لم أستطع فعل أيّ شيء. رفض (كلايس)، ولم يكن لديّ أيّ وسيلة للاعتراض». ورفض لوكاس التّعاون مع كلّ من التّحقيق وساندر. إنّه لا يتحدّث إلى أحد. وهو الّذي استولى على مجموعة الشّركات (كونسيرن)، وحرص على الدّخول في تسوية مع جميع الضّحايا والنّاجين. ولكنَّه لا يتحدّث. ولا كلمة واحدة. وقد كتبت الصّحف المسائيّة، بعد أن قدّم ساندر قصّة الشّرّير كلايس فاجرمان عن نشأته في المدارس الدّاخليّة، مع التّلميذات بدلًا من الوالدين، ومع الموظّفين بدلًا من أفراد الأسرة.

وقد سمح للأخصائيين النّفسيين الّذين لم يلتقوا قطّ بكلايس أو سيباستيان أو لوكاس بتقديم إفاداتهم، فذكروا أنّه ربّما لم يتمكّن قطّ من التّواصل مع أطفاله؛ لأنّه لم يحصل له قطّ أن يرتبط بوالديه. وتحدّث علماء النّفس هؤلاء أيضًا عن أنّ سيباستيان ربّما كان سيرث السّلوك نفسه من والده، كذبة أنّ الأطفال المهملين يعانون، حتى لو كانت لديهم غرفة خاصّة في ڤيلا فاخرة في يورهولم، ولكن لا ينطلي هذا على ساندر، إنّه أذكى من ذلك. نحن بحاجة إلى التّركيز على ما قمتِ به وعلى الأشياء الّتي يمكن أن تكوني مسؤولة عنها. مشاكل (سيباستيان) ليست ذات صلة قانونيّة إلّا بقدر ما تثبت براءتك.

ولكنّ بالنّسبة إلى الصّحافة، فهذا ذو صلة بالموضوع. وبأعلى درجة. كنت أتساءل عن والدة (سيباستيان) ولماذا تركت أطفالها، ألأنّها كانت مريضة، أو مدمنة، أو كان هناك أي سبب آخر؟ ربّما لهذا السّبب لم تقبل بإجراء مقابلة حصريّة عاجلة مع أهمّ مراسل في العالم حول الحقيقة الخفيّة! لأنّها لم تكن كذلك. ولا مقابلة واحدة. ربّما لديها أشياء لتخفيها، أشياء تخجل منها، أشياء عرفها (كلايس) وهدّدها بها. أو ربّما هي تكذب. ربّما لم ترد أطفالها، ربما أجبرت (كلايس) على أخذهم، لا أعرف.

أو أنّها كانت مرعوبة منه، مضطهدة ومكروهة مثل سيباستيان. لا أحد يعرف. وهذا غير ذي صلة من النّاحية القانونيّة. ولكنّه بالنّسبة إليّ، على الرّغم من ذلك، مهمّ. جزء منّي يريد أن يصدّق أنّها أحبّت أطفالها، ما لم تستطع القيام به، أريد أن يكون كلّ شيء خطأ كلايس، في الواقع هو يستحقّ الموت. أريد أن أصدّق أن (لوكاس) ضحيّة أيضًا، وأنّه كان خائفًا من (كلايس) مثل أيّ شخص آخر. ولكنَّ الشّيء الوحيد الّذي أعرفه على وجه اليقين هو أنّه لا والدة سيباستيان ولا لوكاس كانا هناك، سواء عندما احتاج إلهما سيباستيان، ولا في الأسابيع القليلة الأخيرة حيث كنت وحدي. ولم أستطع تدبر الأمر.

حاولت أحيانًا أن أفعل شيئًا آخر غير أن أكون مع (سيباستيان). وحدث أنّني أردت الابتعاد منه. لأنّ ذاك الـ «سيباستيان» الهادئ، المثلّم الشّعور لم يبقَ هو نفسه بعد أن عاد الى منزله من المستشفى منذ مدّة. إذ كان في بعض الأحيان يستشيط غضبًا، وأحيانًا يبقى غير مكترث بشيء. في يوم قد يصرخ في وجهي ويدعوني بالحمقاء؛ لأنّني جئت إلى منزله من دون إشعار مسبّق، وفي اليوم التّالي يطفئ الهاتف ثمّ يزعق لأنّني أفسدت عليه، أفسدت وضعه، وما كان يقوم به. أفسدت عليه كلّ شيء. لذا، صادف أن أظنّ أنّه يجب أن أذهب إلى المدينة مع أماندا وأقرأ قصّة للينا وأتناول العشاء مع العائلة.

ولكنّني نسيت كيف أفعل ذلك. كانوا أهلي، ومن الطّبيعيّ أن أكون معهم، ينبغي أن يكون مثلما أشهق وأزفر وأنام عندما أتعب، غير أنّني شعرت بأنّهم باتوا غرباء عنّي. لذلك تجنّبتهم. توقّفت عن الرّدّ على مكالمات أماندا، وذهبت إلى الفراش إذ كنت في المنزل عندما كان هناك شخص آخر، وجلست على الأغلب وحدي في المدرسة عندما ذهبت إلى هناك. وخلال عيد الفصح، غادرت أمّي وأبي مع لينا خارج البيت. قلت إنّني ذاهبة إلى (أنتيب) مع كلايس وسيباستيان، ولكنّ سيباستيان وأنا بقينا في المنزل، وقضينا معظم وقتنا في حمّام السّباحة، وجرى توصيل الطّعام إلينا، ونحن ندخّن ونستمع إلى الموسيقى الّتي يختارها سيباستيان. أحيانًا يأتي (دينيس) ولم يكن يمكث طويلًا. وعندما قابلت أمّي وأبي مرّة أخرى، تساءلوا كيف كنّا.

«جيّد»، قلت.

«وكيف أنت؟»، سألت أمّي.

«لا بأس»، قلت، ودخلت إلى غرفتي.

«أظنّ أنّني سأمرض الآن»، لم يسألوا المزيد من الأسئلة، ولم يستغربوا

مكتبة
t.me/soramnqraa

على الإطلاق أنّني كنت أكثر شحوبًا ممّا كنت عليه عندما غادرت. ماذا حدث؟ والحقيقة هي أنّه في تلك الأسابيع القليلة الماضية لم تكن هناك نقطة تحوّل، لم يتفوه أحد بأيّ شيء حاسم. لم تمرّ الأيّام بخير، كانت سيّئة للغاية، ولكنّنا أمضيناها، وأحيانا لم يكن سيباستيان بمزاج جيد، وفي بعض الأحيان لم يكن يغضب، وأحيانًا شعرت بتحسّن طفيف، ولكن ربّما، يمكنني التّفكير هكذا بعد ذلك، ظننت أنَّ ثمة تحسّنًا لمجرّد أنّني لم أشعر بتفاقم الحالة سوءًا بشكل ملحوظ. وكان في العديد من الأيّام مقرفًا.

خصوصًا في عطلة نهاية الأسبوع، في عطلة نهاية الأسبوع، عندما كان الأشخاص الوحيدون الّذين قابلتهم في ثماني وأربعين ساعة هم دينيس وسيباستيان. ولكنَّ الأسوأ لو كان (كلايس) في المنزل. حاولت إفهام (سيباستيان) ذلك، غير أنَّه لم يستطع، لم يرد ذلك، لم يفعل شيئًا حيال ذلك. كلّما ساءت حالته أصبح والده أكثر اشمئزازًا. أطلق (كلايس فاجرمان) إهانة تلو الأخرى، غير مكترث بشيء وبشكل غريب، وهو ما فاقم الحالة سوءًا. لم يهتمّ، لقد تحطّم (سيباستيان)، وقلّما اكترث للأمر. وظننت في بعض الأحيان أنّه يريد دفع سيباستيان إلى الانتحار؛ لأنَّ ذلك كان سيحلّ المشكلة الّتي كان يتحدّث عنها بمجرّد أن تتاح له الفرصة: ماذا سأفعل بك بحقّ الجحيم؟

بعد العشاء شاهدت طاهي التّلفاز، عندما حاولت أن أقول لكلايس، كنت قد أنهيت أنا أيضًا الحسابَ، حيث كان يسجّل الحسابات الجارية للبلهاء. ربّما لأنّني لم أستطع منع (سيباستيان) من التّوقّف عن فعل ما كان يفعله أو جعله يبدأ بفعل ما يرفض فعله. لم يسلّم عليّ (كلايس) عندما تقابلنا، كان يتحدّث عنّي في صيغة الشّخص الثّالث، لم ينظر في عينيّ قطّ. لقد احتقرني لمعاشرتي ابنه.

نعم، أظنّ أنّه كان خطأ (كلايس فاجرمان). فلو كان مختلفًا، لو لم يفعل ما فعله ولم يقل ما قاله، لما حدث ما حدث قطّ. لقد أخبرت (ساندر) أنّني تمنيت موته، وأنّني كنت أعني ما أقول، وأنّني عنيت كلّ كلمة كتبتها وقلتها وأعدتها مرّة أخرى وكتبتها في رسائلي النّصيّة. ظننت أنّ (كلايس فاجرمان) يستحقّ الموت؛ لأنّه كان والد (سيباستيان) وينبغي أن يحبّه. يقول ساندر إنّ هذا لا يعني إنني مذنبة بجريمة القتل على أيّ حال. يقول إنّه يتطلّب من المدّعية العامّة أن تثبت أنّني «قمت بحث» سيباستيان على قتله، وإنّ من الممكن أن نثبت أنّ هناك «سببيّة» بين ما قلته وفعلته وما فعله سيباستيان، وكلاهما متناسقان مع بعضهما، وأنّ أحدهما لم يكن ليحدث من دون الآخر. ولا يكفي حتّى أنّني أردت أن يقتله (سيباستيان)، بغضّ النّظر عمّا ظننته. بالنّسبة إلى (ساندر)، من الواضح أنَّ (سيباستيان) قرّر قتل والده بسبب الطّريقة الّتي عامله بها. الحفلة الأخيرة تناسب نموذج ساندر. هذه الحفلة تجعل ما حدث أسهل لفهمه. يظنّ أنَّ ما فعله (كلايس) بطرده (سيباستيان) ومطالبته بالانتقال من البيت والابتعاد والمغادرة كانت النّهاية لسيباستيان؛ إذ لم يكن لديه مكان يذهب إليه، كان قد فشل في المدرسة، جرى سحب كلّ ما كان يعطيه هويّة. وسأدعه يقول ذلك في المحكمة. ولكنّ الواقع الّذي لا يستطيع ساندر إلّا أن يخمّنه، لا يمكن تفسيره على هذا الأساس التّربويّ.

«أخبريني عن المرّة الأولى الّتي ضربك فيها سيباستيان»، قال ساندر عندما سمعت في المحكمة. أراد أن يسمع الجميع ذلك؛ لأنّه يبدو مقزّزًا جدًّا، و (ساندر) يريد من المحكمة أن تشفق عليّ. أخذت أروي، غير أنّني لم أقل قطّ أنّه ليس شيئًا مميّزًا، ليس مميّزًا بما فيه الكفاية على أيّ حال. تركتهم يحسبون أنّ الأمر كان مقرفًا. كنّا في منزل (سيباستيان)، بعد عيد الفصح مباشرة. وكان كلايس وسيباستيان جالسين في المطبخ «يخطّطان» «قرص

الطّلّاب» (لست متأكّدة أنّني في السّويد في نهاية هذا الأسبوع»، «عليك أن تطلب من (مجلس) ترتيب الجوانب العمليّة») عندما جئت، ولم أقل أيّ شيء فيما كان كلايس هناك، ولكن عندما غادر لم أعد أتحمّل المزيد.

كنّا نتشاجر. ليس لأنّه كان من الواضح أنّ سيباستيان لن يحصل على شهادة البكالوريا، لم نتشاجر حول أشياء من هذا القبيل. ولكنّني كنت غاضبة لأنّه ترك (كلايس) يستمرّ بالتّظاهر بأنّه لا شيء، بل دعاه وشأنه ليلقي كلمة نيابة عنه على العشاء. وكان مستعدًّا للدّفع مهما كلّفت حفلة التّخرّج، ولكنّه لم يكن ليحضرها. لا أفهم لماذا تسمح له أن يعاملك كالقذارة. إنّه يكرهك يا (سيباستيان)، أنت لا تستحقّ أن تعامل بهذه الطّريقة. قلت كلّ ذلك على الرّغم من أنّني رأيت أنَّ سيباستيان كان حزينًا.

لاحظت كم آلمه ذلك. رأيته يفهم أنّه لن يكون قادرًا على جعل والده فخورًا به أو حتّى راضيًا عنه. ومع ذلك قلتها. هل يفيده كلامي؟ لا. سيباستيان كان يعاقَب دائمًا، ولكنّه لم يتلقَّ أيّ رعاية. ربّما قلت ذلك لأنّني أردت أن أحزنه أكثر، كنت لئيمة جدًّا معه، كنت أعرف ذلك وكنت حقًّا لئيمة. كنت أستفزّه. وأحرّضه على والده. ثمَّ ضربني (سيباستيان) على وجهي، لم يقل شيئًا، لم يؤلمني كثيرًا، ولكنّني هربت وحبست نفسي في الحمّام، غير أنّني لم أستطع إقفاله. لم يكن هناك مفتاح لأيّ حمّام في بيت (فاجرمان)، بعد أن عاد (سيباستيان) من قسم العلاج النّفسيّ. جلست هناك لمدّة قبل أن يأتي. عندما سمعته يقترب من الباب قاومت بأفضل ما أستطيع. انفتح الباب من الخارج، لكنّ (سيباستيان) لم يقتحم، ولم يحاول سحب الباب، على الرّغم من أنّه كان يستطيع فعل ذلك لأنّه كان أقوى منّي.

استغرق الأمر بعض الوقت قبل أن أفهم ما كان يفعله، ربّما بضع دقائق،

قبل أن تشقّ الحرارة طريقها من جانبه من المقبض المعدنيّ إلى جانبي. لقد سخّنه سيباستيان بمساعدة موقد التقطه من المطبخ، جعل المقبض يحترق، لم يقل شيئًا في هذه الأثناء، لم يلمس الباب حتّى عندما اضطررت إلى إسقاطه، انزلق فقط. جاء إليّ ورفع فستاني، ولفَّه حول عنقي، ثمَّ فكَّ أزرار حمّالة صدري ونظر إليّ في المرآة.

«ألا يمكننا إغلاق الباب؟» همستُ.

كنت أسمع (كلايس) في الطّابق السّفليّ. كانت المنظّفة هناك أيضًا، وفي الحديقة قاد أحدهم آلة جزّ العشب، وكان الحرّاس جالسين بأريحيّة حيث اعتادوا ذلك في الممرّ. ولم يجب سيباستيان. لم يبدُ عصبيًّا حتّى. كانت عيناه منتفختين، كان متعبًا، ولكنه لم يكن غاضبًا.

فكَّ أزرار سرواله، وسحبه، ثم ضربني بظهر يده، ضربة خلفيّة مضجرة، على خدّي، أصابت ساعة يده عظمة خدّي، قريبًا من أذني. استلقيت على الأرض، البلاط كان باردًا، تركته يسحب سروالي الدّاخليّ، والفستان كان لا يزال حول عنقي. امتصّ إحدى حلمتيَّ ممسكًا ثديي الآخر بيده. كان يضغط ثدييَّ بعضهما ببعضٍ ويفكّهما، لم أكن أريد أن أُغتصب، لم أغتصب؛ لأنّني أخذت يده ودفعتها إلى مهبلي، ودفع إصبعين في داخلي، وشعرت به على فخذي، ورفعت قدميّ إلى الأعلى، لم أكن أريد ممارسة الجنس قسرًا، فأمسكت بحافّة حوض الاستحمام ثمّ أولج هو فيّ. لم يستغرق وقتًا طويلًا حتّى انتهى. ثمّ غادر.

عندما طلب منّي (ساندر) أن أخبره متى ضربني (سيباستيان)، فعلت ذلك. ولكنّني لم أقل إنَّ ما ملأني عندما حدث ذلك كان شعورًا بالارتياح. وكيف كان دمي يفور، ويدوّي في رأسي أنّني ظننت في الواقع أنّني أملك

زمام التّحكّم، وأنّه لن يكون قادرًا على فعل أيّ شيء تجاهي بعد أن ضربني. ولو كان قد حطّمني أخيرًا، لرأى الجميع ذلك، ولشاهد الجميع أخيرًا كيف كان، وسيحرّرني ذلك من شيء، ربّما حتّى منه. سيكون لديّ سبب للذّهاب وعدم العودة مرّة أخرى. لا أحد سيرجوني أن أعتني به، أن أعزّيه، وأتابعه.

كنت سأفهم أنّه كان عليّ أن أنفصل عنه. أن أبتعد في المرّة الأولى الّتي أتعرّض فيها للضّرب، لا يجب أن تبقى أبدًا مع شخص يضربك، بغضّ النّظر عن عدد المرّات الّتي طلب فيها المغفرة. الجميع يعرف ذلك. سيباستيان لم يتأسَّف ولم يطلب العفو قطّ. لقد تورَّم خدّي قليلًا، ولكنه لم يكن تورّمًا بارزًا. ولم يؤلمني إذا لم ألمسه. لم يرَ أحد ما حدث وإلى أين سأذهب.

38

جاءني في اللّيلة الأخيرة، وكان الأسبوع الأخير من أيّار/ مايو. لم يكن لدى سيباستيان سجّل حفلة تخرّج الطّلّاب، لم نتحدّث عن ذلك مرّة أخرى بعد ما حدث في الحمّام. ولم يذهب إلى (لابيس)، على الرّغم من أنّه كان مدعوًّا (لم أذهب أنا أيضًا)، ولم أظنّ أنّه سيذهب إلى أماندا. في يوم خميس عاديّ، في اليوم التّالي على الدّوام في المدرسة، قال سيباستيان إنّه سيقيم حفلة. وكان للهواء رائحة غريبة بعد ظهر ذلك اليوم: السّماء أكثر زرقة ممّا كانت عليه وكنت أنا سعيدة. تذكّرت فجأة ما يمكن أن يكون عليه لو كان الصّيف قد أتى قبل ذلك، ولوقت قصير، فيما كنت أفكّر في الخروج في اللّيالي وحفلات الشّواء، والاستحمام عارية بأقدام حافية.

تساءلت: «هل سيأتي الكثير من النّاس؟».

«ليس أكثر من اللازم»، قال سيباستيان.

كان الجوّ حارًّا، أكثر من 25 درجة. ظننت أنّنا سنتسكّع بجانب المسبح على الشّاطئ ربّما، لو دام الجوّ الدّافئ، وسنشرب، ولكننا لن نسكر، سنتحدّث ونستمع إلى الموسيقى. كان أشبه بالصّيف الماضي تقريبًا. تقريبًا!

عندما «لا يكون لدينا شيء آخر نفعله»، كان كلّ ما هو مطلوب لسيباستيان. عندما «تكون لدينا حفلة» كان الأمر ممتعًا. أخبرني (ساندر) أنّه يظنّ أنّ (سيباستيان) قد اتّخذ قراره بالفعل، وأنّ هذه كانت حرفيًّا «اللّيلة الأخيرة» بالنّسبة إليه. ما فعله والده ربّما جعله ينتقل من انتحار عاديّ إلى آخر، غير أنّ

سيباستيان كان يخطّط بالفعل على الأقلّ لوفاته. لم يعثر المحقّقون على أيّ شيء ليخبرهم بما خطّط له سيباستيان، إذا كان يخطّط. ويستند (ساندر) على التّكهّن فقط. لا أحد يعرف. ولكنّي أحسب أنَّ (ساندر) على حقّ.

دينيس جاء أوّلًا. كان معه صديقان. لم يخبرني (سيباستيان) أنّه قادم، لكنّني لم أتفاجأ، وربّما لم يخب ظنّي حتّى. ولكنّ إحضار (دينيس) رفاقه كان من الصّعب فهمه. لم نعاشر أصدقاءه من قبل. في البداية، ظلوا في الفناء، بجوار حمّام السّباحة. لم يبدوا ضائعين، يكاد معظمهم ينفجرون من الضحك. كما لو أنّهم لا يصدّقون أعينهم، ولكن ليس بطريقة جيّدة. ثمّ جاءت الفتيات اللّائي لم أرَهن من قبل. لسن مدعوات. لقد وُظّفن، كما بدا لي. إنّهنّ يكلّفن المال، ولكن ليس كثيرًا (كما يبدو أيضًا) وانتظرن تعليماتهنّ، وكلّ واحدة بيدها كأس شراب. ظننت أنَّ (دينيس) جاء بهنّ إلى هناك، ولكنَّ سيباستيان هو الّذي رحّب بهنَّ ولو أنَّ دينيس هو بدأ. قال ذلك، يا (سيباستيان)، «ابدأوا أنتم».

كان دينيس يرتدي سروالًا قصيرًا، وانحنى وسحب وألبس قدمه اليسرى الجورب. وقد انفلت اللّولب الحلزونيّ. حاول وضعه في مكانه على أيّ حال، خلع قبّعته ووضعها رأسًا على عقب على طاولة غرفة الطّعام. وقفت بعيدة قليلًا، ولكن كان بإمكاني أن أرى الشّريط أغمق من العرق المتيبّس. ذهب (دينيس) وأصدقاؤه، ودخلوا إلى غرفة نوم (كلايس). وليس (سيباستيان)، كما ظننت، لم يكن (سيباستيان) يفعل ذلك قطّ. ابدأوا أنتم. نظرت إلى إحدى الفتيات بقربي، كان ثمّة عقدة على جواربها السّوداء. كان الجوّ حارًّا جدًّا لمن يرتدي جوارب النّايلون. وضعت شرابها، وكان ظفر إبهامها قد عُضّ بعمق تحت بشرتها الوردية، وأردتها أن تنظر إليّ، لكنها رفضت.

إذا نظرت إليّ، لو استطعت رؤية عينيها، لكانت حقيقيّة، شخصًا حقيقيًّا، شخصًا يعتقد بأنني قد أغضب منه، يثير الحزين لديّ، وغيرتي، وأهرب من هناك، ولكنَّها تجنَّبت نظرتي ودخلت الغرفة مع الاثنين الآخرين، وغرقت أنا أعمق وأعمق. كنت أشمّ رائحة عطرها الرّخيص وعرقها، ولكنّني لم أفعل أيّ شيء. لم أصرخ. لم أبكِ. لم أستطع فعل أيّ شيء؛ لأنَّني حينها كنت سأغرق.

دخل (سيباستيان) عندما خرج (دينيس) وأصدقاؤه، أظنّ أنّه كان بعد عشرين دقيقة. لم أسأل لماذا. لم أقل لا تفعل ذلك. لم أبكِ. وقد وصل (لابي) و (أماندا) للتّوّ. وقبل أن يغلق (سيباستيان) الباب، استدار ونظر إليّ. كانت عيناه سوداوين، ميّتتين بالفعل.

«هل ترافقنا؟».

ولكنّه لم يكن ينتظر جوابًا. أغلق الباب خلفه. لم أضرب أحدًا ولم أبصق بعنف حولي. لم أدخل غرفة النّوم بعدهم وأدمّر حياتي، لم أستطع التّحرّك. لم يعد سيباستيان يريدني.

لقد اتّخذ قراره. أراد أن يموت بسلام. هكذا تركك يا (مايا). وضحك دنيس عندما رأى تعبيرات وجهي، ضحك بصوتٍ عالٍ، وفمه مفتوح ورأسه منحنٍ إلى الخلف. وأخرج من سرواله القصير القبيح كيسًا بلاستيكيًّا صغيرًا. التقط ما كان فيه، لم يكن أكبر من حجم طابع. لذا، لم يبقَ ممّا مطلوب منّي إلّا القليل، كلّ ما كان عليّ فعله هو التّخلّي عنه. لم يردني سيباستيان.

هل ترافقنا، سأل.

لا يمكنك فعل المزيد يا (مايا).

لم أستطع التّحرّك. لو تركت التّحكّم، لغرقت أكثر، ولغرقنا الظّلام.

«افتحي فمك على وسعه»، قال دينيس.

نظرت إليه بدلًا من ذلك. لقد فهم، كما ظننت. إنّه يعرف ماذا على المرء فعله لكيلا يغرق. ثمّ امتلأ المنزل بالنّاس. كانت الموسيقى تصدح في حمّام السّباحة، جلست على حافته وقدماي في الماء الّذي كان يومض بأضواء مصابيح الدّيسكو الّتي كان شخص ما قد نصبها، كانت الأضواء تدور في أنحاء الغرفة، ونزولًا وصعودًا على الجدران، وتنفجر في رأسي. استلقيت، كان فستاني مبللًّا من الجانب ويلمع، شخص ما ألقى زجاجة شمبانيا في الماء، كانت تتمايل، لا تتّسق مع الموسيقى. لمعان على السّطح، شرارات صغيرة في رأسي، كبيرة، وألسنة لهب فيروزيّة عالية. يجب أن أتناول شيئًا أقوى، لأنَّ ما أعطانيه (دينيس) كان على وشك فقدان مفعوله.

لا أعرف كم من الوقت بقيت هناك. تدفّقت الموسيقى متصاعدة، شعرت بها في صدري، كيف انفجر ليخرج من جسمي. لا يهمّ ما فعله (سيباستيان)، لم أهتمّ، ولكنّ نظراتي صارت ضبابية.

«أماندا»، صحت، أو على الأقلّ حاولت.

لم تسمعني همست لنفسي. «أماندا». كانت ستساعدني، لتخرجني من هنا. تساعدني على أخذ شيء أقوى، تساعدني على اصطحاب (سيباستيان)، تساعدني في المنزل. أمسكت هي بيد (لابي)، نظرا حولهما، كانا يبحثان عن شخص ما. عندما أمسكه (لابي) من كتفه حتّى استدار، كأنّني رأيته. سمير. والهاتف الخليويّ في يده.

ثمّ رأيت ما كان يصوّره. وقف سيباستيان وظهره مقابل له. قسّم خطوط الكوكايين على البلاط، ونزلت اثنتان من المومسات العاريات الثّلاث على ركبهنّ لسحبها. أمسك سيباستيان بورك إحدى الفتيات، وسحب مؤخّرتها وأطبق على ما بين فخذيها. ضحك دينيس فيما سمير ما زال يصوّر.

لا أعرف كيف نهضت، ولكنّ (لابي) أمسك بي قبل أن أتمسّك بالهاتف، لا أظنّ أنّني كنت أصرخ، لكنَّ (أماندا) كانت تحتجزني أيضًا، سحبوني بعيدًا، إلى غرفة أخرى، كانت الموسيقى صاخبة جدًّا، آخر شيء رأيته هو أنّه جاء دور (سيباستيان) لسحب خطّين. التقط البقايا بلسانه والتفت إلى الفتاة الأخرى وتركها تلعقها. أظنّ أنّني كنت أبكي، لا بدّ من أنَّ سميرًا تبعنا، كان لا يزال يحمل الهاتف وينظر إليّ. وأضاف «علينا أن نضع حدًّا لهذا الأمر». هل قالت (أماندا) ذلك؟ ربّما. أو ربّما كان سميرًا.

«علينا الإمساك به».

كان بالتّأكيد سميرًا. سميرًا اللّعين. أراد أن يفعل شيئًا، الشّيء الصّحيح. إلهي. ما كان يجب أن يتواجد هنا. لو لم يكن (سيباستيان) مشغولًا لما سُمح له بالدّخول. لم يستطع فعل هذا، لن يحلّ هذا مشكلة (سيباستيان). ثمّ شعرتُ بالخوف. الرّعب. لأوّل مرّة على حياتي. فإذا جاءت الشّرطة، لذهب كلّ شيء إلى الجحيم.

«لا يمكنك فعل ذلك».

الآن، صرختُ.

«لا يمكنك الاتّصال بالشّرطة، لا يمكنك الوشاية به. لا يمكنك. فإذا اتّصلت بالشّرطة...».

انطلقت من البداية.

تسارعت نبضات قلبي...

«إذا اتّصلت بالشّرطة، فلن يعتقل (سيباستيان) وحده».

«يجب أن نفعل شيئًا. لا يمكن أن يبقى على هذا الوضع».

التقطت هاتفي الخلوي. لم يستغرق وقتًا مطوّلًا. كلّ ذلك كان تلقائيًّا.

كأنّني أردت ذلك. كما لو كنت قد خطّطت له. أظهرت الرقم وسلّمت سميرًا الهاتفَ.

«اتّصل به. اتّصل!».

هل حسبتُ أنَّه يجرؤ؟ كنت مستعدّة لإجباره على أيّ شيء، ولكن ليس الشّرطة. نقر سمير الرّقم في هاتفه المحمول.

«ماذا تفعل؟» تساءلت.

ربّما لحق بي حينها. ما كنت قد فعلت. ماذا يعني ذلك. بدا سمير فخورًا، متفوّقًا.

أردت أن أحذف المقطع.

«ماذا تفعل بحقّ الجحيم؟».

دوى صوت الموسيقى. كان الصّوت عاليًا إلى درجة أنّنا اضطررنا إلى الصّراخ لكي نسمع بعضنا. ومع ذلك، سمعت رنّة (السّويش)، صوت الرّسالة الّتي حوّلت من هاتف سمير إلى رقم هاتف كلايس فاجرمان الخاصّ. لم يكتب سمير شيئًا في رسالته النّصّية، بل اكتفى بإرفاق الملف الذي كان عبارة عن الفيلم الّذي سجله.

يا لك من أحمق حقير، على ما أظنّ. *اتّصل بالشّرطة. اتّصل بالشّرطة*، أريد أن أصرخ من زنزانتي على الجانب الآخر. اطلبوا منه أن يتّصل بالشّرطة. طالبوه أن يتّصل بالشّرطة. لو كنت قد اتّصلت بالشّرطة. لم يستغرق الأمر أكثر من 10 دقائق حتّى تنفجر الأوضاع.

الجلسة الرّئيسة في القضية باء 147 66
الادعاء العام في مواجهة ماريا نوربرغ

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الثالث، الاثنين

39

عندما دخل سمير قاعة المحكمة، بدا كالمعتاد. تقريبًا في كلّ الأحوال، أصغر حجمًا ربّما، أكبر سنًّا بشكل ما. لا ينظر إليّ عندما يجلس في مقعده. ولكنّني أنظر إليه. أنظر وأنظر وأواصل النظر، ولأوّل مرّة منذ بدء المحاكمة أشعر بشيء لا يشبه الذّعر. شعره أطول ممّا كان عليه في السّابق، ويمسح بيده على سرواله ذي اللّون البيج، كما لو كانت يده متعرّقة. يتنحنح كثيرًا حتّى لا يشعر بأنّه متوتّر. سمير باقٍ على قيد الحياة. في الواقع هو حيّ يرزق، ليس فقط كما قالوا. لقد نجا؛ لأنّه يجلس هنا، قريب جدًّا إلى درجة أنّني أستطيع النّهوض ولمسه. لا يهمّ، على ما أظنّ، إنّه هنا ليقول إنّني قتلت (أماندا) عمدًا. الشّيء الرّئيس هو أنّه على قيد الحياة.

تبدأ المدّعية العامّة. تسمح لسمير بالتّحدّث براحة وهدوء.

«تكلّمْ بكلماتك الخاصّة...».

يتحدّث سمير عن سبب ذهابه إلى مدرسة يورهولم الثّانويّة العامّة، وكيف عرف سيباستيان، أماندا، لابي، وكيف عرفني، بالضّبط إلى أيّ حدّ يعرفني جيّدًا، وكيف كان هو وأماندا ولابي قلقين بشأن سيباستيان وبشأني، وكيف قرّروا «فعل شيء»، ماذا حدث في الحفلة في اللّيلة السّابقة؟

جاء أوّلًا حرّاس الأمن. عندما وصل (كلايس فاجرمان)، كان معه المزيد

من الحرّاس. يقول سمير إنّ أحد حرّاس الأمن الّذين جاءوا مع كلايس أخذ هاتفه. حصل في المقابل على هاتف جديد، أجمل، في تغليف سليم. وقد درج هاتف سمير القديم (وكلايس) في موادّ التّحقيق. شاهدنا الفيلم بالفعل (وفيلمًا آخر التقطه سمير من قبل، ولكنّه لم يرسله إلى (كلايس)، والآن تقوم المدّعية العامّة بتشغيله مرّة أخرى. يمكن رؤية كم أنا منزعجة، ويمكن سماع كيف جنّ جنوني عندما انتبهت لسمير وهو يقوم بالتّصوير. أصرخ ما الّذي تفعله بحقّ الشّيطان، يا مجنون؟

ينتهي الفيلم بمشهد وجهي المتعرّق في الصّورة، تسمح لي المدّعية العامّة بالتّحديق في الجمهور لمدَّة طويلة قبل أن تنقر فوق صورتي وتزيحها. يتحدّث سمير عن الفوضى. عندما فقد (كلايس) السّيطرة وخرج عن أناه المحافظة الباردة الأعصاب ليسحب (سيباستيان) من غرفة النّوم حيث كان مع العاهرة. كان سيباستيان عاريًا، وجّه إليه كلايس ضربة بقبضة مشدودة في وجهه، أمام الجميع، وعندما سقط على الأرض، ركله كلايس على بطنه.

يقول سمير: «ثلاث مرّات على ما أظنّ». «ربّما مرّتين. لست متأكّدًا».

أحد حرّاس الأمن أبعد (كلايس) عن (سيباستيان)، وخرج آخر من غرفة نوم (كلايس) مع (دينيس) والعاهرة.

كان دينيس قد تلاشى تمامًا، سرواله في يده وقضيبه قد انكمش بين فخذيه المزرقّين الدّهنيّين الدّاكنين تقريبًا. يقول سمير إنَّ أحد حرّاس (كلايس) قد نقله إلى المنزل. كان قد طلب أن يجري إنزاله بعيدًا قليلًا من بيته حتّى لا تراه أمّه ووالده في السّيّارة. ولكنَّ الحارس أصرَّ. لم يلاحظ والدا سمير شيئًا. واستغرق سمير ما يقرب من خمسين دقيقة لتفسير ما حدث في الفصل الدّراسيّ.

طرحت المدّعية العامّة جميع أسئلتها بصوت أكثر انخفاضًا من المعتاد. وفي كلّ مرّة يبدأ سمير في البكاء (ثلاث مرّات)، يسأله القاضي بالصّوت المنخفض نفسه عمّا إذا كان بحاجة إلى أخذ قسط من الرّاحة. واكتفي سمير بهزّ رأسه، يسعى من أجل أن يجيب بصوت مسموع، يريد الخروج من هنا، يريد أن ينجز هذا الأمر، يقرأ ما قاله في الاستجوابات، إنّها الصّياغات نفسها حرفيًّا تقريبًا. إنّه «متأكّد»، إنّه «يعرف ما رآه»، وما فعلتُه. وعندما حان دور ساندر كانت جبهة سمير قد ابيضّت تماما. لديه بقعة ورديّة مستديرة على كلّ خدّ، فوق المكان الّذي عادة ما يتحول إلى غمّازة ضحك. يبدو منزعجًا حتّى قبل أن يطرح (ساندر) سؤاله الأوّل.

يتحدّث ساندر أيضًا بصوت ودّيّ، ولكنّه عالٍ كعادته.

«في أوّل استجواب لك، قلت إنّ الأمر استغرق عدّة ساعات قبل وصول الشّرطة».

«أوه».

«هل تتذكّر ذلك؟».

«شعرت كأنّها ساعات».

«في الواقع، لم يستغرق حتّى نصف ساعة؟».

«لديَّ التّقرير هنا، يقول إنَّ الفصل الدّراسيّ قد فُتِحَ بعد 15 إلى 17 دقيقة من إطلاق الطّلقة الأخيرة. إنّها تسعة عشر دقيقة بعد إطلاق النّار الأولى».

«هل هذا أمر مهمّ؟».

«قلت أيضًا إنّ أوّل شخص أطلق عليه النّار كان (كريستر)».

«حسنا...».

يخفض ساندر صوته.

«ذكرت ذلك في استجوابك التّالي أيضًا».

«كنت لا أزال مغيّبًا إلى حدّ كبير. لقد أجريت عمليّة جراحيّة. استجوبوني عندما كنت لا أزال في المستشفى...كنت...».

«أفهم هذا، يا سمير، أفهم أنَّ الأمر لم يكن سهلًا عليك. لكن هناك الكثير من الأشياء الّتي قلتها خلال الاستجوابات الأولى وتراجعت عنها لاحقًا».

«إطلاقا».

«كم يومًا استغرقت قبل أن تُستجوَب؟».

«أربعة أيّام».

«هل كانت عائلتك معك تلك الأيّام؟».

«نعم».

«تحدّثت عمّا حدث، أليس كذلك؟».

«لم أتحدّث كثيرًا».

لأنّك كنت في حالة سيئة، أعلم أنّ لديك الكثير من مسكّنات الألم، هذا في سجلّك الطّبّيّ. أفهم أنّك مرضت، ولكنَّ أمَّك وأباك... هل تحدّثا معك عن ذلك؟».

«بالطّبع تحدّثنا. ولا أفهم لماذا ستكون هذه مشكلة».

«كلّ ما عليك فعله هو الإجابة عن السّؤال، يا سمير».

«أمّي بكت كثيرًا، لقد بكت فقط».

«ما اللّغة الّتي تتحدّث بها مع والديك؟».

يتردّد، «العربيّة».

يسلّم (البانكيك) (ساندر) بعضَ الأوراق. يستلمها. يقلب إلى الصّفحة الأخرى ويستمرّ.

«لقد تحدّثنا إلى الطّاقم الطّبّيّ الخاصّ بك. قالت لي إحدى الممرّضات إنّك سألت عمّا حدث لمايا».

يستدير ساندر إلى رئيس المحكمة في حين تسلّم فرديناند نسخًا من الاستجواب مع الممرّضة.

«كما أنّها تتحدّث العربيّة».

«مم»!

«وأخبرتني بما أجاب والدك».

«وما الغريب في ذلك؟ والدي يجب أن يجيب عندما أسأله سؤالًا بسيطًا؟».

«هل تتذكّر بما أجاب؟».

«بأنّها كانت في الحجز، على ما أظنّ».

«قالت إنّ والدك أخبرك أنّ الشّرطة اعتقلت مايا، وأنّه ينبغي لمايا أن تتعفّن في السّجن بسبب ما فعلته بك».

«هل تحسب أنّه من الغريب أنَّ والدي يرى أنَّ مايا يجب أن يعاقب على ما فعلته؟ إنّه كان غاضبًا؟».

«قال والدك إنَّ الشّرطة عثرت على حقيبة في خزانة (مايا) وأخبرك والدك أيضًا بما كان في تلك الحقيبة، أليس كذلك؟».

لماذا لم يفعل ذلك؟ الشّرطة فعلت ذلك أيضًا، وجدت الحقيبة في خزانة (مايا)، هل كان أبي سيكذب عليّ؟

«قال والدك إنّ (مايا) و (سيباستيان) قاما بذلك معًا، وإنّها و (سيباستيان) نفّذا إطلاق النّار معًا. لقد فعلا ذلك معًا»، وقال والدك هذا قبل يومين من قيام الشّرطة بأوّل استجواب معك، أليس كذلك؟».

«لا أعلم، ربّما فعل. ولكنّه قاله مثلما حصل بالفعل، لم يكن شيئًا اصطنعه أبي، بل كان حقيقة...».

«لا أظنّ أنّ والدك قد لفّق ذلك، أظنّ أنّه قرأه في الصّحف وأظنّ أنّه صدّق ذلك. مايا كانت في الحجز، ووالدك ليس وحيدًا في التّفكير بأنّه نادرًا ما تعتقل مراهقة إذا لم تكن مذنبة. أظنّ أنّك وقعت أيضًا في ذلك الفخّ وأنّ كلّ ذكرياتك عن الفصل الدّراسيّ، كلّ الأشياء الّتي لم تفهمها عندما حدث ذلك، قد جرى تكييفها مع ما قيل لك».

«إذًا، تظنّ أنّني لفّقت ذلك؟ أيّ كلام هذا؟ لقد قُبِضَ على مايا لإطلاقها النّار على...».

بدا ساندر حزينًا عندما قاطع سميرًا.

«والدك، نعم، عائلتك كلّها، كلّ من زارك في المستشفى، خضع لمنع إفشاء المعلومات، هل تعرف ما هو ذلك؟».

«نعم».

«هذا يعني أنّه لم يسمح لهم بمناقشة هذه الأمور معك».

«أبي لم يناقش أيّ شيء معي».

«والسّبب في عدم السّماح لوالدك بإخبارك بأيّ شيء عن مايا، أو ما قرأه في الصّحيفة أو ما كان يظنّ أنّه يعرفه، هو أنّ الشّرطة أرادت التّأكّد أنّك لن تتأثّر بما سمعته عن الجريمة وعن مايا. أرادوا أن يكونوا قادرين على استجوابك من دون أن تكوّن فكرة مسبّقة عمّا حدث».

«لقد كوّنت فكرة عمّا حدث لأنّني كنت هناك عندما حدث ذلك. لماذا سألفّق؟...».

«لا أظنّ أنّك تعمّدت تلفيق ذلك، يا سمير».

«ولكن أظنّ أنّك تريد أن... إنّك تريد أن تفهم تجربتك المؤلمة أكثر من أيّ شيء آخر، وأنّ هذا البناء يبدو أكثر منطقيّة».

«لم يقل أبي، لم يقل إنّ (مايا) و (سيباستيان) قد قاما بذلك معًا».

نظر ساندر إلى الأعلى متشكّكًا.

«ولكنّه أخبرك أنّها في السّجن».

«نعم».

«هل أخبرك لماذا كانت قابعة هناك؟».

«لم يكن يحتاج إلى أن...».

«لا، ربّما لم يكن بحاجة إلى ذلك، وأن يقول إنّ مايا كانت رهن الاحتجاز، كان بالتّأكيد كافيًا بالنّسبة إليك لفهم ما اشتبهت الشّرطة في أنّ مايا قد فعلته. ولكنّه فعل، يا سمير. والدك أخبرك بما قرأه في الصّحف وبما كان مقتنعًا بصحّته».

«لديّ إفادة الممرّضة الّتي سمعت مكالمتكم ويمكننا استدعاؤها إلى هنا إذا أردت. لقد سمعت كم كان والدك منزعجًا، وماذا أراد أن يفعل مع مايا؛ لأنّها «حاولت قتلك». و«ليس من السّهل أن...».

«أبي أرادني فقط أن أعرف ذلك».

«أنا أفهم ذلك يا سمير. وفي الواقع، هذا بالضّبط ما أريد أن نتحدّث عنه. ليس من السّهل شرح ما حدث».

ترك ساندر الكلام معلّقًا في الهواء، ثم شرب من كوب الماء.

«كيف عرفت أنّك أُصِبت بإطلاق النّار؟».

«هو... سيباستيان أطلق النّار على دينيس ثمّ كريستر ثمّ...»، سمير يتنحنح.

« قال...».

أخذ سمير بالبكاء، تنحنح مرّة أخرى.

«أنت الآن ستموت، قال. ثمّ أطلق النّار، فظننت أنّني متّ حينها».

بكى لمدّة من الوقت. تركه ساندر يفعل ذلك قبل أن يواصل كلامه.

«أين كانت تقف (مايا) عندما أطلق النّار؟ هل تتذكّر ذلك؟ «عند الباب» هل كانت في يدها البندقية؟».

«لا أدري».

«ولكنّ مايا لم تطلق النّار عليك؟».

اضطرب سمير.

«لم أدّعِ قطّ أنَّ مايا أطلقت النّار عليَّ. ولكنّها...».

«متى أدركت أنّك لم تمت؟».

«عندما سمعتهما يتحادثان».

«أيّهما؟».

«مايا و... (مايا) و (سيباستيان)».

«لقد قلت في الاستجواب إنّ...».

يقرأ ساندر في أوراقه.

«إنّه...، كان خلاصي حين ظنّ أنّني ميّت».

سمير يرفع صوته.

«لو أنّهما رأيا أنّني لم أكن ميّتًا...».

خفض ساندر صوته.

«لقد أدَّيت دور الميّت حتّى لا يُطلَق النّار عليك مرّة أخرى».

«نعم».

«هل أغمضت عينيك؟».

«ليس تمامًا».

«إذًا، كنت تشاهد؟».

«نظرت من دون أن أفتح عينيّ تمامًا. نعم. نعم، رأيت ما يكفي».

«ألم تكن خائفًا من أن يرياك تنظر إليهما؟».

«كنت مرعوبًا. لم أكن خائفًا مثلما كنت في هذه اللّحظة طوال حياتي».

«هل كنت تتألّم؟».

«لم أتألَّم في حياتي مثلما تألّمت تلك المرّة».

«لا بدّ من أنّه كان من الصّعب الاستلقاء بهدوء وأداء دور الميّت».

«لم يكن لديّ خيار آخر».

«قلت في الاستجواب إنّ...».

يسحب ساندر قطعة من الورق ويقرأ مباشرة.

«لقد فعلا ذلك معًا».

«ماذا فعلا معًا بالضّبط؟».

«هم...».

«عندما أطلق سيباستيان النّار على كريستر، دينيس وعليك... هل أطلقت (مايا) النّار أيضًا؟».

«لا، هي..».

«هل كانت تحمل البندقية في هذه اللّحظة؟».

«لا، لا أظنّ ذلك. لا أعلم».

«ولكن كانت معها بندقية عندما قال (سيباستيان) إنَّ...».

ماذا قال؟

«قال: «أنت تعرفين أنَّ عليك أن تفعلي ذلك».

«وأنت تعرف ما كان يقصده بذلك؟».

«اقتلي أماندا».

تقصد مايا أنّه عندما قال سيباستيان: «افعلي ذلك»، أرادها أن تقتله لكيلا تضطرّ، وأنّها كانت مضطرة إلى قتله حتّى لا يقتلها».

«لماذا قتلت أماندا، إذًا؟ لماذا كانت تطلق النّار على (أماندا) لو لم يقل لها (سيباستيان) أن تفعل ذلك؟».

يسكت ساندر لبرهة، ولكن ليس لأنّه يظنّ أنّ سميرًا قد سجّل نقطة، بل لأنّه يريد أن ينتبه الجميع بدقّة.

«لقد كنت حاضرًا، أعادت الشّرطة تمثيل إطلاقات النّار».

«نعم، وحينذاك...».

«لكنّك لم تكن معنا عندما أعدنا تمثيل الجريمة».

«لا. لم أكن مدعوًّا إلى ذلك، وماذا يهمّ هذا؟ كنت هناك عندما كان...».

«الشّخص الّذي أدّى دورك، أو كما أسمّي ذلك، هل تعرف ما قاله عمّا يمكن أن نرى من حيث كنت تكمن؟».

«كيف لي أن أعرف ذلك؟».

«لم يستطع رؤية (مايا)».

«رأيت مايا».

«لم يستطع رؤية (مايا). لرؤية (مايا)، كان عليه أن يستدير برأسه. ولكن إذا أدار رأسه، لم يعد بإمكانه رؤية (سيباستيان). لم يستطع رؤية (مايا) و(سيباستيان) في وقت واحد. كما أنّه لم يتمكّن من رؤية كلّ من مايا وأماندا في الوقت نفسه».

مكتبة
t.me/soramnqraa

«هل أدرت رأسك للنّظر إلى مايا؟».

«لا أعرف. ربّما فعلت».

«كنت تتظاهر بأنّك ميّت، أليس كذلك؟».

«نعم».

«استلقيت هادئًا ما أمكن؟».

«نعم».

«هل تعرف ماذا قال أيضًا رجلنا الّذي أعاد تمثيل الجريمة؟».

«كيف لي بحقّ الجحيم أن أعرف ذلك؟».

«وأضاف الرّجل الّذي أدى دورك في إعادة تمثيل الجريمة، أنّه من المكان الّذي كنت مستلقيًا فيه، لا يبدو أنّ أماندا وسيباستيان كانا يقفان في خطّ النّار نفسه، فقد بدا وكأنّهما يقفان بجانب بعضهما. ولكن من موضع مايا، أيّ من منظور مختلف، يشاهَد سيباستيان واقفًا مباشرة أمام أماندا. هل تظنّ أنّه قد بدا مختلفًا بالنّسبة إليك ممّا كان عليه بالنّسبة إلى مايا؟».

«مايا أطلقت النّار على أماندا».

«نعلم أنّ (مايا) أطلقت النّار على (أماندا)، يا (سمير). ولكنّنا لا نعرف لماذا أطلقت (مايا) النّار عليها».

«أرادتها أن تموت».

«هل أنت متأكّد من ذلك؟».

«لم يكونا.. لم يكونا... سيباستيان ومايا أصبحا تمامًا...».

سمير يبكي مرّة أخرى.

«قالت أماندا إنّ مايا توقّفت عن الاتّصال بها، وإنّهما ما عادتا تلتقيان، وإنّها تغيّرت كثيرًا. أماندا كانت قلقة عليها، ولكنَّ (مايا) لم ترد أن يكون لها علاقة بـ (أماندا). لقد كانت مع (سيباستيان) فحسب. كانت مهووسة بـ (سيباستيان). ولم تبالِ بشيء سوى (سيباستيان).

«هل سمعتَ مايا تقول إنّها تريد أماندا أن تموت؟».

«لا».

«هل أخبرتك أماندا أنّها كانت خائفة من مايا؟».

«لا، ولكنّني لم أدرك أنَّ (مايا) أرادت أن... لم أدرك ذلك قبل أن يبدأ الفصل الدّراسيّ».

«عندما وصل المسعفون إلى مكان الحادث... أوّل شخص حقّق معك، في حين كنت لا تزال في الفصل، ذكر أنّك كنت فاقد الوعي».

«هل كنت كذلك؟».

«أظنّ ذلك».

«أتتذكّر متى أُخذت من الفصل؟».

«لا».

«لأنّك حينها كنت فاقد الوعي؟».

«نعم، ولم أدّعِ قطّ أنّني أتذكّر ما حدث عندما وصل المسعفون».

«كم من الوقت كنت فاقدًا للوعي؟».

«ليس لمدَّة طويلة».

«لقد تحدّثنا إلى طبيبك، فقال إنّه ليس من المستحيل أنّك كنت فاقد الوعي فعلًا عندما أُطلِقت النّار عليك».

أنا لم أكن كذلك».

«هل أنت متأكّد من ذلك؟».

«رأيت ما رأيته».

«ماذا كان هذا؟».

«رأيت مايا تصوّب على...».

«ولكنّك لم تتمكّن من رؤية كلّ من مايا وسيباستيان من المكان الّذي كنت فيه. أو (مايا) و (أماندا) إلّا إذا أدرت رأسك بالطّبع، ولكنّك قلت إنّك لم تفعل لأنّك لم ترد المخاطرة بأن يلاحظا أنّك على قيد الحياة. أوّلًا يمكنك كذلك أن ترى إذا كانت مايا تصوّب على سيباستيان أو أماندا لأنّك كنت في زاوية خاطئة».

«قال سيباستيان»، «أنت تعرفين أنّ عليك أن تفعلي ذلك»، وقالت مايا إنّه قال ذلك فعلًا. لكن هل تعرف لماذا قال ذلك؟ «عليك أن تكون حذرًا ممّا تقوله، يا سمير. يجب أن تعرف على وجه اليقين هل تعرف لماذا قال سيباستيان ما قاله؟».

«لا».

«هل تعرف على وجه اليقين لماذا فعلت مايا ما فعلته؟».

«كيف لي أن...؟».

«أريدك فقط أن تجيب بصدق، يا سمير. هل تعرف لماذا أطلقت مايا النار على أماندا؟».

«لا».

«هل يمكنك التّأكّد من أنّها فعلت ذلك عن قصد؟ هل أرادت قتل أماندا؟».

«لا».

«شكرًا لك. ليست لديَّ أيّ أسئلة أخرى».

سيباستيان

40

وقفت مدّة إحدى عشرة دقيقة في غرفة سيباستيان. لم أغادرها، كنت أنتظره. سمعته يتّصل بالحارس، قائلًا: «سيعمل والدي في المنزل اليوم. ولا يريد أن يزعجه أحد».

لم يطرح الحارس أيّ أسئلة، لم يكن يظنّ أنَّ الأمر غريب كثيرًا، لم تكن لديه حاجة إلى الرّدّ. وكان من الطّبيعيّ أن يترك كلايس بسلام وينام في الصّباح بسبب السّهر في اللّيلة الفائتة. لم أرد المخاطرة برؤيته، فبقيت في القاعة. ولماذا قلت لسيباستيان: لا، عندما طلب منّي مساعدته على حمل الحقائب؟ ظننت أنّه حزم أمتعته وكان سيذهب إلى قاربه ويعيش هناك لمدَّة من الوقت. ربّما كان سيذهب إلى الخارج؟ ربّما يريد أن يختفي؟ يعيش في فندق؟ لا أعرف بماذا كنت أفكّر إلّا أنّني لم أرد مقابلة (كلايس)، ولكن لم أرد أن أترك (سيباستيان) وشأنه، ولا أن أكون هناك، ولكنّي لم أجرؤ على المغادرة. من يظنّ أنّ حقيبتين ثقيلتين تحتويان أسلحة (ملفوفة في شرشف) ومتفجّرات (ملفوفة في شرشف آخر)؟ سأكون أقلّ دهشة إذا كانت الحقيبتان تحتويان عشرة ملايين دولار نقدًا، أو جواهر التّاج. لا، لم أسأل (سيباستيان) ماذا كان سيفعل. لا، لم أسأل عن الحقيبتين. لم أرد أن أسأل لأنّني لم أتحمّل أن أبالي.

ولكنّك تحتجّين. إذا كان قد تمّت التّعبئة للقارب الشّراعيّ، لماذا يريد أن

يجلبها إلى الفصل الدّراسيّ؟ لماذا أراد ترك إحدى الحقيبتين في خزانتك؟ ألم تشكي بغرابة الأمر؟

لا أعلم. لم أرد أن أعرف لماذا لم أسأل ما هو؟ لماذا لم أطرح أيّ أسئلة؟ لم أرد أن أسأل (سيباستيان) أيّ شيء. كنت متعبة. أردت فقط أن ينتهي اليوم، الفصل الدّراسيّ، المدرسة. لو فكّرت، لكنت ظننت أنّه من الغريب أنّ (سيباستيان) أراد الذّهاب إلى المدرسة. لماذا أراد فجأة أن يذهب إلى اجتماع التّخطيط السّخيف لكريستر؟ ولكن أظنّ أنّني قد توقّفت منذ وقت طويل عن التّساؤل عمّا يريد سيباستيان وما لا يريد. عندما حسبت أنّني فهمت لماذا فعل ما فعله، وكان خطأ على أيّ حال. لم أفهم أيّ شيء. فقد كان غريبًا ولم نفهم كيف يريد الذّهاب إلى المدرسة على الرّغم من أنّه لن يفكّر في الوقوف على خشبة المسرح والغناء مع سمير ودينيس.

ربّما شككت في أنّه يريد مواجهة سمير وأماندا لتوبيخهما أو ليوجّه صفعة إلى سمير! أو ظننت أنّه يريد الإمساك بـ (دينيس) للحصول على جرعات جديدة من المخدرات؛ لأنَّ جيش (كلايس) من حرّاس الأمن أفرغوا المنزل من المخدّرات. كان سيباستيان بحاجة إلى مقابلة (دينيس). لو فكّرت في الأمر لكنت ظننت أنّهما رتّبا موعدًا في المدرسة. لقد كانت فكرة (كريستر) في أن نمثّل معًا في نهاية المدرسة نموذجيّة جدًّا منه. وأعرب عن ظنّه بأنّه لا توجد مشاكل للشّباب أكثر خطورة من أن تحلّ من طريق إجبارهم على الصّعود إلى خشبة المسرح ومنحهم ثلاثة مكبّرات صوت لمشاركتها. يا لها من صورة جميلة لموقع المدرسة الإلكترونيّ! التّعدّديّة، والمشاركة، والتّكامل، والتّضامن. قال سيباستيان عندما أخبرني كريستر عن خططه بعد ظهر أحد الأيّام في الرّدهة، قبل أسبوعين من حدوث ذلك:

«من المؤسف أن لا أحد منّا على كرسيّ متحرّك».

وقد صادف أن يكون سيباستيان هناك، وعندما رآنا كريستر ركض وراءنا، صاح على أماندا وسمير الّذي وقف على مسافة معيّنة، أجبرهما على الاستماع إليه. وقال كريستر:

«إنّني أتحدّث إلى دينيس». «تعال إلى الاجتماع على أيّ حال. أنا متأكّد من أنّنا يمكن أن نفكّر في شيء يظنّ الجميع أنّه ممتع».

(أماندا) كانت سعيدة للفكرة حقًّا، لقد أحبّت الغناء، وغنّت في جميع حفلات التّخرّج في المدرسة. وحافظ (سمير) على هيئته الجذابة، ربّما ظنّ مثلي أنّ هذا لن يحدث قطّ على أيّ حال. ولكنّنا أتينا إلى الاجتماع. سار (سيباستيان) أمامي إلى الفصل الدّراسيّ، رمى الحقيبة على أحد المقاعد عند الباب، وسحبها كذلك، وأنا أعلم أنّني تفاعلت مع الصّوت الّذي بدا غريبًا، كان ثمّة شيء ثقيل في الحقيبة. قال لي كريستر: «أغلقي الباب».

حين فعلت ذلك، كان سيباستيان قد التقط بندقيته بالفعل، ووقف في منتصف الفصل الدّراسيّ، وعندما تركت مقبض الباب، بدأ في إطلاق النّار. أصبحت البندقية تدوّي. أصيب (دينيس) في وجهه وصدره.

رأيت ذلك عندما استدرت، وحدّقت فيما أطلق سيباستيان النّار على كريستر وسمير ثمّ توقّف. سمعت بعد ذلك لهاث دينيس، ثلاث مرّات، ثمّ هدأ، وأحسب أنّ كريستر تفوه بما يشبه الصّراخ، قبل أن يُطلق عليه النّار، ولكن لا أعرف على وجه اليقين. لم أسمع إطلاق النّار من الدّاخل وكان الصّوت عاليًا إلى درجة أنَّ ردّ فعلي كاد يكون غير محسوس. لم يكن ذلك واقعيا بالمرة. لا أعرف بماذا كنت أفكّر عندما أدركت أنَّ (سيباستيان) أخرج البندقية من حقيبته، ولا أعرف كم مرّة أطلق النّار، لقد سألوني حوالي ألف وخمسمائة مرّة، ولكنّني لا أعرف.

عندما ابتعدت عن دينيس، تحركت أماندا، لا أعرف أين وقفت عندما بدأ سيباستيان بإطلاق النّار ومتى تحرّكت، ولكنّها كانت بجانب الجدار قرب النّوافذ عندما توقّف سيباستيان عن إطلاق النّار، وكان يصرخ، لا بالمناسبة، لم يكن يصرخ، لم يكن أحد يصرخ في هذا الحين حسب ما أظنّ، كان يتحدّث معي بالنّبرة المعتادة، وخلفه رأيت أماندا مسرعة، كانت تبكي وشفتاها تتحرّكان، ولكن لم أسمع ما كانت تقوله لأنّ أذني كانت تطنّ وسيباستيان كان يتحدّث معي؛ لذلك توقّفت عن النّظر إلى أماندا ووجهت نظري إليه هو.

الحقيبة الّتي جيء بها إلى الفصل الدّراسيّ، كانت أمامي مباشرة مفتوحة، والسّوستة مسحوبة حدّ الإمكان. كانت الرّائحة أقوى ممّا كان عليه فيما بعد فقط، ولا أظنّ أنّ سيباستيان نظر إلى أماندا، بل كان ينظر في وجهي فقط، وكانت هناك بندقية أخرى في الحقيبة، رأيت ذلك، رأيت ذلك بوضوح. وعندما بدأ سيباستيان يتحدّث مرّة أخرى لم تكن أماندا بعيدة كثيرًا على أيّ حال، حيث كان يقف كريستر، لم تكن تريد أن تقترب منه، فأصبحت في مواجهة الجدار على ما أظنّ، وعندما بدأ سيباستيان يصرخ؛ لأنّه بدأ بالصّراخ، حينذاك توقّفت عن الحركة، ولم أعد أرى عينيها، ولا فمها، ولا أعرف إن كانت قد قالت شيئًا، لا أظنّ ذلك، لقد سمعت فقط (سيباستيان) يصرخ. كان قد صرخ قبل بضع ساعات أيضًا.

«أغلق فمك المنتفخ، أيّها اللّعين»، صرخ سيباستيان في وجه سمير، في حين كان حارس الأمن يسحب والده بعيدًا، وصرخ سمير أيضًا، لا أعرف بوجه من صرخ، ولكنَّه صرخ وكأنّه جنّ جنونه. لقد فقد اتزانه. فقد الجميع صوابهم. عندما وصل كلايس فاجرمان، وهو يجرّ سيباستيان، بدا سمير مجنونًا، مجنونًا تقريبًا مثل سيباستيان، ولكنَّ كلايس كان الأسوأ.

لو لم يوقفه رجال الأمن لما توقّف عن ضرب (سيباستيان)، ولم يتوقّف عن الرّكل. وعندما غادر الجميع وصرخ (كلايس) في (سيباستيان) ليختفي فغادر، وتبعتُه أنا وخرجنا من المنزل بعيدًا، ظننت أنّه بدا هادئًا. لم نتحدّث عن اللّيلة الفائتة. لم نتحدّث عمّا فعله (سيباستيان). ولا عن الفتيات وعينيه الميتتين. لم أتحدّث إعطائي (سمير) رقم هاتف والده، ولكن من كان سيكون غير ذلك؟ لا بدَّ من أنَّ (سيباستيان) فهم ذلك. لا يمكن أن يكون أيّ شخص سواي. وعلى الرّغم من ذلك، بدا هادئًا في أثناء المشي، على الرّغم من أنه كان خطئي؛ إذ كنت السّبب في مجيء والده، كان كلّ ذلك خطئي. لم يرد (سيباستيان) أن يلمسني، أو يمسك بيدي، ولكنّه لم يبدُ غاضبًا. لقد تركني، وترك كلّ شيء. كانت الحقيبة مفتوحة والتقطتّ البندقية. لم يصرخ سيباستيان في البداية، ولكن بعد ذلك صرخ بصوت أعلى من أيّ وقت مضى. وليست لديَّ أيّ فكرة عن عدد المرّات الّتي أطلق فيها النّار، ولكن كنت أعرف لماذا كان يصرخ، بالطّبع كنت أعرف. في البداية كان يتحدّث بشكل عاديّ، ثمّ أخذ يصرخ. لقد صوّب نحوي بندقيته وفهمت السّبب. أطلقت النّار مرارًا وتكرارًا. وماذا كنت سأفعل غير ذلك؟ أنا لا أؤمن بالصّدفة ولا بالرب. ما أظنّه هو أنَّ كلّ ما يحدث يتناسب مع ما حدث من قبل، مثل سلسلة مترابطة. إذا كان مقرّرًا سلفًا؟ لا. كيف يمكن أن يكون ذلك؟ ولكن هذا ليس مثل القول، إنّه حدث وحسب.

ليس قانون الجاذبيّة عشوائيًّا. يسخن الماء ويتكثّف. إنّها ليست مصادفة، ولا هي دليل على العدالة الإلهيّة. إنّها كذلك. كان لدينا معلّم ذات مرّة، قال إنّ كلّ شيء يعود إلى قدرة الغازات على الانفجار. كان أحمق، ما زلت أحسب ذلك؛ لأنّه ما علاقة الانفجار الكبير بأخذي البندقية من حقيبتي؟ ماذا عن أماندا؟ سيباستيان؟ بعد بضع دقائق أو ربّما ثوانٍ فقط، عندما كان

كلّ شيء قد تحطّم من الدّاخل وأطلق عليه النّار وتحوّل إلى أشلاء، كانت ساعتي اليدويّة لا تزال شغّالة، لم يمسّها شيء، والعقارب تشير إلى الوقت الصّحيح، كيف يتناسب هذا مع أصل الكون؟ لماذا لم يطلق (سيباستيان) النّار عليّ حتّى تتمكّن (أماندا) من الاستمرار في الحياة؟ فهذا المعلّم الأهبل الجاهل كان من الصّعب أن يفسّر ذلك. كلّ شيء، بالضّبط كلّ شيء، كان وادعًا، وهادئًا، وغير، واقعيّ. و (سيباستيان) سقط على مسافة منّي، كان ميتًا، لقد قتلته، لكنّني جذبته إليّ مرّة أخرى، أقرب ما يمكن. ماتت أماندا من دون أن أحضنها. لم أرَ متى أخرج (سيباستيان) البندقية من حقيبته.

ولكنّني نظرت إليه وهو يحملها، عندما بدأ بإطلاق النّار. بدا الصّوت أعلى ممّا يمكن أن يكون عليه حقيقيًّا، الصّوت لم يستوعبه المكان، انفجر في رأسي، رأيت ما كان يحدث، ولكنّني لم أستطع فهمه. لقد التقطتّ البندقية الأخرى لأنّني لم أستطع فعل شيء آخر. كنت أعرف أنّه يريد أن يموت، وأنّه كان عليّ قتله وإلّا قتلني. لم أرَ أنّني كنت قد أصبتُ (أماندا)، ولكن عندما رأيتها ميتة، عرفت أنّني الشّخص الّذي أطلق النّار عليها. أعظم شيء هو الحبّ، كما يقولون. يقول النّاس ذلك طوال الوقت، حتّى إنّ بعضهم يرى أنّه صحيح.

قالت المدّعية العامّة إنّني فعلت ما فعلته لأنّني أحببت سيباستيان. وقد كان حبّي إيّاه أعظم بالنّسبة إليّ. ولم يكن هناك شيء آخر أكبر قيمة من ذلك. ولكنَّ هذا ليس صحيحًا؛ فالأعظم من كلّ شيء هو الرّعب، الخوف من الموت. لا يعني الحبّ شيئًا عندما تحسب أنّك ستموت. أعلم أنّه يجب أن يكون لديّ تفسير لسبب حدوث ذلك. وأنّه ينبغي أن أفعل مثل ساندر، أن أجعل هذا يناسب أو لا يتناسب مع النّصّ القانونيّ. أن أقول بأن هذا قد حدث أولا، ثمّ اتّضح إلى أين آلت الأمور. لم يكن خطئي. أنا بريئة.

أو: لقد كان خطئي. أنا مذنبة. ولكن لا أستطيع. أنتم تكرهونني بسبب ما حدث، وأنا أكره نفسي أكثر لأنّني لا أستطيع التّفسير. لا يوجد تفسير. هذا بلا أي معنى على الإطلاق.

الجلسة الرئيسية في القضية باء 147 66
الادعاء العام في مواجهة ماريا نورنبرغ

جلسات المحاكمة - الأسبوع الثالث، اليوم الأخير

41

حاولت في الليلة التي سبقت اليوم الأخير من المحاكمة، ألا أنام. لا توجد في الليل أكاذيب. وهذا كما أعتقد خطأ الصمت. عندما تكون الطيور صامتة والسماء قاتمة، تأتي الأحلام متتابعة لا تلزمها أي قاعدة، ولا أحد يستطيع أن يقرر محتواها، ولا تأبه بشيء. تطير ذكرياتي، كغربان سوداء، صامتة، في قطيع، يتفتت عمودي الفقري إلى حصى ورمل وغبار. أحاول ألا أذهب إلى النوم لكنني لا أستطيع التحرك، يتغلب التعب علي. لا يمكنني إزالة الألم بالنوم، ليس النوم محررا، أكون في الحلم تحت رحمة الحقيقة. لا، لم أخطط لقتل أي شخص. لا، لم أرد أن يموت (دينيس) و(كريستر). نعم، أردت أن يموت والد (سيباستيان)، لا، لم أرد أن يقتله (سيباستيان). نعم، قتلت (سيباستيان)، نعم، لقد فعلتها عمدا، أتمنى لو لم أفعل. ونعم، قتلت (أماندا)، أجل، سأفعل أي شيء للتراجع عما فعلت. لم أكن أعرف ما الذي كان سيفعله (سيباستيان) عندما ذهبنا للمدرسة معا لأنه لم يقل لي أي شيء. وعندما أخبرني (سمير) أن (سيباستيان) لا يحتاجني، ظننت أنه مخطئ. ظننت أن (سيباستيان) يحتاجني للبقاء على قيد الحياة، كنت مقتنعة أنه لا أحد أكثر أهمية مني لديه، لكن الحقيقة هي أنه لم يكن بحاجة لي لشيء، ولا حتى للموت، على الرغم من أنني قتلته. كل ما تبقى لي هو أن سيباستيان كان بحاجة لي، لكنني لم أكن أعني له شيئا.

يقول الناس أن جميع الناس لديهم قيمة متساوية.

هذا ما يقوله شخص مهذب، وحسن السلوك وربما لديه شهادة أكاديمية، ولكن هذا لا يجعل من هذا القول حقيقة. ويعرف الجميع أن الناس لديهم قيم مختلفة. ولهذا السبب، عندما تحطمت طائرة قبالة إندونيسيا ولقي 400 شخص حتفهم، تساءل الجميع إذا كان هناك سويدي واحد على متنها. شخص تافه تفوح منه رائحة العرق ويهوى السياحة الجنسية، قيمته ضعف ما تصل إليه قيمة أربعمائة إندونيسي. هذا هو السبب في أن هناك عناوين بارزة (مع الصورة) عندما تتوفى امرأة ذات صحة سليمة، وشابة وأنيقة، لديها وظيفة ناجحة، في حادث انهيار جليدي وملاحظة صغيرة فقط على الصفحة المجاورة للإعلانات حول دور السينما وتكبير الثدي عندما يقتل ويُسرق متقاعد مطلّق مصاب بسلس البول وبدون أولاد في طريق عودته إلى البيت بمترو الأنفاق. هذا هو السبب في أن جميع المقالات حول «مذبحة يورهولم» فيها صورة واحدة على الأقل لأماندا ويندر أن تتضمن هذه المقالات صورة لدينيس.

فقط البلهاء يتظاهرون أنه لا يهم من أنت، ماذا فعلت. يتحدثون عن الكرامة الإنسانية، كما لو أنها ليست شيئا اخترعناه. الكرامة الإنسانية ثرثرة فارغة... إلى الأبد، باستمرار، باستمرار. كلنا متشابهون يا (بلابلا) حياة هتلر لها نفس قيمة حياة الأم تيريزا. لكن ليس (سيباستيان)، من كان يعلم كيف نشأ سيباستيان في منزل مع شاطئه الخاص مع الرمال البيضاء المنقولة بالطائرة والقارب في مستعمرة فرنسية سابقة. كيف كان يتخيل أنه كان أي شيء سوى إله، لا يساوي أحدا، متفوق على كل شيء؟ كل يوم من حياة سيباستيان أثبت الحقيقة: كان يستحق أكثر من أي شخص آخر. المال أسهل في الفهم من الخيال الفلسفي حول الكرامة الإنسانية المطلقة. المشكلة بالنسبة لسيباستيان هو أنه يعرف أيضا أن قيمته تعتمد على والده. بدون والده، لم يكن ذا قيمة.

كل المعلمين الذين سمحوا له بالتأخر، كل الآباء الذين لم يكلفوا أنفسهم عناء منع أطفالهم من أن يكونوا معه، كل الطوابير التي مر بها، كل الأصدقاء لديه، كل من التقط صورا له، ثرثر عنه، تحدث عنه، فعلوا ذلك فقط من أجل والده.

ابن (كلايس فاجرمان) وعندما أخبره والده أنه لا يربطه به شيء، وأن لا قيمة له، وعندما بصق عليه وركله، حينذاك عرف سيباستيان أن كلايس كان على حق. بدون (كلايس)، لكانت حياته انتهت. وكان يجيد شيئا واحدا. كان يمكنه أن يقتل. وكان يجيد الصيد. وحقق أمورا كثيرة بواسطة البنادق وتلقى الثناء. وأنا من أعطى لسمير رقم هاتف كلايس. أنا من طلب من سمير عدم الاتصال بالشرطة. لقد كنت أنا. ربما أردت الانتقام من (سيباستيان)، ربما أردت أن يرى (كلايس) ما كان يفعله بهؤلاء الفتيات لأنني كنت أعرف أن (كلايس) سيعاقبه أسوأ من أي شخص آخر يمكن أن يعاقبه. أو ربما كنت خائفة من أن يقبض علي لأنني كنت شامخة كعمارة. ولكن عندما غادرت، ذاهبة إلى المنزل في تلك الليلة الأخيرة، في ضوء الصباح، وفي إحدى يدي حذائي عالي الكعب وبيدي الأخرى هاتفي المحمول تفوح منه رائحة العرق، وهو الذي سيمتلئ فيما بعد برسائل مكتوبة في حالة يأس واحباط، حينذاك عرفت أنا وسيباستيان أنني قد خذلته مرة أخرى. ومن الواضح أنه لم يخبرني بأي شيء. وبالطبع كان بإمكانه قتلي.

أكون في الليالي مثل الهواء، مثل يوم بلا رياح، عندما يكون كل شيء ساكنا، ولا يمكن لأي شيء التحرك بعيدا. أتذكر الكثير من الأشياء. والحقيقة، هي بقدر ما يكون المرء مهتما بها...

أنا مذنبة.

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الثالث، اليوم الأخير

42

عندما ضغطت رئيسة الادعاء لينا بيرسون على زر الميكروفون، تنحنحت ثم بدأت التماسها، وخلاصة كل ما تريد أن تقوله، تبدو حزينة نوعا ما، كما لو أنها لم ترد أن تكون موجودة هنا.

«إنه أسوأ كابوس لكل والد... أن يترك أطفاله يذهبون في الصباح، ثم لا يراهم في المنزل مساء.»

لكن الأحزان قد تنتهي. فبعد بضع جمل، عاد إليها توازنها وغضبها.

«لن نتخلص بهذه السهولة»، يقول الصوت. «من الصعب أن نفهم، يكاد يكون من المستحيل أن نفهم، كيف يمكن للشباب أن يصلوا إلى هذه الدرجة من الغضب لكي يقتلوا. ولكن هذا يجب ألا يمنعنا من رؤية ما حدث. ويجب ألا يمنعنا ذلك من إنفاذ القانون. وما على المحكمة أن تقرره اليوم هو ذنب المدعى عليها. ويجب على المحكمة أن تجرؤ على عمل ما تراه صحيحا. وأن تثبت أن المدعى عليها متهمة بالتحريض والمساعدة على القتل والقتل ومحاولة القتل. وقد ثبتت مسؤولية المدعى عليها عن الجريمة بما لا يدع مجالا للشك المعقول.»

يأخذ صوتها بالتصاعد لأنها تستند إلى حججها في مهمتها، وتشعر بعد بضع دقائق بالانتصار. ويبقى هناك أمران واضحان: فهي لم تتأثر بأسئلة

ساندر لسمير، وثباتها على قناعتها بأنه ينبغي الحكم عليّ بأقسى عقوبة قانونية. «التفسيرات»، كما تقول بسخرية، «ليست أشياء سهلة للقيام بها إذا كنت ترغب في جعلها تتوافق مع الحقيقة. وماذا... «إنها تتردد، لا تعرف ماذا تسميها. وما توصل إليه خبراء الدفاع هو مجرد واحد من عدة تفسيرات محتملة. وهذا لا يعني أن نتائجها صحيحة. خبراء الدفاع، جميعهم يفهم ما تريدنا هي أن نفهمه.لقد حاولت دفعت المدعى عليها شراء تبرئتها. هذه العاهرة الثرية اللعينة.

محققو الشرطة ليسوا هواة. إنهم يعرفون ما يفعلونه، فهذا ليس تحقيقهم الأول.

ولا الثاني أو الثالث. لا أحد يقول لهم ما الذي تبحثون عنه، وما هي النتيجة المطلوبة. وهم يحققون دون شروط مسبقة، وليس بناء على طلبية المتهم.

قالت:

تذكروا، تذكروا ما قاله سمير منذ البداية، وما قاله طوال فترة التحقيق، وما كان ثابتا عليه على الرغم من مرور الوقت. كان سمير هناك ورأى بوضوح ما كان يحدث في الفصل الدراسي، خلال تلك الدقائق الكابوسية، ويمكنه أن يروي ما فعلته المتهمة. هل كان عليه أن يستدير برأسه ليرى ذلك؟ ربما. وماذا يهم ذلك؟ لقد رأى ما رآه. وأما بالنسبة لدور المتهمة، فلم يكن سمير واضحا. ولا ينبغي أبدا الاستهانة بالجلسة الأولى، لا سيما عندما تستند إلى التحقيق التقني، وفي حالة الشرطة، أجرى التحقيق التقني مركز الطب الشرعي الوطني التابع لنا.

إنها تشدد على الوطني، كما لو أن هذه الكلمة كانت كافية لفهم ما هو

صحيح وما هو الخطأ. إنهم خبراء الدول وليسوا متدربين لدى ساندر، وليسوا مرتزقة لدى المتهمة.

ظلت المدعية العامة ثابتة على ما كانت تقوله طوال الوقت، ولكن شيئا واحدا قد تغير ويستغرق بعض الوقت بالنسبة لي أن أدرك، ولكن عندما فكرت فيه للمرة الأولى، لم أستطع أن أتخلى عنه. لأنها عندما ترسم قصتها، عندما تحكي كيف أنا وسيباستيان، المعزولين عن العالم الخارجي، قد خططنا للانتقام الدموي، لم تعد تتوجه إلى رئيس المحكمة العليا. بل أصبحت تنظر إلى المحلفين، القضاة الذين ليسوا محامين.

ليس لدي أي شك في أن الأمر كان صعبا على المتهمة. ستندم ماريا نوربيرغ بالتأكيد.

من الممكن أنها غيرت رأيها في الفصل الدراسي، عندما رأت كيف يبدو الموت في الواقع، خافت على الأرجح. وعندما مات (سيباستيان فاجرمان)، لم تعد تريد الموت. ولكن هذا لا يشكل فرقا في قضية التهم الموجهة إليها.

لو لعبت لينا بيرسون دور مدعية عامة غاضبة في مسلسل تلفزيوني أمريكي، لكانت قد انحنت على منضدة هيئة المحلفين الآن. وحدقت في عيون المحلفين، واحدا تلو الآخر، لترى إن كانوا سيبدؤون بالبكاء. إنها تلعب على السجل العاطفي بأكمله الآن، لأنها تعرف أنها إذا كسبت هيئة المحلفين لكان لصالحي.

عند تتوصل المحكمة إلى حكم نهائي، فتكون لكل قاض أهمية لا تقل عن أهمية رئيس المحكمة. لكل واحد منهم صوت واحد، لا أكثر ولا أقل. ويمكن حينذاك الدوس على فقرات الرئيس القانونية وفق فقراته بسهولة. أنا أنظر إلى هيئة المحلفين. أحاول قراءة ما يفكرون في وجوههم، وماذا

يتصورون. لكنني لا أرى شيئا، لا شيء أفهمه، لا شيء يمكنني تفسيره، سوى وجوه. عندما تنتهي (لينا بيرسون)، يشكرها الرئيس. لا أسئلة، لا شيء. وبعد ذلك حان دور ساندر.

لم يبدأ ساندر بالكلام على الفور. بل يسمح ل (فرديناند) بتشغيل جهاز العرض. تعرض عنوانا رئيسيا في الصحف. «مذبحة في مدرسة يورهولم الثانوية العامة ـ اعتقال فتاة». ثم تغير الصورة. نرى عنوانا رئيسيا آخر يبتسم ابتسامة عريضة بوجهنا، «مقتل كلايس فاجرمان ـ طالبت صديقة ابنه: «يجب أن يموت!» وعنوان آخر: «المصادر تؤكد: قتلت صديقتها المقربة». وعنوان جديد، وآخر. عندما يومض العنوان السادس، يتنحنح ساندر. يقرأ بداية ذلك بصوت عال. «كان الجميع سيموتون، لم يكن هناك مخرج آخر». ولكن العنوان الفرعي يقول: «هكذا تعيش الآن، سبع صفحات عن حياة فتاة دورهولم في الحجز». ثم يتابع: «اعتقدت أنه يجب أن أخبركم بعدد المقالات التي كتبت عن مايا عندما بدأت هذه المحاكمة. لكن لا يمكنني فعل ذلك ومن المستحيل تفسير ذلك. في الأسبوعين الأولين بعد جرائم القتل، ظهرت موكلتي في جميع العناوين الرئيسية في أكبر ثلاث صحف سويدية. كلها. كانت هي، أو الجرائم التي يزعم أنها متورطة فيها، التقرير الإخباري الرئيسي في رابورت وأكتويلت وأخبار TV 4 لمدة ثلاثة أيام بعد الهجمات، وكانت هذه واحدة من التقارير الإخبارية الرئيسية لمدة ثمانية أيام أخرى. وعندما نشرت الشرطة، بعد أقل من 24 ساعة من الأحداث التي وقعت في مدرسة يورهولم الثانوية العامة، المعلومات المتعلقة بوفاة كلايس فاجرمان، كان الاهتمام متفجرا بنفس القدر حتى في وسائط الإعلام الدولية.

نادرا ما كانوا مهتمين بالأمر من قبل. وقد أبلغني زملائي في العمل أنهم عندما بحثوا في Google عن «Maja Norberg» في الليلة السابقة لبدء هذه

المحاكمة، حصلوا على أكثر من 750,000 نتيجة، على الرغم من أن معظم وسائل الإعلام السويدية لم تنشر اسمها بعد. ونتج البحث عن مصطلح «مذبحة يورهولم» عما يزيد قليلا عن 000 300 زيارة وكما حصل الجمع بين سيباستيان فاجرمان ومايا نوربرغ على نفس العدد تقريبا.

إنه يتنهد. تنهدا عميقا. إنه آسف لأنه اضطر لإعلامي. نظر إلى الرئيس. على عكس (لينا) القبيحة، توجه (ساندر) إليه.

نحن رجال القانون، لا نسمح لأنفسنا أن نتأثر بالتفاهات مثل الصحف المسائية والإنترنت، والمطبوعات المهنية وبرامج النقاش، والأخبار الأجنبية وغيرها مما لا نهاية له. يشع جوهر ساندر كله بادعائه، أنا أثق بك، ولكنه يقول أيضا إنه من واجب الرئيس أن يشرح ذلك لأعضاء هيئة المحلفين، إذا لزم الأمر.

«التحريض. موكتلي متهمة بالتحريض على قتل (كلايس فاجرمان) وهذا الجزء من لائحة الاتهام يتضمن أيضا الادعاء بأن موكلتي، مع الراحل سيباستيان فاجرمان، خططا واشتركا في تنفيذ جرائم القتل في مدرسة يورهولم الثانوية العامة في نفس اليوم.»

موكلتي...

لم يدعُني ساندر بموكلته خلال المحاكمة، إلا في حالات استثنائية. لكن الآن لديه صوت جاف كالصحراء الجرداء. ولكي تعتبر الدعائم المتعلقة بالتحريض قد استوفت، يجب على المدعي العام أن يثبت أن موكلي كان ينوي التحريض على قتل كلايس فاجرمان، وأن هناك صلة مباشرة بين ما قالته موكلتي أو فعتله وعملية القتل. ولإدخال هذا الادعاء ضمن الاثباتات، اعتمدت المدعية العامة على عدد من الرسائل التي أرسلتها موكلتي إلى

سيباستيان فاجرمان خلال الليل والصباح المعني، وهي رسائل أعربت فيها موكلتي عما تفسره المدعية العامة على أنه تشجيع على القتل.

«لا أفهم لماذا ساندر يتحدث عن هذا. هو يعلم أنني أكره سماع ما كتبته، ومع ذلك فهو يصر.. اقتربت الآن فرديناند من جهاز عرض الصور مرة أخرى. تنقر لعرض صورة على الشاشة الكبيرة. إنها من حساب انستغرام الأكثر متابعة في السويد، فتاة تبلغ من العمر ستة عشر عاما من مدينة (بورلانغه) وهي صورة للآيس كريم. كتبت عليها «خير لي الانتحار على البدء في تناوله».

أسمع بعض الضحكات القصيرة خلفي. لا يضحك الرئيس لكن اثنين من هيئة المحلفين يبتسمان. تنقر على صورة دجاجة تطل على قدر. صورة أخرى من داخل مصنع الدجاج. وبجوارها نص يقول: «آكلو اللحوم قتلة!»

يترك ساندر ذراعيه تسقطان في إيماءة تدل على الاستسلام بينما تتصفح فرديناند الصور. «نحن نستخدم خيارات غير لائقة للكلمات. حتى البالغون يعبرون عن أنفسهم بغرابة. وعادة ما أقول لزوجتي إنني أفضل الموت على مشاهدة مسابقة أخرى من مسابقات مهرجان الأغنية الأوربية، ومع ذلك أشاهدها كلها دون التفكير في الانتحار خلال فترات الاستراحة.

أصرخ أحيانا عبر الهاتف، وأتهم أحفادي بأنهم يرغبون بقتلي، ولكن لا أعتقد أن هذه هي نيتهم الحقيقية، أو على الأقل: لا تأتي «في المقام الأول.»

لقد وجدوا الكثير من الأمثلة على المراهقين على الانترنت يريدون «قتل» مراهقين آخرين يستمعون إلى الموسيقى التي لا يحبونها، داعين إلى «جلد ممثل شهير في الأماكن العامة.»

أظهرت فرديناند أيضا التعليقات على مدونات أحد المتسابقين في إيدول وثلاث، أو حتى أربع، لافتات كرة القدم التي يبدو أنها من سناب شات.

بعدها يلوح ساندر بيده بغضب. توقفي عن عرض الصور، تقول اليد. لا أطيق رؤية التعاسة. كل هذا الغباء. يعلو صوته مرة أخرى بخطورة. ليس المقصود من هذا أن يكون مضحكا.

إن الحالة التي يتعين علينا تقييمها لا تثير أي ضحك. لم يكن لدى مايا أي سبب للمزاح وكانت رسائلها إلى سيباستيان في الساعات الأخيرة هزلية.

«أنا أحاول أن أشير إلى ما هو واضح: نحن نستخدم الكلمات والتعابير التي تشير إلى الموت دون أن نعنيها. وكثيرا ما يعبر الشباب عن أنفسهم ليس فقط بلا مبالاة، بل أيضا بشكل غير لائق تماما. هل هذا إجرام؟ هل يعني هذا استيفاء متطلبات القانون للتحريض؟ لا.»

الشاشة تتحول إلى اللون الأسود وفرديناند يجلس.

«ولكن دعونا نتلاعب بالفكرة». «لنفترض أن مايا كانت تعني كل كلمة. أنها كانت في وضع يائس لدرجة أنها رأت موت (كلايس فاجرمان) الشيء الوحيد الذي يمكن أن ينقذ (سيباستيان)، لنفترض أنها أرادت حقا أن يقتل (سيباستيان) والده.

هل هي مذنبة بالتحريض في هذه الحالة؟ لا. يجب أن تستمر المدعية العامة في إظهار قدرتها على جعل آرائها حاسمة وأن سيباستيان لم يكن ليقتل والده، بغض النظر عن رأي مايا في هذه المسألة. هل استطاعت المدعية العامة إثبات الترابط السببي؟ لا.»

ويشير ساندر إلى أن سمير لم يشهد وحده حول تلك الليلة الأخيرة من الاحتفال. لقد استمعوا إلى (لابي)، واستمعوا إلى العاهرة، واستمعوا إلى حراس الأمن، وسمعوا كل من كان هناك لكنه لم يمت بعد يوم واحد. وبالطبع، تختلف رواياتهم عن بعضها، لدى كل واحد منهم نسخته، ولكن

الجميع تحدث عن غضب كلايس فاجرمان. وعن كيفية لكمه لسيباستيان وركله حتى القائه خارجا. لقد تمكنوا من معرفة كيف بدا الأمر حينما كان سيباستيان ينزف، وبدا مصدوما، وغاضبا ربما، لكن لم يتمكن أحد من معرفة شعور سيباستيان حينذاك.

لقد قلت ما أعتقد، ولكن من الصعب أن تثق بي. «بدلا من ذلك، ظهرت صورة علاقة جريحة، علاقة بين صبي مصاب ووالده. نحن لا نعرف بالتفصيل ما حدث في ساعات الصباح عندما توفي كلايس فاجرمان، لكننا نعرف أن الأب والابن كانا وحدهما عندما أطلق سيباستيان النار عليه، ونحن نعلم ذلك قبل وقت قصير من عراكهما العنيف. ونعلم أيضا أن سيباستيان فاجرمان كان تحت تأثير المخدرات القوية.

لقد أدمن لفترة طويلة وكان لديه مشاكل في الصحة العقلية. هل يبدو من المحتمل أن رسائل مايا المتناثرة كانت حاسمة لأفعال سيباستيان؟ أم أنه من المرجح أن التفسير يكمن في العلاقة بين كلايس وسيباستيان فاجرمان وفي حالة الصحة النفسية لسيباستيان فاجرمان؟

أنا مقتنعة بأن المحكمة ستقيم هذه المسألة بنفس الطريقة التي أفعلها.

بعدها تحدث لحظة عن العواقب المترتبة على بقية التقييم، أن المحكمة «يجب» أن تستنتج أنني لم أتوصل إلى أن سيباستيان قتل والده. ثم عاد الصوت الجاف مرة أخرى. والآن يراجع ما لدى المدعية العامة لأدلة «ملموسة» ضدي.

«هل هناك أي ظروف أو شهادات أو أدلة أخرى على أن موكلتي كانت تخطط، مع المتوفى سيباستيان فاجرمان، لارتكاب جنايات في مدرسة يورهولم الثانوية العامة؟

لا.

هل هناك أي ظروف أو شهادات أو أدلة أخرى تثبت ان موكلتي أحيطت علما بالخطط التي كان لدى سيباستيان؟

لا.»

كرر ساندر ما قاله بالفعل في أثناء المحاكمة نفسها. لا بصمات على الحقيبة من داخلها، والسوستة، وخزائن البنادق، وكل تلك الحزمة. ويشير ساندر أيضا (مرة أخرى) إلى أن سيباستيان حصل على المتفجرات (التي لم تفجيرها ممكنا) قبل فترة طويلة، قبل أن أعرفه حتى.

«هل هناك شيء في رسائل واتصالات الهاتف المكثفة نوعا ما بين سيباستيان ومايا يبين أن مايا كانت تدرك أن سيباستيان ينوي قتل والده قبل أن يفعل؟

لا.

عندما تعود (مايا) إلى منزل (سيباستيان)، كان (كلايس فاجرمان) قد مات منذ ساعتين تقريبا.

هل ورد في التحقيق ما يشير إلى أن سيباستيان أبلغ مايا عن هذا قبل وصولها؟

لا.

هل ثمة ما يثبت أن مايا اكتشفت أن كلايس فاجرمان ميت عندما تكون في المنزل؟ وأنها وجدت أن (سيباستيان) قد قتل والده؟

لا. لا يوجد شيء من هذا القبيل في مواد المدعية العامة.

بدلا من ذلك، سأستغل وقتي لأذكركم بما لم تستطع المدعية العامة

إثباته. ولم تتمكن المدعية العامة من إثبات أن مايا كانت تعرف شيفرة الأمان الخاصة بخزانة الأسلحة حيث كانت الأسلحة المعنية مخزنة، كما لم يتم العثور على بصمات أصابعها على الخزانة المعنية أو داخلها.

ومع ذلك، فقد تمكن الفنيون من تحريز بصمات كل من كلايس وسيباستيان فاجرمان داخل وخارج خزانة الأسلحة. لا يوجد دليل تقني على أن مايا ساعدت في التعامل بخزانة الأسلحة كما لم يتم العثور على بصمات مايا في أي من الحقيبتين أو على السوستة، بل كانت هناك بصمات على مقبض الحقيبتين وعلى إطاراتهما السفلي. كما لا يوجد أي أثر له صلة بمايا على المتفجرات التي عثر عليها في خزانتها. توجد بصمات (مايا) على السلاح الذي استخدمته لاحقا لكن ليس على زناد السلاح الذي استخدمه (سيباستيان).

يأخذ ساندر استراحة قصيرة، يتصفح الورق، يأخذ رشفة صغيرة من الماء. يأخذ وقته الكافي ثم يواصل:

«هل هناك أي ظروف أو شهادات أو أدلة أخرى تثبت أن موكلتي ستساعد سيباستيان فاجرمان في أداء ما قام به؟ وأنها كانت تنوي القتل أو المساعدة والتحريض على القتل؟ نعم!»

بدا مندهشا بطريقة ساخرة. «أتت المدعية العامة بشهادة جاءت في ظروف مشكوك فيها، وأدلى بها مراهق مصاب بجروح خطيرة والذي، كإجراء وقائي، أبلغ قبل وقت طويل من الجلسة الأولى أن موكلتي قد اعتقلت للاشتباه بقيامها بالجرائم، بما أدى إلى استجواب المراهق لمن حوله. وخلال هذه الجلسة، ادعى المراهق أنه لاحظ كيف تصرفت مايا بطريقة تتعارض مع ما ترويه هي نفسها. وقال إنه سمع موكلتي تستشير الراحل سيباستيان فاجرمان ثم رأى كيف أن موكلتي تطلق النار عمدا على أحد الضحايا».

وهكذا يرسم تفاصيل التحقيق في شهادة سمير التي كلف بها. التفاصيل التي سمعناها بالفعل.

»وماذا تقول المدعية العامة بشأن النتيجة القاطعة لصالح موكلتي والتي يتوصل إليها هذا التحقيق؟ بلى، إن المدعية العامة تعني أن هذا لن يؤديه موظفون أكفاء بما فيه الكفاية في صيغ حرة وغير متحيزة بما فيه الكفاية».

ينظر ساندر عبر أوراقه ويهز رأسه ببطء. ثم يأخذ قطعة من الورق من الكومة ويبدأ القراءة مباشرة. إنه وصف للأشخاص الذين شاركوا في الاختبار، وما هو تحصيلهم الدراسي، وما هي وسائل التحكم التي استخدموها، وهذا مشتبك بالمصطلحات التقنية ومزعج للغاية. وبعد ذلك يعود إلى نفس النمط لفترة أخرى. صوته يرغي ويدوي. وأجد صعوبة في التنفس. فككت عقدة المنديل في قبضتي، وعقدته مرة أخرى. أريد أن أنهض، أريد أن أركض تجاه هيئة المحلفين. اسمعوا، أريد أن أصرخ. هل تسمعون ما يقوله؟

لأن الحقيقة هي، كما أرى، ما يضربني في الصميم، وأنا غير مستعدة، ولكني أريد أن أصدق ساندر. أريد أن أصدق أنه على حق عندما يقول إنه لا ينبغي إدانتي، وأن لدي الحق في مستقبل. أتمنى أن يكون محقا.

ربما لن تتذكروا حتى كيف انتهت هذه المحاكمة، أو إذا جرت إدانتي أو ما أدنت به. ستتحدثون عني في حفلة بعد بضع سنوات وتقولون «كانت هكذا»، أو «لم تتهم بهذا أبدا» وما هو الشيء الغريب ـ هل أنت متأكد؟ أعتقد أنها... حقيقتي لن تؤول قريبا سوى إلى ملفات عبارة عن مواد وفقرات من محاكمتي، المودعة في غرفة الطابق السفلي الباردة.

سيكون عليكم أن تبحثوا في غوغل لتتأكدوا كيف سارت الأمور. أو ستقولون إنه كان حكما مكتوبا كتابة رصينة أو عمل شرطة غير متقن أو أنه

كان أفضل شيء أنها دخلت السجن، لإثبات حكمتكم، وتعرفون كل شيء. بغض النظر عن النسخة التي تختارونها، سوف تتذكرونني كقاتلة. لكنني لا آبه بكم وبآرائكم الحقيرة. رغم كل شيء، ما زلت أريد الخروج من هنا. أريد أن تصدق المحكمة (ساندر). التعب الذي يتغلب علي عندما أفكر يشلني لدرجة أنني قبل كل شيء، أعتقد أنني سأسقط من على مقعدي. لكنني أتشبث به بقوة.

يجب أن أتحمل، لا أريد أن أبقى هنا. أريد الخروج من هنا. كانت جدتي تمتلك كرسيا هزازا تتأرجح فيه إلى الأمام وإلى الخلف، وتقرأ، أو تخيط ولا يزال الكرسي موجودا في منزل جدي وأريد أن أتأرجح به أنا أيضا. أريد أن يهمس جدي في أذني «أمامك الحياة كلها»، وسأومئ لأسعده. كل شيء يمكن أن يحدث. أريد أن أجعل شخصا ما سعيدا. كل شيء ممكن. ولا ضرورة للتفكير بأنه عندما يمكن أن يحدث أي شيء، عندما تكون جميع الأبواب مفتوحة كأنه تيار هوائي يمر عبر الغرفة وكل شيء يعود مغلقا ويتعطل القفل فلا يمكن فتحه.

عمري 18 سنة وأريد أن أكون أميرة ديزني وأصرخ بصوت صفير:

«سأتبع قلبي وأكون سعيدة». لا يجب أن يعتقد أحد أنني زوجة أب (سنو وايت) التي تتبع قلبها الأسود الشرير وتقرر أن ترتكب جريمة القتل. أريد الحصول على التعليم، والجلوس في مكتب يقع في الطابق الثامن والعشرين فوق الأرض دون أن ينثني الطابق الأرضي وينهار المبنى تحتي وأسقط. أريد أن أذهب إلى مكان حيث لا أتخيل الجماهير مستلقية فوقي لتدفن جسدي. استمعوا إلى ساندر. الرئيس والمحلفين وجميع الصحفيين. اتفقوا معه. اتركوني وشأني. ينظر ساندر عبر نظارته الخاصة بالقراءة النازلة على أسفل

أنفه إلى الرئيس. الآن، على ما أعتقد، يقول ما يجعل الجميع يفهمون. مما يجعلهم يتركوني أذهب. لكنه لا يفعل ذلك.

وأضاف: «المدعية العامة لم تثبت أية مسؤولية عن جرائم». بعد ذلك، لا يقول شيئا أكثر من ذلك. بدلا من ذلك، يتحدث القاضي. وبعد ذلك ينتهي الأمر. سينتهي كل شيء.

جلسات المحاكمة ـ الأسبوع الثالث، اليوم الأخير

43

أصبحت لدينا غرفة انتظار جديدة. الكرسي الذي أجلس عليه على شكل وعاء من بلاستيك. تخدر ردفي، رغم أنني لم أجلس هنا لفترة طويلة. والقهوة التي أحملها في يدي غائمة. ومن الواضح أنني قبلت الكريمة والسكر، ولكن لا أستطيع أن أتذكر إن سئلتُ حول أنني أريدها مع السكر والحليب. ظننت أنه ستتم إعادتي إلى السجن. كلنا اعتقدنا ذلك، هكذا كان مخططا، تأخر توصيلي. لكن القاضي كانت لديه خطط أخرى، وعندما كان من المقرر أن يختتم، سمعنا منه بعض الثرثرة حول القضية، وقال إنها قد اكتملت بموجب هذا التقرير.

«الآن ستجري المحكمة مداولات فردية قصيرة وستصدر بعد ذلك حكما».

ثم التفت إلى ساندر وأومأ إلى رئيس الادعاء وقال: «يمكنكم الانتظار هنا، سننادي بالقضية عندما ننتهي».

ساد في القاعة ما يشبه التذمر والتساؤلات، والجميع صاروا في مواجهة بعضهم، منتظرين تفسيرا للوضع. التفت إلى ساندر.ماذا يعني هذا؟ اتفتت أمي إلى والدي. ماذا يعني هذا؟ ولم يجب أحد، لم يعرف أحد واعتقدت أن الجميع يعرف أن الأمر مجرد أهداف بسيطة، وهي أنه من المهم إرسال

المجرمة الحقيرة إلى جناح المحكومين بالإعدام في أسرع وقت ممكن، فالمذنبون وحدهم ينالون أحكامهم بسرعة. وأنا لا أريد ذلك.

نهضنا جميعا، وخرجنا. انتهى الأمر. لقد انتهى كل شيء وظننت أنني سأتقيأ في الحال، أو أختنق، لكنني لم أفعل شيئا سوى الجلوس وطلبت، طبعا، شاكرةً، فنجانا من القهوة. لا يجلس ساندر. والبانكيك خارج القاعة ويتجنب الإجابة على الأسئلة من الصحافة. تكتب فرديناند بشكل محموم في هاتفها، أنا لا أعرف ماذا، أنا لا أعرف من. لا يجيب ساندر عند مناداته. يبدو متوترا، لم أره يبدو متوترا هكذا من قبل، يحاول سكب فنجان قهوة لنفسه لكن الكوب البلاستيكي ينزلق بعيدا وتراق القهوة على الطاولة فيشتم بصوت عال.

ماذا بحق الجحيم! هذه هي المرة الأولى التي أسمعه يشتم. ننتظر ساعة. لا شيء. بعد خمس دقائق، يجلس ساندر. يطالع هاتفه. تنظر فرديناند لي، ويداها على علبة السعوط، أهز رأسي وتعطيني شريط علك النيكوتين وأدس أربعة أقراص في كف يدي، وأرفعها إلى فمي وأبدأ في المضغ. سننتظر 20 دقيقة أخرى. وأسأل: كم سننتظر؟

لا أحد يجيب، أسأل مرة أخرى. كم تبقى؟ يبدو صوتي يبدو وكأنه صوت شاب ثرثار، هل سنصل قريبا؟

«لا يمكن الإجابة»، يقول ساندر أخيرا، لكنه لا يتوقف عن النظر إلى شاشة هاتفه، والقراءة، والقراءة، وكيف يمكنه القراءة؟ ماذا يقرأ؟ ساعتان من الانتظار. و11 دقيقة ثم نسمع طقطقة مكبرات الصوت. ونسمع مناداة قضيتنا واستدعائنا. ساندر يقف خلفي مباشرة، يضع يده على أسفل ظهري، كما لو أنه سينقلني إلى الطاولة.

أو إلى مكان إعدامي؟ مع كيس لرأسي. إلى أين نذهب؟ هل سنصل قريبا؟ نذهب إلى مقاعدنا، ويجلس القضاة بالفعل، وقد دفعت لينا بيرسون بالكرسي إلى الأمام، وألصقت ساقيها معا بإحكام، وقدماها بجنب بعضهما بدقة. شبكت يديها ووضعتهما على ركبتها. وعندما بدأ الرئيس بالكلام، تصفر كلماته في أذني. بالكاد أستطيع أن أسمعها، لا أعرف ماذا تعني، أنظر إلى ساندر بينما يتحدث القاضي.

«سيتم إصدار الحكم الخطي في وقت لاحق، وسوف نقدم سردا لأسباب الحكم بمزيد من التفصيل».

ماذا يعني ذلك؟ ماذا يقول؟ واسمع كيف يتنفس أبي، يبدو أنه يتألم، كأن أحدهم لكمه على بطنه. اعتقدت للحظة قصيرة أنه سيغضب، وأنه سيصرخ كما يفعل عندما يفقد أعصابه ولسرعان ما أسمعه يبكي. يبكي ويبكي وأمي تهدئه، يتقطع صوتها ثم ألاحظ دموعي. يتمتم الصحفيون بصوت أعلى، قبل أن يبوحوا بأحاديثهم، ويقاطعون بعضهم البعض، ولم يعد هناك صمت في الغرفة. الرئيس لديه ورقة أمامه لكن ليس ضروريا أن ينظر إليها لنعرف ماذا يقول.

«وقد رأت المحكمة المحلية أنه ينبغي رفض الدعوى في جميع الأجزاء. إذ إن المدعية العامة لم تثبت أن المتهمة كانت تنوي القتل أو الشروع في القتل أو المساعدة والتحريض على القتل أو أن شروط التحريض قد استوفيت، لذا تطلق سراح المتهمة فورا».

مكتبة
t.me/soramnqraa

44

جلست بين أبي وأمي في المقعد الخلفي لسيارة ساندر. يطوقني أبي بذراعه وظهره مستقيم كالمسمار ويشهق شهقات قصيرة من خلال فمه واحتضنني دون انقطاع منذ أن طلب مني القاضي العودة إلى المنزل. حتى أن أبي ظل يمسكني وهو يعانق ساندر، وكتفي على صدره بينما كان يصافح البانكيك. وضع يده حول عنقي عندما جذب إليه فرديناند، وكان يمكن أن يكون عناقا جماعيا لو أن فرديناند فهمت أنها ستعانَق. سرت الحرارة إلى أنحاء جسد أمي، ترتجف قليلا وجذبت كلتا يدي ومسدت أناملي، أظافري، مفاصلي، كما لو أنها بحاجة إلى عدها، حققت من أن كل شيء في مكانه، أنني هنا حقا، ليس هذا مجرد شيء تخيلتْه.

بين الحين والآخر تتكئ عليّ، تدس يدها تحت حزام الأمان الخاص بي وتسوي بعض التجاعيد على ملابسي. تربت على خدي وتشم شعري. لم نتحدث كثيرا. لم نقل إننا «سعداء» لم نقل «أحبك»، لم نقل «الحمد للّه». وقد تمتم أبي ألف مرة شكرا، شكرا لكل من يقابله وتهمس أمي بـ «اغفري لي» عندما تعانقني في كل مرة تهمس بنفس الشيء، «آسفة، أنا آسفة». وأنا أسمعها، أسمع صوتها الواطئ كأنها تتنفس وأنا أعانقها ردا على عناقها لي. معذرة. أنا لا أقول شيئا. لا يجوز ذلك.

لا أستطيع، يا أمي. قال ساندر إننا سنبقى في ضيعته لبضعة أيام للابتعاد عن وسائل الإعلام. مكان على الساحل، سنصل إليه بالقارب من المحطة

الأخيرة، قارب ركاب كبير، لكننا الوحيدون على متنه، يجب استئجاره لهذا الغرض. كيف تسنى له فعل ذلك؟ لا يوجد صحفيون هنا، لا أحد يسأل عن شعوري، أو إذا كنت سعيدة، أو إذا كان هناك استئناف. عندما سألوا المدعية العامة، هل ستستأنفين الحكم؟ فانتاب لينا بيرسون الغضب، لا بد أن تتاح لي الفرصة لقراءة حيثيات الحكم لأستطيع اتخاذ موقف بشأن ذلك. وبدا ساندر أكثر ثقة: نحن سعداء بالنتيجة، ولم تواجه المحكمة أي مشاكل كبيرة في تبرئة موكلتي، وسوف يفاجئني إذا فسحت حيثيات الحكم مجالا للمدعية العامة للاستئناف. هل بدا (ساندر) آمنا لمجرد أن صحفيا سأل؟ لا أرى ذلك. إنه لا يبدو آمنا عندما لا تكون هناك حاجة لذلك.

هو يترك ذلك للبانكيك الذي يرخي الآن كرافاته ويبتسم. أصعد على متن السفينة، أقف وبطني مقابل السور ووجهي في مواجهة الرياح، أغمض عيني عن الهواء الجليدي، تدمع عيناي. الرياح، لم أكن أعرف أنني افتقدت الرياح، ورائحة الأكسجين، أشعر ان البرد مطلق السراح هنا في البحر، لا يتشبث بالخرسانة والشبكات والأسلاك الشائكة. أقف هناك لفترة من الوقت، يلسع الهواء خدي، ثم أنتبه إلى ساندر واقفا بجانبي. مرتديا سترة سميكة لم أرها من قبل وقفازات جلدية مبطنة، قبعة فرو بوصلتين تغطيان الأذن، ترفرف في الهواء. يذكرني بجدي. قالت أمي في السيارة:

«الجد ينتظرك. إنه سعيد جدا، وقد اشتاق إليك»

يناولني ساندر منديلا قطنيا باليا ورقيقا. أمسح به بحرص أنفي وعيني. أشم منه رائحة باهتة من الأركيلة وأطويه في يدي. هل تدخن يا المحامي (بيدر ساندر)؟ هناك الكثير لا أعرفه عنك

هل أدعوك (بيدر)؟

وأتساءل «هل انتهى الأمر الآن؟». لا يجيب. ينظر إليّ، وابتسامة تحوم فوق وجهه. لكن قبل أن تهبط، يعض شفتيه ويربت على كتفي.

«نعم»، يرد. يصفق ثلاث مرات ويترك يديه عالقتين في الهواء عندما ينتهي. قد يكون أفضل محامي في السويد. ومع ذلك يبدو أنه يكذب. «الآن انتهى الأمر» آخذ يده وأخطو نصف خطوة نحوه وأعانقه عناقا طويلا في الرياح الجليدية، أعانقه أشد مما أجرؤ عليه. وحقا انتهى الأمر بكل الأحوال بالنسبة له. لقد أنقذ حياتي وقدم فاتورة نفقاته للمحكمة. أدس المنديل في جيبي. نحن نقوم بالرسو في رصيف خاص، محرك القارب يشتغل بينما نحن ننزل منه.

الجو هنا أكثر برودة مما كان عليه في المدينة، والآن تتساقط الثلوج، والبحر رمادي كما الصفائح المعدنية والغسق يبدأ في الاستقرار على الجزيرة، والتسلل على طول الصخور. أغراضي لا تزال في السجن، ليس لدي حقيبة أحملها. بدأت بالمشي إلى المنزل فرأيتها على الدرج.

إنها تجلس في الشرفة. أطول مما أتذكرها. يبدو أنها لم تمشط شعرها، العروة المجعدة المشاجرة نزلت بشرابة ضيقة على الجبهة. أهرول للمسافة القليلة الباقية. عندما أجلس القرفصاء بجانبها، أراها فقدت سنين من أسنانها اللبنية في فكها العلوي. لكنها لا تنظر في عيني. تتنقل نظرتها، من المستحيل الإمساك بها، مثل انعكاس الشمس من المرآة.

«هل ستعودين إلى المنزل الآن؟» سألتْ. أومئ، وأنا لا أثق بصوتي، ومن ثم تزحف إلى حضني، تلف ذراعيها النحيلتين حولي، تطوي ساقيها حول خصري، تتشبث وتبكي ووجهها على عنقي. وما كان صعبا لفترة طويلة، عالقا بمخالب حادة في داخلي، أخذ يذوب ويتدفق إلى جسدي.

«الآن سأعود إلى البيت».

مكتبة
t.me/soramnqraa

telegram @soramnqraa

"أعظم من كل شيء" رواية بوليسية على شكل فيلم إثارة، من تأليف مالين بيرسون غيوليتو، نشرت في عام 2016.

حصلت الرواية على جائزة الأكاديمية السويدية للروايات البوليسية باعتبارها "أفضل رواية بوليسية سويدية لعام 2016"، كما فازت بجائزة المفتاح الزجاجي.

تتناول الرواية تشابك علاقات المراهقين، من أبناء الطبقة الراقية في السويد، والمنتسبين لثانوية "يورهولم" المتخيلة، على لسان الطالبة مايا، التي تعبر من خلال مونولوج داخلي عن تعقيدات العلاقة التي تجمعها بخمسة طلاب آخرين ومعلم.

تهتز الثانوية على وقع إطلاق نار خلف سقوط عدد من الضحايا في صفوف الطلاب، وتنجو مايا لتستدعيها المحكمة بعد تسعة أشهر من المأساة الدامية.

تصور الرواية آثار هيمنة الطبقية والوصم الاجتماعي والعنصرية على المجتمع السويدي، في قالب رومانسي لا يخلو من التشويق والإثارة.

إخراج وتصميم:

ISBN 978-9-9226713-4-5

daralrafidain
dar.alrafidain
daralrafidain دار الرافدين
www.daralrafidain.com
info@daralrafidain.com
Dar ALRafidain دار الرافدين